

الجامع لأحكام القرآن

والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان

تأليف

أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي

(ت ٦٧١ هـ)

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

شارك في تحقيق هذا الجزء

محمّد رضوان عرسوسي غياث الحاج أحمد


الجزء الحادي عشر

مؤسسة الرسالة

جميع الحقوق محفوظة للنّاشِر

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

مؤسسة الرسالة  وطى المصيبة - شارع حبيب أبي شهلا - بناية المسكن، بيروت - لبنان
للطباعة والنشر والتوزيع تليفاكس: ٣٩٠٣١٩ - ٨١٥١١٢ فاكس: ٨١٨٦١٥ ص.ب: ١١٧٤٦٠

Al-Risalah
PUBLISHERS

BEIRUT/LEBANON-Telefax:815112-319039 Fax:818615-P.O.Box:117460
Email:Resalah@Cyberia.net.lb

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٤٧)

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ يكون المعنى: ولكل أمة رسول شاهد عليهم، فإذا جاء رسولهم يوم القيامة قضي بينهم، مثل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾^(١) [النساء: ٤١]. وقال ابن عباس: تُنكر الكفار غداً مجيء الرسل إليهم، فيؤتى بالرسول فيقول: قد أبلغتكم^(٢) الرسالة، فحينئذ يقضى عليهم بالعذاب، دليله قوله: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: ١٤٣].

ويجوز أن يكون المعنى: أنهم لا يُعذبون في الدنيا حتى يُرسل إليهم، فمن آمن فاز ونجا، ومن لم يؤمن هلك وعذب، دليله قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾^(٣) [الإسراء: ١٥]. والقِسْطُ: العدل. «وهم لا يُظْلَمُونَ» أي: لا يُعذبون بغير ذنب، ولا يؤاخذون بغير حجة^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨)

يريد كفار مكة؛ لفرط إنكارهم، واستعجالهم العذاب، أي: متى العقاب، أو متى القيامة التي يعدنا محمد. وقيل: هو عام في كل أمة كذبت رسولها^(٥).

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٥٧/٢.

(٢) في (ز) و(ظ) و(ف): أبلغتهم.

(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٥٧/٢.

(٤) تفسير البغوي ٣٥٦/٢.

(٥) ينظر زاد المسير ٣٧/٤.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٤٩)

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ لَمَّا استعجلوا النَّبِيَّ ﷺ بالعذاب قال الله له: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، أي: ليس ذلك لي ولا لغيري. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أَنْ أَمْلِكُهُ وَأَقْدِرَ عَلَيْهِ، فكيف أَقْدِرُ أَنْ أَمْلِكَ مَا استعجلتم؟! فلا تستعجلوا^(١). ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ أي: لهلاكهم وعذابهم وقتٌ معلوم في علمه سبحانه. ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ أي: وقتٌ انقضاء أَجَلِهِمْ. ﴿فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي: لَا يُمكنهم أَنْ يستأخروا ساعةً باقين في الدنيا، وَلَا يتقدّمون فيؤخّرون.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ بَيْنَا أَوْ نَهَارًا مَآذًا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٥٠)

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ بَيْنَا أَوْ نَهَارًا﴾ ظرفان، وهو جوابٌ لقولهم: «متى هذا الوعد»، وتسفيهٌ لآرائهم في استعجالهم العذاب، أي: إِنْ أَتَاكُمْ العذاب؛ فما نَفْعُكم فيه؟ وَلَا يَنْفَعُكم الإيمانُ حينئذٍ. ﴿مَآذًا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ استفهامٌ معناه التهويل والتعظيم، أي: مَا أعظمَ مَا يستعجلون به، كما يقال لمن يطلبُ أمرًا يَسْتَوْخِمْ عاقِبَتَهُ: مَاذَا تَجْنِي عَلَى نَفْسِكَ^(٢)؟ والضمير في «منه» قيل: يعود على العذاب، وقيل: يعود على الله سبحانه وتعالى.

قال النحاس^(٣): إِنْ جَعَلْتَ الهاء في «منه» تعود على العذاب؛ كَانَ لك في «مَاذَا» تقديران: أحدهما: أَنْ يَكُونَ «مَا» في موضع رَفْعٍ بالابتداء، و«ذَا» بمعنى الذي، وهو خبر «مَا»، والعاثد محذوف. والتقدير الآخر: أَنْ يَكُونَ «مَاذَا» اسمًا واحدًا في موضع

(١) ينظر تفسير أبي الليث ١٠١/٢.

(٢) الكلام بنحوه في الوسيط ٥٥٠/٢.

(٣) في إعراب القرآن ٢٥٧/٢ - ٢٥٨.

رَفَعَ بالابتداء، والخبر في الجملة؛ قاله الزجاج^(١). وإن جعلت الهاء في «منه» تعود على اسم الله تعالى جعلت «ما»، و«ذا» شيئاً واحداً، وكانت^(٢) في موضع نصب بـ «يستعجل»؛ والمعنى: أي شيء يستعجل^(٣) المجرمون من الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِمْ ءَأَلْقَيْنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِمْ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِمْ ءَأَلْقَيْنَ﴾ في الكلام حذف، والتقدير: أتأمنون أن ينزل بكم العذاب، ثم يقال لكم إذا حلَّ: الآن آمنتم به^(٤)؟ قيل: هو من قول الملائكة استهزاء بهم. وقيل: هو من قول الله تعالى.

ودخلت ألف الاستفهام على «ثم»، والمعنى: التقرير والتوبيخ، وليدلَّ على أن معنى الجملة الثانية بعد الأولى.

وقيل: إن «ثم» هاهنا بمعنى: «ثم» بفتح الثاء، فتكون ظرفاً، والمعنى: أهناك، وهو مذهب الطبري^(٥)، وحيث لا يكون فيه معنى الاستفهام.

و«الآن» قيل: أصله [آن] فعل مبنيٌّ مثل: حان، والألف واللام لتحويله إلى الاسم. الخليل: بُنِيَتْ^(٦) لالتقاء الساكنين، والألف واللام للعهد والإشارة إلى الوقت، وهو حدُّ الزَّمانين^(٧). ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِمْ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

(١) في معاني القرآن ٢٤/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس.

(٢) في إعراب القرآن للنحاس: وإن جعلت الهاء في «منه» تعود على اسم الله جلَّ وعزَّ، وجعلت «ماذا» شيئاً واحداً، كانت....

(٣) بعدها في النسخ: منه، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس، ومعاني الزجاج.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٥٨/٢.

(٥) تفسير الطبري ١٩٠/١٢ - ١٩١. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٢٤/٣: وما ادَّعاه الطبري غير معروف.

(٦) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٥٨/٢، والكلام فيه بنحوه، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٧) يعني حدَّ الزمان الماضي من آخره وحدَّ الزمان المستقبل من أوله. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٩٨.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: تقول لهم خزنه جهنم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي: الذي لا ينقطع. ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاء كفركم^(١).

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُمْ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ أي: يستخبرونك يا محمد عن كون العذاب وقيام الساعة: ﴿أَحَقُّ﴾ ابتداء. ﴿هُوَ﴾ [فاعل] سَدَّ مَسَدَ الخبر، وهذا قول سيبويه. ويجوز أن يكون «هو» مبتدأ، و«أحق» خبره^(٢).

﴿قُلْ إِي﴾ «إي» كلمة تحقيق وإيجاب وتأكيد بمعنى: نعم. ﴿وَرَبِّي﴾ قَسَمَ. ﴿إِنَّهُمْ لَحَقٌّ﴾ جوابه، أي: كائن لا شك فيه. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: فائتين عن عذابه ومجازاته^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ أي: أشركت وكفرت. ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ملكاً. ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ أي: من عذاب الله، يعني: ولا يقبل منها^(٤)، كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يَفْعَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ قُلُوبُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ﴾ [آل عمران: ٩١]. وقد تقدّم.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها، يعني رؤساءهم، أي: أخفوا

(١) ينظر تفسير أبي الليث ١٠١/٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٥٨/٢، وما بين حاصرتين منه.

(٣) تفسير البغوي ٢/٣٥٧.

(٤) تفسير أبي الليث ١٠٢/٢.

ندامتهم عن اتباعهم ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ وهذا قبل الإحراق بالنار، فإذا وقعوا في النار ألّهتهم النار عن التصنع، بدليل قولهم: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا [المؤمنون: ١٠٦]. فَيَنْ أَنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَ مَا بِهِمْ. وقيل: «أَسْرُوا»: أظهروا، والكلمة من الأضداد، ويدل عليه أن الآخرة ليست دار تجلّد وتَصْبِر^(١). وقيل: وجدوا ألم الحسرة في قلوبهم؛ لأن الندامة لا يُمكن إظهارها. قال كثير:

فأسررت الندامة يوم نادى برّد جمال غاضرة المُنادي^(٢)

وذكر المبرّد فيه وجهاً ثالثاً^(٣): أنه بدّث بالندامة أسيرة وجوههم، وهي تكاسير الجبهة، واحداً سرار. والندامة: الحسرة لوقوع شيء أو فوت شيء، وأصلها اللزوم، ومنه: النديم لأنه يُلازم المجالس. وفلان نادّم سادّم. والسّدّم: اللّهج بالشيء. ونَدِمَ وتندّم^(٤) بالشيء، أي: اهتمّ به. قال الجوهري^(٥): السّدّم - بالتحريك - الندم والحزن؛ وقد سَدِمَ بالكسر، أي: اهتمّ وحزن، ورجل نادّم سادّم، وندمان سَدِمَان، وقيل: هو إتياع. وما له هم ولا سَدَم إلا ذلك. وقيل: النّدَم مقلوب الدّمن^(٦)، والدّمن: اللزوم، ومنه فلان مُدْمِن الخمر. والدّمن: ما اجتمع في الدار وتلبّد من الأبوال والأبعاد، سُمّي به لِلزومه. والدّمنة: الحقد الملازم للصدر، والجمع دَمَن. وقد دَمِنَتْ قلوبهم؛ بالكسر، يقال: دَمِنْتُ على فلان، أي: ضَغِنْتُ.

﴿وَقَصِيَ بَيْنَهُمُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: بين الرؤساء والسُّفّل؛ بالعدل^(٧). ﴿وَهُمْ لَا يَطْلُبُونَ﴾.

(١) ينظر تفسير البغوي ٣٥٧/٢، وتفسير الرازي ١١١/١٧ - ١١٢.

(٢) ديوان كثير عزة ص ١٣٧، وقوله: غاضرة: اسم امرأة.

(٣) نقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٤٣٨/٢.

(٤) في (ز) و(ظ) و(ف): سدم.

(٥) في الصحاح (سدم) و(ندم) و(دمن).

(٦) في الصحاح (ندم): المندامة مقلوبة من المدامة.

(٧) تفسير أبي الليث ١٠٢/٢.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

«ألا» كلمة تنبيه للسامع، تُزاد في أوّل الكلام، أي: انتبهوا لما أقول لكم: ﴿إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: له مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فلا مانع يمنعُه مِنْ إنْفَازِ مَا وَعَدَهُ ^(١). ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

قوله تعالى: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾
بَيِّنُ الْمَعْنَى، وقد تقدّم ^(٢).

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَذَى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ يعني: قريشاً. ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ﴾ أي: وعظ. ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: القرآن، فيه مواعظٌ وحكم ^(٣). ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: من الشكِّ والنفاقِ والخلافِ والشقاق. ﴿وَهَذَى﴾ أي: رَشَدٌ لمن اتَّبَعَهُ. ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي: نعمة. ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصَّهم؛ لأنَّهم المنتفعون بالإيمان، والكلُّ صفاتُ القرآن، والعطفُ لتأكيد المدح. قال الشاعر:

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهُمَامِ وَلَيْتَ الْكَتِيبَةَ فِي الْمُرْدَحَمِ ^(٤)

قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ قال أبو سعيد الخُدريّ وابن عباس رضي الله عنهما: فضلُ الله القرآن، ورحمته الإسلام. وعنهما أيضاً: فضلُ الله القرآن،

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٥٩.

(٢) ٣٧٣/١ وما بعدها.

(٣) الوسيط للواحدى ٢/٥٥٠.

(٤) سلف ٢/٨٥، وقوله: القرم: السيد.

ورحمته أن جعلكم من أهله. وعن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة: فضلُ الله الإيمان، ورحمته القرآن، على العكس من القول الأول^(١). وقيل غير هذا.

﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ إشارة إلى الفضل والرحمة. والعرب تأتي «بذلك» للواحد والاثني والجميع. وروى عن النبي ﷺ أنه قرأ: «فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا» بالياء، وهي قراءة يزيد بن القعقاع^(٢) ويعقوب^(٣) وغيرهما، وفي الحديث: «لِتَأْخُذُوا مَصَافِقُكُمْ»^(٤).

والفرح لذة في القلب بإدراك المحبوب. وقد ذم الفرح في مواضع، كقوله: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَفِرَاحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠]، ولكنه مطلق. فإذا قيّد الفرح لم يكن ذمًا؛ لقوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، وهاهنا قال تبارك وتعالى: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ أي: بالقرآن والإسلام فليفرحوا، فقيّد^(٥).

قال هارون: وفي حرف أبيي: «فَبِذَلِكَ فافرحوا»^(٦). قال النحاس^(٧): سبيلُ الأمر أن يكون باللام؛ ليكون معه حرف جازم كما أن مع النهي حرفاً؛ إلا أنهم يحذفون من الأمر للمخاطب استغناءً بمخاطبته، وربما جاؤوا به على الأصل، منه: «فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا».

(١) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٢/١٩٥ - ١٩٧، والنكت والعيون ٢/٤٣٩، وزاد المسير ٤٠/٤ - ٤١.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٥٩، والقراءات الشاذة ص ٥٧. وقراءة يزيد بن القعقاع (وهو أبو جعفر) المشهورة عنه: «فليفرحوا» بالياء، و«تجمعون» بالياء، وهي قراءة ابن عامر، كما سيرد.

(٣) في رواية رؤيس عنه. النشر ٢/٢٨٥.

(٤) أورده بهذا اللفظ الفراء في معاني القرآن ١/٤٧٠ في سياق كلامه على قراءة أبيي الآتي ذكرها. وهو قطعة من حديث معاذ بن جبل ؓ عند أحمد (٢٢١٠٩)، والترمذي (٣٢٣٥) لكن بلفظ: «على مصافقكم كما أنتم»، وحيث فلا شاهد فيه.

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ٤/٢٨٣، والمحرر الوجيز ٣/١٢٦.

(٦) المحتسب ١/٣١٣. وهارون: هو ابن موسى بن شريك التغلبي، الأخفش، أبو عبد الله، الإمام الكبير، مقرئ دمشق، له تصانيف في القراءات والعربية. توفي سنة (٢٩٢هـ). السير ١٣/٥٦٦.

(٧) في إعراب القرآن ٢/٢٥٩، وما قبله منه.

﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يعني: في الدنيا. وقراءة العامة بالياء في الفعلين، ورؤي عن ابن عامر أنه قرأ: «فَلْيَفْرَحُوا» بالياء، «تجمعون» بالتاء^(١)، خطاباً للكافرين. ورؤي عن الحسن أنه قرأ بالتاء في الأول، و«يجمعون» بالياء على العكس^(٢). وروى أبان عن أنس، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، وَعَلَّمَهُ الْقُرْآنَ، ثُمَّ شَكَا الْفَاقَةَ، كَتَبَ اللَّهُ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ. ثُمَّ تَلَا: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ يُذْكَرُ فَيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾»^(٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا ۖ﴾ ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾.

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ يُخَاطَبُ كَفَّارَ مَكَّةَ^(٤). ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ «ما» في موضع نصبٍ بـ «أَرَأَيْتُمْ»، وقال الزجاج^(٥): في موضع نصبٍ بـ «أَنْزَلَ». «وَأَنْزَلَ» بمعنى: خلق، كما قال: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ آرَاجٍ﴾ [الزمر: ٦]. ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. فيجوزُ أَنْ يُعْبَرُ عَنِ الْخَلْقِ بِالْإِنْزَالِ؛ لِأَنَّ الَّذِي فِي الْأَرْضِ مِنَ الرِّزْقِ إِنَّمَا هُوَ بِمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنَ الْمَطَرِ^(٦).

(١) السبعة ص ٣٢٧ - ٣٢٨، والتيسير ص ١٢٢.

(٢) ينظر المحتسب ١/ ٣١٣.

(٣) النكت والعيون ٢/ ٤٣٩. وأخرجه أبو القاسم بن بشران في أماليه كما في الدر المنثور ٣/ ٣٠٩. وأبان: هو ابن أبي عيَّاش فيروز، أبو إسماعيل البصري. قال أحمد ويحيى بن معين: متروك. ميزان الاعتدال ١/ ١٠.

(٤) تفسير البغوي ٢/ ٣٥٨.

(٥) في معاني القرآن ٣/ ٢٥، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٢٥٩.

(٦) تفسير الرازي ١٧/ ١٢٠.

﴿فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ قال مجاهد: هو ما حَكَمُوا به مِن تحريم البَحِيرَةِ والسَّائِبَةِ والوَصِيلَةِ والحَامِ^(١). وقال الضَّحَّاك: هو قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦].

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ﴾ أي: في التَّحْلِيلِ والتَّحْرِيمِ. ﴿أَمْرٌ عَلَى اللَّهِ﴾ «أم» بمعنى: بل. ﴿تَقْتَرُونَ﴾ هو قولهم: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِهَا^(٢).

الثانية: استدلل بهذه الآية من نفى القياس، وهذا بعيد؛ فإنَّ القياسَ دليلُ الله تعالى، فيكون التَّحْلِيلُ والتَّحْرِيمُ من الله تعالى عند وجود دلالة نصِّها الله تعالى على الحُكْم، فإنَّ خالفَ في كونِ القياس دليلًا لله تعالى فهو خروجٌ عن هذا الغرضِ ورجوعٌ إلى غيره^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ «يوم» منصوبٌ على الظرف، أو بالظنِّ، نحو ما ظنُّكَ زيداً^(٤)، والمعنى: أيحسبون أنَّ الله لا يُؤاخذهم به^(٥). ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: في التأخيرِ والإمهال. وقيل: أرادَ أهلَ مكة حين جعلهم في حَرَمٍ آمِنٍ. ﴿وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني الكفار. ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله على نعمه، ولا في تأخيرِ العذابِ عنهم. وقيل: «لا يشكرون»: لا يُوحِّدون^(٦).

(١) سلف شرحها ٢٣٧/٨.

(٢) تفسير البغوي ٣٥٨/٢، وأخرج قولي مجاهد والضحاك الطبري ٢٠٢/١٢ - ٢٠٣.

(٣) أحكام القرآن للكمي الهراسي ٢٢٣/٣، وينظر أحكام القرآن للجصاص ١٦٣/٣.

(٤) ينظر الكشف ٢٤٢/٢.

(٥) تفسير البغوي ٣٥٨/٢.

(٦) ينظر الوسيط للواحدي ٣٧١/١، والوجيز له (بهامش مراح لبيد) ٣٧١/١.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ «ما» للجدد، أي: لست في شأن، يعني: من عبادة أو غيرها إلا والربُّ مُطَّلَعٌ عليك. والشأن: الخطب والأمر، وجمعه شؤون. قال الأخفش: تقول العرب: ما شأنتُ شأنه، أي: ما عملتُ عمله^(١).

﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ قال الفراء والزجاج: الهاء في «منه» تعود على الشأن، أي: تُحدثُ شأنًا فيُتلى من أجله القرآن؛ فيعلم كيف حكمه، أو ينزل فيه قرآنٌ فيُتلى^(٢). وقال الطبري^(٣): «منه» أي: من كتاب الله تعالى من قرآنٍ؛ أعاد تفخيماً، كقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [طه: ١٤]. ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ يُخاطب النبي ﷺ والأمة. وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ خطابٌ له، والمراد هو وأُمَّته، وقد يُخاطب الرسول والمراد هو وأتباعه^(٤). وقيل: المراد كفار قريش. ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ أي: نَعْلَمُهُ^(٥)، ونظيره: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: تأخذون فيه^(٦)، والهاء عائدة على العمل^(٧)، يقال: أفاض فلانٌ في الحديث والعمل: إذا اندفع فيه. قال الراعي:

فأفضن بعد كُظومهم بجرّةٍ من ذي الأباطح إذ رعين حقيلاً^(٨)

(١) ذكره الرازي في تفسيره ١٧/١٢١ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٥٩ ، وقول الزجاج في معاني القرآن ٣/٢٦ .

(٣) في تفسيره ١٢/٢٠٤ . وينظر الكشاف ٢/٢٤٢ .

(٤) ينظر الوسيط للواحد ٢/٥٥٢ .

(٥) في (ز) و(ظ): بعلمه.

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٩٧.

(٧) تفسير البغوي ٢/٣٥٩ .

(٨) ديوان الراعي ص ٢٢٤ ، وسلف ٥/٣١٨ ، فينظر شرح غريبه ثمة ، وينظر تهذيب اللغة ١٢/٧٨ .

ابن عباس: «تُفِيضُونَ فِيهِ»: تفعلونه^(١). الأخفش: تتكلمون. ابن زيد: تخوضون. ابن كيسان: تنشرون القول. وقال الضحاك: الهاء عائدة على القرآن، المعنى: إذ تُشيعون في القرآن الكذب^(٢).

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: يغيب^(٣). وقال أبو روق: يبعُد. وقال ابن كيسان: يذهب.

وقرأ الكسائي: «يعزب» بكسر الزاي حيث وقع؛ وضَمَّ الباقون^(٤)، وهما لغتان فصيحتان، نحو يَغْرِش وَيَغْرِشُ^(٥). ﴿مِنْ مِّثْقَالٍ﴾ «من» صلة؛ أي: وما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِثْقَالٌ ﴿ذَرَّةً﴾، أي: وزن ذرة، أي: نَمِيلَةٌ حمراء صغيرة، وقد تقدَّم في «النساء»^(٦). ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ عطف على لفظ «مِثْقَال»، وإن شئت على «ذرة». وقرأ يعقوب وحمزة برفع الراء فيهما^(٧) عطفاً على موضع «مِثْقَال»؛ لأن «من» زائدة للتأكيد. وقال الزجاج: ويجوزُ الرفع على الابتداء^(٨). وخبره: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٩) يعني: اللوح المحفوظ مع علم الله تعالى به.

قال الجرجاني: «إلا» بمعنى واو النَّسْق، أي: وهو في كتاب مُبِين، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النمل: ١٠-١١] أي: ومن ظلم. وقوله: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] أي: والذين ظلموا

(١) أخرجه الطبري ٢٠٤/١٢.

(٢) أخرجه الطبري ٢٠٥/١٢.

(٣) أخرجه الطبري ٢٠٨/١٢.

(٤) السبعة ص ٣٢٨، والتيسر ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٥٢٠/١.

(٦) ٣٢١/٦ - ٣٢٢. وينظر الوسيط للواحد ٢٥٢/٢، وتفسير البغوي ٣٥٩/٢.

(٧) السبعة ص ٣٢٨، والتيسر ص ١٢٣، والنشر ٢٨٥/٢.

(٨) ينظر معاني القرآن له ٢٦/٣.

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٠/٢.

منهم^(١). ف «إلا» بمعنى واو النسق. وأضمر «هو» بعده، كقوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] أي: هي حِطَّة، وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ [النساء: ١٧١] أي: هم ثلاثة. ونظير ما نحن فيه: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرِكُهَا وَلَا يَبْقَى فِي ظِلِّهَا إِلَّا الْأَرْضُ وَلَا رَطْبُ وَلَا يَابِسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] أي: وهو في كتاب مبين.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: في الآخرة. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لفقد الدنيا. وقيل: لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، أي: مَنْ تَوَلَّاهُ اللَّهُ تعالى وتولَّى حفظه وجياطته ورَضِيَّ عنه فلا يخاف يومَ القيامة ولا يحزن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا﴾ أي: عن جهنم ﴿مُبْعَدُونَ﴾ إلى قوله ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَجُ الْأَكْبَرُ﴾^(٢) [الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

ورَوَى سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ سئل: مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ فقال: «الذين يُذَكِّرُ اللَّهُ بِرُفُوتِهِمْ»^(٣).

وقال عمر بن الخطاب في هذه الآية: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ؛ تَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تعالى». قيل: يا رسولَ الله، خَبِّرْنَا مَنْ هُمْ، وما أَعْمَالُهُمْ، فلعلنا نَحِبُّهُمْ؟ قال: «هم قومٌ تحابَّوا في اللَّهِ على غيرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطُونَ بِهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وإنهم على منابرٍ من نورٍ، لا يخافون إذا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إذا حَزَنَ النَّاسُ» ثم قرأ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤).

(١) قال الرازي في تفسيره ١/ ١٢٤: هذا الوجه في غاية التعسف، وقال أبو حيان في البحر ٥/ ١٧٥: وهذا قول ضعيف، ولم يثبت من لسان العرب وضع «إلا» موضع الواو.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٠.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/ ٢٠٩، وهو مرسل. وأخرجه النسائي في الكبرى (١١١٧١)، والطبراني في الكبير (١٢٣٢٥)، والبزار (٣٦٢٦) (زوائد) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٥٢٧)، والطبري ١٢/ ٢١١ - ٢١٢، وفي الباب عن أبي هريرة ؓ أخرجه النسائي في الكبرى (١١١٧٢)، والطبري ١٢/ ٢١١، وصححه ابن حبان (٥٧٣).

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: أولياء الله قومٌ صَفَرُ الوجوه من السَّهر، عُمَشُ العيون من العبر، خُمَصُ البطون من الجوع، يُبَسُّ الشَّفاء من الذَّوي^(١).

وقيل: «لا خَوْفٌ عليهم» في ذُرِّيَّتِهِمْ؛ لأنَّ الله يتولَّاهم. «ولا هم يحزنون» على دنياهم؛ لتعويضِ الله إِيَّاهم في أولاهم وأخراهم؛ لأنه وَلِيُّهم ومولاهم.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٦٢)

هذه صفةُ أولياءِ الله تعالى، فيكون: ﴿الَّذِينَ﴾ في موضعِ نَصْبٍ على البدل من اسم «إِنَّ» وهو «أولياء». وإن شئتَ على أعني. وقيل: هو ابتداء، وخبره: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٢)، فيكون مقطوعاً مما قبله. أي: يتَّقون الشُّركَ والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٦٣)

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ عن أبي الدرداء قال: سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال: «ما سألتني أحدٌ عنها غيرُك منذ أنزلت، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له». خرَّجه الترمذي في «جامعه»^(٣). وقال الزُّهريّ وعطاء وقتادة: هي البشارة التي تُبشِّرُ بها الملائكةُ المؤمنَ في الدنيا عند الموت^(٤).

وعن محمد بن كعب القُرطبيّ قال: إذا استنقعتُ نفسُ العبدِ المؤمنِ^(٥) جاءه

(١) نسبة العجلوني في كشف الخفاء ٥٨/١ للثعلبي، وهو ضعيف. قوله: الذَّوي، أي: الذُّبول.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٠.

(٣) الحديث (٣١٠٦)، وهو في مسند أحمد (٢٧٥٢٠) مختصر، وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وعبادة ابن الصامت عليه السلام عند أحمد (٧٠٤٤) و(٢٢٦٨٨).

(٤) أخرج قول الزُّهريّ وقتادة الطبري ١٢/٢٢٤، وذكره البغوي في تفسيره ٢/٣٦٠ عن عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) أي: إذا اجتمعت فيه تريد الخروج، كما يستنقع الماء في قراره. وأراد بالنفس الروح. النهاية (نقع).

مَلِكِ الْمَوْتِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ، اللَّهُ يُقَرِّتُكَ السَّلَامَ. ثم نزع بهذه الآية: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [النحل: ٣٢] ذكره ابن المبارك^(١).

وقال قتادة والضحاك: هي أن يعلم أين هو من قبل أن يموت^(٢). وقال الحسن: هي ما يُبَشِّرُهُمُ اللَّهُ تعالى في كتابه من جَنَّتْه وكريم ثوابه؛ لقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: ٢١]، وقوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقوله: ﴿وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. ولهذا قال: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي: لا تخلف لمواعيده، وذلك لأن مواعيده بكلماته.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قيل: بالجنة إذا خرجوا من قبورهم. وقيل: إذا خرجت الروح بُشِّرَتْ برضوان الله^(٣).

وذكر أبو إسحاق الثعلبي: سمعتُ أبا بكر محمد بن عبد الله الجوزقي^(٤) يقول: رأيتُ أبا عبد الله الحافظ في المنام راكباً برذوناً عليه طيلسان وعِمَامَةٌ، فسَلَّمْتُ عليه وقلت له: أهلاً بك، إنا لا نزال نذكرك ونذكر محاسنك، فقال: ونحن لا نزال نذكرك ونذكر محاسنك؛ قال الله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الشَّاءُ الْحَسَنُ، وأشار بيده.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي: لا تخلف لوعده. وقيل: لا تبديل لأخباره، أي: لا ينسخها بشيء، ولا تكون إلا كما قال. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: ما يصيرُ إليه أولياؤه فهو الفوز العظيم.

(١) في الزهد (٤٤٢).

(٢) النكت والعيون ٢/٤٤١، وأخرجه الطبري ٢٢٥/١٢ عن الضحاك.

(٣) ينظر الوسيط للواحيدي ٢/٥٥٣ - ٥٥٤، وتفسير البغوي ٢/٣٦٠، وفيهما قول الحسن السالف.

(٤) الخراساني، الحافظ، المجود، له كتاب الصحيح المخرَّج على كتاب مسلم، والمتَّفَق الكبير، يكون في ثلاث مئة جزء. توفي سنة (٣٨٨هـ). وجوزَّ ق من قرى نيسابور. السير ١٦/٤٩٣.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ تَمَّ الكلام، أي: لا يحزنك افتراؤهم وتكذيبهم لك، ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ أي: القوة الكاملة، والغلبة الشاملة، والقدرة التامة لله وحده؛ فهو ناصرُك ومُعِينُك ومَانِعُك.

﴿جَمِيعًا﴾ نَضَبٌ عَلَى الْحَال^(١)، ولا يُعَارِضُ هَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، فَإِنَّ كُلَّ عِزَّةٍ بِاللَّهِ فَهِيَ كُلُّهَا لِلَّهِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٨٠].

﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ السَّمِيعُ لَأَقْوَالِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمْ، الْعَلِيمُ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَجَمِيعِ حَرَكَاتِهِمْ.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ مَا يَبْتَغِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يحكم فيهم بما يُرِيدُ، وَيَفْعَلُ فِيهِمْ مَا يَشَاءُ، سُبْحَانَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَبْتَغِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ «ما» لِلنَّفْيِ، أي: لا يَتَّبِعُونَ شُرَكَاءَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، بَلْ يَظُنُّونَ أَنَّهَا تَشْفَعُ أَوْ تَنْفَعُ. وَقِيلَ: «ما» اسْتِفْهَامٌ، أي: أَيُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ؟! تَقْبِيحًا لِفَعْلِهِمْ^(٢)، ثُمَّ أَجَابَ فَقَالَ: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي: يَحْدِسُونَ وَيَكْذِبُونَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ^(٣).

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦١.

(٢) ينظر تفسير البغوي ٢/٣٦١، وتفسير الرازي ١٧/١٣١.

(٣) ٧/٩. وينظر زاد المسير ٤/٤٦.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٦٧)

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ بيّن أنّ الواجب عبادة من يقدر على خلق الليل والنهار؛ لا عبادة من لا يقدر على شيء. «لِتَسْكُنُوا فِيهِ» أي: مع أزواجكم وأولادكم ليزول التعب والكلال بكم. والسكون: الهدوء عن الاضطراب.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: مُضيئاً لتهتدوا به في حوائجكم. والمُبصر: الذي يُبصر، والنهار يُبصر فيه. وقال: «مُبْصِرًا»؛ تجوزاً وتوسعاً على عادة العرب في قولهم: ليلٌ قائم ونهارٌ صائم. وقال جرير:

لقد لُمْتِنا يا أمَّ غَيْلانَ في السُّرَى ونميت وما ليلُ المَطيِّ بنائم^(١)
وقال فُطْرُبُ: يقال: أظلمَ الليلُ، أي: صار ذا ظلمة، وأضاء النهار وأبصر، أي: صار ذا ضياء وبَصَر^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: علامات ودلالات. ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي: سماع اعتبار.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلٰطِينٍ يَّهْدُوا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٨)
قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ يعني: الكفار. وقد تقدّم^(٣). ﴿سُبْحَنَهُ﴾ نَزَّهَ نفسه عن الصاحبة والأولاد، وعن الشركاء والأنداد. ﴿هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ثم أخبر بغناه المطلق، وأنَّ له ما في السماوات والأرض ملكاً وخلقاً وعبداً، ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنَى الرَّحْمٰنُ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

(١) ديوان جرير ٩٩٣/٢، وينظر زاد المسير ٤٦/٤.

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ١٧٧/٥.

(٣) ٣٣٣/٢.

﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ أي: ما عندكم من حُجَّة بهذا. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من إثبات الولد له، والولد يقتضي المُجانسة والمُشابهة، والله تعالى لا يُجانس شيئاً ولا يُشابه شيئاً^(١).

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ﴿مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ﴾ أي: يَخْتَلِقُونَ. ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ أي: لا يفوزون ولا يأمنون، وتمَّ الكلام. ﴿مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: ذلك متاع، أو هو متاع في الدنيا، قاله الكسائي^(٢). وقال الأخفش: لهم متاع في الدنيا^(٣). قال أبو إسحاق^(٤): ويجوز النصب في غير القرآن على معنى: يتمتعون متاعاً. ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ أي: رُجوعهم. ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ أي: الغليظ. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَتْ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِن كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون﴾ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ أمره - عليه الصلاة والسلام - أن يذكّرهم أقاصيص المتقدمين، ويخوّفهم العذاب الأليم على كُفرهم. وحُذفت الواو من «أَنذَرْتُ»؛ لأنه أمر، أي: اقرأ عليهم خبر نوح. ﴿إِذْ قَالَتْ لِقَوْمِهِ﴾ «إِذ» في موضع نصب^(٥).

(١) في (ز) و(ظ) و(ف): ولا يشبهه شيء.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦١.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/١٣١، ولم ينسبه لأحد.

(٤) هو الزجاج، وكلامه في معاني القرآن له ٣/٢٧، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٦١.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦١.

﴿يَقُولُ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ أي: عَظُمَ وَثَقُلَ عَلَيْكَ. ﴿تَقَائِي﴾ المَقَام؛ بفتح الميم: الموضع الذي يقوم فيه. والمَقَام - بالضم -: الإقامة. ولم يُقرأ به فيما عَلِمْتُ^(١)، أي: إِنْ طَالَ عَلَيْكَ لُبِّي فِيكُمْ. ﴿وَتَذَكِّرِي﴾ إِيَّاكُمْ، وتخويفي لكم. ﴿يَتَأْتِيَ اللَّهُ﴾ وَعَزَمْتُمْ عَلَى قَتْلِي وَطَرَدِي. ﴿فَعَلَّ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدت. وهذا هو جوابُ الشرط، ولم يزل عليه الصلاة والسلام متوكِّلاً على الله في كل حال، ولكن بَيَّنَّ أَنَّهُ متوكِّل في هذا على الخصوص؛ ليعرف قَوْمُهُ أَنَّ الله يكفيه أمرهم، أي: إِنْ لم تنصروني فإنني أتوكَّل على مَنْ يَنْصُرُنِي^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ قراءة العامة^(٣): «فَأَجْمِعُوا» بقطع الألف، «شُرَكَاءَكُمْ» بالنصب. وقرأ عاصمُ الجَحْدَرِيُّ: «فَأَجْمِعُوا» بوصل الألف وفتح الميم؛ مِنْ جَمَعَ يَجْمَعُ، «شُرَكَاءَكُمْ» بالنصب. وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق ويعقوب: «فَأَجْمِعُوا» بقطع الألف «شُرَكَاءَكُمْ» بالرفع^(٤).

فأما القراءة الأولى، مِنْ: أجمع على الشيء: إذا عزم عليه. وقال الفراء: أجمع الشيء: أعدّه^(٥). وقال المؤرِّج: أجمعتُ الأمر، أَفْصَحُ مِنْ: أجمعتُ عليه. وأنشد: يا لَيْتَ شعري والمُنَى لا تنفعُ هل أَغْدُوْنَ يوماً وأمري مُجْمَعُ^(٦) قال النحاس^(٧): وفي نصب الشُّركاء على هذه القراءة ثلاثة أوجه: قال الكسائي

(١) ينظر المحرر الوجيز ١٣١/٣. وفي الصحاح (قوم): وقد يكون كل واحد منهما (المَقَام والمَقَام) بمعنى الإقامة، ويكون بمعنى موضع القيام؛ لأنك إذا جعلته مِنْ: قام يقوم، فمفتوح، وإن جعلته من: أقام يُقيم، فمضموم.

(٢) ينظر تفسير الرازي ١٣٦/١٧ - ١٣٧.

(٣) في (ز) و(ظ) و(ف): الأئمة.

(٤) يعقوب من العشرة. وينظر النشر ٢٨٦/٢، والقراءات الشاذة ص ٥٧، والمحتسب ٣١٤/١.

(٥) معاني القرآن للفراء ٤٧٣/١، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢٦١-٢٦٢. وما قبله منه.

(٦) زاد المسير ٤٧/٤ - ٤٨. والبيت في معاني القرآن للفراء ٤٧٣/١، ونوادير أبي زيد ص ١٣٣، وإصلاح المنطق ص ٢٩٣ دون نسبة.

(٧) في إعراب القرآن ٢٦٢/٢.

والفراء^(١): هو بمعنى: وادعوا شركاءكم لِنُصْرَتِكُمْ. وهو منصوبٌ عندهما على إضمار هذا الفعل. وقال محمد بن يزيد: هو معطوفٌ على المعنى، كما قال:
يا ليت زوجكِ في الوغَى متقلداً سيفاً ورُمحاً^(٢)
والرُمح لا يُتقلد، إلا أنه محمولٌ كالسيف.
وقال أبو إسحاق الزجاج^(٣): المعنى: مع شركائكم على تناصركم؛ كما يقال:
التقى الماء والخشبة.

والقراءة الثانية من الجمع، اعتباراً بقوله تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ [طه: ٦٠]. قال أبو معاذ^(٤): ويجوز أن يكون جَمَعَ وأَجْمَعَ بمعنى واحد^(٥)، «وشركاءكم» على هذه القراءة عطف على «أمركم»، أو على معنى: فاجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم، وإن شئت بمعنى: مع. قال أبو جعفر النحاس^(٦): وسمعت أبا إسحاق يُجيز: قام زيد وعمراً.

والقراءة الثالثة: على أن يَعِطَفَ الشُّرَكَاءُ على المُضْمَرِ المرفوع في «أجمعوا»، وحسن ذلك؛ لأنَّ الكلام قد طال. قال النحاس^(٧) وغيره: وهذه القراءة تبعُد؛ لأنه لو كان مرفوعاً لوجب أن تُكتب بالواو، ولم يُرَ في المصاحف واو في قوله: «وشركاءكم»، وأيضاً فإنَّ شركاءهم الأصنام، والأصنام لا تصنع شيئاً، ولا فعل لها حتى تُجمع.

(١) في معاني القرآن ٤٧٣/١.

(٢) قائله عبد الله بن الزبير، وهو في ديوانه ص ٣٢، وفيه: قد غدا، بدل: في الوغى. وسلف البيت ٢٩١/١. وينظر الكامل لمحمد بن يزيد المبرد ٤٣٢/١ و ٨٣٦/٢.

(٣) في معاني القرآن ٢٨/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢٦٢/٢.

(٤) لعله أبو معاذ النحوي المروزي المقرئ اللغوي، له كتاب في القراءات. إنباه الرواة ١٧٩/٤.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٣٠٦/٣ دون نسبة.

(٦) في إعراب القرآن ٢٦٢/٢، وما قبله فيه بنحوه، وأبو إسحاق الآتي ذكره هو الزجاج.

(٧) في إعراب القرآن ٢٦٢/٢.

قال المهدوي: ويجوز أن يرتفع الشركاء بالابتداء، والخبر محذوف، أي: وشركاؤكم ليجمعوا أمرهم^(١)، ونُسب ذلك إلى الشركاء - وهي لا تسمع ولا تبصر ولا تميز - على جهة التوبيخ لمن عبدها.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَتْرُكُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَّةٌ﴾ اسم «يكن» وخبرها. وغممة وغم سواء، ومعناه التغطية، من قولهم: غمَّ الهلال: إذا استتر، أي: ليكن أمركم ظاهراً منكشفاً تتمكنون فيه مما شئتم^(٢)؛ لا كمن يخفى أمره فلا يقدر على ما يريد. قال طرفة:

لعمرك ما أمري عليّ بغُمَّةٍ نهاري ولا ليلي عليّ بسَرْمَدٍ^(٣)
الزجاج: ﴿غُمَّةٌ﴾: ذا غَمٍّ، والغَمُّ والغُمَّة، كالكَزْب والكُزْبَة. وقيل: إن الغُمَّة ضيق الأمر الذي يُوجب الغم^(٤)، فلا يتبين صاحبه لأمره مضدراً لينفِرَج عنه ما يغمه. وفي «الصحاح»: والغُمَّة: الكُزْبَة. قال العجاج:

بل لو شهدت الناس إذ تُكْمُوا بغُمَّةٍ لو لم تُفَرِّجْ غُمُوا^(٥)
يقال: أمرٌ غُمَّة، أي: مُبْهِمٌ مُلْتَبِسٌ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَتْرُكُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَّةٌ﴾. قال أبو عبيدة^(٦): مجازها ظلمة وضيق. والغُمَّة أيضاً: فُغْر النُحْي وغيره^(٧). قال

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ١٣٢/٣ دون نسبة.

(٢) ينظر معاني القرآن للنحاس ٣٠٦/٣. وتهذيب اللغة ١١٥/١٦.

(٣) ديوان طرفة بن العبد ص ٤٠.

(٤) النكت والعيون ٤٤٣/٢.

(٥) ديوان العجاج ص ٣٧٤، وقوله: تُكْمُوا، أي: أغمّي عليهم، وغطّوا. القاموس المحيط (كمم). والرجز أورده المصنف كما في الصحاح (غمم)، والذي في الديوان:

بل لو شهدت الناس إذ تُكْمُوا بِقَدَرِ حُمٍّ لَهُمْ وَحُمُوا
وغمّةٍ لو لم تُفَرِّجْ غُمُوا إذ زعمت ربّعة القِسْعُم

(٦) في مجاز القرآن ٢٧٩/١.

(٧) الصحاح (غمم)، والثحي: الزُّقُّ، أو ما كان للسُّنن خاصة. القاموس المحيط (نحي).

غيره: وأصلُ هذا كله مشتقٌّ من العَمَامَةِ^(١).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ ألف «اقضوا» ألف وصل، من: قضى يقضي. قال الأخفش والكسائي: هو مثل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦] أي: أنهيناه إليه، وأبلغناه إياه. ورؤي عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ قال: إمضوا إليّ ولا تؤخّروني^(٢). قال النحاس^(٣): هذا قولٌ صحيح في اللغة، ومنه: قَضَى الميثَ، أي: مضى. وأعلمهم بهذا أنهم لا يصلون إليه، وهذا من دلائل النبوات.

وحكى الفراء عن بعض القراء: «ثم أفضوا إليّ»؛ بالفاء وقطع الألف^(٤)، أي: توجّهوا، يقال: أفضت الخلافة إلى فلان، وأفضى إليّ الوجع.

وهذا إخبارٌ من الله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام أنه كان بنصرٍ الله واثقاً، ومن كيدهم غير خائف، علماً منه بأنهم وآلهتهم لا ينفعون ولا يضرّون^(٥). وهو تعزيةً لنبيه ﷺ وتقويةً لقلبه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: فإن أعرضتم عما جئتكم به؛ فليس ذلك لأنني سألتكم أجراً فيثقل عليكم مكافأتي^(٦). ﴿إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ في

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ٢٨/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٧٠/٦ (١٠٤٨٧).

(٣) في إعراب القرآن ٢/٢٦٢، وما قبله منه.

(٤) معاني القرآن للفراء ٤٧٤/١، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٦٢، ونسب هذه القراءة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٥٧ وابن جني في المحتسب ١/٣١٥ إلى السري ابن يثعم.

(٥) تفسير البغوي ٢/٣٦٢.

(٦) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٣، والنكت والعيون ٢/٤٤٣.

تبليغ رسالته. ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: الموحدين لله تعالى.

فَتَحَّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصُ بَاءَ «أَجْرِي» حَيْثُ وَقَعَ، وَأَسْكَنَ الْبَاقُونَ^(١).

قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكِبِينَ﴾ ﴿٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ يعني نوحاً. ﴿فَجَبْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي: من المؤمنين. ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ أي: السفينة، وسيأتي ذكرها^(٢). ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا﴾ أي: سكان الأرض وخلفاء ممن غرق^(٣). ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكِبِينَ﴾ يعني آخر أمر الذين أنذرهم الرسل فلم يؤمنوا^(٤).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ﴾ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد نوح ﴿رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ كهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وغيرهم^(٥). ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالمُعْجَزَاتِ. ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ التقدير: بما كَذَّبَ به قوم نوح مِنْ قَبْلُ^(٦). وقيل: «بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ» أي: مِنْ يَوْمِ^(٧) الذَّرِّ، فإنه كان فيهم من كَذَّبَ بقلبه، وإن قال الجميع: بلى.

(١) التيسير ص ٦٥ - ٦٦ ، والنشر ١٦٧/٢ - ١٦٨ .

(٢) في تفسير الآية (٣٨) من سورة هود.

(٣) ينظر النكت والعيون ٤٤٣/٢ .

(٤) تفسير البغوي ٣٦٢/٢ .

(٥) تفسير أبي الليث ١٠٦/٢ ، والوسيط للواحدى ٥٥٥/٢ .

(٦) تفسير البغوي ٣٦٣/٢ .

(٧) في (ف) و(م): من قبل يوم.

قال النحاس^(١): «وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي هَذَا: إِنَّهُ لَيَقُومُ بِأَعْيَانِهِمْ، مِثْلُ: ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].»

﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾ أي: نَخْتِمُ ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُتَعَدِّينَ﴾ أي: الْمُجَاوِزِينَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ والتكذيب، فلا يؤمنوا. وهذا يرادُّ على الْقَدَرِيَّةِ قولهم كما تقدَّم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ يَتْلِيَانَا فَاَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ٧٥ ﴿

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد الرُّسُلِ وَالْأُمَمِ. ﴿مُوسَى وَهَارُونَ﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ. أي: أَشْرَافِ قَوْمِهِ. ﴿يَتْلِيَانَا﴾ يريد الآيات التسع، وقد تقدَّم ذكرها^(٢). ﴿فَاَسْتَكْبَرُوا﴾ أي: عن الحق. ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ أي: مشركين.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ٧٦ ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ ٧٧ ﴿

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ يريد فرعونَ وقومه. ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ حملوا المعجزاتِ على السحر. قال لهم موسى: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾ قيل: في الكلام حذف، المعنى: أ تقولون للحق: هذا سحر؟ ف«أ تقولون» إنكارٌ، وقولهم محذوف، أي: هذا سحرٌ، ثم استأنف إنكاراً آخر من قبلة فقال: أسحر هذا؟! فحذف قولهم الأوَّل اكتفاءً بالثاني من قوله^(٣) مُنْكَرًا على فرعونَ ومليّه. وقال الأخفش^(٤): هو مِنْ قولهم، ودخلت الألف حكايةً لقولهم؛ لأنهم قالوا:

(١) في إعراب القرآن ٢/ ٢٦٣.

(٢) ٢/ ٢٥٤ ، ٩/ ٣٠٩.

(٣) في (د) و(م): من قولهم. والكلام بنحوه في تفسير الطبري ١٢/ ٢٣٨ - ٢٣٩ ، وتفسير الرازي ١٧/ ١٤١.

(٤) في معاني القرآن ٢/ ٥٧٢ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٢٦٣.

أَسْحَرْ هَذَا. فَقِيلَ لَهُمْ: أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ: أَسْحَرْ هَذَا^(١). ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾
أي: لا يُفْلِحُ مَنْ أَتَى بِهِ.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي
الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِنَا﴾ أي: لتصرفنا وتلويحنا، يقال: لَفَنَهُ يَلْفِنُهُ لَفْنًا: إذا
لواه وصرفه^(٢). قال الشاعر:

تَلَفَّنْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى رَأَيْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعًا^(٣)
ومن هذا: التَفَنَ، إنما هو عدلٌ عن الجهة التي بين يديه^(٤). ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
آبَاءَنَا﴾ يريد من عبادة الأصنام. ﴿وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ أي: العظمة والمُلْكُ
والسلطان. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ يُريد أرضَ مصر^(٥). ويقال للمُلْك: الكِبْرِيَاءُ، لأنه أعظم ما
يُطَلَّبُ فِي الدُّنْيَا^(٦). ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

وقرأ ابن مسعود والحسن وغيرهما: «ويكون» بالياء^(٧)؛ لأنه تَأْنِيثٌ غيرُ
حقيقي، وقد فُصِّلَ بينهما. وحكى سيبويه: حضر القاضي اليوم امرأتان^(٨).

(١) وقع في النسخ بعدها عبارة: وروي عن الحسن. وهو وهم من المصنف رحمه الله، لأن هذه العبارة قد
ذكرها النحاس (والكلام منه) من أجل قراءة الحسن: «ويكون لكما الكبرياء» بالياء، وستأتي في الآية
التالية.

(٢) المحرر الوجيز ٣/١٣٥.

(٣) قائله الصمة بن عبد الله القشيري، وهو في ديوانه ص ٩٤، وفيه: وجدتني، بدل: رأيتني. وقوله:
الإصغاء: أي: الإمالة. والليت: صفحة العُنُق. القاموس المحيط (ليت). والأخدع: عَزَقٌ في جانب
العُنُق. اللسان (خدع).

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٠٧.

(٥) تفسير أبي الليث ٢/١٠٧، وتفسير البغوي ٢/٣٦٣.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٠٨.

(٧) القراءات الشاذة ص ٥٧-٥٨.

(٨) الكتاب ٢/٣٨، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٦٣، وما قبله منه.

قوله تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ ﴿٧٩﴾

إنما قاله لَمَّا رأى العصا واليدَ البيضاء ، واعتقدَ أنهما سحرٌ. وقرأ حمزة والكسائي وابن وثَّاب والأعمش : «سَحَار»^(١). وقد تقدَّم في «الأعراف» القولُ فيهما^(٢).

قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ ﴿٨٠﴾

أي : اطرحوا على الأرض ما معكم من جبالكم وعصيّكم. وقد تقدَّم في «الأعراف» القولُ في هذا مستوفى^(٣).

قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٨١﴾

قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ تكون «ما» في موضع رفع بالابتداء ، والخبر «جئتم به» ، والتقدير : أي شيء جئتم به؟ على التوبيخ والتصغير^(٤) لَمَّا جاؤوا به من السحر.

وقراءة أبي عمرو : «السَّحَرُ» على الاستفهام على إضمار مبتدأ ، والتقدير : أهو السحر؟ ويجوز أن يكون مبتدأ ، والخبرُ محذوف ، التقدير : السحرُ جئتم به^(٥) . ولا تكون «ما» على قراءة من استفهم بمعنى الذي ، إذ لا خبرَ لها^(٦) .

(١) قراءة حمزة والكسائي في السبعة ص ٢٨٩ ، والتيسير ص ١١٢ ، وقراءة ابن وثَّاب في المحرر الوجيز ١٣٥/٣ ، ولم نقف على من نسبها للأعمش.

(٢) ٢٩٣/٩ وما بعدها.

(٣) ٢٩٦/٩ وما بعدها .

(٤) في (ز) و (ظ) و (ف) وإعراب القرآن للنحاس ٢٦٣/٢ (والكلام منه) : والتقصير. والمثبت من (د) و (م).

(٥) ذكر مكِّي في مشكل إعراب القرآن ٣٥١/١ الوجه الأول ، وذكر العكبري في الإملاء ٢٤٥/٣ الوجهين ، وقدَّر الثاني بلفظ : السحر هو؟ قال السمين في الدر المصون ٢٤٩/٦ : وفيهما بُعد.

(٦) هذا قول مكِّي في مشكل إعراب القرآن ٣٥١/١ ، قال السمين الحلبي في الدر المصون ٢٥٠/٦ : ليس كما ذكر ، بل خبرها الجملة المقدَّر أحد جزأها.

وقرأ الباقر: «السَّحَرُ» على الخبر^(١)، ودليل هذه القراءة قراءة ابن مسعود: «مَا جِئْتُمْ بِهِ سِحْرٌ». وقراءة أبي: «مَا أَتَيْتُمْ بِهِ سِحْرٌ»؛ فـ «ما» بمعنى الذي، و«جئتم به» الصلة، وموضع «ما» رفع بالابتداء، والسحر خبر الابتداء. ولا تكون «ما» إذا جعلتها بمعنى الذي نصباً؛ لأن الصلة لا تعمل في الموصول^(٢).

وأجاز الفراء^(٣) نَصَبَ «السحر» بـ «جئتم»، وتكون «ما» للشرط، و«جئتم» في موضع جزم بـ «ما»، والفاء محذوفة؛ التقدير: فإن الله سيُطْلَهُ.

ويجوز أن يُنصب «السحر» على المصدر، أي: ما جئتم به سحراً، ثم دخلت الألف واللام زائدتين، فلا يحتاج على هذا التقدير إلى حذف الفاء. واختار هذا القول النحاس^(٤)، وقال: حذف الفاء في المُجازاة لا يُجيزه كثير من النحويين إلا في ضرورة الشعر، كما قال:

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرْهَا^(٥)

بل ربّما قال بعضهم: إنه لا يجوز البتّة. وسمعت عليّ بن سليمان يقول: حدثني محمد بن يزيد قال: حدثني المازني قال: سمعت الأصمعيّ يقول: غيّر النّحويون هذا البيت، وإنما الرواية:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ فَالرَّحْمَنُ يَشْكُرُهُ^(٦)

وسمعت عليّ بن سليمان يقول: حذف الفاء في المجازاة جائز. قال: والدليل

(١) السبعة ص ٣٢٨، والتيسير ص ١٢٣.

(٢) ينظر مشكل إعراب القرآن ١/ ٣٥١، والمحرم الوجيز ٣/ ١٣٥، وقراءة ابن مسعود في القراءات الشاذة ص ٥٨.

(٣) في معاني القرآن له ١/ ٤٧٥، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٢٦٤.

(٤) في إعراب القرآن ٢/ ٢٦٤.

(٥) صدر بيت، اختلف في قائله، وعجزه: والشرُّ بالشرِّ عند الله مثْلان، وسلف ٣/ ٩٢.

(٦) خزانة الأدب ٢/ ٣٦٥.

على ذلك ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]. ﴿وما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم﴾ قراءتان مشهورتان معروفتان^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ يعني السحر. قال ابن عباس: مَنْ أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لَمْ يَضُرَّهُ كَيْدُ سَاحِرٍ، وَلَا تُكْتَبُ عَلَى مَسْحُورٍ إِلَّا دَفْعُ اللَّهِ عَنْهُ السَّحْرَ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَيُحْيِي اللَّهُ الْحَيَّ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُحْيِي اللَّهُ الْحَيَّ﴾ أي: يُبَيِّنُهُ وَيَوْضِّحُهُ. ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾ أي: بكلامه وَحُجَّجَهُ وَبَرَاهِينَهُ^(٣). وقيل: بَعْدَاتِهِ بِالنَّصْرِ. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ من آل فرعون.

قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ الهاء عائدة على موسى. قال مجاهد: أي: لم يؤمن منهم أحدٌ، وإنما آمنَ أولادُ مَنْ أُرْسِلَ موسى إليهم من بني إسرائيل، لِطُولِ الزَّمانِ هَلَكَ الآبَاءُ وَبَقِيَ الْإِبْنَاءُ فَأَمَنُوا، وهذا اختيارُ الطبري^(٤).

وَالذُّرِّيَّةُ: أَعْقَابُ الْإِنْسَانِ، وَقَدْ تَكَثَّرَ. وقيل: أرادَ بِالذُّرِّيَّةِ مُؤْمِنِي بني إسرائيل^(٥). قال ابن عباس: كانوا ستَّ مئة ألف، وذلك أَنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَخَلَ مِصْرَ فِي اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ إِنْسَانًا، فَتَوَالَدُوا بِمِصْرَ حَتَّى بَلَغُوا ستَّ مئة ألف^(٦). وقال ابن عباس

(١) القراءة الأولى قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحزمة والكسائي، والقراءة الثانية قرأ بها نافع وابن عامر. السبعة ص ٥٨١، والتيسير ص ١٩٥. والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٤ - ٢٦٥.

(٢) لم نقف عليه. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/١٩٧٤ نحوه من قول ليث بن أبي سليم.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٥.

(٤) في تفسيره ١٢/٢٤٧، وقول مجاهد في تفسيره ١/٢٩٥.

(٥) تفسير البغوي ٢/٣٦٤.

(٦) تفسير أبي الليث ٢/١٠٧. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢٢٠١ من قول الربيع بن أنس.

أيضاً: «مِنْ قَوْمِهِ» يعني: من قوم فرعون، منهم مؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامراته، وماشيطة ابنته، وامرأة خازنه^(١).

وقيل: هم أقوام آبائهم من القبط، وأمهااتهم من بني إسرائيل، فسموا ذرية كما يُسمى أولاد الفرس الذين توالدوا باليمن وبلاد العرب الأبناء؛ لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم؛ قاله الفراء^(٢). وعلى هذا فالكناية^(٣) في «قَوْمِهِ» ترجع إلى موسى للقرابة من جهة الأمهات، وإلى فرعون إذ^(٤) كانوا من القبط.

قوله تعالى: ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ﴾ لأنه كان مُسلطاً عليهم عاتياً. ﴿وَمَلَأْنَاهُمْ﴾ ولم يقل: وملائه. وعنه ستة أجوبة: أحدها: أن فرعون لما كان جباراً أخبر عنه بفعل الجميع. الثاني: أن فرعون لما ذكر عُلم أن معه غيره، فعاد الضمير عليه وعليهم، وهذا أحد قولَي الفراء^(٥). الثالث: أن تكون الجماعة سُميت بفرعون مثل ثمود. الرابع: أن يكون التقدير: على خوف من آل فرعون، فيكون من باب حذف المضاف مثل: ﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وهو القول الثاني للفراء^(٦). وهذا الجواب على مذهب سيبويه والخليل خطأ، لا يجوز عندهما: قامت هند، وأنت تريد غلامها. الخامس: مذهب الأخفش سعيد^(٧) أن يكون الضمير يعود على الذرية، أي: ملأ الذرية، وهو اختيار الطبري^(٨). السادس: أن يكون الضمير يعود على «قومه». قال النحاس^(٩): وهذا الجواب كأنه أبلغها.

(١) تفسير البغوي ٣٦٤/٢، وأخرجه الطبري ٢٤٦/١٢ دون ذكر ماشطة ابنة فرعون.

(٢) في معاني القرآن ٤٧٦/١، وينظر تفسير البغوي ٣٦٤/٢.

(٣) في (ظ): قاله.

(٤) في (د) و (ز) و (م): إذا، والمثبت من (ظ).

(٥) في معاني القرآن ٤٧٦/١، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢٦٥/٢، وما قبله منه.

(٦) في معاني القرآن ٤٧٧/١، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢٦٥/٢.

(٧) في معاني القرآن ٥٧٣/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢٦٥/٢.

(٨) في تفسيره ٢٤٩/١٢.

(٩) في إعراب القرآن ٢٦٥/٢، وما قبله منه.

﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ وَحَدَّ «يَفْتِنَهُمْ» عَلَى الْإِخْبَارِ عَنْ فِرْعَوْنَ^(١) ، أَي: يَضُرُّهُمْ عَنْ دِينِهِم بِالْعُقُوبَاتِ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ عَلَى أَنَّهُ بَدَلُ اشْتِمَالٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ بـ «خَوْفٍ». وَلَمْ يَنْصَرَفْ فِرْعَوْنُ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ ، وَهُوَ مَعْرِفَةٌ^(٢) .

﴿وَأَنَّ فِرْعَوْنَ لَكَاِلٌ فِي الْأَرْضِ﴾ أَي: عَاتٍ مُتَكَبِّرٌ.

﴿وَأَنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ أَي: الْمُجَاوِزِينَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَبْدًا ، فَادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ^(٣) .

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٥﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ﴾ أَي: صَدَقْتُمْ ﴿بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ أَي: اعْتَمِدُوا. ﴿إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ كَرَّرَ الشَّرْطَ تَأْكِيدًا ، وَبَيَّنَّ أَنَّ كِمَالَ الْإِيمَانِ بِتَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ. ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أَي: أَسْلَمْنَا أُمُورَنَا إِلَيْهِ ، وَرَضِينَا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ، وَانْتَهَيْنَا إِلَى أَمْرِهِ^(٤) .

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أَي: لَا تَنْصُرْهُمْ عَلَيْنَا فَيَكُونَ ذَلِكَ فِتْنَةً لَنَا عَنِ الدِّينِ ، أَوْ لَا تَمْتَحِنَا^(٥) بِأَنْ تَعَذِّبَنَا عَلَى أَيْدِيهِمْ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْمَعْنَى: لَا تُهْلِكْنَا بِأَيْدِي أَعْدَائِنَا ، وَلَا تَعَذِّبْنَا بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِكَ فَيَقُولُ أَعْدَاؤُنَا: لَوْ كَانُوا عَلَى حَقٍّ لَمْ نُسَلِّطْ عَلَيْهِمْ ، فَيَفْتِنُوا^(٦). وَقَالَ أَبُو مِجْلَزٍ وَأَبُو الضُّحَى: يَعْنِي: لَا تُظْهِرْهُمْ عَلَيْنَا ، فَيَرَوْا أَنَّهُمْ خَيْرٌ مِنَّا ، فَيَزِدَادُوا طُغْيَانًا^(٧).

(١) تفسير الطبري ١٢/٢٥٠ ، وتفسير البغوي ٢/٣٦٤ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٥ .

(٣) تفسير البغوي ٢/٣٦٤ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٦ .

(٥) فِي (ظ): وَلَا تَمْتَحِنَا .

(٦) فِي (ز) وَ (ظ): فَيَفْتِنُوا .

(٧) أَخْرَجَ هَذِهِ الْأَقْوَالَ الطَّبْرِيُّ ١٢/٢٥١ - ٢٥٢ . وَقَوْلُ مُجَاهِدٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١/٢٩٥ .

قوله تعالى: ﴿وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ﴾ أي: خلصنا ﴿مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: من فرعون وقومه؛ لأنهم كانوا يأخذونهم بالأعمال الشاقة.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا

يُتُوكُمْ قِصْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا﴾ أي: اتخذنا. ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ يقال: بوأت زيداً مكاناً، وبوأت لزيد مكاناً. والمبوء: المنزل الملزوم، ومنه: بوأه الله منزلاً، أي: ألزمه إياه وأسكنه، ومنه الحديث: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١) قال الراجز:

نحن بنو عدنان ليس شكُّ تبوُّا المجدُّ بنا والملكُ^(٢)

ومصر في هذه الآية هي الإسكندرية؛ في قول مجاهد^(٣). وقال الضحاك: إنه البلد المسمَّى مصر^(٤)، ومصر ما بين البحر إلى أسوان، والإسكندرية من أرض مصر^(٥).

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلُوا يُتُوكُمْ قِصْلَةً﴾ قال أكثر المفسرين: كان بنو

إسرائيل لا يصلُّون إلا في مساجدهم وكنائسهم، وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخرَّبَتْ كُلُّهَا، ومُنَعُوا مِنَ الصَّلَاةِ، فأوحى الله إلى موسى وهارون أن اتخذوا لتخييراً لبني إسرائيل بيوتاً بمصر، أي: مساجد، ولم يُرد

(١) سلف ٥٧/١.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤٤٦/٢.

(٣) أخرجه الطبري ٢٥٩/١٢.

(٤) النكت والعيون ٤٤٦/٢.

(٥) المحرر الوجيز ١٣٨/٣.

المنازل المسكونة. هذا قول إبراهيم وابن زيد والربيع وأبي مالك وابن عباس وغيرهم^(١).

وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن المعنى: واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً^(٢).

والقول الأول أصح أي: اجعلوا مساجدكم إلى القبلة، قيل^(٣): بيت المقدس، وهي قبلة اليهود إلى اليوم؛ قاله ابن بحر^(٤). وقيل: الكعبة. عن ابن عباس^(٥) قال: وكانت الكعبة قبلة موسى ومن معه.

وهذا يدل على أن القبلة في الصلاة كانت شرعاً لموسى عليه السلام، ولم تخل الصلاة عن شرط الطهارة، وستر العورة، واستقبال القبلة؛ فإن ذلك أبلغ في التكليف وأوفر للعبادة^(٦).

وقيل: المراد صلُّوا في بيوتكم سرّاً لتأمنوا، وذلك حين أخافهم فرعون، فأمروا بالصبر واتخاذ المساجد في البيوت، والإقدام على الصلاة، والدعاء إلى أن ينجز الله وعده، وهو المراد بقوله: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾ [الأعراف: ١٢٨] الآية. وكان من دينهم أنهم لا يصلُّون إلا في البيع والكنائس ما داموا على أمن، فإذا خافوا فقد أذن لهم أن يصلُّوا في بيوتهم. قال ابن العربي: والأول أظهر القولين؛ لأن الثاني دعوى^(٧).

(١) أخرج قولهم الطبري ٢٥٥/١٢ - ٢٥٧، وينظر تفسير البغوي ٢/٣٦٥.

(٢) أخرجه الطبري ٢٦٠/١٢ عن سعيد بن جبير، وأخرجه ابن أبي حاتم ١٩٧٧/٦ (١٠٥٣٢) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٣) في (ظ): قبل.

(٤) ذكره عن ابن بحر بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٢/٤٤٧، وذكره ابن العربي في أحكام القرآن ٣/١٠٤٣ دون نسبة.

(٥) أخرجه الطبري ٢٥٧/١٢ - ٢٥٨.

(٦) في النسخ: وأوفر للعبادة، والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٤٣، والكلام منه.

(٧) أحكام القرآن ٣/١٠٤٣، ويعني بالأول: بيت المقدس، فقد ذكره ابن العربي قبل هذا القول.

قلت: قوله: دعوى، صحيح؛ فإن في الصحيح قوله عليه الصلاة والسلام: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَظَهْوراً»^(١). وهذا ممّا خُصَّ به دون الأنبياء، فنحن بحمدِ الله نصلي في المساجد والبيوت، وحيث أدركتنا الصلاة، إلا أنّ النافلة في المنازل أفضل منها في المساجد، حتى الركوع قبل الجمعة وبعدها، وقبل الصلوات المفروضة وبعدها؛ إذ النوافل يحصل فيها الرياء، والفرائض لا يحصل فيها ذلك، وكلما خَلَصَ العمل من الرياء كان أَوْزَنَ وَأَزْلَفَ عند الله سبحانه وتعالى.

روى مسلم^(٢) عن عبد الله بن شقيق قال: سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ، عن تطوعه؛ قالت: كان يصلي في بيتي قبل الظهر أربعاً، ثم يخرج فيصلّي بالناس، ثم يدخل فيصلّي ركعتين، وكان يُصلي بالناس المغرب، ثم يدخل فيصلّي ركعتين، ثم يصلي بالناس العشاء، ويدخل بيتي فيصلّي ركعتين... الحديث.

وعن ابن عمر قال: صَلَّيتُ مع النَّبِيِّ ﷺ قبل الظهر سجدتين، وبعدها سجدتين، وبعد المغرب سجدتين [وبعد العشاء سجدتين، وبعد الجمعة سجدتين]. فأما المغرب والعشاء والجمعة فصلّيت مع النَّبِيِّ ﷺ في بيته^(٣).

وروى أبو داود عن كعب بن عُجرة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أتى مسجدَ بني [عبد] الأشهل فصلّى فيه المغرب، فلَمَّا قَضَوْا صَلَاتَهُمْ؛ رَأَاهُمْ يَسْبُحُونَ بعدها، فقال: «هذه صلاة البيوت»^(٤).

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٤٢٦٣)، والبخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) عن جابر رضي الله عنه، وسلف ٢٨٣/٢.

(٢) في صحيحه (٧٣٠)، وهو عند أحمد (٢٤٠١٩).

(٣) صحيح مسلم (٧٢٩)، وهو عند البخاري (١١٧٢) وما سلف بين حاصرتين منهما، وأخرجه بنحوه أحمد (٤٥٠٦).

(٤) سنن أبي داود (١٣٠٠)، وأخرجه أيضاً الترمذي (٦٠٤)، والنسائي في المجتبى ١٩٨/٣، وما بين حاصرتين من المعيار. وأخرج نحوه أحمد (٢٣٦٢٤) من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه: قوله: يسبحون بعدها، أي: يصلون النافلة بعد المغرب.

الثالثة: واختلف العلماء من هذا الباب في قيام رمضان، هل إيقاعه في البيت أفضل، أو في المسجد؟ فذهب مالك إلى أنه في البيت أفضل لمن قَوِيَ عليه، وبه قال أبو يوسف وبعض أصحاب الشافعي. وذهب ابن عبد الحكم وأحمد وبعض أصحاب الشافعي إلى أن حضورها في الجماعة أفضل. وقال الليث: لو قام الناس في بيوتهم ولم يقيم أحد في المسجد لَأَتَّبَعِي^(١) أن يخرجوا إليه.

والحجة لمالك - ومن قال بقوله - قوله ﷺ في حديث زيد بن ثابت: «فعلosكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة» خرجه البخاري^(٢).

احتج المخالف بأن النبي ﷺ قد صلاها في الجماعة في المسجد، ثم أخبر بالمانع الذي منعه من^(٣) الدوام على ذلك، وهو خشية أن تفرض عليهم، فلذلك قال لهم: «فعلosكم بالصلاة في بيوتكم». ثم إن الصحابة كانوا يصلونها في المسجد أوزاعاً متفرقين، إلى أن جمعهم عمر على قارئ واحد، فاستقر الأمر على ذلك وثبت سنة.

الرابعة: وإذا تنزلنا على أنه كان أبيع لهم أن يصلوا في بيوتهم إذا خافوا على أنفسهم، فيستدل به على أن المعذور بالخوف وغيره يجوز له ترك الجماعة والجمعة. والعذر الذي يبيع له ذلك كالمرض الحابس، أو خوف زيادته، أو خوف جور السلطان في مال أو بدن دون القضاء عليه بحق. والمطر الوابل مع الوخل عذر إن لم ينقطع، ومن له ولي حميم قد حضرته الوفاة ولم يكن عنده من يمرضه، وقد فعل ذلك ابن عمر^(٤).

(١) وقع في النسخ والمفهم ٣٨٨/٢ (والكلام منه): لا ينبغي، والمثبت من إكمال المعلم ٣/١١٢، وهو الصواب. وذكر قول الليث أيضاً الجصاص في مختصر اختلاف العلماء ١/٣١٣، وابن عبد البر في التمهيد ٨/١١٧ ولفظه عندهما: لو أن الناس في رمضان قاموا لأنفسهم ولأهلهم كلهم حتى يترك المسجد لا يقوم فيه أحد، لكان ينبغي أن يخرجوا من بيوتهم إلى المسجد حتى يقوموا فيه...

(٢) في صحيحه (٦١١٣) مطولاً، وسلف ٤/٣٥٩.

(٣) في النسخ: منع منه بدل: منعه منه، والمثبت من المفهم.

(٤) الكافي لابن عبد البر ١/٢٥٢ وقد ذكر هذا الكلام في التخلف عن صلاة الجمعة، وينظر المفهم ٢/٣٣٩. وخبر ابن عمر أخرجه ابن أبي شيبة ٢/١٥٣ وفيه أن ابناً لسعيد بن زيد بن نفييل كان بأرض له بالعقيق على رأس أميال من المدينة، فأتى ابن عمر غداة يوم الجمعة فذكر له شكواه، فانطلق إليه وترك الجمعة.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: الخطاب لمحمد ﷺ. وقيل: لموسى عليه السلام، وهو أظهر، أي: بشر بني إسرائيل بأن الله سيظهرهم على عدوهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ﴾ «آتَيْتَ» أي: أعطيت. ﴿زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: مال الدنيا، وكان لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والزمرّد والياقوت^(١).

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ اختلف في هذه اللام، وأصح ما قيل فيها - وهو قول الخليل وسيبويه - أنها لامُ العاقبة والصيرورة^(٢)، وفي الخبر: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلَكًا ينادي كلَّ يوم: لِدُوا لِلْمَوْتِ، وابنوا للخراب»^(٣). أي: لما كان عاقبة أمرهم إلى الضلال صار كأنه أعطاهم ليضلُّوا.

وقيل: هي لامُ كي، أي: أعطيتهم لكي يضلُّوا ويكبروا^(٤).

وقيل: هي لامُ أجل^(٥)، أي: أعطيتهم لأجل إعراضهم عنك؛ فلم يخافوا أن

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٣/ ٥٥٧، والزمخشري ٢/ ٢٤٩ - ٢٥٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٦.

(٣) قطعة من حديث أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥١٩)، والبيهقي في الشعب (١٠٧٣٠) عن أبي هريرة ؓ. وأخرجه أبو يعلى (٦٨٥)، والبيهقي في الشعب (١٠٧٣١) من حديث الزبير ؓ. قال ملا علي القاري في الأسرار المرفوعة ص ٢٧٦: قال الإمام أحمد: هو مما يدور في الأسواق، ولا أصل له. وينظر كشف الخفاء ٢/ ١٨٣ - ١٨٤.

(٤) تفسير الطبري ١٢/ ٢٦٢، وهذا قول الفراء في معاني القرآن له ١/ ٤٧٧ وقال البغوي ٢/ ٣٦٥: هي كقوله: ﴿لَأَسْقِنَهُمْ مَاءً غَدَقًا * لِيَتَنَبَّهُ بِهِ﴾ [الجن: ١٦-١٧].

(٥) زاد المسير ٤/ ٥٦.

تُعرض عنهم.

وزعم قوم أن المعنى: أعطيتهم ذلك لئلا يَضِلُّوا، فحذفت لا كما قال عز وجل: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] والمعنى: لأن لا تضلوا. قال النحاس^(١): ظاهرُ هذا الجواب حسنٌ، إلا أنَّ العرب لا تحذف «لا» إلا مع أن؛ فمؤه صاحبُ هذا الجواب بقوله عز وجل: ﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾.

وقيل: اللام للدعاء، أي: ابتليهم بالضلال عن سبيلك؛ لأنَّ بعده: ﴿أَطِيسَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدُّ﴾^(٢).

وقيل: الفعل معنى المصدر، أي: إضلالهم، كقوله عز وجل: ﴿لِتَقْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ٩٥]^(٣).

وقرأ الكوفيون: ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بضم الياء من الإضلال، وفتحها الباقون^(٤).

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَطِيسَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: عاقبتهم على كفرهم بإهلاك أموالهم. قال الزجاج^(٥): طَمَسُ الشيء إذهابه عن صورته.

قال ابن عباس ومحمد بن كعب: صارت أموالهم ودراهمهم حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً وأثلاثاً وأنصافاً^(٦)، ولم يبق لهم معدنٌ إلا طَمَسَ الله عليه، فلم يستفَع به أحدٌ بعدُ.

(١) في إعراب القرآن ٢/٢٦٦، وما قبله منه.

(٢) زاد المسير ٤/٥٦، ومجمع البيان ١١/٨٧، وقال الطبرسي: المعنى: ابتلهم بالبقاء على ما هم عليه من الضلال. وينظر الكشف ٢/٢٥٠.

(٣) أي: لإعراضكم عنهم، وهم لم يحلفوا لكي تُعرضوا. ويكون المعنى على هذا القول: آتيتهم ما آتيتهم لضلالهم. وهذا قول أبي العباس أحمد بن يحيى كما في اللسان (لوم). وذكره الطبري ١٢/٢٦٢-٢٦٣.

(٤) قرأ عاصم وحزمة والكسائي وخلف بضم الياء، والباقون بفتحها. السبعة ص ٢٦٧، والتيسير ص ١٠٦، والنشر ٢/٢٦٢.

(٥) في معاني القرآن ٢/٣١.

(٦) ذكره البغوي ٢/٣٦٦ عن ابن عباس وحده، وذكر عن محمد بن كعب قولاً آخر، وسيأتي.

وقال قتادة: بلغنا أن أموالهم وزروعهم صارت حجارة^(١).

وقال مجاهد وعطية: أهلكتها حتى لا تُرى؛ يقال: عين مطموسة، وطمس الموضوع: إذا عفا ودرَس^(٢).

وقال ابن زيد: صارت دنائيرهم ودراهمهم وفُرُشُهم وكل شيء لهم حجارة^(٣).

محمد بن كعب: وكان الرجل منهم يكون مع أهله في فراشه وقد صار حجرين^(٤)؛ قال: وسألني عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك له، فدعا بخريطة أصيبت بمصر، فأخرج منها الفواكه والدراهم والدنائير وإنها لحجارة^(٥).

وقال السُّدِّيُّ: وكانت إحدى الآيات التسع^(٦).

﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قال ابن عباس: أي: امنعهم الإيمان^(٧). وقيل: قَسَّها واطَّبعَ عليها حتى لا تنشرح للإيمان؛ والمعنى واحد^(٨).

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ قيل: هو عطف على قوله: «لِيُضِلُّوا» أي: آتيتهم النعم لِيُضِلُّوا ولا يؤمنوا؛ قاله الزجاج والمبرد^(٩). وعلى هذا لا يكون فيه من معنى الدعاء شيء. وقوله: «رَبَّنَا اظْمِسْ» «وَأَشَدُّ» كلامٌ معترِض.

(١) أخرجه الطبري ١٢/٢٦٥.

(٢) زاد المسير ٤/٥٧، وينظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٩٨. وخبر مجاهد في تفسيره ١/٢٩٧، وأخرجه الطبري ١٢/٢٦٦.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/٢٦٦.

(٤) قال الألوسي في روح المعاني ١١/١٧٣: هذا مما لا يكاد يصح أصلاً وليس في الآية ما يشير إليه بوجه. وعندني أن أخبار تغيير أموالهم إلى الحجارة لا تخلو عن وهن، فلا يعول عليها.

(٥) تفسير البغوي ٢/٣٦٦، وأخرجه ابن أبي حاتم ٦/١٩٧٩ (١٠٥٤٣). والخريطة: وعاء من آدم وغيره. معجم متن اللغة (خرط).

(٦) تفسير البغوي ٢/٣٦٦.

(٧) الوسيط للواحد ٢/٥٥٧.

(٨) ينظر الوسيط ٢/٥٥٧، وأخرج الطبري ١٢/٢٦٧، وابن أبي حاتم ٦/١٩٧٩ (١٠٥٤٦) عن ابن عباس قال: «﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾» يعني: واطبع على قلوبهم.

(٩) معاني القرآن للزجاج ٣/٣١ وقد نقله الزجاج عن المبرد.

وقال الفراء والكسائي وأبو عبيدة: هو دعاء، فهو في موضع جزم عندهم؛ أي: اللهم فلا يؤمنوا، أي: فلا آمنوا^(١). ومنه قول الأعشى:

فلا يَنْبَسِطُ من بين عَيْنَيْكَ ما انزَوَى ولا تَلْقَنِي إِلَّا وأنْفُكَ راغِمُ

أي: لا انبسط^(٢). ومن قال: «لِيَصْلُوا» دعاء - أي: ابتلهم بالضلال - قال: عطف عليه «فلا يؤمنوا».

وقيل: هو في موضع نصبٍ لأنه جواب الأمر، أي: واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا. وهذا قول الأخفش والفراء أيضاً، وأنشد الفراء:

يا ناقَ سيري عَنَقاً فسيحاً إلى سليمانَ فَنَسْتَرِيحاً^(٣)

فعلى هذا حذف النون لأنه منصوب.

﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ قال ابن عباس: هو الغرق^(٤).

وقد استشكل بعض الناس هذه الآية فقال: كيف دعا عليهم، وحُكِمَ الرسل استدعاءً إيمان قومهم؟

فالجواب: أنه لا يجوز أن يدعو نبي على قومه إلا بإذن من الله، وإعلام أنه ليس فيهم من يؤمن، ولا يخرج من أصلاهم من يؤمن، دليلاً: قوله لنوح عليه السلام:

﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْمِكُمْ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، وعند ذلك قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. والله أعلم.

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٦٩/١٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢٦٦/٢، ومشكل إعراب القرآن ٢٨١/١، وزاد المسير ٥٧/٤، وقول الفراء في معاني القرآن ٤٧٧/١، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢٨١/١.

(٢) تفسير الطبري ٢٦٩/١٢، وزاد المسير ٥٧/٤، والبيت في ديوان الأعشى ص ١٢٩، وسلف ١٢٩/٨.

(٣) معاني القرآن للفراء ٤٧٧/١ - ٤٧٨، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٦٦/٢، ومشكل إعراب القرآن ٣٥٣/١. والرجز لأبي النجم العجلي، وهو في ديوانه ص ٨٢، والكتاب ٣/٣٥. والعنق: ضَرْبٌ من السير. والفسيح: الواسع المكين، وأراد: سليمان بن عبد الملك، والشاهد فيه نصب ما بعد الفاء على جواب الأمر. تحصيل عين الذهب ص ٣٩٤.

(٤) أخرجه الطبري ٢٦٧/١٢.

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩)

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا﴾ قال أبو العالية: دعا موسى وأمن هارون؛ فسمي هارون - وقد آمن على الدعاء - داعياً. والتأمين على الدعاء أن يقول: آمين، فقولك: آمين؛ دعاء، أي: يا رب استجب لي^(١).

وقيل: دعا هارون مع موسى أيضاً^(٢).

وقال أهل المعاني: ربما خاطبت العرب الواحد بخطاب الاثنين^(٣)؛ قال الشاعر:

فقلت لصاحبي لا تُعجلنا
بنزع أصوله فاجتر شيعا^(٤)
وهذا على أن آمين ليس بدعاء، وأن هارون لم يدع.

قال النحاس^(٥): سمعت علي بن سليمان يقول: الدليل على أن الدعاء لهما قول موسى عليه السلام: «ربنا»، ولم يقل: رب.

وقرأ علي والسلمي: «دعواتكما» بالجمع^(٦). وقرأ ابن السميع: «أجبت دعوتكما»^(٧) خبراً عن اللؤلؤ تعالى، ونصب «دعوة» بعده.

(١) النكت والعيون ٢/٤٤٨، وأخرج قول أبي العالية الطبري ١٢/٢٧١ - ٢٧٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٣١.

(٣) تفسير الطبري ١٢/٢٧١، والصحاح (جزز).

(٤) نسبه الجوهري في الصحاح (جزز) ليزيد بن الطثرية، ونسب لمقرئ بن ربيعة الأسدي كما في شرح شواهد الشافعية ٤/٤٨١، واللسان (جزز). وذكر دون نسبة في تأويل مشكل القرآن ص ٢٢٤، وتفسير الطبري ١٢/٢٧١. ووقع في المصادر عدا تفسير الطبري: لا تحسنا، بدل: لا تعجلنا. وذكر صاحب اللسان رواية أخرى وهي: لا تحسنا. وقال في شرح البيت: يقول: لا تحسنا عن شيء اللحم بنزع أصول الشجر، بل خذ ما تيسر من قضبانه وعيدانه. اهـ والشَّيْخ: نبت معروف. القاموس (شيخ).

(٥) في إعراب القرآن ٢/٢٦٧.

(٦) القراءات الشاذة ص ٥٨، والمحتسب ١/٣١٦.

(٧) ذكرها أبو حيان في البحر ٥/١٨٧.

وتقدّم القول في «آمين» في آخر الفاتحة^(١) مستوفى. وهو مما خُصَّ به نبيُّنا محمد ﷺ وهارون وموسى عليهما السلام؛ روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله قد أعطى أمتي ثلاثاً لم تُعطَ أحداً قبلهم: السلام، وهي تحية أهل الجنة، وصفوف الملائكة، وآمين، إلا ما كان من موسى وهارون» ذكره الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول»، وقد تقدّم في الفاتحة^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ قال الفراء^(٣) وغيره: أمرٌ بالاستقامة على أمرهما والثبات عليه؛ من دعاء فرعون وقومه إلى الإيمان؛ إلى أن يأتيهما تأويل الإجابة. قال محمد بن علي وابن جريج: مكث فرعون وقومه بعد هذه الإجابة أربعين سنة ثم أهلكوا^(٤).

وقيل: «استقيما» أي: على الدعاء، والاستقامة في الدعاء ترك الاستعجال في حصول المقصود، ولا يسقط الاستعجال من القلب إلا باستقامة السكينة فيه، ولا تكون تلك السكينة إلا بالرضا الحسن لجميع ما يبدو من الغيب^(٥).

﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بتشديد النون في موضع جزم على النهي، والنون للتوكيد وحُرِكت لالتقاء الساكنين، واختير لها الكسر لأنها أشبهت نون الاثنين^(٦). وقرأ ابن ذكوان بتخفيف النون على النفي^(٧). وقيل: هو حال من «استقيما»،

(١) ١٩٥/١.

(٢) ٢٠١/١ وذكرنا ثمة أن في إسناده زربي بن عبد الله الأزدي، وهو منكر الحديث. وهو في نوادر الأصول ص ١٨٥.

(٣) في معاني القرآن ٤٧٨/١.

(٤) أخرجه عن ابن جريج الطبري ٢٧٣/١٢، وعن محمد بن علي أخرجه ابن أبي حاتم ١٩٨٠/٦ (١٠٥٥٢).

(٥) لطائف الإشارات للقسيري ١١٣/٢، وفيه: يوجدان السكينة، بدل: باستقامة السكينة.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٧/٢، وينحوه في معاني القرآن للزجاج ٣١/٣.

(٧) السبعة ص ٣٢٩، والتيسير ص ١٢٣ ورواية ابن ذكوان عن ابن عامر الشامي. وقال مكّي في الكشف عن وجوه القراءات ٥٢٢/١: فيكون لفظه لفظ الخبر، ومعناه النهي.

أي: استقيما غير متبعيين^(١).

والمعنى: لا تسلكا طريق من لا يعلم حقيقة وعدي وعييدي.

قوله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكُهُ الْفِرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ تقدم القول فيه في «البقرة» في قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾^(٢) [الآية: ٥٠]. وقرأ الحسن: «وجوزنا»^(٣)، وهما لغتان. ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ يقال: تبع وأتبع؛ بمعنى واحد: إذا لحقه وأدركه. وأتبع؛ بالتشديد: إذا سار خلفه^(٤).

وقال الأصمعي: يقال: أتبعه؛ بقطع الألف: إذا لحقه وأدركه، وأتبعه؛ بوصل الألف: إذا اتبع أثره، أدركه أو لم يُدركه. وكذلك قال أبو زيد. وقرأ قتادة: «فأتبعهم» بوصل الألف^(٥).

وقيل: «أتبعه» - بوصل الألف - في الأمر: اقتدى به. وأتبعه - بقطع الألف - خيراً أو شراً؛ هذا قول أبي عمرو. وقد قيل: هما بمعنى واحد^(٦).

فخرج موسى ببني إسرائيل وهم ست مئة ألف وعشرون ألفاً، وتبعه فرعون مُضْبِحاً في ألفي ألف وست مئة ألف. وقد تقدم^(٧).

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٥٢٢/١.

(٢) ٨٩/٢ وما بعدها.

(٣) القراءات الشاذة ص ٥٨.

(٤) تفسير البغوي ٣٦٦/٢.

(٥) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ١٤٠/٣، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٥٨ للحسن.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٣/٣١٣.

(٧) ٩٢/٢، وذكر المصنف رحمه الله ثمة أن عدّة قوم فرعون ألف ألف ومئة ألف.

﴿بَغْيًا﴾ نصب على الحال. ﴿وَعَذْوًا﴾ معطوف عليه؛ أي: في حال بَغْيٍ واعتداء وظلم، يقال: عَدَا يَعْدُو عَدْوًا، مثلُ: غَزَا يَغْزُو غَزْوًا. وقرأ الحسن: «وَعُدْوًا» بضم العين والبدال وتشديد الواو^(١)، مثلُ: علا يعلو عُلُوًّا. وقال المفسرون: «بَغْيًا» طلبًا للاستعلاء بغير حق في القول، «وَعَذْوًا» في الفعل^(٢)، فهما نصبٌ على المفعول له.

﴿حَقٌّ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ أي: ناله ووصله. ﴿قَالَ آمَنْتُ﴾ أي: صدقت. ﴿أَنَّهُ﴾ أي: بأنه^(٣)، فلما حُذِفَ الخافض، تعدَّى الفعلُ فنصبَ. وقُرئ بالكسر^(٤)، أي: صِرْتُ مؤمنًا، ثم استأنف. وزعم أبو حاتم أن القول محذوف^(٥)، أي: آمنت فقلت: إنه، والإيمان لا ينفع حينئذٍ، والتوبة مقبولة قبل رؤية البأس، وأما بعدها وبعد المخالطة، فلا تُقبل، حَسَبَ ما تقدَّم في «النساء» بيانه^(٦).

ويقال: إن فرعون هاب دخول البحر، وكان على حصان أدهم، ولم يكن في خيل فرعون فرسٌ أنثى، فجاء جبريلُ على فرسٍ وديق - أي: شهِي - في صورة هامان وقال له: تقدَّم، ثم خاض البحر، فتبعها حصان فرعون، وميكائيلُ يسوقهم لا يشُدُّ منهم أحد، فلما صار آخِرهم في البحر وهم أولهم أن يخرج، انطبق عليهم البحر، وألجم فرعونَ الغرق، فقال: آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل؛ فدَسَّ جبريلُ في فمه حال البحر^(٧).

وروى الترمذي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لَمَّا أغرق الله فرعون، قال: آمَنْتُ أنه لا إله إلا الذي آمَنْتُ به بنو إسرائيل، قال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا

(١) القراءات الشاذة ص ٥٨ .

(٢) ينظر تفسير أبي الليث ١١٠/٢ ، وتفسير البغوي ٣٦٦/٢ .

(٣) بعدها في (د) و(م): لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل.

(٤) قرأ بها من السبعة حمزة والكسائي. السبعة ص ٣٣٠ ، والتيسير ص ١٢٣ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٧/٢ .

(٦) ١٥٢/٦ - ١٥٤ .

(٧) أخرجه الطبري ١/٦٥٥ - ٦٦٠ بنحوه عن عبد الله بن شداد بن الهاد وابن عباس ، والحال: الطين الأسود.

أَخَذَ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدْسَهُ فِي فِيهِ مَخَافَةً أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ^(١). حَالُ الْبَحْرِ: الطِّينُ الْأَسْوَدُ الَّذِي يَكُونُ فِي أَرْضِهِ؛ قَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ^(٢).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ: «أَنَّ جَبْرِيلَ جَعَلَ يَدُسُّ فِي فِي فِرْعَوْنَ الطِّينَ خَشْيَةً أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ، أَوْ خَشْيَةً أَنْ يَرْحَمَهُ». قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ^(٣).

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: بَلَّغَنِي أَنَّ جَبْرِيلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا وَلَدَ إِبْلِيسَ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَإِنَّهُ لَمَّا أَدْرَكَهُ الْغُرُقُ قَالَ: ﴿ءَامَنْتُ﴾ الْآيَةَ، فَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَهَا فَيُرْحَمَ، فَأَخَذَتْ تُرْبَةً - أَوْ طِينَةً - فَحَشَوْتُهَا فِي فِيهِ. وَقِيلَ: إِنَّمَا فَعَلَ هَذَا بِهِ عِقَابٌ لَهُ عَلَى عَظِيمٍ مَا كَانَ يَأْتِي^(٤).

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: أَمْسَكَ اللَّهُ نِيلَ مِصْرَ عَنِ الْجَرِيِّ فِي زَمَانِهِ، فَقَالَتْ لَهُ الْقِبْطُ: إِنْ كُنْتَ رَبَّنَا، فَأَجْرِ لَنَا الْمَاءَ؛ فَرَكِبَ وَأَمَرَ بِجُنُودِهِ قَائِدًا قَائِدًا، وَجَعَلُوا يَقْفُونَ عَلَى دَرَجَاتِهِمْ، وَقَعْدَ^(٥) حَيْثُ لَا يَرُونَهُ، وَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَلَيْسَ ثِيَابًا لَهُ أُخْرَى، وَسَجَدَ، وَتَضَرَّعَ لِلَّهِ تَعَالَى، فَأَجْرَى اللَّهُ لَهُ الْمَاءَ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ وَهُوَ وَحْدَهُ فِي هَيْئَةٍ مُسْتَقْتَبَةٍ وَقَالَ: مَا يَقُولُ: الْأَمِيرُ فِي رَجُلٍ لَهُ عَبْدٌ، قَدْ نَشَأَ فِي نِعْمَتِهِ لَا سِنْدَ^(٦) لَهُ غَيْرُهُ،

(١) سنن الترمذي (٣١٠٧)، وهو عند أحمد (٢٨٢٠). وفيه: علي بن زيد بن جُدعان، وهو ضعيف، ويوسف بن مهران، وهو لين الحديث، لم يرو عنه إلا ابن جُدعان. تقريب التهذيب ص ٣٤٠ و ٥٤١.

(٢) ينظر تهذيب اللغة ٢٤٥/٥، والصحاح (حول).

(٣) سنن الترمذي (٣١٠٨)، وهو عند أحمد (٢١٤٤)، والنسائي في تفسيره (٢٥٨) والحاكم ٣/٢٤٠، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس، ووافقه الذهبي في التلخيص. وأخرج الموقوف أحمد (٢١٤٤)، والنسائي في التفسير (٢٥٨) قال الرازي في تفسيره ١٥٦/١٧: هل يصح أن جبريل عليه السلام أخذ يملأ فمه من الطين لئلا يتوب غضباً عليه، الجواب: الأقرب أنه لا يصح. اهـ وانظر تنمية كلامه، وينظر كلام الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص ٨٥.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣/٣١٤.

(٥) في (م): وقفز.

(٦) في (ز) و(ف): لا سيد.

فكفر نِعَمَهُ، وَجَحَدَ حَقَّهُ، وادَّعى السيادةَ دونه؛ فكتب فرعون: يقول أبو العباس الوليدُ بنُ مصعب بنِ الرِّيان: جزاؤه أن يُغَرَّقَ في البحر، فأخذه جبريل ومراً، فلمَّا أدركه الغرق، ناوله جبريل عليه السلام خطَّهُ^(١). وقد مضى هذا في «البقرة» عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابنِ عباس مُسنَداً؛ وكان هذا في يوم عاشوراء على ما تقدَّم بيَّانهُ في «البقرة» أيضاً، فلا معنى للإعادة^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: من الموحِّدين المستسلمين بالانقياد والطاعة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٩١﴾

قيل: هو من قول الله تعالى. وقيل: هو من قول جبريل^(٣). وقيل: ميكائيل، صلوات الله عليهما، أو غيرهما من الملائكة^(٤) صلوات الله عليهم. وقيل: هو من قول فرعون في نفسه، ولم يكن ثمَّ قولٌ باللسان بل وقع ذلك في قلبه، فقال في نفسه ما قال، حيث لم تنفعه الندامة؛ ونظيره: ﴿إِنَّمَا نَطْمَعُكَ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، أثنى عليهم الربُّ بما في ضميرهم، لا أنهم قالوا ذلك بلفظهم، والكلام الحقيقي كلامُ القلب.

قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ يَدُنَا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ يَدُنَا﴾ أي: نُلقِيكَ على نَجْوَةٍ من الأرض^(٥). وذلك أن بني إسرائيل لم يصدِّقوا أن فرعون غرق، وقالوا: هو أعظم شأنًا من ذلك،

(١) الخبر من الإسرائيليات، وأورد هذه القصة الزمخشري في الكشاف ٢/٢٥١ مختصرة، ولم ينسبها.

(٢) ٩٣/٢ - ٩٤، وقد تقدم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما فقط، ولم نقف على حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) تفسير الرازي ١٧/١٥٦.

(٤) بعدها في (ف) و(م): له.

(٥) التكت والعيون ٢/٤٤٩.

فألقاه الله على نَجْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، أَي: مكانٍ مرتفعٍ مِنَ الْأَرْضِ^(١) حتى شاهده. قال أوس بْنُ حَجَرٍ يصف مطراً:

فَمَنْ يَعْفَوْتَهُ كَمَنْ يَنْجُوْتَهُ وَالْمُسْتَكِنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقُرُوحٍ^(٢)
وقرأ اليزيدي وابن السَّمِين: «نُنْحِيكَ» بالحاء؛ مِنَ التَّنْحِيَةِ^(٣)، وحكاها علقمة عن ابن مسعود، أَي: تكون على ناحية مِنَ الْبَحْرِ^(٤). قال ابن جُرَيْج: فُرِمِيَ بِهِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ حَتَّى رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ قَصِيراً أَحْمَرَ كَأَنَّهُ ثُورٌ^(٥).

ويحكي علقمة عن عبد الله أَنَّهُ قَرَأَ: «بندائك» مِنَ النَّدَاءِ^(٦). قال أبو بكر الأنباري: وليس بمخالفٍ لهجاء مصحفنا، إِذْ سَبِيلُهُ أَنْ يَكْتُبَ بِيَاءً وَكَافٌ بَعْدَ الدَّالِ؛ لِأَنَّ الْأَلْفَ تَسْقُطُ مِنْ نَدَائِكَ فِي تَرْتِيبِ خَطِّ الْمَصْحَفِ كَمَا سَقَطَ مِنْ «الظُّلُمَاتِ» وَ«السَّمَاوَاتِ»، فَإِذَا وَقَعَ بِهَا الْحَذْفُ؛ اسْتَوَى هَجَاءُ بَدَنِكَ وَنَدَائِكَ، عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ مَرْغُوبٌ عَنْهَا لَشِدْوَذِهَا وَخِلَافُهَا مَا عَلَيْهِ عَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْقِرَاءَةُ سُنَّةٌ يَأْخُذُهَا آخِرٌ عَنْ أَوَّلٍ، وَفِي مَعْنَاهَا نَقْصٌ عَنْ تَأْوِيلِ قِرَاءَتِنَا، إِذْ لَيْسَ فِيهَا لِلدَّرَجِ ذِكْرٌ، الَّذِي تَتَابَعَتِ الْآثَارُ بِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اخْتَلَفُوا فِي غَرَقِ فِرْعَوْنَ، وَسَأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُرِيَهُمْ إِيَّاهُ غَرِيقاً، فَأَلْقَاهُ^(٧) عَلَى نَجْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ بِبَدَنِهِ، وَهُوَ دَرْعُهُ الَّتِي كَانَ^(٨) يَلْبَسُهَا فِي الْحُرُوبِ. قال ابن عباس ومحمد بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: وَكَانَتْ دَرْعُهُ مِنْ لَوْلُؤٍ مَنْظُومٍ.

(١) فِي (د) وَ(ز) وَ(ف) وَ(م): الْبَحْرِ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ (ظ). وَيَنْظُرُ تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ١٢/٢٨١ - ٢٨٢.

(٢) سَلَفٌ ٧/١٢٤، وَجَاءَ الشَّطْرُ الْأَوَّلُ: فَمَنْ يَنْجُوْتَهُ كَمَنْ يَعْفَوْتَهُ. وَقَوْلُهُ: بِعَفْوَتِهِ، أَي: السَّاحَةِ وَمَا حَوْلَ الدَّارِ وَالْمَحَلَّةِ. وَقُرُوحٌ: الْبَارِزُ الَّذِي لَيْسَ يَسْتَرُهُ مِنَ السَّمَاءِ شَيْءٌ.

(٣) الْمُحْتَسَبُ ١/٣١٦.

(٤) النَّكْتُ وَالْعِيُونُ ٢/٤٤٩. وَيَنْظُرُ الْقِرَاءَاتُ الشَّاذَّةُ ص ٥٨.

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ١٢/٢٨٢ - ٢٨٣.

(٦) الْقِرَاءَاتُ الشَّاذَّةُ ص ٥٨، وَالْبَحْرِ الْمَحِيطُ ٥/١٨٩.

(٧) فِي (د) وَ(ز) وَ(ف) وَ(م): فَأَلْقَاهُ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ (ظ).

(٨) لَفْظَةٌ: كَانَ، لَيْسَتْ فِي (د) وَ(ز) وَ(م).

وقيل: من الذهب وكان يُعرف بها^(١). وقيل: من حديد؛ قاله أبو صخر^(٢). والبدن: الدرع القصيرة. وأنشد أبو عبيدة للأعشى:

وبيضاء كالنَّهْيِ مَوْضُونَةٌ لها قَوْنَسٌ فوق جَنِبِ الْبَدَنِ^(٣)
وأنشد أيضاً لعمر بن معد يكرّب:

ومضى نساؤهم بكل مُفَاضَةٍ جَدَلَاءَ سَابِغَةٍ وبالأبدان^(٤)
وقال كعب بن مالك:

ترى الأبدان فيها مَسْبَغَاتٍ على الأبطال واليَلْبِ الحَصِينَا^(٥)
أراد بالأبدان الدروع، واليَلْب: الدروع اليمانية، كانت تَتَّخَذُ من الجلود؛ يُخْرَزُ بعضها إلى بعض، وهو اسم جنس، الواحد: يَلْبَةٌ. قال عمرو بن كلثوم:
علينا الْبَيْضُ واليَلْبُ اليماني وأسيافٌ يُقَمِّنُ وَيَنْحَنِينا^(٦)

وقيل: «ببدنك»: بجسد لا روح فيه؛ قاله مجاهد^(٧).

قال الأخفش^(٨): وأما قول مَنْ قال: بدرعك، فليس بشيء. قال أبو بكر: لأنهم

(١) أورد هذا القول الرازي في تفسيره ١٥٧/١٧ ونسبه لابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) النكت والعيون ٤٤٩/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم ١٩٨٤/٦ (١٠٥٧١) وأبو صخر: هو حميد بن زياد ابن أبي المُخَارِق الخُرَّاط، مدني، سكن مصر، قال الحافظ ابن حجر في التقریب: صدوق يهمل، مات سنة (١٨٩هـ).

(٣) ديوان الأعشى الكبير ص ٧٥، والنَّهْي: الغدير، أو شبهه. والموضونة: الدرع المنسوجة حلقتين حلقتين، أو بالجواهر. والقونس: أعلى بيضة الحديد. القاموس المحيط (نهي) و(وضن) و(قنس).

(٤) ديوان عمرو بن معد يكرّب ص ١٧٣. وقوله: مفاضة: المفاضة من الدروع: الواسعة. وجدلاء: الجدلاء من الدروع: المحكمة.

(٥) ديوان كعب ص ٢١٧، ونسبه ابن هشام في السيرة ٢٥٤/٢ لضرار بن الخطاب بن مرداس.

(٦) معلقة عمرو بن كلثوم ص ١٠٢. قال شارحها ابن كيسان: البيض: الحديد.

(٧) النكت والعيون ٤٤٩/٢، وأخرجه الطبري ٢٨١/١٢.

(٨) في معاني القرآن ٥٧٤/٢، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٦٨/٢.

لَمَّا ضَرَعُوا إِلَى اللَّهِ يَسْأَلُونَهُ مَشَاهِدَةً فَرَعُونَ غَرِيقًا، أَبْرَزَهُ لَهُمْ، فَرَأَوْا جَسَدًا لَا رُوحَ فِيهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالُوا: نَعَمْ يَا مُوسَى، هَذَا فَرَعُونَ وَقَدْ غَرِقَ، فَخَرَجَ الشُّكُّ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَابْتَلَعَ الْبَحْرُ فَرَعُونَ كَمَا كَانَ^(١).

فعلى هذا ﴿تُنَجِّكَ يَدَيْكَ﴾ احتمل معنيين: أحدهما: نُثْلِقُكَ عَلَى نَجْوَةِ مِنَ الْأَرْضِ.

والثاني: نُظْهِرُ جَسَدَكَ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ.

والقراءة الشاذة «بندائك» يرجع معناها إلى معنى قراءة الجماعة، لأن النداء يُفسَّر تفسيرين:

أحدهما: نُثْلِقُكَ بِصِيَا حَكْ بِكَلِمَةِ التَّوْبَةِ، وَقَوْلِكَ - بَعْدَ أَنْ أَغْلَقَ بِأُيُهَا وَمَضَى وَقْتُ قَبُولِهَا -: ﴿ءَامَنْتُ أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ عَلَى مَوْضِعٍ رَفِيعٍ.

وَالْآخَرُ: فَالْيَوْمَ نَعْزِلُكَ عَنِ غَامِضِ الْبَحْرِ بِنِدَائِكَ لَمَّا قُلْتَ: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى، فَكَانَتْ تَنْجِيَّتُهُ بِالْبَدَنِ مَعَاقِبَةً مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَهُ عَلَى مَا فَرَّطَ مِنْ كُفْرِهِ الَّذِي مِنْهُ نَدَاؤُهُ بِالَّذِي^(٢) افْتَرَى فِيهِ وَبَهَتْ، وَادَّعَى الْقُدْرَةَ وَالْأَمْرَ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ فِيهِ، وَعَاجِزٌ عَنْهُ، وَغَيْرُ مُسْتَحِقٍّ لَهُ.

قال أبو بكر الأنباري: فقراءتنا تتضمن ما في القراءة الشاذة من المعاني وتزيد عليها.

قوله تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً﴾ أي: لبني إسرائيل، وللمن بقي من قوم فرعون ممن لم يُذكره الغرق، ولم ينته إليه هذا الخبر. ﴿وَلِإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ أي: معرضون عن تأمل آياتنا والتفكير فيها.

وَقُرِئَ: «لِمَنْ خَلَقَكَ» - بفتح اللام -؛ أي: لمن بقي بعدك يخلُفُكَ فِي أَرْضِكَ.

(١) ينظر ياقوتة الصراط لمحمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب ص ٢٥٨.

(٢) في (م): الذي.

وقرأ علي بن أبي طالب: «لَمَنْ خَلَقَكَ» بالقاف، أي: تكون آية لخالقك^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٩٢)

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ﴾ أي: منزل صدقٍ محمودٍ مختار، يعني مصر. وقيل: الأزدن وفلسطين. وقال الضحاك: هي مصر والشام^(٢). ﴿وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: من الثمار وغيرها. وقال ابن عباس: يعني: قُرَيْظَةُ والنَّضِيرُ وأهل عصر النبي ﷺ من بني إسرائيل^(٣)، فإنهم كانوا يؤمنون بمحمد ﷺ وينتظرون خروجه، ثم لما خرج حسدوه؛ ولهذا قال: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ أي: في أمر محمد ﷺ. ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي: القرآن ومحمد ﷺ^(٤). والعلم بمعنى المعلوم؛ لأنهم كانوا يعلمونه قبل خروجه؛ قاله ابن جرير الطبري^(٥). ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أي: يحكم بينهم ويفصل. ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا، فيثيب الطائع ويعاقب العاصي.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (٩٣) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٤)

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره^(٦)، أي: لست في شكٍّ ولكن غيرك شك. قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد^(٧):

(١) ذكر هاتين القراءتين أبو حيان في البحر المحيط ١٨٩/٥ بلا نسبة.

(٢) تفسير البغوي ٣٦٧/٢ ، وقول الضحاك أخرجه الطبري ٢٨٤/١٢ .

(٣) أورده الواحدي في الوسيط ٥٥٩/٢ ، والرازي في تفسيره ١٥٩/١٧ .

(٤) زاد المسير ٦٣/٤ .

(٥) في تفسيره ٢٨٤/١٢ - ٢٨٥ .

(٦) الوسيط ٥٥٩/٢ ، وتفسير البغوي ٣٦٨/٢ .

(٧) في ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

سمعت الإمامين ثعلباً والمبرّد يقولان: معنى ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ﴾ أي: قل: يا محمد للكافر: فإن كنت في شكٍّ مما أنزلنا إليك^(١). ﴿فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: يا عابد الوثن، إن كنت في شك من القرآن، فاسأل مَنْ أسلم من اليهود، يعني: عبد الله بن سَلَام وأمثاله؛ لأن عبدة الأوثان كانوا يُقَرِّون لليهود أنهم أعلم منهم مِنْ أجل أنهم أصحاب كتاب، فدعاهم الرسول ﷺ إلى أن يسألوا مَنْ يُقَرِّون بأنهم أعلم منهم: هل يبعث الله برسولٍ مِنْ بعد موسى؟.

وقال القُتَيْبِيُّ: هذا خطاب لمن كان لا يقطع بتكذيب محمد ولا بتصديقه ﷺ، بل كان في شك^(٢).

وقيل: المراد بالخطاب النبي ﷺ لا غيره، والمعنى: لو كنت ممن^(٣) يَلْحَقُكَ الشكُّ فيما أخبرناك به، فسألت أهل الكتاب، لأزالوا عنك الشك^(٤).

وقيل: الشكُّ ضيق الصدر، أي: إن ضاق صدرك بكفر هؤلاء فاصبر، واسأل الذين يقرءون الكتاب مِنْ قبلك يخبروك صَبْرَ الأنبياءِ مِنْ قبلك على أذى قومهم، وكيف عاقبة أمرهم.

والشك في اللغة، أصله: الضيق؛ يقال: شكَّ الثوبُ، أي: ضمَّه بِخلال^(٥) حتى يصير كالوعاء. وكذلك السُّفرة تُمدُّ^(٦) علائقها حتى تنقبض، فالشك يقبض الصدر ويضمُّه^(٧) حتى يضيق.

وقال الحسين بن الفضل: الفاء مع حروف الشرط لا توجب الفعل ولا تُثَبِّتُه، والدليل

(١) قوله: مما أنزلنا إليك، من (م).

(٢) ينظر تأويل مشكل القرآن له ص ٥٨ و ٢٠٩.

(٣) لفظة: ممن، ليست في (م).

(٤) ينظر النكت والعيون ٢/ ٤٥٠.

(٥) الخلال: العود الذي يُتخلَّلُ به، وما يُخلَّلُ به الثوب أيضاً. الصحاح (خلل).

(٦) كذا في النسخ الخطية، والظاهر أنها: تُشك.

(٧) في (ز) و(ظ): ويغمه.

عليه ما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال لما نزلت هذه الآية: «والله لا أشك [ولا أسأل]»^(١).
ثم استأنف الكلام فقال ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي:
الشاكين المرتابين. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَسِرِينَ﴾
والخطاب في هاتين الآيتين للنبي ﷺ والمراد غيره^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَوْ
جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۖ﴾^(٣)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تقدم القول فيه في
هذه السورة^(٣). قال قتادة: أي: الذين حق عليهم غضب الله وسخطه بمعصيتهم لا
يؤمنون^(٤). ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ أنث «كلاً» على المعنى، أي: ولو جاءتهم
الآيات^(٥). ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فحيث لا يؤمنون ولا ينفعهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا
كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۖ﴾^(٦)

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ قال الأخفش والكسائي: أي: فهلا. وفي
مصحف أبي وابن مسعود: «فهلا»، وأصل «لولا» في الكلام التحضيض، أو الدلالة
على منع أمر لوجود غيره.

ومفهوم من معنى الآية نفى إيمان أهل القرى، ثم استثنى قوم يونس، فهو بحسب
اللفظ استثناء منقطع، وهو بحسب المعنى متصل؛ لأن تقديره: ما آمن أهل قرية إلا

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٢٩٨، والطبري ١٢/٢٨٨ عن قتادة، وهو مرسل وما بين حاصرتين منهما.

(٢) تفسير البغوي ٢/٣٦٨.

(٣) ٤٩٨/١٠.

(٤) أخرجه الطبري ١٢/٢٩٠.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٨.

قوم يونس. والنصبُ في «قوم» هو الوجه، وكذلك أدخله سيبويه في: باب ما لا يكون إلا منصوباً^(١).

قال النحاس^(٢): «إلا قومَ يونس» نصب؛ لأنه استثناءٌ ليس من الأوّل، أي: لكنّ قومَ يونس؛ هذا قول الكسائي والأخفش والفراء^(٣). ويجوز: «إلا قومُ يونس» بالرفع، ومن أحسن ما قيل في الرفع ما قاله أبو إسحاق الزجاج^(٤) قال: يكون المعنى: غير قومِ يونس، فلما جاء بـ «إلا»؛ أعرب الاسم الذي بعدها بإعراب «غير» كما قال: وكلُّ أخٍ مُفارقُهُ أخوه لَعَمْرُ أبيك إلا الفَرَقْدانِ^(٥)

وروي في قصة قومِ يونس عن جماعة من المفسرين: أن قوم يونس كانوا يَنتَوِي من أرض المَوْصل، وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الإسلام وتترك ما هم عليه فأبوا، ف قيل: إنه أقام يدعوهم تسع سنين، فيئس من إيمانهم؛ ف قيل له: أخبرهم أن العذاب مُصَبَّحهم إلى ثلاثِ ففعل، وقالوا: هو رجلٌ لا يكذب، فارقبوه، فإن أقام معكم وبين أظهركم فلا عليكم، وإن ارتحل عنكم فهو نزولُ العذاب لا شك، فلما كان الليلُ تزوّد يونس وخرج عنهم، فأصبحوا فلم يجدوه، فتابوا ودعوا الله، ولبسوا المُسَوَّحَ، وفرّقوا بين الأمّهات والأولاد من الناس والبهائم، وردّوا المظالم في تلك الحالة^(٦).

وقال ابن مسعود: وكان الرجلُ يأتي الحجرَ قد وُضِعَ عليه أساسُ بُنيانه، فيقتلعه

(١) الكتاب ٣٢٥/٢، وعنوان الباب فيه: هذا باب ما لا يكون إلا على معنى ولكنّ. اهـ. وهذا الكلام وما قبله من المحرر الوجيز ١٤٣/٣ - ١٤٤.

(٢) في إعراب القرآن ٢/٢٦٨.

(٣) في معاني القرآن له ١/٤٧٩.

(٤) في معاني القرآن له ٣/٣٥، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٦٩، وجواز الرفع المذكور يعني في اللغة، لا في القراءة.

(٥) نسبه سيبويه في الكتاب ٢/٣٣٤، والمبرد في الكامل ٣/١٤٤٤ لعمرو بن معدي كرب، ونسبه الآمدي في المؤتلف والمختلف ص ١١٦ لحضرمي بن عامر. وينظر الخزانة ٣/٤٢١ و ٤٢٦.

(٦) أخرجه الطبري ١٢/٢٩٣ عن قتادة بنحوه، وينظر المحرر الوجيز ٣/١٤٤، وزاد المسير ٤/٦٥.

فيرثه^(١)، والعذابُ منهم فيما رُوي عن ابن عباس على ثلثي ميل. ورُوي على ميل^(٢). وعن ابن عباس أنهم غَشِيَتْهُمْ ظِلَّةٌ وفيها حُمْرة، فلم تزل تدنو حتى وجدوا حرَّها بين أكتافهم^(٣). وقال ابن جُبَيْر: غَشِيَتْهُمْ العذابُ كما يُغشي الثوب القبر، فلما صَحَّتْ توبَتُهُمْ رفعَ الله عنهم العذاب^(٤).

وقال الطبري^(٥): خُصَّ قومُ يونس من بين سائر الأمم بأن تَنَبَّ عليهم بعد معاينة العذاب. وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين.

وقال الزجاج^(٦): إنهم لم يَقَعْ بهم العذاب، وإنما رأوا العلامة التي تدلُّ على العذاب، ولو رأوا عَيْنَ العذاب لَمَا نفعهم الإيمانُ.

قلت: قولُ الزجاج حَسَنٌ، فإنَّ المعاينةَ التي لا تنفع التوبةَ معها هي التلبُّسُ بالعذاب كقصة فرعون، ولهذا جاء بقصة قوم يونس على أثر قصة فرعون؛ لأنه آمَنَ حين رأى العذاب فلم ينفعه ذلك، وقومُ يونس تابوا قبل ذلك^(٧). وَيَعْضُدُ هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغْ»^(٨). والغرغرة: الحَشْرَجَة، وذلك هو حالُ التلبُّس بالموت، وأما قَبْلَ ذلك فلا. والله أعلم.

وقد رُوي معنى ما قلناه عن ابن مسعود، وأنَّ يونسَ لَمَّا وَعَدَهُم العذابَ إلى ثلاثة أيامَ خَرَجَ عنهم، فأصبحوا فلم يجدوه، فتابوا وفرَّقوا بين الأمَّهات والأولاد^(٩).

(١) عرائس المجالس ص ٤١٢.

(٢) عرائس المجالس ص ٤١١، والمحرر الوجيز ٣/ ١٤٤، وقول ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري ٢٩٤/ ١٢.

(٣) ذكره بنحوه ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٦٥.

(٤) أخرجه الطبري ٢٩٥/ ١٢، وهو في المحرر الوجيز ٣/ ١٤٤.

(٥) في تفسيره ٢٩١/ ١٢، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ١٤٤.

(٦) في معاني القرآن ٣/ ٣٤.

(٧) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ١٤٤.

(٨) سلف ٥/ ١٩٧.

(٩) أخرجه الطبري ٢٩٦/ ١٢، وسلف بنحوه قريباً.

وهذا يدلُّ على أن توبتهم قبل رؤية علامة العذاب. وسيأتي مسنداً مبيناً في سورة الصافات إن شاء الله تعالى^(١). ويكون معنى ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ أي: العذاب الذي وعدهم به يونس أنه ينزل بهم، لا أنهم رأوه عياناً ولا مُخَايَلَةً، وعلى هذا لا إشكال ولا تعارض ولا خصوص، والله أعلم.

وبالجملة؛ فكان أهل نينوى في سابق العلم من السعداء.

وروي عن عليٍّ عليه السلام أنه قال: إِنَّ الْحَذَرَ لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ، وَإِنَّ الدَّعَاءَ لَيَرُدُّ الْقَدَرَ. وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. قال عليٌّ عليه السلام: وذلك يوم عاشوراء^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَقَّتْكُمْ إِلَىٰ بَيْنٍ﴾ قيل: إلى أجلهم، قاله السُّدِّيُّ وقيل: إلى أن يصيروا إلى الجنة أو إلى النار، قاله ابن عباس^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: لا اضطرهم إليه. «كُلُّهُمْ» تأكيد لـ «مَن». «جميعاً» عند سيبويه نصب على الحال^(٤). وقال الأخفش^(٥): جاء بقوله: «جميعاً» بعد «كل» تأكيداً، كقوله: ﴿لَا تَخْذُلُوا إِلَهَيْنِ أَتَيْنِ﴾ [النحل: ٥١].

قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: كان النبي ﷺ

(١) في تفسير الآيات ١٣٩ - ١٤٨ .

(٢) النكت والعيون ٢/ ٤٥٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/ ١٩٨٧ و ١٩٨٨ ، وأخرج القسم الأول منه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٢١٢).

(٣) أخرجهما ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٩ - ١٩٩٠ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٩ .

(٥) في معاني القرآن ٢/ ٥٧٤ .

حريصاً على إيمان جميع الناس، فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبقت له السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبقت له الشقاوة في الذكر الأول^(١).
وقيل: المراد بالناس هنا أبو طالب، وهو عن ابن عباس أيضاً^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ «ما» نفي، أي: ما ينبغي أن تؤمن نفس إلا بقضائه وقدره ومشيئته وإرادته^(٣). ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ﴾ وقرأ الحسن وأبو بكر والمفضل: «ونجعل» بالنون على التعظيم^(٤).
والرجس: العذاب، بضم الراء وكسرها، لغتان^(٥). ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أمر الله عز وجل ونهيه^(٦).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أمر للكفار بالاعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على الصانع والقادر على الكمال^(٧). وقد تقدّم القول في هذا

(١) أخرجه الطبري ٢٩٨/١٢، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٩)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الحافظ ابن حجر في التقریب: علي بن أبي طلحة أرسل عن ابن عباس ولم يره.

(٢) ذكره أبو الليث ١١٢/٢ دون نسبة.

(٣) ينظر تفسير أبي الليث ١١٢/٢.

(٤) قراءة أبي بكر - يعني عن عاصم - من السبعة، ولم نغف على من نسبها للحسن أو المفضل. وينظر السبعة ص ٣٣٠، والتيسير ص ١٢٣.

(٥) في معاجم اللغة: الرجس، بكسر الراء فقط. والرجز، بكسر الراء وضمة. والرجس والرجز معناهما واحد. ينظر اللسان (رجس) و(رجز).

(٦) تفسير البغوي ٣٧٠/٢.

(٧) المحرر الوجيز ١٤٥/٣.

المعنى في غير موضع مستوفى^(١). ﴿وَمَا تُنْفِي﴾ «ما» نفي، أي: ولن تغني. وقيل: استفهامية، التقدير: أي شيء تغني؟^(٢) ﴿الْآيَاتُ﴾ أي: الدلالات. ﴿وَالنُّذُرُ﴾ أي: الرُّسل، جمعُ نذير، وهو الرسول. ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: عمن سبق له في علم الله أنه لا يؤمن^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ﴿١٠١﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الأيام هنا بمعنى الوقائع، يقال: فلان عالمٌ بأيام العرب، أي: بوقائعهم. قال قتادة: يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. والعربُ تُسمي العذابَ أياماً والنعمَ أياماً، كقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]. وكلُّ ما مضى لك من خيرٍ أو شرٍّ فهو أيام^(٤). ﴿فَانظُرُوا﴾ أي: تریصوا. وهذا تهديدٌ ووعيد. ﴿إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ أي: المتریصين لموعِد ربي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: من سُتِّنا إذا أنزلنا بقوم عذاباً أخرجنا من بينهم الرُّسلَ والمؤمنين، و«ثم» معناه: ثم اعلّموا أنّا نُنَجِّي رُسُلَنَا^(٥). ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ أي: واجباً علينا؛ لأنه أخبر، ولا خُلف في خبره. وقرأ يعقوب: «ثم نُنَجِّي» مُخَفَّفاً^(٦). وقرأ الكسائي وحفص ويعقوب: «نُنَجِّي المؤمنين»

(١) ينظر ٣٩٩/٩.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ١٤٥/٣، والكشاف ٢٥٥/٢.

(٣) ينظر تفسير أبي الليث ١١٣/٢.

(٤) تفسير البغوي ٣٧١/٢، وقول قتادة أخرجه الطبري ٣٠٢/١٢.

(٥) ينظر تفسير الطبري ٣٠٢/١٢ - ٣٠٣.

(٦) النشر ٢٨٧/٢.

مُخَفَّفًا، وشَدَّدَ الباقر^(١)، وهما لغتان فصيحتان: أنجى يُنَجِّي إنجاء، ونَجَّى يُنَجِّي تنجية، بمعنى واحد^(٢).

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ يريد كُفَّار مكة. ﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ أي: في ريب من دين الإسلام الذي أدعوكم إليه. ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأوثان التي لا تعقل. ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ﴾ أي: يُميتكم ويَقْبِض أرواحكم. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: المُصَدِّقِينَ بآيات رَبِّهِمْ^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ﴾ «أَنْ» عطفت على «أَنْ أَكُونَ»^(٤) أي: قيل لي: كن من المؤمنين، وأَقِمَّ وَجْهَكَ. قال ابن عباس: عَمَلَك^(٥)، وقيل: نَفْسُكَ، أي: استقم بإقبالك على ما أُمِرْتُ به من الدِّينِ. ﴿حَنِيفًا﴾ أي: قَويمًا به مائلاً عن كل دين^(٦). قال حمزة بن عبد المطلب: ﴿

حَمِدْتُ اللَّهَ حِينَ هَدَىٰ فَوَادِي مِنْ الْإِشْرَاقِ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ﴾^(٧)

(١) السبعة ص ٣٣٠، والتيسير ص ١٢٣، وقرارة يعقوب - من العشرة - في النشر ٢/ ٢٨٧.

(٢) ينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٥٢٣، وتفسير البغوي ٢/ ٣٧١.

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٢/ ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٤) تفسير الطبري ١٢/ ٣٠٤.

(٥) تفسير البغوي ٢/ ٣٧١.

(٦) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ١٤٦.

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٤٥٣.

وقد مضى في «الأنعام» اشتقاقه^(١)، والحمد لله.

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: وقيل لي: لا تُشرك، والخطاب له، والمراد غيره، وكذلك قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ أي: لا تعبد. ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾ إنَّ عَبْدَتَهُ. ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إنَّ عَصِيَّتَهُ. ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ أي: عبدت غير الله. ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مَنِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الواضعين العبادة في غير موضعها^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَلَئِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٠٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ﴾ أي: يُصِيبُكَ به ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ أي: لا دافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَلَئِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ أي: يُصِيبُكَ بِرَحَاءٍ وَنِعْمَةٍ ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بكل ما أراد من الخير والشر. ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لذنوب عباده وخطاياهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه في الآخرة^(٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ النَّاسُ قَدَ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿١٠٨﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ النَّاسُ قَدَ جَاءَكُمْ الْحَقُّ﴾ أي: القرآن. وقيل: الرسول ﷺ. ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ أي: صدَّق محمداً وآمنَ بما جاء به^(٤). ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ أي: لخلاص نفسه. ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ أي: ترك الرسول والقرآن، واتَّبَعَ الأصنام والأوثان^(٥). ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: وبإل ذلك على نفسه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾

(١) سلف اشتقاق «حنيفاً» في سورة البقرة ٢/٤١٤ - ٤١٥ ، أما في «الأنعام» ٨/٤٤٢ فذكر المصنف رحمه الله معناه فقط.

(٢) تفسير البغوي ٢/٣٧١.

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٢/٣٠٥.

(٤) ينظر تفسير أبي الليث ٢/١١٤.

(٥) ينظر تفسير الطبري ١٢/٣٠٦.

أي: بحفيظ أحفظ أعمالكم؛ إنما أنا رسول. قال ابن عباس: نسختها آية السيف^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخْضِبَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَائِضِينَ﴾ ﴿١٠٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ﴾ قيل: نُسَخَ بآية القتال^(٢). وقيل: ليس منسوخاً^(٣)، ومعناه: إصبر على الطاعة وعن المعصية.

وقال ابن عباس: لما نزلت؛ جمع النبي ﷺ الأنصار، ولم يجمع معهم غيرهم فقال: «إنكم ستجدون بعدي أثره، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض». وعن أنس بمثل ذلك، ثم قال أنس: فلم يصبروا^(٤).

فأمرهم بالصبر كما أمره الله تعالى. وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن حسان^(٥):
 ألا أبليغ معاوية بن حرب أمير المؤمنين ثناً كلامي
 بأننا صابرون ومُنْظَرُوكم إلى يوم التغابن والخصام^(٦)
 ﴿حَتَّىٰ يَخْضِبَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَائِضِينَ﴾ ابتداءً وخبر، لأنه عز وجل لا يحكم إلا بالحق^(٧).

تمت سورة يونس، والحمد لله وحده.

(١) تفسير البغوي ٣٧٢/٢، وزاد المسير ٧١/٤.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٧١/٢، وقال: إنما نسخ منها الصبر عليهم.

(٣) ينظر زاد المسير ٧١/٤.

(٤) لم نقف عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرج حديث أنس - دون ذكر أنه ﷺ جمعهم لما نزلت الآية - أحمد (١٢٦٩٦)، والبخاري (٣١٤٧)، ومسلم (١٠٥٩) وهو في قصة إعطاء النبي ﷺ رجالاً من قريش من أموال هوازن. وفي الباب عن عبد الله بن زيد ؓ عند أحمد (١٦٤٧٠)، والبخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

(٥) ابن ثابت الأنصاري، المدني، الشاعر ابن الشاعر، وأمه سيرين خالة إبراهيم ابن النبي ﷺ، قيل: وُلد في حياة النبي ﷺ. توفي سنة (١٠٤هـ). السير ٦٤/٥.

(٦) الاستيعاب ١٤٧/١٠، وذكر ابن عبد البر قصة في هذين البيتين. وقوله: ثنا: جاء في القاموس (ثنو): ثنا الحديث: حدث به وأشاعه، والثنا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٠/٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة هود عليه السلام

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾^(١) [هود: ١١٤].

وأسند أبو محمد الدارمي في «مسنده» عن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا سورة هود يوم الجمعة»^(٢).

وروى الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله قد ثبت! قال: «شِيتَنِي هودٌ، والواقعةُ، والمرسلاتُ، وَ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾». قال: هذا حديثٌ حسنٌ غريب. وقد روي شيءٌ من هذا مرسلًا^(٣).

وأخرجه الترمذي الحكيم أبو عبد الله في «نواذر الأصول»: حدَّثنا سفيان بن وكيع قال: حدَّثنا محمد بن بشر، عن علي بن صالح، عن أبي إسحاق، عن أبي

(١) النكت والعيون ٤٥٥/٢ .

(٢) سنن الدارمي (٣٤٠٤)، وأخرجه أبو داود في المراسيل (٥٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٣٨). وكعب: هو بن ماته، المعروف بكعب الأخبار، والحديث مرسل.

(٣) سنن الترمذي (٣٢٩٧) من طريق أبي إسحاق، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أبي بكر، به. وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (التفسير) (١١١٠)، وأبو يعلى في مسنده (١٠٧) (١٠٨) من طريق عكرمة، عن أبي بكر، به. وعكرمة لم يدرك أبا بكر. وقال أبو حاتم كما في «العلل» لابنه ١١٠/٢ : مرسل أصح. اهـ والحديث اختلف فيه على أبي إسحاق اختلافاً كثيراً، ينظر ما سيأتي من رواية أبي ميسرة وأبي جحيفة، وما أورده الدارقطني في العلل ١٩٣/١ وما بعدها. وعبرة الترمذي: وقد روي عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة شيء من هذا مرسلًا. اهـ.

وقد أخرجه المروزي في مسند أبي بكر الصديق (٣٢) عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، عن أبي بكر، وليس فيه ذكر: المرسلات.

جُحَيْفَةَ قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَاكَ قَدْ شَبَّتَ! قَالَ: «شَبَّيْتَنِي هُوْدٌ وَأَخَوَاتُهَا»^(١).
 قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: فَالْفَرْعُ يورثُ الشَّيْبَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْفَرْعَ يَذْهَلُ النَّفْسَ، فَيَنْشَفُ رَطوبَةَ الْجَسَدِ، وَتَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ مَنَبِعٌ، وَمِنْهُ يَغْرَقُ، فَإِذَا انْتَشَفَ^(٢) الْفَرْعُ رَطوبَتَهُ، يَبْسُتُ الْمَنَابِعَ، فَيَبْسُ الشَّعْرُ وَابْيَضَّ؛ كَمَا يُرَى الزَّرْعُ أَخْضَرَ^(٣) بِسْقِيَاهُ^(٤)، فَإِذَا ذَهَبَ سَقِيَاهُ^(٥) يَبْسُ فَايْبَضُّ؛ وَإِنَّمَا يَبْيَضُّ شَعْرُ الشَّيْخِ لَذَهَابِ رَطوبَتِهِ وَيَبْسِ جِلْدِهِ، فَالْنَفْسُ تَذْهَلُ بِوَعِيدِ اللَّهِ^(٦)، وَأَهْوَالِ مَا جَاءَ بِهِ الْخَبَرُ عَنِ اللَّهِ؛ فَتَذْبُلُ، وَيَنْشَفُ مَاءُهَا ذَلِكَ الْوَعِيدُ وَالْهَوْلُ^(٧) الَّذِي جَاءَ بِهِ؛ فَمِنْهُ تَشْيِبُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمًا يَجْمَلُ الْوِلْدَانُ شَيْبًا﴾ [المزمل: ١٧]، فَإِنَّمَا شَابُوا مِنَ الْفَرْعِ.

(١) نَوَادِرُ الْأَصُولِ ١/٢٢٤ دُونَ إِسْنَادٍ، وَأَخْرَجَهُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ التِّرْمِذِيُّ فِي الشَّمَاثِلِ (٤١)، وَمِنْ طَرِيقِهِ الْبَغْوِيُّ فِي شَرْحِ السَّنَةِ (٤١٧٦).

وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً أَبُو يَعْلَى فِي مَسْنَدِهِ (٨٨٠)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ٢٢/ (٣١٨)، وَالدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْعِلَلِ ٢/٢٠٦ وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيقَةِ ٤/٣٥٠ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشْرٍ، بِهِ. وَأُورِدَ الرَّازِيُّ فِي الْعِلَلِ ٢/١٣٣ الْحَدِيثَ السَّالِفَ ثُمَّ قَالَ: وَرَوَاهُ شَيْبَانٌ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عِكْرَمَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَهَذَا أَشْبَهُمَا بِالصَّوَابِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْعِلَلِ ١/٢٠٧ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ مَهَاجِرٍ وَشَهَابِ بْنِ عَبَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشْرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي جَحِيْفَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ، بِهِ. فَذَكَرَا فِيهِ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ.

وَأُورِدَهُ الْحَافِظُ ابْنَ حَجَرٍ فِي النُّكْتِ عَلَى كِتَابِ ابْنِ الصَّلَاحِ ٢/٧٧٤ مِثَالاً لِلْحَدِيثِ الْمَضْطَرَبِ وَأَبُو جَحِيْفَةَ هُوَ وَهَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّوَّائِيُّ، صَحَابِيُّ، تُوُفِيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ. السَّيَرُ ٣/٢٠٢ - ٢٠٣.

(٢) فِي (د) وَ(ز): أَنْشَفَ، وَفِي (ظ): نَشَفَ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ (ف) وَ(م). وَهُوَ الْمَوَاقِفُ لِنَوَادِرِ الْأَصُولِ.
 (٣) فِي (م): كَمَا تَرَى الزَّرْعَ الْأَخْضَرَ. وَالْمَثْبُتُ مِنْ (ظ) وَ(ف)، وَسَقَطَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ مِنْ (ز) وَ(د).
 (٤) فِي (م) وَ(د): بِسْقَائِهِ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ (ظ)، وَهُوَ الْمَوَاقِفُ لِمَطْبُوعِ نَوَادِرِ الْأَصُولِ.
 (٥) فِي (م): سَقَاؤُهُ. وَالْمَثْبُتُ مِنْ (ظ) وَ(ف). وَهُوَ الْمَوَاقِفُ لِمَطْبُوعِ نَوَادِرِ الْأَصُولِ.
 (٦) فِي (د) وَ(ز): بِوَعْدِ اللَّهِ، وَفِي (ظ): لَوَعْدِ اللَّهِ، وَفِي نَوَادِرِ الْأَصُولِ: لَوَعِيدِ اللَّهِ. وَالْمَثْبُتُ مِنْ (ف) وَ(م).

(٧) فِي (د) وَ(ز): وَالْخَوْفِ.

وأما سورة هود فإنما فيها ذكر الأمم^(١)، وما حلَّ بهم من عاجل بأس الله تعالى، فأهل اليقين إذا تَلَّوها تراءى على قلوبهم من ملكه وسلطانه ولَحَظَّاته البطشُ بأعدائه، فلو ماتوا من الفزع لَحُقَّ لهم، ولكنَّ الله تبارك وتعالى اسْمُهُ يَلْطَفُ^(٢) بهم في تلك الأحياء حتى يقرؤوا كلامه.

وأما أخواتها؛ فما أشبهها من السُّور؛ مثلُ ﴿الْمَائِدَةِ﴾، و﴿سَالِّتِ﴾، و﴿إِذَا أَلْمَسَ كُورَتِ﴾، و﴿الْفَارِغَةِ﴾، ففي تلاوة هذه السُّور ما يَكْشِفُ لقلوب العارفين سلطانه وبطشه؛ فتذهلُ منه النفوس، وتَشِيبُ منه الرؤوس^(٣).

قلت: وقد قيل: إِنَّ الذي شَيَّبَ النَّبِيَّ ﷺ من سورة هود، قوله: ﴿فَأَسْتَفْتِمُ كَمَا أُمِرْتُ﴾ [الآية: ١١٢] على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وقال يزيدُ بن أبان: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في منامي، فقرأتُ عليه سورة هود، فلما ختمتها^(٤)، قال: «يا يزيد، هذه القراءة، فأين البكاء؟»^(٥).

قال علماؤنا: وقال أبو جعفر النحاس^(٦): يقال: هذه هودُ فاعلم؛ بغير تنوين على أنه اسمُ للسورة؛ لأنَّك لو سَمَّيتَ امرأةً يزيدٍ لم تَصْرِفْ؛ وهذا قول الخليل وسيبويه^(٧). وعيسى بن عمر يقول: هذه هودُ [فاعلم]؛ بالتنوين على أنه اسمُ للسورة؛

(١) في (م): فلما ذكر الأمم، وفي (ف): فإنما ذكر للأمم، وفي (د) و(ز): فإنما ذكر الأمم، والمثبت من (ظ).

(٢) في (د) و(ز) و(ف): تَلَطَّفَ، والمثبت من (ظ) و(م) وهو الموافق لنوادير الأصول ٢٢٤/١ والكلام منه بنحوه.

(٣) نوادر الأصول ٢٢٤/١.

(٤) في (د) و(ز): حققتها.

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٨٣/٦٥ - ٨٤، والمزي في تهذيب الكمال ٧٠/٣٢ وليس فيهما تسمية السورة ويزيد بن أبان: هو الرقاشي، من زهاد أهل البصرة، قال أحمد: كان يزيدُ منكرَ الحديث... وكان قاصاً. تهذيب الكمال ٦٤/٣٢ وما بعدها، وميزان الاعتدال ٤١٨/٤.

(٦) في إعراب القرآن له ٢٧١/٢. وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٧) في الكتاب ٢٤٢/٣.

وكذا إن سُمِّي امرأةً بزيد؛ لأنه لما سكن وسطه خفَّ فُصْرِف، فإن أردت الحذف؛ صرفت على قول الجميع، فقلت: هذه هودُ [فاعلم]؛ وأنت تريد سورة هود؛ قال سيبويه^(١): والدليل على هذا أنك تقول: هذه الرحمن، فلو لا أنك تريد: هذه سورة الرحمن؛ ما قلت: هذه.

قوله تعالى: ﴿الرَّ كَنْتُبُ أُنْحَمَتَ ءَايَتُهُمْ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَقْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُرْهَةٌ زَيْدٌ وَبَشِيرٌ ۝ وَإِنْ أَسْتَفْهَرُوا رَيْكُزُ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ يُعْجَبْكُمْ مَنَّا حَسَنًا إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾
قوله تعالى: ﴿الرَّ﴾ تقدّم القول فيه^(٢).

﴿كَنْتُبُ﴾ بمعنى: هذا كتاب.

﴿أُنْحَمَتَ ءَايَتُهُمْ﴾ في موضع رفع نعتٌ لكتاب. وأحسن ما قيل في معنى «أُنْحَمَتَ آيَاتُهُ» قول قتادة: أي: جعلت محكمة كلها، لا خلل فيها ولا باطل^(٣).
والإحكام: منع القول من الفساد، أي: نظمت نظاماً مُحْكَمًا؛ لا يلحقها تناقض ولا خلل^(٤).

وقال ابن عباس: أي: لم ينسخها كتاب، بخلاف التوراة والإنجيل^(٥). وعلى هذا فالمعنى: أحكم بعض آياته؛ بأن يجعل ناسخاً غير منسوخ. وقد تقدّم القول فيه^(٦).
وقد يقع اسم الجنس على النوع؛ فيقال: أكلت طعام زيد، أي: بعض طعامه^(٧).

(١) في الكتاب ٣/٢٥٦ - ٢٥٧.

(٢) في مطلع سورة يونس.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧١، ومعاني القرآن له ٣/٣٢٨. وأخرج قول قتادة الطبري ١٢/٣١٠.

(٤) تفسير الرازي ١٧/١٧٨.

(٥) ينظر تفسير البغوي ٢/٣٧٢.

(٦) ١٧/٥.

(٧) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٧٤: أحكم بعضها بالبيان الواضح ومنع الالتباس، فأوقع العموم =

وقال الحسن وأبو العالية: «أَحْكَمْتَ آيَاتُهُ» بالأمر والنهي^(١).

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بالوعد والوعيد والثواب والعقاب^(٢). وقال قتادة: أَحْكَمَهَا الله من الباطل، ثُمَّ فَصَّلَهَا بالحلال والحرام^(٣). مجاهد: أَحْكَمْتَ جملةً، ثُمَّ بَيَّنْتَ بذكر آية آية بجميع ما يحتاج إليه من الدليل على التوحيد والنبوة والبعث وغيرها^(٤). وقيل: جُمِعَتْ في اللوح المحفوظ، ثُمَّ فُصِّلَتْ في التنزيل^(٥). وقيل: «فُصِّلَتْ»: أَنْزَلْتَ نَجْمًا نَجْمًا لِتُدَبِّرَ^(٦).

وقرأ عكرمة: «فُصِّلَتْ» مخففاً، أي: حَكَمْتَ بالحق^(٧).

﴿مِنْ لَدُنْ﴾ أي: من عند ﴿حَكِيمٍ﴾ أي: مُحْكِمٍ للأمور ﴿خَيْرٍ﴾ بكل كائن وغير كائن.

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ قال الكسائي والفراء: أي: بأن لا^(٨)، أي: أَحْكَمْتَ ثُمَّ فُصِّلَتْ^(٩) بالألّا تعبدوا إلا الله. وقال الزجاج^(١٠): لئلا؛ أي: أَحْكَمْتَ ثُمَّ فُصِّلَتْ لئلا تعبدوا إلا الله. قيل: أمر رسوله أن يقول للناس ألا تعبدوا إلا الله^(١١).

= على معنى الخصوص، كما تقول العرب: قد أكلت طعام زيد، يعنون بعض طعامه.

(١) النكت والعيون ٤٥٥/٢، وزاد المسير ٧٣/٤، وأخرج قول الحسن الطبري ٣٠٩/١٢، وابن أبي حاتم ١٩٩٤/٦ (١٠٦٣٥).

(٢) زاد المسير ٧٤/٤ ونسبه للحسن. وأخرجه الطبري ٣٠٩/١٢.

(٣) النكت والعيون ٤٥٥/٢، وأخرجه الطبري ٣١٠/١٢، وابن أبي حاتم ١٩٩٥/٦ (١٠٦٣٦)، (١٠٦٣٩).

(٤) ينظر النكت والعيون ٤٥٦/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٣٧/٣، وزاد المسير ٧٤/٤.

(٥) ينظر تفسير أبي الليث ١١٦/٢، وزاد المسير ٧٤/٤.

(٦) في (د) و(ز): لينذر، وفي (ظ): ليتدبروا، والمثبت من (ف) و(م). وتنظر المراجع السابقة.

(٧) القراءات الشاذة ص ٥٩، والمحاسب ٣١٨/١.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٢/٢، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/٢.

(٩) قوله: ثُمَّ فُصِّلَتْ. من (م) و(د).

(١٠) في معاني القرآن له ٣٨/٣، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٧٢/٢.

(١١) النكت والعيون ٤٥٦/٢.

﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: من الله ﴿نَذِيرٌ﴾ أي: مُخَوِّفٌ من عذابه وَسَطَوْتُهُ لمن عصاه
﴿وَبَشِيرٌ﴾ بِالرَّضْوَانِ وَالْجَنَّةِ لِمَنْ أَطَاعَهُ.

وقيل: هو من قول الله أَوَّلًا وَآخِرًا؛ أي: لا تعبدوا إِلَّا الله إِنِّي لَكُمْ منه نَذِيرٌ - أي:
الله نَذِيرٌ لَكُمْ^(١) - من عبادة غيره، كما قال: ﴿وَيَعِذُّكُمْ اللَّهُ نَفْسُكُمْ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ عطفت على الأَوَّلِ.

﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: ارجعوا إليه بالطاعة والعبادة. وقال الفراء: «ثُمَّ» هنا بمعنى
الواو، أي: وتوبوا إليه؛ لَأَنَّ الاستغفارَ هو التوبة، والتوبة هي الاستغفار^(٢).

وقيل: استغفروه من سالف ذنوبكم، وتوبوا إليه من المستأنف متى وقعت منكم.
قال بعض الصلحاء: الاستغفارُ بلا إقلاعِ توبةِ الكذابين^(٣). وقد تقدّم هذا المعنى في
«آل عمران» مستوفى^(٤). وفي «البقرة» عند قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا إِلَهَ هُزُوءًا﴾
[الآية: ٢٣١]^(٥).

وقيل: إِنَّمَا قَدَّمَ ذَكَرَ الاستغفارَ لَأَنَّ المغفرةَ هي الغرضُ المطلوب، والتوبةُ هي
السبب إليها؛ فالمغفرةُ أَوَّلُ في المطلوبِ وَآخِرُ في السبب. ويحتمل أن يكون المعنى:
استغفروه من الصغائر، وتوبوا إليه من الكبائر^(٦).

﴿يُفَيْتِكُمْ مِّنْهَا حَسَنًا﴾ هذه ثمرةُ الاستغفارِ والتوبة، أي: يمتنعكم بالمنافع من سَعَةِ
الرِّزْقِ وَرَعْدِ الْعَيْشِ، وَلَا يَسْتَأْصِلُكُمْ بِالْعَذَابِ كما فعل بمن أهلك قبلكم^(٧). وقيل:

(١) قوله: أي: الله نَذِيرٌ لَكُمْ. ليس في (ظ).

(٢) تفسير البغوي ٣٧٣/٢، وزاد المسير ٧٥/٤.

(٣) النكت والعيون ٤٥٦/٢.

(٤) ٣٢٤/٥.

(٥) ١٠١/٤ - ١٠٢.

(٦) النكت والعيون ٤٥٦/٢.

(٧) ينظر معاني القرآن للزجاج ٣٨/٣. والنكت والعيون ٤٥٦/٢.

﴿يُنْعِمُكُمْ﴾: يُعَمِّرُكُمْ؛ وأصلُ الإمتاع: الإطالة، ومنه: أمتع الله بك، ومَتَّع^(١). وقال سهل بن عبد الله: المتاع الحسن: تركُ الخلق، والإقبالُ على الحق^(٢). وقيل: هو القناعة بالموجود، وتركُ الحزنِ على المفقود^(٣).

﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ قيل: هو الموت. وقيل: القيامة^(٤). وقيل: دخول الجنة. والمتاعُ الحسن على هذا: وقاية كل مكروه وأمرٌ مَخُوف، ممَّا يكون في القبر وغيره من أهوال يوم^(٥) القيامة وكُرْبِها. والأوَّل أظهر؛ لقوله في هذه السورة: ﴿وَيَنْقُورُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَيْ قُوَّتِكُمْ﴾ [الآية: ٥٢]. وهذا ينقطع بالموت، وهو الأجلُ المسمَّى. والله أعلم.

قال مقاتل: فأبوا فدعا عليهم رسولُ الله ﷺ، فابتُلوا بالقَحْطِ سَبْعَ سنين، حتَّى أكلوا العظامَ المحرَّقة والقَذَر والجيف والكلاب^(٦).

﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ أي: يؤت كلَّ ذي عملٍ من الأعمال الصالحات جزاءً عمله^(٧). وقيل: ويؤت كلَّ من فَضَّلَ حسناته على سيئاته «فَضْلَهُ»، أي: الجنة، وهي فضلُ الله^(٨). فالكناية في قوله: «فَضْلَهُ» ترجع إلى الله تعالى^(٩). وقال مجاهد: هو ما يَحْتَسِبُهُ الإنسان من كلامٍ يقوله بلسانه، أو عملٍ يعملُه بيده أو رجله، أو ما

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٠١، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٣٢٨.

(٢) النكت والعيون ٢/٤٥٦.

(٣) ينظر النكت والعيون ٢/٤٥٦، وتفسير البغوي ٢/٣٧٣.

(٤) النكت والعيون ٢/٤٥٦، وزاد المسير ٤/٧٥.

(٥) لفظ: يوم. من (ظ).

(٦) ذكره أبو الليث في تفسيره ٢/١١٦، وذكر نحوه المصنف في تفسير الآية (١٦) من سورة الجن، ولم ينسبه.

(٧) تفسير أبي الليث ٢/١١٦ ونسبه للضحاك.

(٨) الوجيز للواحدي ١/٣٧٩.

(٩) زاد المسير ٤/٧٥.

تَطَوَّعَ بِهِ مِنْ مَالِهِ، فَهُوَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ ذَلِكَ إِذَا آمَنَ، وَلَا يَتَقَبَّلُهُ مِنْهُ إِنْ كَانَ كَافِرًا^(١).

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ كَبِيرٌ لَمَّا فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ. وَقِيلَ: الْيَوْمُ الْكَبِيرُ: هُوَ يَوْمُ بَدْرٍ وَغَيْرِهِ. وَ«تَوَلَّوْا» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَاضِيًا وَيَكُونَ الْمَعْنَى: وَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقْبَلًا حُذِفَتْ مِنْهُ إِحْدَى التَّائِينَ وَالْمَعْنَى: قُلْ لَهُمْ: إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: بعد الموت. ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من ثواب وعقاب.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِیَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُبَيِّرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِیَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ أخبر عن معاداة المشركين للنبي ﷺ والمؤمنين، ويظنون أنه تخفى على الله أحوالهم. «يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ» أي: يَطْوُونَهَا عَلَى عداوة المسلمين، ففيه هذا الحذف، قال ابن عباس: يُخْفُونَ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الشَّحْنَاءِ وَالْعَدَاوَةِ، وَيُظْهِرُونَ خِلَافَهُ، نَزَلَتْ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ، وَكَانَ رَجُلًا حُلُوَ الْكَلَامِ حُلُوَ الْمَنْظَرِ^(٣)، يَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا يَحِبُّ، وَيَنْطَوِي لَهُ بِقَلْبِهِ عَلَى مَا يَسُوءُ^(٤). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾: شُكًّا وَامْتِرَاءً^(٥). وَقَالَ الْحَسَنُ: يَنْتُونَهَا عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْكُفْرِ^(٦).

وقيل: نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مرَّ بالنبي ﷺ ثنى صدره وظهره، وطأطأ

(١) ينظر تفسير مجاهد ٢٩٩/١، وتفسير الطبري ٣١٤/١٢.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ١٥٠/٣.

(٣) في النسخ: المنطق. والمثبت من المصادر الآتية.

(٤) تفسير البغوي ٣٧٣/٢. وأسباب النزول للواحي ص ٢٦٨ وعند الواحي: يطوي. بدل: ينطوي.

(٥) تفسير مجاهد ٢٩٩/١، وأخرجه الطبري ٣١٧/١٢، وابن أبي حاتم ١٩٩٩/٦ (١٠٦٥٨).

(٦) النكت والعيون ٤٥٧/٢، وزاد المسير ٧٧/٤، ونسب فيهما إلى مجاهد بدل الحسن.

رَأْسَهُ وَغَطَّى وَجْهَهُ، كَي لَا يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَدْعُوهُ إِلَى الْإِيمَانِ. حُكِيَ مَعْنَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ شَدَّادٍ^(١)، فَالْهَاءُ فِي «مِنْهُ» تَعَوُّدٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

وقيل: قال المنافقون: إذا أغلقنا أبوابنا، واستغشينا ثيابنا، وثنيينا صدورنا على عداوة محمد؛ فمن يعلم بنا؟ فنزلت الآية^(٢).

وقيل: إنَّ قوماً من المسلمين كانوا يَتَنَسَّكون بَسْتَرِ أبدانهم، ولا يكشفونها تحت السماء، فبيَّن الله تعالى أَنَّ التَّنَسُّكَ ما اشتملت عليه قلوبهم من معتقد، وأظهروه من قولٍ وعملٍ^(٣).

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ^(٤) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: «أَلَا إِنَّهُمْ تَتَنَوَّنِي صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ»^(٥) قَالَ: كَانُوا لَا يَجَامِعُونَ النِّسَاءَ، وَلَا يَأْتُونَ الْغَائِطَ وَهُمْ يُفْضُونَ إِلَى السَّمَاءِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

وروى غير محمد بن عباد عن ابن عباس: «أَلَا إِنَّهُمْ تَتَنَوَّنِي صُدُورُهُمْ» كَالْأَوَّلِ، وَهُوَ بَغِيرُ يَاءٍ^(٦)؛ وَمَعْنَى «تَتَنَوَّنِي»^(٧) وَالْقَرَاءَتَيْنِ الْآخَرَتَيْنِ مُتَقَارِبٌ؛ لِأَنَّهَا لَا تَتَنَوَّنِي

(١) تفسير البغوي ٣٧٣/٢، وزاد المسير ٧٦/٤. وأخرجه سعيد بن منصور (١٠٧٨ - تفسير)، والطبري ٣١٦/١٢ - ٣١٧، وابن أبي حاتم ١٩٩٩/٦ (١٠٦٥٩).

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن ٣٨/٣ - ٣٩، والواحدي في الوسيط ٥٦٤/٢، والبغوي ٣٧٣/٢، والرَّازِي في تفسيره ١٨٥/١٧. وبنحوه أخرجه الطبري ٣١٩/١٢ عن قتادة. (وفي بعضها ذكر: المشركون، بدل: المنافقون).

(٣) النكت والعيون ٤٥٨/٢.

(٤) في (م): ابن جرير، وهو خطأ.

(٥) وقع في النسخ الخطية: تننوي صدورهم - بغير نون بعد الواو في وزن تنطوي - ليستخفوا منه... الخ. والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٢٧٢/٢، والكلام منه، وهو الموافق لما في صحيح البخاري (٤٦٨١) (٤٦٨٢)، وتفسير الطبري ٣٢٠/١٢.

(٦) في (م) ونسخة كما في حاشية إعراب القرآن للنحاس ٢٧٢/٢: «أَلَا إِنَّهُمْ تَتَنَوَّنِي صُدُورُهُمْ» بغير نون بعد الواو، في وزن تنطوي (وهي رواية شاذة أيضاً) والمثبت من النسخ الخطية وهو المناسب لما في إعراب القرآن للنحاس. وقد رويت فيها ألفاظ أخرى شاذة، ينظر المحتسب ٣١٩/١، والدر المصون ٢٨٤/٦ - ٢٨٨.

(٧) في (م): تننوي.

حتى يَنْتُوها^(١)، وقيل: كان بعضهم ينحني على بعض لِيُسَارَهُ^(٢) في الطعن على المسلمين، وبلغ من جهلهم أن توهموا أن ذلك يخفى على الله تعالى^(٣).

«لِيَسْتَحْفُوا» أي: ليتواروا عنه؛ أي: عن محمد أو عن الله^(٤).

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَحْفُونَ يَا آيُهَا عَذَابُهُمْ﴾ أي: يُغْطُونَ رؤوسهم بشياهم. قال قتادة: أخفى ما يكون العبد إذا خنى ظهره، واستغشى ثوبه، وأضمَرَ في نفسه همه^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ «ما» نفي، و«مِنْ» زائدة، و«دَابَّةٌ» في موضع رفع؛ التقدير: وما دابة^(٦).

﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ «على» بمعنى «مِنْ»؛ أي: من الله رزقها؛ يدلُّ عليه قول مجاهد: كلُّ ما جاءها من رزقٍ فمن الله^(٧). وقيل: «على الله» أي: فضلاً لا وجوباً^(٨). وقيل: وعداً منه حقاً - وقد تقدَّم بيانُ هذا المعنى في «النساء»^(٩) - وأنه سبحانه لا يجب عليه شيء^(١٠).

(١) في (ز) و(ظ): لأنها لا تنشوي حتى يشنونها، وفي (د) و(ف): لأنها تثنون حتى يشنونها. والمثبت من إعراب القرآن للنحاس.

(٢) في (ظ) و(م): يساره، والمثبت من (د) و(ز) و(ف) وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس ٢٧٢/٢. والكلام منه.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٢/٢ - ٢٧٣.

(٤) زاد المسير ٧٨/٤.

(٥) الوسيط للواحد ٥٦٤/٢، وزاد المسير لابن الجوزي ٧٨/٤. وأخرجه الطبري ٣١٩/١٢.

(٦) ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٨٥/١، وإعراب القرآن للنحاس ٢٧٣/٢.

(٧) الوسيط للواحد ٥٦٤/٢ - ٥٦٥، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٣٢٤/١٢.

(٨) زاد المسير ٧٨/٤.

(٩) ٤٥٠/٦.

(١٠) ينظر المحرر الوجيز ١٥١/٣.

«رِزْقُهَا» رفع بالابتداء، وعند الكوفيين بالصفة^(١)؛ وظاهر الآية العموم، ومعناها الخصوص؛ لأن كثيراً من الدواب هلك قبل أن يُرزق. وقيل: هي عامة في كل دابة^(٢)، وكل دابة لم تُرزق رزقاً تعيش به فقد رُزقت رُوحها.

ووجه النظم بما قبل: أنه سبحانه أخبر برزق الجميع، وأنه لا يغفل عن تربيته، فكيف تخفى عليه أحوالكم يا معشر الكفار وهو يرزقكم^(٣)؟! والدابة: كل حيوان يدب^(٤).

والرزق حقيقته: ما يتغذى به الحي، ويكون فيه بقاء رُوحه، ونماء جسده. ولا يجوز أن يكون الرزق بمعنى الملك؛ لأن البهائم تُرزق، وليس يصح وصفها بأنها مالكة لعلفها؛ وهكذا الأبطال تُرزق اللبَن، ولا يقال: إن اللبن الذي في الثدي ملك للطفل، وقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وليس لنا في السماء ملك؛ ولأن الرزق لو كان ملكاً، لكان إذا أكل الإنسان من ملك غيره أن يكون قد أكل من رزق غيره، وذلك محال؛ لأن العبد لا يأكل إلا رزق نفسه. وقد تقدّم في «البقرة» هذا المعنى^(٥)، والحمد لله.

وقيل لبعضهم: من أين تأكل؟ فقال: الذي خلق الرّحى يأتيها بالطّحين، والذي شدّق الأشداق هو خالق الأرزاق.

وقيل لأبي أسيد: من أين تأكل؟ فقال: سبحانه الله، والحمد لله^(٦)، والله أكبر! إن الله^(٧) يرزق الكلب أفلا يرزق أبا أسيد^(٨)!.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٣ .

(٢) قوله: في كل دابة. من (د) و(م). وينظر المحرر الوجيز ٣/ ١٥١ .

(٣) ينظر مجمع البيان ١٢/ ١١٩ .

(٤) تفسير البغوي ٢/ ٣٧٤ ، وزاد المسير ٤/ ٧٨ .

(٥) ١/ ٢٧٢ .

(٦) قوله: والحمد لله من (ظ).

(٧) قوله: إن الله. ليس في النسخ الخطية.

(٨) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ٢/ ٤٠٢ . وأبو أسيد هو الفزاري من زهاد أهل دمشق. تاريخ دمشق ١٢/ ٦٦ .

وقيل لحاتم الأصم^(١): من أين تأكل؟ فقال: من عند الله؛ فقيل له: الله يُنزل لك دنائير ودراهم من السماء؟! فقال: كأن ما له إلا السماء! يا هذا، الأرضُ له والسماءُ له؛ فإن لم يؤتني رزقي من السماء ساقه لي من الأرض؛ وأنشد:

وكيف أخافُ الفقرَ واللّه رازقي ورازقُ هذا الخلقِ في العُسْرِ واليُسْرِ
تَكْفُلُ بالأرزاقِ للخلقِ كُلِّهم وللضَّبِّ في البَيِّدِ وللحُوتِ^(٢) في البحرِ^(٣)

وذكر الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول»^(٤) بإسناده عن زيد بن أسلم: أن الأشعريين - أبا موسى، وأبا مالك، وأبا عامر في نفرٍ منهم - لما هاجروا قدموا^(٥) على رسول الله ﷺ في فُلْكِ^(٦)، وقد أزمَلوا من الزاد^(٧)، فأرسلوا رجلاً منهم إلى رسول الله ﷺ يسأله، فلما انتهى إلى باب رسول الله ﷺ سمعه يقرأ هذه الآية: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّمَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ فقال الرجل: ما الأشعريون بأهون الدوابِّ على الله؛ فرجع ولم يدخل على رسول الله ﷺ؛ فقال لأصحابه: أبشروا أتاكم القَوْتُ، ولا يظنون إلا أنه قد كلَّم رسول الله ﷺ فوعده؛ فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجلان يحملان قصعةً بينهما مملوءة خبزاً ولحماً، فأكلوا منها ما شاؤوا، ثم قال بعضهم لبعض: لو أننا رَدَدْنَا هذا الطعامَ إلى رسول الله ﷺ ليقضيَ به حاجته، فقالوا للرجلين: اذهبا بهذا الطعامَ إلى رسول الله ﷺ فإننا قد قضينا

(١) هو أبو عبد الرحمن، حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي، له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم. توفي سنة (٢٣٧هـ). السير ٤٨٤/١١ - ٤٨٧.

(٢) في (د) و(ز) و(ف) و(م): والحوت.. والمثبت من (ظ).

(٣) أورد البيهقي اليوسي في زهر الأكم في الأمثال والحكم ٥١/٢.

(٤) ص ٢٥٣.

(٥) في (م): وقدموا. والمثبت من النسخ، وهو الموافق لنوادير الأصول.

(٦) في النسخ: ذلك. والمثبت من نوادر الأصول، وهو الأوفق مع قصة قدوم أبي موسى الأشعري وقومه من الحبشة إلى المدينة ينظر: صحيح مسلم (٢٥٠٢).

(٧) أرمَلوا: أي: نفَدَ زادهم. وأصله من الرَّمْل، كأنهم لصقوا بالرَّمْل، كما قيل للفقير: التَّرب. النهاية (رمل).

منه حاجتنا، ثم إنهم أتوا رسول الله ﷺ؛ فقالوا: يا رسول الله ما رأينا طعاماً أكثر ولا أطيب من طعام أرسلت به؛ قال: «ما أرسلت إليكم طعاماً». فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم، فسأله رسول الله ﷺ، فأخبره ما صنع، وما قال لهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «ذلك شيء رزقكموه الله».

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ أي: من الأرض حيث تأوي إليه ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أي: الموضع الذي تموت فيه فتدفن؛ قاله يفسر عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الربيع بن أنس: «مُسْتَقَرَّهَا»: أيام حياتها، «وَمُسْتَوْدَعَهَا»: حيث ^(١) تموت وحيث تُبعث. وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: «مُسْتَقَرَّهَا» في الرِّجَم، «وَمُسْتَوْدَعَهَا» في الصليب ^(٢). وقيل: «يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا» في الجنة أو النار، «وَمُسْتَوْدَعَهَا» في القبر؛ يدل عليه قوله تعالى في وصف أهل ^(٣) الجنة وأهل النار: ﴿حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٦] و﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦] ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي: في اللوح المحفوظ ^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ تقدم في «الأعراف» ^(٥) بيانه والحمد لله.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ بَيَّنَّ أَنَّ خَلْقَ الْعَرْشِ وَالْمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَرْضِ

(١) في النسخ الخطية: حين، والمثبت من (م) وهو الموافق لتفسير الطبري.

(٢) أخرج هذه الأقوال الطبري ١٢/٣٢٥، ٣٢٧، ٤٣٨/٩.

(٣) لفظة: أهل، من (م).

(٤) تفسير البغوي ٢/٣٧٤.

(٥) ٢٣٧/٩.

والسمااء. قال كعب: خلق الله يا قوتة خضراء، فنظر إليها بالهيبة، فصارت ماء يرتعد من مخافة الله تعالى؛ فلذلك يرتعد الماء إلى الآن وإن كان ساكناً، ثم خلق الريح فجعل الماء على مثنها، ثم وَّضَعَ العرشَ على الماء^(١).

وقال سعيد بن جبیر عن ابن عباس: إنه سُئِلَ عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ فقال: على أيِّ شيء كان الماء؟ قال: على مَثْنِ الرِّيح^(٢).

ورَوَى البخاري عن عمران بن حصين، قال: إني^(٣) عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم، فقال: «إِقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ» قالوا: بَشَرْتَنَا فَأَعْطِنَا. فدخل ناسٌ من أهل اليمن، فقال: «إِقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ». قالوا: قَبِلْنَا، جِئْنَا لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ؟ قال: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ»^(٤)، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذُّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ. ثم أتاني رجلٌ فقال: يا عمران، أدرك نأقتك فقد ذهب، فانطلقتُ أطلبُها؛ فإذا السَّرابُ ينقطع دونها^(٥)؛ وإيُّمُ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ^(٦).

قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: خلق ذلك لِيَبْتَلِيَ عِبَادَهُ بِالْإِعْتِبَارِ والاستدلال على كمال قدرته، وعلى البعث. وقال قتادة: معنى «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا»: أَيُّكُمْ أَتَمُّ عَقْلًا^(٧). وقال الحسن وسفيان الثوري: أَيُّكُمْ أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا^(٨).

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٣٧٤/٢، والخبر من الإسرائيليات التي يرويها كعب.

(٢) أخرجه الطبري ٣٣٣/١٢ - ٣٣٤.

(٣) في (م) و(د): كنت، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في صحيح البخاري.

(٤) في (م): غيره.

(٥) وقع في (م): فإذا هي يقطع دونها السراب.

(٦) صحيح البخاري (٧٤١٨)، وهو عند أحمد (١٩٨٧٦).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٠٠٦/٦ (١٠٧٠٨).

(٨) زاد المسير ٧٩/٤، والنكت والعيون ٤٥٩/٢، وأخرج قول سفيان ابن أبي حاتم ٢٠٠٦/٦ (١٠٧٠٧).

وذكر أن عيسى عليه السلام مرَّ برجلٍ نائم فقال: يا نائم، قم فتعبَّد، فقال: يا رُوح الله قد تعبَّدْتُ، فقال: وما^(١) تعبَّدْتُ؟ قال: قد تركت الدنيا لأهلها. قال: ثم، فقد فُتت العابدين^(٢).

الصَّحَّاح: أيكم أكثر شُكراً^(٣). مقاتل: أيكم أتقى لله. ابن عباس: أيكم أعملُ بطاعة الله عزَّ وجلَّ^(٤).

وروي عن ابن عمر أن النبي ﷺ تلا: ﴿إِيَّاكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال: «أيكم أحسنُ عملاً، وأورعُ عن محارم الله، وأسرعُ في طاعة الله»^(٥) فجمع الأقاويل كلها، وسيأتي في «الكهف» هذا أيضاً إن شاء الله تعالى^(٦). وقد تقدَّم معنى الابتلاء^(٧).

﴿وَلَيْتَ كُنْتُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ أي: دللت يا محمد على البعث ﴿مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾ وذكرت ذلك للمشركين لقالوا: هذا سحر. وكُسِرَت «إِنَّ» لأنها بعد القول مبتدأة. وحكى سيبويه الفتح^(٨).

﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فُتِحَت اللَّام [التي قبل النون] لأنه فعلٌ متقدِّم لا ضمير فيه، وبعده «لَيَقُولَنَّ» لأنَّ فيه ضميراً^(٩).

(١) في (م): وبم.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤٠٦/١٠ بنحوه.

(٣) النكت والعيون ٤٥٩/٢.

(٤) زاد المسير ٧٩/٤.

(٥) أخرجه الطبري ٣٣٥/١٢، وابن أبي حاتم ٢٠٠٦/٦ (١٠٧٠٥) والحاثر بن أبي أسامة في مسنده

(٨٣١) عن داود بن المحبَّر، عن عبد الواحد بن زياد، عن كليب بن وائل، عن ابن عمر، به. قال

الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص ٨٦: داود ساقط.

(٦) عند تفسير الآية: ٧ منها.

(٧) ٨٨/٢ - ٨٩.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٣/٢.

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٣/٢. وما بين حاصرتين منه.

﴿سِحْرٌ﴾ أي: غرورٌ باطل، لبطلان السحر عندهم^(١). وقرأ حمزة والكسائي:
«إِنْ هَذَا إِلَّا سَاحِرٌ مُّبِينٌ»^(٢) كناية عن النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَّا أُمَّةً مَّعْدُودَةً لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسٌ مَّصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾﴾
قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَّا أُمَّةً مَّعْدُودَةً﴾ اللام في «لَكِنْ» للقسم^(٣)،
والجواب: «لَيَقُولُنَّ». ومعنى «إِلَّا أُمَّةً»: إلى أجلٍ معدود، وحينٍ معلوم؛ فالأمة هنا
المدة؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين^(٤). وأصلُ الأمة:
الجماعة؛ فعبر عن الحين والسنين بالأمة، لأنَّ الأمة تكون فيها^(٥). وقيل: هو على
حذف المضاف؛ والمعنى: إلى مجيء أمةٍ ليس فيها مَنْ يؤمن، فيستحقُّون الهلاك.
أو: إلى انقراض أمةٍ فيها مَنْ يؤمن، فلا يبقى بعد انقراضها من يؤمن^(٦).

والأمة اسمٌ مشتركٌ يقال على ثمانية أوجه: فالأمة تكون: الجماعة؛ كقوله
تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [القصص: ٢٣]. والأمة أيضاً: أتباعُ الأنبياء
عليهم السلام. والأمة: الرجلُ الجامع للخير، الذي يُقتدى به؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]. والأمة: الدين والمِلَّة؛ كقوله تعالى:
﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]. والأمة: الحينُ والزمان؛ كقوله تعالى:
﴿وَلَكِنْ أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَّا أُمَّةً مَّعْدُودَةً﴾ [هود: ٨]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ
أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]، والأمة: القامة، وهو طولُ الإنسان وارتفاعه؛ يقال من ذلك:

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ٤٠/٣.

(٢) السبعة ص ٢٤٩، والتيسير ص ١٠١.

(٣) في (ز) و(ظ): لام القسم، وينظر المحرر الوجيز ١٥٣/٣.

(٤) أخرج قولهم الطبري ١٢/٣٣٧ - ٣٣٨.

(٥) ينظر النكت والعيون ٢/٤٦٠.

(٦) ينظر النكت والعيون ٢/٤٦٠، وزاد المسير ٨٠/٤.

فَلَا نَحْسَنُ الْأُمَّةَ، أَي: القامة. والأُمَّة: الرجلُ المنفردُ بدينه وحده، لا يَشْرُكُهُ فيه أحدٌ؛ قال النبي ﷺ: «يُبْعَثُ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ أُمَّةً وَحْدَهُ»^(١). والأُمَّة: الأُمُّ؛ يقال: هذه أُمَّةٌ زيدٌ؛ يعني: أُمُّ زيدٍ^(٢).

﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ يعني: العذاب؛ وقالوا هذا إما تكذيباً للعذاب لتأخره عنهم، أو استعجالاً واستهزاء، أي: ما الذي يحبسه عنا^(٣).

﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ قيل: هو قتلُ المشركين ببدر؛ وقتلُ جبريلَ المستهزئين على ما يأتي^(٤).

﴿وَحَافٍ بِهِمْ﴾ أي: نزل وأحاط ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: جزاء ما كانوا به يستهزئون، والمضاف محذوف.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ ۝٩ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْاءٍ مَسْتَةٍ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ الإنسان اسمٌ شائعٌ للجنس في جميع الكفار^(٥). ويقال: إِنَّ الإنسان هنا: الوليدُ بن المغيرة، وفيه نزلت. وقيل: في

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٦٤٨) من طريق نُفَيْلِ بْنِ هِشَامِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ، عن أبيه، عن جده. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٤١٧/٩ وقال: فيه المسعودي وقد اختلط، وبقيته رجاله ثقات.

(٢) نزهة القلوب للسجستاني ص ١١٣.

(٣) النكت والعيون ٤٦٠/٢.

(٤) عند تفسير الآية: ٩٥ من سورة الحجر.

(٥) قال الزجاج في معاني القرآن ٤١/٣: والإنسان اسم للجنس في معنى الناس اهـ وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٥٣/٣: وقال بعض الناس في هذه الآية ﴿الْإِنْسَانُ﴾ إنما يراد به الكافر، وحمله على ذلك لفظة ﴿كَفُورٌ﴾ وهذا عندي مردود، لأن صفة الكفر لا تطلق على جميع الناس كما تقتضي لفظة «الإنسان».

عبد الله بن أبي^(١) أمية المخزومي^(٢). «رَحْمَةً» أي: نعمة.

﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾ أي: سلبناه إياها ﴿إِنَّهُ لَيَبْغِشُ﴾ أي: آيس^(٣) من الرحمة ﴿كَفُورٌ﴾ للنعم؛ جاحد لها؛ قاله ابن الأعرابي.

النحاس^(٤): «لَيَبْغِشُ» من يَبْغِشُ يَبْغِشُ، وحكى سيبويه^(٥): يَبْغِشُ يَبْغِشُ على فَعِل يَفْعِل، ونظيره: حَسِبَ يَحْسِبُ، وَنَعِمَ يَنْعِمُ، وَيَبْسُ يَبْسُ^(٦). وبعضهم يقول: يَبْسُ يَبْسُ^(٧)؛ لا يعرف في الكلام^(٨) إلا هذه الأربعة الأحرف من السالم جاءت على فَعِل يفعل^(٩)؛ وفي واحد منها اختلاف. وهو يَبْسُ، وَيَبْسُ على التكثير؛ كفخور، للمبالغة.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ﴾ أي: صحة ورخاء وسعة في الرزق ﴿بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَهْ﴾ أي: بعد ضُر وفقرٍ وشدة ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ أي: الخطايا التي

(١) لفظة: أبي، من (م)، وهو الموافق لما في الوسيط للواحد. وعبد الله بن أبي أمية المخزومي، أخو أم سلمة أم المؤمنين، كان شديداً على المسلمين قبل إسلامه، ثم أسلم فكانت له صحة، ينظر الإصابة ١١/٥.

(٢) الوسيط للواحد ٥٦٦/٢.

(٣) في (م): يائس.

(٤) في إعراب القرآن ٢٧٣/٢ - ٢٧٤.

(٥) في الكتاب ٥٤/٤.

(٦) في النسخ: يَبْسُ يَبْسُ، بالياء، وهو تكرار، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس، وينظر أدب الكاتب ٤٨٣ والكامل للمبرد ٧٥٤/٢.

(٧) كذا في النسخ، وفي إعراب القرآن للنحاس: يَبْسُ يَبْسُ. وليس بمراديين في هذا السياق. ولعل الصواب: يَبْسُ يَبْسُ، فقد ذكره سيبويه في الكتاب ٥٤/٤ نقلاً عن بعض العرب قال: فحذفوا الياء من يفعل لاستثقال الياءات ههنا مع الكسرات. اهـ. أو أن الصواب: يَبْسُ يَبْسُ، كما نقل الزبيدي في تاج العروس (يَبْسُ) عن المبرد أن منهم من يُبدل في المستقبل من الياء الثانية ألفاً.

(٨) في (م): الكلام العربي.

(٩) وأورد ابن السيد في الاقتضاب ص ٢٣٢ أيضاً: يَبْسُ يَبْسُ، وعلى هذا تكون الأفعال الشاذة من الصحيح من باب فَعِل يَفْعِل ويفعل: خمسة، كما ذكر.

تسوء صَاحِبَهَا مِنَ الضَّرِّ وَالْفَقْرِ^(١).

﴿إِنَّهُمْ لَفِي فُجُورٍ﴾ أي: يفرح ويفخر بما ناله من السَّعة، وينسى شكر الله عليه؛ يقال: رجلٌ فَاخِرٌ إذا افتخر، وفخورٌ للمبالغة.

قال يعقوب القارئ: وقرأ بعضُ أهل المدينة: «لَفَرُحٌ» بضمِّ الرَّاء^(٢)، كما يقال: رجلٌ فُطِنٌ وَحَذَرٌ وَنُدُسٌ. ويجوز في كلتا اللغتين الإسكانُ لِثقل الضمَّة، والكسرة^(٣).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ يعني المؤمنين، مدَّحهم بالصبر على الشدائد. وهو في موضع نصب. قال الأخفش^(٤): هو استثناءٌ ليس من الأوَّل؛ أي: لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات في حالي النعمة والمحنة. وقال الفراء^(٥): هو استثناءٌ من «وَلَيُنَ أَدَقْنَا» أي: من «الإنسان»، فإنَّ الإنسان بمعنى النَّاس^(٦)، والناس: يشمل الكافر والمؤمن؛ فهو استثناءٌ متصل وهو حسن.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ ابتداءٌ وخبرٌ ﴿وَأَجْرٌ﴾ معطوفٌ ﴿كَبِيرٌ﴾ صفة.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ يَدُهُ صَدَرَكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَهُ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُوحٍ قُلْ فَاثْنَا بَعْشَرَ سِوَىٰ مَثَلِهِ مَقَرَّرْتِ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ أي: فلعلَّكَ لِعَظِيمٍ ما تراه منهم من الكفر والكذب تتوهم أنَّهم يُزِيلُونَكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ^(٧).

(١) ينظر الوسيط للواحي ٥٦٦/٢.

(٢) القراءات الشاذة ص ٥٩.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٤/٢.

(٤) في معاني القرآن له ٥٧٥/٢. وهو قول الزجاج أيضاً في معاني القرآن له ٤١/٣.

(٥) في معاني القرآن له ٤/٢ - ٥.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٤/٢، وعنه نقل المصنف كلام الأخفش والفراء.

(٧) في (ز): فيه، وفي هامشها: ما أمرت به. وينظر الوسيط للواحي ٥٦٦/٢، وفيه: ما أنت عليه من أمر ربك.

وقيل: إنهم لما قالوا: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ هَمَّ أَنْ يَدَّعِ سَبَّ آلِهِمْ، فنزلت هذه الآية.

فالكلام معناه الاستفهام؛ أي: هل أنت تارك ما فيه سب آلِهِمْ، كما سألك؟ وتأكد عليه الأمر في الإبلاغ؛ كقوله: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقيل: معنى الكلام النفي مع استبعاد، أي: لا يكون منك ذلك، بل تُبَلِّغْهُمْ كُلَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ؛ وذلك أَنَّ مشركي مكة قالوا للنبي ﷺ: لو أتيتنا بكتاب ليس فيه سب آلِهِمْنا لا تبعناك، فهَمَّ النبي ﷺ أَنْ يَدَّعِ سَبَّ آلِهِمْ؛ فنزلت^(١).

قوله تعالى: ﴿وَصَافِيٍّ يَوْهَ صَدْرُكَ﴾ عطف على «تَارِكٌ»، و«صَدْرُكَ» مرفوع به^(٢)، والهاء في «به» تعود على «ما»، أو على «بعض»^(٣)، أو على التبليغ، أو التكليل^(٤). وقال: «صَافِيٍّ» ولم يقل: ضَيِّق، ليشاكل «تَارِكٌ» الذي قبله؛ ولأنَّ الصَّافِيَّ عارضٌ، والضَّيِّقَ الزَّمُّ منه^(٥).

﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ في موضع نصب، أي: كراهية أَنْ يقولوا^(٦)؛ أو: لئلا يقولوا؛ كقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] أي: لئلا تضلُّوا. أو: لأن يقولوا^(٧).

﴿لَوْلَا﴾ أي: هَلَا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يُصَدِّقُهُ؛ قاله عبد الله بن

(١) ينظر الوسيط للواحيدي ٥٦٦/٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٤/٢.

(٣) المحرر الوجيز ١٥٤/٣.

(٤) ينظر الدر المصون ٢٩٤/٦.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ١٥٤/٣، وفيه: لأنه وصف لازم.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٤/٢.

(٧) ينظر إملاء ما من به الرحمن (بحاشية الفتوحات الإلهية) ٢٦١/٣، والدر المصون ٢٩٤/٦.

أبي أمية بن المغيرة المخزومي^(١)؛ فقال الله تعالى: يا محمد ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾: إنما عليك أن تُنذِرهم، لا بأن تأتيهم بما يقترحونه من الآيات^(٢) ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: حافظ وشهيد.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ «أم» بمعنى بل، وقد تقدّم في «يونس»^(٣)؛ أي: قد أزحت علّتهم وإشكالهم في نبوتك بهذا القرآن، وحجّجتهم به، فإن قالوا: افتريته - أي: اختلقته - فليأتوا بمثله مفترى بزعمهم ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من الكهنة والأعوان.

قوله تعالى: ﴿فَإِلَّاهُ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِلَّاهُ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ﴾ أي: في المعارضة، ولم تنهياً لهم، فقد قامت عليهم الحجّة^(٤)؛ إذ هم اللّسنُ البلاء، وأصحابُ الألسنِ الفُصحاء ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ واعلموا صدق محمد ﷺ ﴿و﴾ اعلموا ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ استفهامٌ معناه الأمر^(٥). وقد تقدّم القول في معنى هذه الآية، وأنّ القرآن معجزٌ، في مقدمة الكتاب^(٦)، والحمد لله.

وقال: ﴿قُلْ فَأْتُوا﴾ وبعده: ﴿فَإِلَّاهُ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ﴾ ولم يقل: لك؛ فقل: هو على تحويل المخاطبة من الأفراد إلى الجمع، تعظيماً وتفخيماً؛ وقد يُخاطب الرئيس بما يُخاطب به الجماعة^(٧).

(١) تفسير البغوي ٣٧٦/٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤١/٣ والوسيط للواحدي ٥٦٦/٢.

(٣) ٣٤٤/٨.

(٤) ينظر الوسيط ٥٦٧/٢.

(٥) الوسيط للواحدي ٥٦٧/٢، وتفسير البغوي ٣٧٦/٢.

(٦) ١١٢/١.

(٧) ينظر تفسير الطبري ٣٤٦/١٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢٧٥/٢، وزاد المسير ٨٣/٤.

وقيل: الضمير في «لَكُمْ»، وفي «فَاعْلَمُوا» للجميع؛ أي: فليعلم الجميع ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ قاله مجاهد^(١).

وقيل: الضمير في «لَكُمْ»، وفي «فَاعْلَمُوا» للمشركين، والمعنى: فإن لم يستجب لكم من تدعونه إلى المعاونة، ولا تهيات لكم المعارضة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾^(٢).

وقيل: الضمير في «لَكُمْ» للنبي ﷺ وللمؤمنين، وفي «فَاعْلَمُوا» للمشركين^(٣).

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥)

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ قاله الفراء^(٤). وقال الزجاج^(٥): «مَنْ كَانَ» في موضع جزم بالشرط، وجوابه: «نُوفِّ إِلَيْهِمْ» أي: من يَكُنْ يريد؛ والأول في اللفظ ماضٍ، والثاني مستقبل، كما قال زهير:

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنْلُتَهُ^(٦) ولو رامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بَسُلَّمٍ^(٧)
واختلف العلماء في تأويل هذه الآية: ف قيل: نزلت في الكفار؛ قاله الضحاك،

(١) لم نقف عليه، وينظر المحرر الوجيز ١٥٩/٤.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٣٤٥/١٢، وتفسير الرازي ١٩٦/١٧.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٣٤٥/١٢ وقال: وذلك تأويل بعيد من المفهوم.

(٤) في معاني القرآن له ٥/٢. وقال في البحر المحيط ٢١٠/٥: ولعله لا يصح، إذ لو كانت زائدة لكان فعل الشرط «يريد»، وكان يكون مجزوماً. اهـ وينظر الدر المصون ٢٩٦/٦.

(٥) لم نقف عليه في معاني القرآن له، وهو في إعراب القرآن للنحاس ٢٧٥/٢.

(٦) في (م): ومن هاب أسباب المنية يلقتها. والمثبت من (د) و(ز) و(ظ) وهو الموافق للمصادر.

(٧) الشطر الثاني سقط من (ز) و(ظ)، والبيت في ديوان زهير ص ٣٠، قال شارحه ثعلب: أي: من هاب أسباب المنية يلقتها، وأسباب السماء: نواحيها ووجوهها. يقول: من اتقى الموت لقيه.

واختاره النحاس^(١)؛ بدليل الآية التي بعدها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ﴾. أي: مَنْ أتى منهم بصلة رَحِم أو صدقة، نكافته به^(٢) في الدنيا، بصحة الجسم، وكثرة الرزق، لكن لا حسنة له في الآخرة^(٣). وقد تقدّم هذا المعنى في «براءة»^(٤) مستوفى.

وقيل: المراد بالآية المؤمنون، أي: مَنْ أراد بعمله ثواب الدنيا؛ عُجِّل له الثواب، ولم يُنقص شيئاً في الدنيا، وله في الآخرة العذاب، لأنه جَرَّد قَصْدَه إلى الدنيا^(٥)، وهذا كما قال ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(٦) فالعبدُ إِنَّمَا يُعْطَى على وجه قصده، ويحكم ضميره؛ وهذا أمرٌ مُتَّفَقٌ عليه في الأمم بين كلِّ مِلَّةٍ^(٧).

وقيل: هو لأهل الرياء^(٨)؛ وفي الخبر أنه يقال لأهل الرياء: صُمْتُمْ، وصلَّيْتُمْ، وتصدَّقْتُمْ، وجاهدْتُمْ، وقرأْتُمْ، ليقالَ ذلك، فقد قيلَ ذلك، ثم قال: «إِنَّ هَؤُلَاءِ أَوَّلُ مَنْ تُسْعَرُ بِهِمُ النَّارُ»، رواه أبو هريرة، ثم بكى بكاءً شديداً، وقال: صَدَّقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ وقرأ الآيتين، خرَّجه مسلمٌ في «صحيحه» بمعناه، والترمذي أيضاً^(٩).

وقيل: الآية عامةٌ في كلِّ من ينوي بعمله^(١٠) غير الله تعالى، كان معه أصلُ إيمانٍ،

(١) في معاني القرآن له ٣/ ٣٣٥. وأخرج قول الضحاك الطبري ١٢/ ٣٤٩ - ٣٥٠.

(٢) في (م): بها.

(٣) ينظر زاد المسير لابن الجوزي ٤/ ٨٤.

(٤) ٢٣٦/ ١٠.

(٥) أخرج الطبري نحوه ١٢/ ٣٤٨ عن ابن عباس، وسعيد بن جبيرة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٨٤ عن ابن عباس.

(٦) سلف ٣/ ٢٧٠.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٤٤.

(٨) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٤٤، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٨٤ وقد نسب لمجاهد.

(٩) صحيح مسلم (١٩٠٥)، وجامع الترمذي (٢٣٨٢)، وقال: حسن غريب. وهو عند أحمد (٨٢٧٧).

(١٠) في (ز): بعلمه، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٤٤.

أو لم يكن^(١). قاله مجاهدٌ وميمون بن مهران، وإليه ذهب معاوية رحمه الله تعالى.
وقال ميمون بن مهران: ليس أحدٌ يعمل حسنةً إلَّا وُفِّي ثوابها؛ فإن كان مسلماً
مخلصاً وُفِّي في الدنيا والآخرة، وإن كان كافراً وُفِّي في الدنيا.
وقيل: من كان يريد بغزوه مع النبي ﷺ [الغنيمة] وُفِّيها، أي: وُفِّي أجر الغزاة ولم
يُنقص منها^(٢)؛ وهذا خصوص، والصحيح العموم.

الثانية: قال بعض العلماء: معنى هذه الآية قوله عليه الصلاة والسلام: «إنما
الأعمال بالنيات»^(٣). وتدلُّك هذه الآية على أنَّ من صام في رمضان لا عن رمضان،
لا يقع عن رمضان، وتدلُّ على أنَّ من توضأ للتبرُّد والتنظيف، لا يقع قربةً عن جهة
الصلاة^(٤)، وهكذا كلُّ ما كان في معناه.

الثالثة: ذهب أكثر العلماء إلى أنَّ هذه الآية مطلقة، وكذلك الآية التي في
«الشورى» ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا
نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ الآية [٢٠]، وكذلك ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥]
قيدَها وفسَّرها [بالآية] التي في «سبحان» ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ
نُرِيدُ﴾ إلى قوله: ﴿مَحْطُورًا﴾ [الآيات: ١٨-٢٠]. فأخبر سبحانه أنَّ العبد ينوي ويريد،
والله سبحانه يحكم ما يريد^(٥).

وروى الضَّحَّاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا﴾ أنها منسوخة بقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾^(٦) [الإسراء: ١٨]. والصحيح ما

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٤٤ وهو من قوله. وأما نسبته لمجاهد، ففيها خلاف: فقد نقل
النحاس في إعرابه ٢/ ٢٧٥ عنه أنه قال: نوف إليه حسناته في الدنيا. ونقل ابن عطية في المحرر ٣/ ١٥٦
عنه: أنها في الكفرة وفي أهل الرياء - كالقول السالف - وهو الذي ذهب إليه معاوية.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٥ وما بين حاصرتين منه.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٤٤.

(٤) أحكام القرآن للكنيا الطبري ٣/ ٢٢٥.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٤٤، وما بين حاصرتين منه.

(٦) ذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ (٦٢٥)، وأخرجه فيه (٧٨١). وينظر الدرر المشور ٣/ ٣٢٣.

ذكرناه؛ وأنه من باب الإطلاق والتقييد؛ ومثله قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. فهذا ظاهره خبرٌ عن إجابة كلِّ داعٍ دائماً على كلِّ حال، وليس كذلك؛ لقوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١].

والنسخ في الأخبار لا يجوز؛ لاستحالة تبدل الواجبات العقلية، ولا استحالة الكذب على الله تعالى، فأما الأخبار عن الأحكام الشرعية، فيجوزُ نسخُها على خلافٍ فيه، على ما هو مذكورٌ في الأصول^(١)؛ ويأتي في «النحل» بيانه إن شاء الله تعالى^(٢).

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ إشارة إلى التخليد، والمؤمن لا يُخلد؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ الآية [النساء: ٤٨]، فهو محمولٌ على ما لو كانت موافاة هذا المُرَّاثي على الكفر.

وقيل: المعنى ليس لهم إلا النار في أيام معلومة ثم يخرج؛ إمّا بالشفاعة، وإمّا بالقَبْضَةِ^(٣). والآية تقتضي الوعيد بسلب الإيمان، وفي الحديث: المعاصي بريدٌ^(٤)

(١) ينظر إحكام الفصول في أحكام الأصول للباجي ص ٣٩٩، والناسخ والمنسوخ للنحاس ١/ ٤٠٥ و ٤٧٢/٢ - ٤٧٣، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ٣٢٥ لمكي، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص ٢٢.

(٢) عند تفسير الآية ٦٧ منها.

(٣) كما ورد في الحديث الذي أخرجه أحمد (١١٨٩٨)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري، أنه تعالى يقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا حُمماً، فيلقيهم في أفواه الجنة.

(٤) في (ظ): العاصي يريد، وفي (م): الماضي يريد.

الكفر^(١)، وخاصة الرياء، إذ هو شرك؛ على ما تقدّم بيانه في «النساء»، ويأتي في آخر «الكهف»^(٢).

﴿وَيَظِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ابتداءً وخبر؛ قال أبو حاتم: وحذف الهاء؛ قال النحاس^(٣): هذا لا يحتاج إلى حذف؛ لأنه بمعنى المصدر، أي: وباطل عمله. وفي حرف أبي وعبد الله^(٤): «وَبَاطِلًا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» تكون^(٥) «ما» زائدة، أي: وكانوا يعملون باطلاً.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنٍ مِّن رَّيِّهِ وَسُلُوءٌ شَاهِدٌ بَيْنَهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ قَالَتَأُوْلَئِكَ مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنٍ مِّن رَّيِّهِ﴾ ابتداءً، والخبر محذوف، أي: أفمن كان على بيئته من ربه في اتباع النبي ﷺ، ومعه من الفضل ما يتبين به؛ كغيره ممن يريد الحياة الدنيا وزينتها؟! عن علي بن الحسين والحسن بن أبي الحسن^(٦). وكذا قال ابن زيد: إن الذي على بيئته هو من اتبع النبي محمداً ﷺ^(٧).

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢٢٩/١٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٤٤٧/٥ من قول أبي حفص النيسابوري. ونقل العجلوني في كشف الخفاء ٢٧٨/٢ عن ابن حجر المكي أنه قال: أظنه من قول السلف، وقيل: إنه حديث.

(٢) سلف ١٩٠/٧ - ١٩١، وسيرد عند تفسير الآية ١١٠ من سورة الكهف.

(٣) في إعراب القرآن له ٢٧٥/٢، وما قبله منه.

(٤) القراءات الشاذة ص ٥٩، والمحتسب ٣٢٠/١.

(٥) في (م): وتكون.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٦/٢.

(٧) أخرج الطبري ٣٥٥/١٢ - ٣٥٦ عن ابن زيد في قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنٍ مِّن رَّيِّهِ﴾ قال: رسول الله ﷺ كان على بيئته من ربه. وذكر الماوردي في النكت والعيون ٤٦١/٢، وابن الجوزي في زاد المسير ٨٥/٤ عن ابن زيد: أن البيئته القرآن.

﴿وَتَلَوُاْ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: من الله، وهو النبي ﷺ. وقيل: المراد بقوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْنِهِ مِّن رَّيٍّ﴾: النبي ﷺ^(١)، والكلام راجع إلى قوله: ﴿وَسَأْتِيْكَ بِهِ صَدْرُكَ﴾؛ أي: أفمن كان معه بيان من الله، ومعجزة كالقرآن، ومعه شاهد كجبريل - على ما يأتي^(٢) - وقد بشرت به الكتب السالفة، يضيق صدره بالإبلاغ، وهو يعلم أن الله لا يسلمه. والهاء في «ريه» تعود عليه.

وقوله: ﴿وَتَلَوُاْ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ روى عكرمة عن ابن عباس: أنه جبريل؛ وهو قول مجاهد والنخعي^(٣). والهاء في «منه» لله عز وجل، أي: ويتلو البيان والبرهان شاهد من الله عز وجل^(٤).

وقال مجاهد: الشاهد ملك من الله عز وجل يحفظه ويسدده^(٥).

وقال الحسن البصري وقتادة^(٦): الشاهد لسان رسول الله ﷺ. قال محمد بن علي ابن الحنفية: قلت لأبي: أنت الشاهد؟ فقال: وددت أن أكون أنا هو، ولكنه لسان رسول الله ﷺ^(٧).

وقيل: هو علي بن أبي طالب؛ روي عن ابن عباس أنه قال: هو علي بن أبي طالب^(٨)؛ وروي عن علي أنه قال: ما من رجل من قريش إلا وقد أنزلت فيه الآية والآيتان، فقال له رجل: أي شيء نزل فيك؟ فقال علي: ﴿وَتَلَوُاْ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾^(٩).

(١) النكت والعيون ٢/٤٦١، زاد المسير ٤/٨٦.

(٢) في (ز): أو علي على ما يأتي.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/٣٥٧ - ٣٥٨.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٦، والنكت والعيون ٢/٤٦١.

(٥) تفسير مجاهد ١/٣٠١ - ٣٠٢، وأخرجه الطبري ١٢/٣٦٠.

(٦) النكت والعيون ٢/٤٦١، وأخرج قولهما الطبري ١٢/٣٥٤.

(٧) أخرجه الطبري ١٢/٣٥٤، وابن أبي حاتم ٦/٢٠١٤ (١٠٧٥٩) والطبراني في الأوسط (٦٨٢٤).

(٨) لم نقف عليه.

(٩) النكت والعيون ٢/٤٦١، وأخرجه الطبري ١٢/٣٥٦ وابن أبي حاتم ٦/٢٠١٥ (١٠٧٦٤). وقال ابن

كثير في تفسيره ٤/٣١٢: هو ضعيف لا يثبت قائله.

وقيل: الشاهد: صورة رسول الله ﷺ ووجهه ومخايله؛ لأن من كان له فضل وعقل؛ فنظر إلى النبي ﷺ؛ عليم أنه رسول الله ﷺ^(١)؛ فالحاء على هذا ترجع إلى النبي ﷺ، على قول ابن زيد^(٢) وغيره.

وقيل: الشاهد: القرآن في نظمه وبلاغته، والمعاني الكثيرة منه في اللفظ الواحد؛ قاله الحسين بن الفضل^(٣)؛ فالحاء في «منه» للقرآن.

وقال الفراء^(٤): قال بعضهم: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: الإنجيل، وإن كان قبله؛ فهو يتلو القرآن في التصديق^(٥)؛ والهاء في «منه» لله عز وجل.

وقيل: البيّنة: معرفة الله التي أشرقت لها القلوب، والشاهد الذي يتلوه: العقل الذي رُكِبَ في دماغه، وأشرق صدره بنوره.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل الإنجيل. ﴿كَتَبَ مُوسَى﴾ رفع بالابتداء، قال أبو إسحاق الزجاج^(٦): والمعنى: ويتلوه من قبله كتاب موسى؛ لأن النبي ﷺ موصوف في كتاب موسى؛ ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وحكى أبو حاتم عن بعضهم: أنه قرأ: «وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابَ مُوسَى» بالنصب؛ وحكاها المهدوي عن الكلبي^(٧)؛ يكون معطوفاً على الهاء في «يَتْلُوهُ»^(٨)، والمعنى: ويتلو كتاب موسى جبريل عليه السلام؛ وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما^(٩)؛

(١) زاد المسير ٨٦/٤.

(٢) سلف قوله قريباً.

(٣) تفسير البغوي ٣٧٧/٢، وزاد المسير ٨٦/٤.

(٤) في معاني القرآن له ٦/٢.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٦/٢ وعنه نقل المصنف كلام الفراء.

(٦) في معاني القرآن له ٤٤/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢٧٦/٢.

(٧) القراءات الشاذة ص ٥٩.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٦/٢.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٠١٥/٦ (١٠٧٦٧).

المعنى: ومن قبله تلا جبريلُ كتابَ موسى على موسى. ويجوز على ما ذكره ابن عباس أيضاً من هذا القول أن يُرفع «كتاب» على أن يكون المعنى: ومن قبله كتابُ موسى كذلك^(١)، أي: تلاه جبريلُ على موسى كما تلا القرآن على محمد.

﴿إِنَّمَا﴾ نصب على الحال^(٢). ﴿وَرَحْمَةً﴾ معطوف.

﴿أَوَلَيْكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ إشارة إلى بني إسرائيل، أي: يؤمنون بما في التوراة من البشارة بك؛ وإنما كفر بك هؤلاء المتأخرون^(٣)، فهم الذين موعدهم النار؛ حكاة القشيري.

والهاء في «به» يجوز أن تكون للقرآن، ويجوز أن تكون للنبي ﷺ^(٤).

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن، أو بالنبي عليه الصلاة والسلام ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ يعني من الملل كلها؛ عن قتادة؛ وكذا قال سعيد بن جبّير^(٥): «الأحزاب»: أهل الأديان كلها؛ لأنهم يتحاربون. وقيل: قريش وحلفاؤهم^(٦).

﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُمْ﴾ أي: هو من أهل النار؛ وأنشد حسان:

أوردتُموها حياضَ الموتِ ضاحيةً فالنارُ موعدها والموتُ لاقيةا^(٧)

وفي «صحيح مسلم»^(٨) من حديث أبي هريرة^(٩) عن النبي ﷺ: «والذي نفسُ

(١) ينظر زاد المسير ٨٧/٤.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤٤/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٢٧٦/٢.

(٣) في (د) و(ز): المفخرون.

(٤) ينظر زاد المسير ٨٨/٤. وذكر فيه وجهاً ثالثاً، وهو أن تكون للتوراة.

(٥) النكت والعيون ٤٦٢/٢، وزاد المسير ٨٨/٤، وأخرج قوليهما الطبري ٣٦٤/١٢ - ٣٦٥.

(٦) ذكره الماوردي ٤٦٢/٢، وابن الجوزي في زاد المسير ٨٨/٤ عن السّدي.

(٧) ديوان حسان ص ٢٥٩. وفيه: والقتل لاقيةا، بدل: والموت لاقيةا.

وضاحية: أي وقت الضحى، والضّحاء: ارتفاع النهار واشتداد وقع الشمس. ينظر لسان العرب (ضحى).

(٨) (١٥٣)، وأخرجه أحمد (٨٦٠٩). وما سيرد بين حاصرتين منهما.

(٩) في (م): أبي يونس، وفي النسخ الخطية: أبي موسى. والمثبت من صحيح مسلم. وأما حديث أبي

موسى فقد أخرجه أحمد (١٩٥٣٦) والنسائي في الكبرى (١١١٧٧) بغير هذه السياقة. وينظر المحرر

الوجيز ١٥٨/٢.

محمد بيده، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة؛ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ؛ [ثم يموت] ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ أي: في شكٍّ ﴿مِنْهُ﴾ أي: من القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن من الله؛ قاله مقاتل. وقال الكلبي: المعنى: فلا تكُ في مريةٍ في أنَّ الكافر في النار^(١). ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ أي: القولُ الحقُّ الكائن. والخطابُ للنبي ﷺ، والمرادُ جميع المكلَّفين^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا أحدٌ أظلمُ منهم لأنفسهم؛ لأنَّهم افترَوا على الله كذباً، فأضافوا كلامه إلى غيره، وزعموا أنَّ له شريكاً وولداً^(٣)، وقالوا للأصنام: هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

﴿أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: يحاسبُهم على أعمالهم.

﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ يعني: الملائكة الحفظة؛ عن مجاهد^(٤) وغيره؛ وقال سفيان: سألتُ الأعمش عن «الأشهاد» فقال: الملائكة^(٥). الضَّحَّاك: هم الأنبياء والمرسلون؛ دليله قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٦) [النساء: ٤١]. وقيل: الملائكة والأنبياء والعلماء الذين بلغوا الرسالات.

(١) قول مقاتل والكلبي في النكت والعيون ٤٦٢/٢، وزاد المسير ٨٩/٤.

(٢) قاله الماوردي في النكت والعيون ٤٦٢/٢.

(٣) ينظر تفسير البغوي ٣٧٨/٢، والمحزر الوجيز ١٥٩/٢.

(٤) تفسير مجاهد ٣٠٢/١، وأخرجه الطبري ٣٦٧/١٢.

(٥) أخرجه الطبري ٣٦٨/١٢.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٣٣٩/٣، وأخرجه الطبري ٣٦٨/١٢.

وقال قتادة: عنى الخلاق أجمع^(١). وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث صفوان بن مُحَرِّز، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، وفيه قال: «وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَىٰ بِهِمْ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ».

﴿أَلَا لَمَنَّةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي: بُعْدهُ وسُخْطه وإبعاده من رحمته على الذين وضعوا العبادة في غير موضعها.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يجوز أن تكون «الَّذِينَ» في موضع خفض نعتاً للظالمين، ويجوز أن تكون في موضع رفع، أي: هم الذين^(٣). وقيل: هو ابتداء خطاب من الله تعالى، أي: الذين^(٤) يصدُّون أنفسهم وغيرهم عن الإيمان والطاعة. ﴿وَيَتَّبِعُونَهَا غَوْبًا﴾ أي: يعدلون بالناس عنها إلى المعاصي والشرك ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ أعاد لفظ «هم» تأكيداً^(٥).

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ يُضَاعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾^(٦)
قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: فائتين من عذاب الله. وقال ابن عباس: لم يُعْجزوني أن أمر الأرض فتخسف بهم^(٦).

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: أنصاراً، و«مِنْ» زائدة. وقيل: «ما» بمعنى الذي^(٧)، تقديره: أولئك لم يكونوا معجزين لا هم ولا الذين كانوا لهم من

(١) أخرجه الطبري ٣٦٧/١٢.

(٢) (٢٧٦٨)، وأخرجه أحمد (٥٤٣٦)، والبخاري (٢٤٤١).

(٣) ينظر المحرر الوجيز ١٦٠/٣.

(٤) في (م): هم الذين.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤٥/٣.

(٦) في (د) و(ف) و(م): فتخسف. والمثبت من (ز)، وهو الموافق لما في زاد المسير ٩٠/٤.

(٧) ينظر الدر المصون ٣٠٢/٦.

أولياء من دون الله؛ وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿يُضَاعَفْ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي: على قدر كُفْرهم ومعاصيهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ «ما» في موضع نصبٍ على أن يكون المعنى: بما كانوا يستطيعون السمع، وبما كانوا يبصرون، ولم يستعملوا ذلك في استماع الحق وإبصاره. والعرب تقول: جزيتُهُ ما فعل وبما فعل؛ فيحذفون الباء مرةً ويشتونها أخرى؛ وأنشد سيبويه^(١):

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبٍ

ويجوز أن تكون «ما» ظرفاً، والمعنى: يُضَاعَفْ لَهُمُ الْعَذَابُ^(٢) أبداً، أي: وقت استطاعتهم السَّمْعَ والبصر، والله سبحانه يجعلهم في جهنم مستطيعي ذلك أبداً. ويجوز أن تكون «ما» نافية لا موضع لها؛ إذ الكلام قد تمَّ قبلها، والوقف على العذاب كافٍ؛ والمعنى: ما كانوا يستطيعون في الدنيا أن يسمعوا سمعاً يتفنعون به، ولا أن يبصروا إبصاراً مهتد. قال الفراء^(٣): ما كانوا يستطيعون السمع؛ لأنَّ الله أضلَّهُم في اللوح المحفوظ. وقال الزجاج^(٤): لِبُغْضِهِمُ النَّبِيَّ ﷺ وعداوتهم له، لا يستطيعون أن يسمعوا منه، ولا يفقهوا عنه. قال النحاس^(٥): وهذا معروف في كلام العرب؛ يقال: فلان لا يستطيع أن ينظر إلى فلان، إذا كان ذلك ثقیلاً عليه.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ۝

لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ ابتداءً وخبر ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾ أي: ضاع عنهم افتراؤهم وتلف.

(١) في الكتاب ٣٧/١. وإعراب القرآن للنحاس ٢٧٦/٢ والكلام منه، وسلف ١٢٣/٤.

(٢) لفظ: العذاب. زيادة من (ظ) وهي موافقة لما في إعراب القرآن للنحاس ٢٧٦/٢.

(٣) في معاني القرآن له ٨/٢.

(٤) في معاني القرآن له ٣/٤٥.

(٥) في إعراب القرآن له ٢٧٧/٢. وما قبله منه، وينظر مشكل إعراب القرآن ٣٥٧/١.

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ للعلماء فيه أقوال؛ فقال الخليل وسيبويه^(١): «لَا جَرَمَ» بمعنى: حقٌّ، فـ «لا» و«جَرَمَ» عندهما كلمة واحدة، و«أَنَّ» عندهما في موضع رفع؛ وهذا قول الفراء^(٢) ومحمد بن يزيد^(٣)؛ حكاه النحاس^(٤).

قال المهدوي: وعن الخليل أيضاً، أنَّ معناها: لا بدَّ ولا محالة، وهو قول الفراء^(٥) أيضاً؛ ذكره الثعلبي.

وقال الزجاج^(٦): «لا» هاهنا نفي، وهو ردُّ لقولهم: إِنَّ الأصنامَ تنفعُهم، كأنَّ المعنى: لا ينفعهم ذلك، و«جَرَمَ» بمعنى: كَسَبَ، أي: كَسَبَ ذلك الفعلُ لهم الخسران، وفاعل كسب مُضمر، و«أَنَّ» منصوبةٌ بجرَمَ^(٧)، كما تقول: كَسَبَ جفاؤك زيدا غضبه عليك. وقال الشاعر:

نَصَبْنَا رَأْسَهُ فِي رَأْسِ جِذْعٍ^(٨) بِمَا جَرَمَتْ يَدَاهُ وَمَا اغْتَدَيْنَا^(٩)
أي: بما كسبت.

وقال الكسائي: معنى «لَا جَرَمَ»: لَا صَدَّ وَلَا مَنَعَ عَنْ أَنَّهُمْ^(١٠).
وقيل: المعنى: لَا قَطَعَ قَاطِعٌ، فحذفت الفاعل حين كَثُرَ استعماله^(١١).

(١) ذكره في الكتاب ١٣٨/٣ على أنه قول المفسرين.

(٢) في معاني القرآن له ٨/٢.

(٣) هو المبرِّد، وكلامه في المقتضب ٣٥١/٢.

(٤) في إعراب القرآن له ٢٧٧/٢، وينظر مشكل إعراب القرآن ٣٥٧/١ - ٣٥٨.

(٥) في معاني القرآن له ٨/٢.

(٦) في معاني القرآن له ٤٦/٣.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٨/٢. وما قبله منه.

(٨) في (م) و(ظ): والنكت والعيون ٤٦٤/٢: نصبنا رأسه في جذع نخل. والمثبت من (ز) و(د) و(ف) وهو الموافق لما في المصادر الآتية.

(٩) ورد في الزاهر لابن الأنباري ٢٧٢/١، وأمالى المرتضى ١١٠/١، والخزانة ٢٨٦/١٠ دون نسبة.

(١٠) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٨/٢.

(١١) ينظر مجمع البيان ١٢٩/١٢.

وَالْجُرْمُ: الْقَطْع؛ وَقَدْ جَرَمَ النَّحْلَ وَاجْتَرَمَهُ، أَي: صَرَمَهُ، فَهُوَ جَارِمٌ، وَقَوْمٌ جُرِّمٌ، وَهَذَا زَمَنُ الْجِرَامِ وَالْجِرَامِ، وَجَرَمْتُ صُوفَ الشَّاةِ، أَي: جَزَزْتُهُ، وَقَدْ جَرَمْتُ مِنْهُ: إِذَا أَخَذْتَ مِنْهُ؛ مِثْلُ: جَلَمْتُ الشَّيْءَ جَلْمًا، أَي: قَطَعْتُهُ^(١)، وَجَلَمْتُ الْجُزُورَ أَجْلَمُهَا جَلْمًا: إِذَا أَخَذْتَ مَا عَلَى عِظَامِهَا مِنَ اللَّحْمِ، وَأَخَذْتُ الشَّيْءَ بِجَلْمَتِهِ - سَاكِنَةُ اللَّامِ - إِذَا أَخَذْتَهُ أَجْمَعَ، وَهَذِهِ جَلْمَةُ الْجُزُورِ - بِالتَّحْرِيكِ - أَي: لَحْمُهَا أَجْمَعَ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ^(٢).

قَالَ النَّحَّاسُ^(٣): وَزَعَمَ الْكِسَائِيُّ أَنَّ فِيهَا أَرْبَعَ لُغَاتٍ: لَا جَرَمَ، وَلَا عَنْ ذَا جَرَمَ، وَلَا أَنَّ ذَا جَرَمَ، قَالَ: وَنَاسٌ مِنْ فَرَاةٍ يَقُولُونَ: لَا جَرَ أَنَّهُمْ، بِغَيْرِ مِيمٍ. وَحَكَى الْفَرَّاءُ فِيهِ لُغَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ قَالَ: بَنُو عَامِرٍ يَقُولُونَ: لَا ذَا جَرَمَ، قَالَ: وَنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُونَ: لَا جُرْمَ بِضَمِّ الْجِيمِ^(٤).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ «الذين» اسمٌ «إِنَّ»، «آمَنُوا» صلة؛ أَي: صَدَّقُوا ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ عطف على الصلة^(٥).

قال ابن عباس: ﴿وَأَخْبَتُوا﴾: أَنَابُوا^(٦). مجاهد: أطاعوا^(٧). قَتَادَةُ: خَشَعُوا

(١) فِي (ظ) وَ(م) قَطَعْتُ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ (د) وَ(ف) وَهُوَ الْمَوَافِقُ لَمَّا فِي الصَّحَاحِ وَسَقَطَ فِي (ز) مِنْ قَوْلِهِ: الشَّيْءَ جَلْمًا... إِلَى قَوْلِهِ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ.

(٢) فِي الصَّحَاحِ (جَرَمَ) (جَلَمَ).

(٣) فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لَهُ ٢/٢٧٨.

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ ٢/٨ - ٩، وَلَيْسَ فِيهِ الْقَوْلُ الثَّانِي، وَحَكَى الْقَوْلَيْنِ عَنْهُ النَّحَّاسُ فِي إِعْرَابِ ٢/٢٧٨. وَيَنْظُرُ أَمَالِي الْمُرْتَضَى ١/١١٠.

(٥) إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ٢/٢٧٨.

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ١٢/٣٧٤.

(٧) لَمْ نَقِفْ عَلَى قَوْلٍ مُجَاهِدٍ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَالَّذِي فِي تَفْسِيرِ مُجَاهِدٍ ١/٣٠٢ وَتَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ١٢/٣٧٥ وَزَادَ الْمَسِيرَ ٤/٩٣: أَخْبَتُوا: أَطَاعُوا.

وخصَّعُوا^(١). مقاتل: أخلصوا^(٢). الحسن: الإخبات: الخشوعُ للمخافة الثابتة في القلب.

وأصلُ الإخبات: الاستواء، من الحَبَّتْ، وهو الأرضُ المستوية الواسعة. فالإخبات: الخشوعُ أو الاطمئنان، أو: الإنابةُ إلى الله عزَّ وجلَّ، المستمرة^(٣)، وذلك^(٤) على استواء^(٥).

«إِلَى رَبِّهِمْ» قال الفراء^(٦): إلى ربِّهم ولربِّهم، واحد، وقد يكون المعنى: وجَّهوا إخباراتهم إلى ربهم. «أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ» خبر «إِنَّ»^(٧).

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ ابتداء، والخبر ﴿كَالْأَعْمَى﴾ وما بعده. قال الأخفش^(٨): أي: كمثُل الأعمى.

النحاس^(٩): التقدير: مَثَلُ فريق الكافر كالأعمى والأصم، ومثَلُ فريق المؤمن كالسميع والبصير، ولهذا قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ فردَّ إلى الفريقين وهما اثنان؛ روي معناه عن قتادة وغيره^(١٠).

(١) أخرجه الطبري ٣٧٥/١٢.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤٦٥/٢، وابن الجوزي في زاد المسير ٩٣/٤.

(٣) في (ز) و(ظ): المستمر.

(٤) في النسخ عدا (ظ): ذلك. والمثبت من (ظ).

(٥) ينظر مجمع البيان ١٣٤/١٢.

(٦) في معاني القرآن له ٩/٢ - ١٠، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢٧٨/٢.

(٧) قوله: «أصحاب الجنة» سقط من النسخ، والكلام في إعراب القرآن للنحاس ٢٧٨/٢.

(٨) في معاني القرآن له ٥٧٦/٢.

(٩) في إعراب القرآن له ٢٧٨/٢ وما قبله منه.

(١٠) في النسخ: مَثَلُ فريق الكافر كالأصم، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس.

قال الضَّحَّاك: الأعمى والأصمُّ مثلٌ للكافر، والسميع والبصير مثلٌ للمؤمن^(١).

وقيل: المعنى: هل يستوي الأعمى والبصير، وهل يستوي الأصمُّ والسميع؟ ﴿مَثَلًا﴾ منصوبٌ على التفسير^(٢) ﴿أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ في الوصفين وتنظرون؟

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ١٦ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيُسْرِ ١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ ذكر سبحانه قصص الأنبياء عليهم السلام للنبي ﷺ تنبيهاً له على ملازمة الصبر على أذى الكفار إلى أن يكفيه الله أمرهم. ﴿إِذِي﴾ أي: فقال: إني؛ لأنَّ في الإرسال معنى القول. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: «أني» بفتح الهمزة^(٣)، أي: أرسلناه بأني لكم نذيرٌ مبين^(٤).

ولم يقل: «إنه»؛ لأنه رجع من الغيبة إلى خطاب نوح لقومه؛ كما قال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ثم قال: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]^(٥).

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: اتركوا الأصنام فلا تعبدوها، وأطيعوا الله وحده. ومن قرأ: «إني» بالكسر جعله معترضاً في الكلام، والمعنى: أرسلناه بالألَّا تعبدوا إلا الله^(٦). ﴿إِذِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيُسْرِ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِكَدِّ الرَّأْيِ وَمَا نَرْنِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ١٧﴾

فيه أربع مسائل:

- (١) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٣٤١.
- (٢) في (م): التمييز، وهما بمعنى. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ١٦٢.
- (٣) السبعة ص ٣٣٢، والتيسير ص ١٢٤، وتفسير البغوي ٢/ ٣٧٩ والكلام منه.
- (٤) الحجة للفارسي ٤/ ٣١٥، والكشف عن وجوه القراءات ١/ ٥٢٥. قال مكِّي: لأن «أرسل» يتعدى إلى مفعولين، الثاني بحرف جر.
- (٥) ينظر الحجة للفارسي ٤/ ٣١٥.
- (٦) ينظر الحجة ٤/ ٣١٦، والبحر ٥/ ٢١٤.

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾ قال أبو إسحاق الزجاج: الملاء الرؤساء؛ أي: هم مليئون بما يقولون^(١). وقد تقدّم هذا في «البقرة»^(٢) وغيرها. ﴿مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا﴾ أي: آدميًا ﴿مِثْلَنَا﴾ نصبٌ على الحال^(٣). و«مثلنا» مضافٌ إلى معرفة، وهو نكرةٌ يقدّرُ فيه التنوين^(٤)، كما قال الشاعر:

يَا رَبِّ مِثْلِكَ فِي النِّسَاءِ غَرِيبَةٌ^(٥)

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْزِلُوا﴾ جمع أرزُل، وأرذُل جمع رَذُل، مثلُ كَلْبٍ وَأَكْلَبٍ وَأَكَالِب^(٦). وقيل: الأراذل جمع الأَرَذَل^(٧)، كَأَسَاوِدَ جمع الأَسْوَدَ من الحيّات. والرَذُل: النَّذُل. أرادوا: اتَّبَعَكَ أَخْسَاؤُنَا وَسَقَطُنَا^(٨) وسَفَلَتُنَا.

قال الزجاج^(٩): نَسَبُوهُمْ إِلَى الْحَيَاكَةِ [وَالْحِجَامَةِ]، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الصَّنَاعَاتِ لَا

(١) معاني القرآن للزجاج ٤٧/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢٧٩/٢. ووقع عند الزجاج: مَلَأَ بالرأي وبما يُحتاج إليه منهم، بدل: مليئون بما يقولون.

(٢) ٢٢٨/٤.

(٣) سياق الكلام عند المصنف رحمه الله قد يوهّم أن المنسوب على الحال هو قوله: «مثلنا»، وإنما المنسوب على الحال هو قوله: «بشرًا». وهذا على اعتبار أن الفعل من رؤية العين، ويجوز أن يكون الفعل من رؤية القلب، فيكون: «بشرًا» المفعول الثاني. والأمر كذلك في قوله: ﴿وَمَا نَزَّلَكَ اتَّبَعَكَ﴾. وأما قوله: «مثلنا»، فمنسوب على النعت. ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٧٩/٢، والإملاء للعكبري ٢٦٧/٣ (بهاشم الفتوحات الإلهية)، وروح المعاني للآلوسي ٣٧/١٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٩/٢.

(٥) وعجزه: ببيضه قد مُتْعَتْهَا بطلاق، والبيت لأبي محجن الثقفي كما في الكتاب ٤٢٧/١ و ٢٨٦/٢، وشرح الشواهد للشنتمري ص ٢٤٢ و ٣٤٦، وشرح المفصل لابن يعيش ١٢٦/٢، وهو بلا نسبة في المقتضب ٢٨٩/٤، وإعراب القرآن للنحاس ٢٧٩/٢. قال الشنتمري: الشاهد فيه إضافة رب إلى مثلك؛ لأنها نكرة وإن كانت بلفظ المعرفة. والغريبة: المفترّة بـلين العيش، الغافلة عن صروف الدهر.

(٦) تفسير البغوي ٣٨٠/٢.

(٧) معاني القرآن للنحاس ٣٤١/٣، والمححر الوجيز ١٦٣/٣.

(٨) في (ظ): وسقطنا.

(٩) في معاني القرآن ٩٥/٤، وما سيرد بين حاصرتين منه.

أثر لها في الدِّيانة.

قال النحاس^(١): الأراذل هم الفقراء، والذين لا حَسَبَ لهم، والخسيسو الصناعات. وفي الحديث: «إنهم كانوا حاكَّةً وَحَجَّامِينَ»^(٢). وكان هذا جهلاً منهم؛ لأنهم عابوا نبيَّ الله ﷺ بما لا عيب فيه؛ لأنَّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إنما عليهم أن يأتوا بالبراهين والآيات، وليس عليهم تغييرُ الصُّورِ والهيئات، وهم يُرسلون إلى الناس جميعاً، فإذا أسلَمَ منهم الدُّنيءُ، لم يلحقهم من ذلك نقصانٌ؛ لأنَّ عليهم أن يقبلوا إسلامَ كلِّ مَنْ أسلَمَ منهم.

قلت: الأراذل هنا هم الفقراء والضعفاء، كما قال هِرَقْلُ لأبي سفيان: أشرافُ الناس اتَّبِعوه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم، فقال: هم أتباعُ الرسل^(٣).

قال علماؤنا: إنَّما كان ذلك لاستيلاء الرِّياسة على الأشراف، وصعوبة الانفكاك عنها، والأنفة من الانقياد للغير؛ والفقيرُ خَلِيٌّ عن تلك الموانع، فهو سريعٌ إلى الإجابة والانقياد. وهذا غالبُ أحوالِ أهل الدنيا^(٤).

الثالثة: اختلف العلماء في تعيين السِّفلة على أقوال:

فذكر ابنُ المبارك عن سفيان: أنَّ السِّفلة هم الذين يَتَقَلَّسون^(٥)، ويأتون أبوابَ القضاة والسلاطين يطلبون الشهادات.

وقال ثعلبٌ عن ابن الأعرابي: السِّفلة: الذين يأكلون الدنيا بدينهم؛ قيل له: فَمَنْ

(١) في إعراب القرآن ٢/ ٢٧٩.

(٢) لم تقف عليه عند غير النحاس، وسيذكره المصنف في المسألة التالية عن ابن عباس قوله. ذكره الألوسي في روح المعاني ١٩/ ١٠٧.

(٣) أخرجه مطولاً أحمد (٢٣٧٠)، والبخاري (٢٩٤١)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) المفهم ٣/ ٦٠٤.

(٥) في (ظ): ينقلبون. والتقليس: استقبال الولاية عند قدومهم بأصناف اللهو. اللسان (قلس)، والخبر في ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري ٢/ ٤٦٧.

سَفِلَةٌ السَّفِلَةُ؟ قال: الذي يُصْلِحُ دنيا غيره بفساد دينه^(١).

وسُئِلَ عليٌّ عليه السلام عن السَّفِلَةِ فقال: الذين إذا اجتمعوا غلبوا، وإذا تفرقوا لم يُعرفوا. وقيل لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عليه السلام: مَنْ السَّفِلَةُ؟ قال: الذي يَسُبُّ الصَّحَابَةَ^(٢).

وَرُوِيَ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: الأرذلون: الحاكَّةُ والحجَّامون. يحى بنُ أَكْثَمَ: الدِّبَاغُ والكنَّاس إذا كان من غير العرب^(٣).

الرابعة: إذا قالت المرأة لزوجها: يا سَفِلَةُ! فقال: إن كنتُ منهم فأنيت طالق، فحكى النقاشُ أنَّ رجلاً جاء إلى التُّرْمِذِيِّ فقال: إنَّ امرأتي قالت لي: يا سَفِلَةُ، فقلت: إن كنتُ سَفِلَةً فأنيت طالق. قال التُّرْمِذِيُّ: ما صناعتك؟ قال: سَمَّاكُ، قال: سَفِلَةُ واللَّهِ، سَفِلَةُ واللَّهِ.

قلت: وعلى ما ذكره ابنُ المبارك عن سفيانَ لا تَظْلُقُ، وكذلك على قول مالك وابنِ الأعرابي لا يَلْزَمُهُ شيء.

قوله تعالى: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾. أي: ظاهر الرأي، وباطنهم على خلاف ذلك^(٤). يقال: بدا يبدو: إذا ظهر، كما قال:

فاليوم حين بَدَوْنَ لِلنُّظَارِ^(٥)

ويقال للبرية: بادية؛ لظهورها. وبدا لي أن أفعل كذا، أي: ظهر لي رأي غير

(١) ربيع الأبرار ٤٦٧/٢، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦٩٣٣) عن مالك بن أنس أنه هو المسؤول.

(٢) ذكر الخبرين السالفين الزمخشري في ربيع الأبرار ٤٨٧/٢ و ٤٦٨.

(٣) ربيع الأبرار ٤٦٨/٢.

(٤) الوجيز للواحد (على هامش مراح لبید) ص ٣٨٣، والمعنى: اتبعوك في ظاهر أمرهم، وعسى أن تكون بواطنهم ليست معك. البحر ٢١٥/٥. وقال الفارسي في الحجة ٣١٧/٤: المعنى: وما اتبعك إلا الأراذل فيما ظهر لهم من الرأي، أي: لم يتعقبوه بنظر فيه ولا تبين له.

(٥) وصدده: قد كنَّ يَخْبَأْنَ الوجوه تَسْتُرًا، وقائله الربيع بن زياد كما في الأغاني ١٩٦/٧، والتعازي والمراثي للمبرد ص ٢٨٠، وشروح سقط الزند ٥٢/١، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢٦/٣، وفيه: بَرَزْنَ، بدل: بَدَوْنَ.

الأول. وقال الأزهرى^(١): معناه: فيما يبدو لنا من الرأي. ويجوز أن يكون «بإدري الرأي» من بدأ يبدأ، وحذف الهمزة.

وحقق أبو عمرو الهمزة فقرا: «بإدري الرأي»^(٢) أي: أوّل الرأي، أي: اتّبعوك حين ابتدؤوا ينظرون، ولو أمعنوا النّظر والفكر لم يتبعوك. ولا يختلف المعنى هاهنا بالهمز وترك الهمز^(٣). وانتصب على حذف «في»، كما قال عز وجل: ﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]^(٤).

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي: في أتباعه، وهذا جحد منهم لنبوته ﷺ. ﴿بَلْ نَقُصُّكُمْ كَذِبًا﴾ الخطاب لنوح ومن آمن معه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ يَتَقَوَّمُ مِن رَّبِّي وَمَا لِي مِن عِندِهِ فَمُحِبَّتٍ عَلَيْكُمْ أَنَا لَمْ أَكُنْ مَكْمُومًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ﴾ ٢٨ ﴿وَيَتَقَوَّمُ لَا أَسْتَلْكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ ٢٩ ﴿وَيَتَقَوَّمُ مِن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٣٠ ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّيِّنٌ عَلَىٰ الضَّالِّينَ﴾ ٣١

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ يَتَقَوَّمُ مِن رَّبِّي﴾ أي: على يقين؛ قاله أبو عمران الجوني^(٥). وقيل: على معجزة، وقد تقدّم في «الأنعام» هذا المعنى^(٦).

(١) في تهذيب اللغة ٢٠٣/٤.

(٢) السبعة ص ٣٣٢، والتيسير ص ١٢٤.

(٣) وقال الفارسي في الحجة ٣١٧/٤ - ٣١٨: وابتداء الشيء يكون ظهوراً، وإن كان الظهور قد يكون ابتداءً وغير ابتداءً، فلذلك تُستعمل كل واحدة من الكلمتين في موضع الأخرى.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٠/٢.

(٥) أورده عنه الماوردي في النكت والعيون ٤٦٥/٢ بلفظ: على ثقة. بدل: على يقين. وكذا أخرجه عنه ابن أبي حاتم ٢٠٢٣/٦ (١٠٨١٧).

(٦) ٣٩٨/٨.

﴿وَالَّذِينَ رَحِمَهُ مِّنْ عِندِهِ﴾ أي: نبوة ورسالة؛ عن ابن عباس^(١)؛ وهي رحمة على الخلق. وقيل: الهداية إلى الله بالبراهين. وقيل: الإيمان^(٢) والإسلام.

﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عميت عليكم الرسالة والهداية فلم تفهموها. يقال: عميت عن كذا، وعمي عليّ كذا، أي: لم أفهمه. والمعنى: فعُميت الرحمة. فقيل: هو مقلوب؛ لأن الرحمة لا تعمى إنما تعمى عنها، فهو كقولك: أدخلت القلنسوة في رأسي^(٣)، ودخل الخف في رجلي.

وقراها الأعمش وحمزة والكسائي: ﴿فَعُمِيَّتْ﴾ بضم العين وتشديد الميم على ما لم يُسم فاعله^(٤)، أي: فعماها الله عليكم، وكذا في قراءة أبي: «فَعَمَّاها»؛ ذكرها الماوردي^(٥).

﴿أَنزَلْنَاهُكُمْوهَا﴾ قيل: شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل: الهاء ترجع إلى الرحمة. وقيل: إلى البيئة، أي: أنزلكم قبولها، وأوجبها عليكم^(٦)؟! وهو استفهام بمعنى الإنكار، أي: لا يمكنني أن أضطرّكم إلى المعرفة بها، وإنما قصّد نوح عليه السلام بهذا القول أن يردّ عليهم.

وحكى الكسائي والفرّاء^(٧): «أَنزَلْنَاهُكُمْوهَا» بإسكان الميم الأولى تخفيفاً، وقد

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤٦٦/٢ .

(٢) في (م): بالإيمان.

(٣) في (د) و(ف) و(م): أدخلت في القلنسوة رأسي، وفي (ظ): أدخلت القلنسوة رأسي، وسقط هذا الموضع من (خ) و(ز)، والمثبت من الحجة للفارسي ٣٢٢/٤ والكلام منه، والمحزر الوجيز ١٦٤/٣ ، والبحر ٢١٦/٥ ، والدر المصون ٣١٤/٦ . وقال مكّي في الكشف عن وجوه القراءات ٥٢٧/١ : ويجوز أن يكون معنى «عميت»: خُفِيَتْ، فلا يكون فيه قلب.

(٤) وهي قراءة عاصم من رواية حفص أيضاً. السبعة ص ٣٣٢ ، والتيسير ص ١٢٤ . وذكرها عن الأعمش الفرّاء في معاني القرآن ١٢/٢ .

(٥) في النكت والعيون ٤٦٦/٢ ، وذكرها أيضاً الفرّاء في معاني القرآن ١٢/٢ ، وابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٥٩ . وذكرها الطبري ٣٨٢/١٢ عن ابن مسعود .

(٦) ذكر هذا القول والذي قبله الماوردي في النكت والعيون ٤٦٦/٢ .

(٧) في معاني القرآن ١٢/٢ ، ونقله المصنف عنه وعن الكسائي بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢٨٠/٢ .

أجاز مثلَ هذا سييويه، وأنشد:

فاليومَ أشربَ غيرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ^(١)
وقال النحاس^(٢): ويجوزُ على قول يونس [في غير القرآن]: أنلزمُكُمها، يُجري
المضمرُ مُجرى المُظْهَر؛ كما تقول: أنلزمُكُم ذلك.

﴿وَأَنْتَ لَهَا كَرِهُونَ﴾ أي: لا يصحُّ قبولُكم لها مع الكراهة عليها. قال قتادة: والله
لو استطاع نبيُّ الله نوحٌ عليه السلام لألزمها قومه، ولكنه لم يملك ذلك^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَيَنْقُورُ لَا أَشْتَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على التبليغ، والدعاء إلى الله،
والإيمان به، أجراً، أي: ﴿مَا لَا﴾ فينقل عليكم. ﴿إِنْ أَجَرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: ثوابي في
تبليغ الرسالة. ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ سألوه أن يطرد الأراذل الذين آمنوا به،
كما سألت قريش النبي ﷺ أن يطرد الموالى والفقراء، حسب ما تقدّم في «الأنعام»
بيانه^(٤). فأجابهم بقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُّوا رَبِّهِمْ﴾ يحتملُ أن
يكون قال هذا على وجه الإعظام لهم بقاء الله عز وجل، ويحتملُ أن يكون قاله على
وجه الاختصاص، أي: لو فعلتُ ذلك لخاصموني عند الله، فيجازيهم على إيمانهم،
ويجازي من طردهم. ﴿وَلَكِنَّتِ أَرْكَزُ قَوْمًا فَجْهَلُونَ﴾ في استردالكم لهم، وسؤالكم
طردهم^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَيَنْقُورُ مَنْ يَصْرُفُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ قال الفراء^(٦): أي: يمنعني من عذابه.
﴿إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ أي: لأجل إيمانهم. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أدغمت التاء في الذال. ويجوز

(١) الكتاب ٢٠٤/٤، والبيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ١٢٢ برواية: فاليوم أسقى. وسلف ١١٢/٢.

(٢) في إعراب القرآن ٢٨/٢، وما قبله وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٣) النكت والعيون ٤٦٦/٢، وقول قتادة أخرجه الطبري ٣٨٣/١٢. وابن أبي حاتم ٢٠٢٣/٦ (١٠٨١٩).

(٤) ٣٨٧/٨ وما بعدها.

(٥) النكت والعيون ٤٦٧/٢.

(٦) في معاني القرآن ١٣/٢.

حذفها فتقول: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ أخبر بتدليله وتواضعه لله عز وجل، وأنه لا يدعي ما ليس له من خزائن الله، وهي إنعامه على من يشاء من عباده. وأنه لا يعلم الغيب؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله عز وجل.

﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أي: لا أقول إن منزلتي عند الناس منزلة الملائكة. وقد قالت العلماء: الفائدة في الكلام: الدلالة على أن الملائكة أفضل من الأنبياء؛ لدوامهم على الطاعة، واتصال عبادتهم إلى يوم القيامة، صلوات الله عليهم أجمعين^(٢). وقد تقدّم هذا المعنى في «البقرة»^(٣).

﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ أي: تستقل^(٤) وتحقر أعينكم، والأصل: تزدريهم، حذفت الهاء والميم لطول الاسم. والدال مبدلة من تاء؛ لأن الأصل في تزدري: تَزَرِّي، ولكن الثاء تُبدل بعد الزاي دالاً؛ لأن الزاي مجهورة والثاء مهموسة، فأبدل من الثاء حرف مجهور من مخرجها^(٥). ويقال: أزرَيْت عليه: إذا عبته، وزرَيْت عليه: إذا حقرته^(٦). وأنشد الفراء:

يُبَاعِدُهُ الصَّدِيقُ وَتَزْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ^(٧)

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٠، وقرأ «تَذَكَّرُونَ» بتخفيف الذال حيث وقع إذ كان بالثاء، حفص وحزمة والكسائي، وشُدَّها الباقون. التيسير ص ١٠٨، وينظر السبعة ص ٢٧٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٠ - ٢٨١.

(٣) ٤٣٠/١ وما بعدها.

(٤) في (م): تستقل.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨١.

(٦) ينظر الكامل للمبرد ٢/ ٥٠٦، والنكت والعيون ٢/ ٤٦٨.

(٧) البيت لعروة بن الورد، وهو في ديوانه ص ٩١، وعيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٢٤٢، والبيان والتبيين ٢٣٤/١ برواية: وَيَقْصِي فِي التَّدْيِ وَتَزْدَرِيهِ...، وفي العقد الفريد ٣/ ٢٩ برواية: يباعده القريب...، وهو في النكت والعيون ٢/ ٤٦٨ موافق لرواية المصنف.

﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ أي: ليس لاحتقاركم لهم تبطل أجورهم، أو ينقص ثوابهم. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فيجازيهم عليه ويؤاخذهم به. ﴿إِنِّي إِذَا لَيِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن قلت هذا الذي تقدم ذكره^(١). و«إذا» ملغاة؛ لأنها متوسطة^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَإِنَّا بِمَا نَعْدَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣١) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٢) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٣) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَائِي وَأَنَا بِرِيءٌ (٣٤) مِمَّا يُخْتَرُونَ (٣٥)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرْتَ جِدْلَنَا﴾ أي: خاصمتنا فاكثرت خصومتنا وبالغت فيها. والجدل في كلام العرب: المبالغة في الخصومة، مشتق من الجدل، وهو شدة القتال. ويقال للصقر أيضاً: أجدل؛ لشدة في الطير^(٣)، وقد مضى هذا المعنى في «الأنعام»^(٤) بأشبع من هذا. وقرأ ابن عباس: «فأكثرت جدلنا». ذكره النحاس^(٥).

والجدل في الدين محمود؛ ولهذا جادل نوح والأنبياء قومهم حتى يظهر الحق، فمن قبله أنجح وأفلح، ومن رده خاب وخسر. وأمّا الجدال لغير الحق حتى يظهر الباطل في صورة الحق فمذموم، وصاحبه في الدارين ملوم.

﴿فَأَيْنَا بِمَا نَعْدَا﴾ أي: من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قولك.

(١) النكت والعيون ٤٦٨/٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٨١/٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤٩/٣ وفيه: لأنه من أشد الطير، وإعراب القرآن للنحاس ٢٨١/٢، وعنه نقل المصنف.

(٤) ١٧/٩.

(٥) في إعراب القرآن ٢٨١/٢، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٠، وابن جني في المحتسب ٣٢١/١ عن ابن عباس وأيوب السخيتاني.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ أي: إن أراد إهلاككم عذبكم. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بفاتنين^(١). وقيل: بغالين بكثرتكم؛ لأنهم أعجبوا بذلك؛ كانوا ملؤوا الأرض سهلاً وجبلاً على ما يأتي^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ أي: إبلاغي واجتهادي في إيمانكم ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ﴾ أي: لأنكم لا تقبلون نصحاً، وقد تقدّم في «براءة»^(٣) معنى النصيح لغة. ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: يُضِلَّكُمْ. وهذا مما يدل على بطلان مذهب المعتزلة والقدرية ومن وافقهما؛ إذ زعموا أن الله تعالى لا يريد أن يعصي العاصي، ولا يكفر الكافر، ولا يغوي الغاوي، وأنه يفعل ذلك والله لا يريد ذلك؛ فردّ الله عليهم بقوله: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾. وقد مضى هذا المعنى في «الفتاحة» وغيرها^(٤). وقد أكدّوا شيخهم اللعين إبليس على ما بيّناه في «الأعراف»^(٥) في إغواء الله تعالى إياه حيث قال: ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦]، ولا محيص لهم عن قول نوح عليه السلام: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾، فأضاف إغواءهم إلى الله سبحانه وتعالى؛ إذ هو الهادي والمُضِلُّ، سبحانه عمّا يقول الجاحدون والظالمون علواً كبيراً. وقيل: «أَنْ يُغْوِيَكُمْ»: يهلككم؛ لأن الإضلال يُفضي إلى الهلاك. الطبري^(٦): «يُغْوِيَكُمْ»: يهلككم بعذابه؛ حُكي عن طيئ: أصبح فلان غاوياً، أي: مريضاً، وأغويته: أهلكته، ومنه: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ فإليه الإغواء، وإليه الهداية. ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تهديد ووعد. قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ يعنون النبي ﷺ. افتري: افتعل، أي: اختلق

(١) تفسير البغوي ٣٨١/٢.

(٢) ص ١١٠ من هذا الجزء.

(٣) ٢٢٦/٨.

(٤) ٢٣٠/١ و ٢٨٥، و ٣١/٥، وغيرها.

(٥) ١٧١/٩ - ١٧٢.

(٦) في تفسيره ٣٨٩/١٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في معاني القرآن ٣/٣٤٥.

القرآن من قِبَل نفسه، وما أَخْبَرَ به عن نوح وقومه؛ قاله مقاتل^(١).

وقال ابن عباس: هو من محاورَةِ نوح لقومه^(٢). وهو أظهر؛ لأنه ليس قَبْلَهُ ولا بعْدَهُ إلا ذِكْرُ نوح وقومه، فالخطابُ منهم ولهم.

﴿قُلْ إِنْ أَنْفَرْتُمْ﴾ أي: اختلقته وافتعلته، يعني الوحي والرسالة. ﴿فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾ أي: عقابُ إجرامي. وإن كنتُ مُحِقًّا فيما أقوله فعليكم عقابُ تكذبي. والإجرامُ مصدرُ أَجْرَمَ؛ وهو اقترافُ السيئة. وقيل: المعنى: أي جزاءُ جُرْمي وكَسْبي. وجَرَمَ وأَجْرَمَ بمعنى، عن النحاس وغيره^(٣). قال:

طَرِيدٌ عَشِيرَةٌ وَرَهِيْنٌ جُرْمٌ بِمَا جَرَمْتَ يَدِي وَجَنَى لِسَانِي^(٤)
وَمَنْ قَرَأَ: «أَجْرَامِي» بفتحِ الهمزة؛ ذهبَ إلى أنه جمعُ جُرْمٍ؛ وذكره النحاس أيضاً^(٥). «وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُجْرِمُونَ» أي: من الكفر والتكذيب.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا يَتَّبِعُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وَأَصْنَعَ أَلْفُكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ «أنه» في

(١) ذكره البغوي ٣٨١/٢، وقال بهذا القول أيضاً الطبري ٣٨٩/١٢، والماوردي في النكت والعيون ٤٦٨/٢.

(٢) ذكره البغوي ٣٨١/٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٨١/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٤٩/٣.

(٤) قاله الهيثميُّ كما في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٨٨/١ برواية: ورهين ذنب، وهو في النكت والعيون ٤٦٨/٢ دون نسبة موافق لرواية المصنف. وذكره أبو الفرج في الأغاني ١٩١/٢ عن الشاعر الثوري برواية:

طريد عشيرة وطريد حرب بما اجترمت يدي...

(٥) في معاني القرآن ٣٤٦/٣، ومعاني القرآن للفراء ١٣/٢، وللزجاج ٤٩/٣، وذكر الفراء ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٠ عن الفراء.

موضع رفع على أنه اسم ما لم يُسم فاعله. ويجوز أن يكون في موضع نصب، ويكون التقدير: بأنه^(١). و«آمن» في موضع نصب بـ «يؤمن»^(٢). ومعنى الكلام الإيأس من إيمانهم، واستدامة كفرهم، تحقيقاً لنزول الوعيد بهم. قال الضحّاك: فدعا عليهم لما أخبر بهذا فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَبَابًا﴾ الآيتين [نوح: ٢٦-٢٧]^(٣).

وقيل: إن رجلاً من قوم نوح حمل ابنه على كتفه، فلما رأى الصبي نوحاً قال لأبيه: أعطني حجراً؛ فأعطاه حجراً، ورمى به نوحاً عليه السلام فأدماه؛ فأوحى الله تعالى إليه: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾^(٤).

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي فلا تغتم بهلاكهم حتى تكون بائساً، أي: حزينا. والبؤس: الحزن، ومنه قول الشاعر:

وكم من خليلٍ أو حميمٍ رزئته فلم أبتئس والرؤ فيه جليل^(٥)

يقال: ابتأس الرجل: إذا بلغه شيء يكرهه. والابتأس: حُزن في استكانة.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا﴾ أي: اعمل السفينة لتركبها أنت ومن آمن معك. «بأعيننا» أي: بمرأى منا وحيث نراك^(٦). وقال الربيع بن أنس: بحفظنا، [والتأويل: بحفظنا] إياك حفظ من يراك^(٧). وقال ابن عباس رضي الله عنهما:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٢.

(٢) كذا قال المصنف رحمه الله، والواقع أن قوله: «آمن»، صلة الموصول، وقوله: «مَنْ قَدْ آمَنَ» في موضع رفع بـ «يؤمن». ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٢، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٣٦١، وإملاء العكبري ٣/ ٢٧٣ (بهاش الفتحاح الإلهية).

(٣) النكت والعيون ٢/ ٤٦٩، وأخرج خبر الضحّاك الطبري ١٢/ ٣٩١.

(٤) ذكر الثعلبي في عرائس المجالس ص ٥٦، والبيهقي ٢/ ٣٨٢، وابن الجوزي ٤/ ١٠١ قصة بمعنى هذه القصة، ولم تقف عليها بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف.

(٥) النكت والعيون ٢/ ٤٦٩، وذكره أبو حيان ٥/ ٢٢٠ برواية: نبئتس، بدل: أبتئس.

(٦) ينظر النكت والعيون ٢/ ٤٦٩، وتفسير البيهقي ٢/ ٣٨٢. وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ١٦٦: يريد: بمرأى منا وتحت إدراك، فتكون عبارة عن الإدراك والرعاية والحفظ.

(٧) الوسيط ٢/ ٥٧٢، وما سلف بين حاصرتين منه، وذكر خبر الربيع أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٠١.

بحراستنا، والمعنى واحد.

فَعَبَّرَ عن الرؤية بالأعين؛ لأنَّ الرؤية تكونُ بها^(١). ويكون جمعُ الأعينِ للعظمة لا للتكثير؛ كما قال تعالى: ﴿فَتَنَّمَ الْفُتُورُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣] ﴿فَتَنَّمَ الْكُتُورُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨] ﴿وَأَنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]. وقد رجع^(٢) معنى الأعينِ في هذه الآية وغيرها إلى معنى عين؛ كما قال: ﴿وَلِصْنَعِ عَلَيَّ عَيْنٍ﴾ [طه: ٣٩]، وذلك كله عبارة عن الإدراك والإحاطة، وهو سبحانه منزّه عن الحواسِّ والتشبيه والتكييف، لا ربَّ غيره.

وقيل: المعنى: «بِأَعْيُنِنَا»، أي: بأعين ملائكتنا الذين جعلناهم عيوناً على حفظك ومعونتك، فيكون الجمعُ على هذا التكثير على بابه.

وقيل: «بِأَعْيُنِنَا» أي: بعلمنا؛ قاله مقاتل^(٣). وقال الضَّحَّاك وسفيان: «بِأَعْيُنِنَا»: بأمرنا. وقيل: بوَحِينَا. وقيل: بمعونتنا لك على صنْعها. «وَوَحِينَا» أي: على ما أوحينا إليك من صنعتها. ﴿وَلَا تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ أي: لا تطلب إمهالهم فإنني مُغْرَقُهُمْ.

قوله تعالى: ﴿وَصْنَعُ الْفُلْكِ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُوتُ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَصْنَعُ الْفُلْكِ﴾ أي: وطَفِقَ يصنع. قال زيد بن أسلم: مكث

(١) النكت والعيون ٤٦٩/٢، وحق هذا الكلام أن يذكر إثر أول قول ذكره المصنف، وهو قوله: بمرأى منا، وكذا ذكره الماوردي.

(٢) في (د) و(ز) و(ف) و(م): وقد يرجع، والمثبت من (ط). ووقع في المحرر الوجيز ١٦٩/٣ (والكلام منه): فرجع.

(٣) تفسير البغوي ٣٨٢/٢.

نوحٌ ﷺ مِئَةَ سَنَةٍ يَغْرِسُ الشَّجَرَ وَيَقْطَعُهَا وَيُيَسِّسُهَا، وَمِئَةَ سَنَةٍ يَعْمَلُهَا^(١).

وروى ابنُ القاسم عن ابنِ أشرسَ عن مالكٍ قال: بلغني أنَّ قومَ نوحٍ مَلَّؤُوا الأرضَ، حتَّى مَلَّؤُوا السَّهْلَ والجبلَ، فما يستطيع هؤلاء أن ينزلوا إلى هؤلاء، ولا هؤلاء أن يصعدوا إلى هؤلاء، فمكث نوحٌ يغرس الشجرَ مئةَ عامٍ لعملِ السفينة، ثم جمعها يُيَسِّسُهَا مئةَ عامٍ، وقومُه يسخرون، وذلك لما رأوه يصنعُ من ذلك؛ حتَّى كان من قضاء الله فيهم ما كان^(٢).

وروي عن عمرو بن الحارث قال: عملَ نوحٌ سفينته ببقاعِ دمشق، وقطع خشبها من جبل لبنان^(٣).

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: لَمَّا استنقذ الله سبحانه وتعالى مَنْ فِي الْأَصْلَابِ والأرحام من المؤمنين أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنَّهُ لَنْ يُؤْمَنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ، فَاصْنَعِ الْفُلْكَ. قال: يا رب! ما أنا بنَجَّار. قال: بلى، فَإِنَّ ذَلِكَ بَعِينِي. فَأَخَذَ الْقُدُومَ فَجَعَلَهُ بِيَدِهِ، وَجَعَلَتْ يَدُهُ لَا تُخْطِئُ، فَجَعَلُوا يَمْرُونَ بِهِ وَيَقُولُونَ: هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ صَارَ نَجَّاراً؛ فَعَمِلَهَا فِي أَرْبَعِينَ سَنَةً^(٤).

وحكى الثعلبي وأبو نصر القشيري عن ابن عباس قال: اتخذَ نوحٌ السفينةَ فِي سَنَتَيْنِ^(٥). زاد الثعلبي: وذلك لأنه لم يعلم كيف صنعَةُ الْفُلْكَ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْهَا كَجَوْجُؤِ الطَّائِرِ^(٦). وقال كعب^(٧): بناها في ثلاثين سنة، واللَّهُ أَغْلَمُ. الْمَهْدَوِيُّ: وجاء في الخبر أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تُعَلِّمُهُ كَيْفَ يَصْنَعُهَا.

(١) النكت والعيون ٢/٤٧٠، وأخرجه ابن أبي حاتم ٦/٢٠٢٦ (١٠٨٤٦).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٤٥ - ١٠٤٦.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/١٧٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٤٦. وأخرجه ابن أبي حاتم ٦/٢٠٢٧ (١٠٨٤٧) عن كعب الأحبار.

(٥) ذكره البغوي ٢/٣٨٢.

(٦) أخرجه الطبري ١٢/٣٩٢، وابن أبي حاتم ٦/٢٠٢٥ (١٠٨٣٣). والجوؤ: الصدر. النهاية (جؤجؤ).

(٧) هو كعب الأحبار، وكلامه في تفسير البغوي ٢/٣٨٣.

واختلفوا في طولها وعرضها؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان طولها ثلاث مئة ذراع، وعرضها خمسون، وسمكها ثلاثون ذراعاً، وكانت من خشب الساج^(١). وكذا قال الكلبي وقتادة وعكرمة: كان طولها ثلاث مئة ذراع. والدراع إلى المنكب؛ قاله سلمان الفارسي^(٢).

وقال الحسن البصري: إن طول السفينة ألف ذراع ومئتا ذراع، وعرضها ست مئة ذراع^(٣).

وحكى^(٤) الثعلبي في كتاب «العرائس»^(٥): روى علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: قال الحواريون لعيسى عليه السلام: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة يحدثنا عنها. فانطلق بهم حتى انتهى إلى كتيب من تراب، فأخذ كفاً من ذلك التراب، قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: هذا قبر سام بن نوح^(٦)، قال: ف ضرب الكتيب بعصاه وقال: قم بإذن الله، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب^(٧)، فقال له عيسى: أهكذا هلكت؟ قال: لا، بل ميت وأنا شاب، ولكنني ظننت أنها الساعة، فمن ثم شبت. قال: أخبرنا عن سفينة نوح؟ قال: كان طولها ألف ذراع ومئتي ذراع، وعرضها ست مئة ذراع، وكانت ثلاث طبقات؛ طبقة فيها الدواب والوحش، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير. وذكر باقي الخبر

(١) تفسير البغوي ٣٨٢/٢، وأخرجه الطبري ٣٩٤/١٢ عن قتادة. والساج: شجر يعظم جداً، ويذهب طولاً وعرضاً، يتغطى الرجل بورقة منه فتكنه من المطر. اللسان (سج).

(٢) أخرجه الطبري ٤٠٠/١٢.

(٣) أخرجه الطبري ٣٩٥/١٢.

(٤) في (ز) و(ظ) و(ف) و(م): وحكاه، والمثبت من (د).

(٥) ص ٦٠، وأخرجه الطبري في التفسير ٣٩٥/١٢، وفي التاريخ ١٨١/١.

(٦) في العرائس: هذا سام بن نوح، وفي تفسير الطبري: هذا كعب حام بن نوح، وفي التاريخ: هذا قبر حام بن نوح.

(٧) في النسخ الخطية: وقد شاخ، والمثبت من (م) والمصادر.

على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى^(١).

وقال الكلبي فيما حكاه النقاش: ودخل الماء فيها أربعة أذرع، وكان لها ثلاثة أبواب؛ باب في السباع والطير، وباب في الوحش، وباب في الرجال والنساء.

ابن عباس: جعلها ثلاث بطون؛ البطن الأسفل للوحوش والسباع والدواب، والأوسط للطعام والشراب، وربّ هو في البطن الأعلى، وحمل معه جسد آدم عليه السلام معترضاً بين الرجال والنساء^(٢)، ثم دفنه بعدُ ببيت المقدس، وكان إبليس معهم في الكوثر^(٣).

وقيل: جاءت الحية والعقرب لدخول السفينة، فقال نوح: لا أحملكما؛ لأنكما سبب المضرر والبلاء، فقالتا: احملنا فنحن نضمن لك ألا نضر أحداً ذكرك. فَمَن قرأ حين يخاف مضرتهما: ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْغَلَمَيْنِ﴾ [الصافات: ٧٩] لم تضرّاه^(٤)؛ ذكره القشيري وغيره.

وذكر الحافظ ابن عساكر في «التاريخ» له مرفوعاً من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قال حين يُمسي: صَلَّى الله على نوح، وعلى نوح السلام، لم تلدغه عقرب تلك الليلة»^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّمَا﴾ ظرف ﴿مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ قال الأخفش

(١) ص ١٢١ من هذا الجزء. قال أبو حيان في البحر ٢٢١/٥: اختلفوا في هيتها من الترييع والطول، وفي مقدار مدة عملها، وفي المكان الذي عملت فيه، ومقدار طولها وعرضها، على أقوال متعارضة لم يصح منها شيء. وقال الرازي ٢٢٤/١٧: اعلم أن أمثال هذه المباحث لا تعجبن؛ لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها البتة، ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلاً.

(٢) قوله: وحمل معه جسد آدم... جزء من خبر أخرجه الطبري في التاريخ ١٨٥/١ عن طريق الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس، وما قبله ذكره عن ابن عباس البغوي ٣٨٣/٢.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ١٧١/٣. والكوثر: مؤخر السفينة. اللسان (كث).

(٤) تفسير البغوي ٣٨٤/٢.

(٥) تاريخ ابن عساكر ٢٥٦/٦٢، وأخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل ٤٤٠/٢، وفيه بشر بن نمير، قال فيه الحافظ في التريب: متروك متهم.

والكسائي يقال: سَخَرْتُ به ومنه^(١).

وفي سخريتهم منه قولان: أحدهما: أنهم كانوا يرونه يبني سفينة في البر، فيسخرون به ويستهزئون ويقولون: يا نوح، صرت بعد النبوة نجاراً.

الثاني: لما رآوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بُنيت قالوا: يا نوح ما تصنع؟ قال: أبني بيتاً يمشي على الماء. فعجبوا من قوله وسخروا منه. قال ابن عباس: ولم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر؛ فلذلك سخروا منه، ومياه البحار هي بقية الطوفان^(٢).

﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا﴾ أي: من فعلنا اليوم عند بناء السفينة ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ غداً عند الغرق. والمراد بالسخرية هنا: الاستجهاؤ؛ ومعناه: إِنَّ تَسْتَجْهَلُونَا فَإِنَّا نَسْتَجْهَلُكُمْ كما تستجهلونا^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ تهديد، و«مَن» مَبْصَلَةٌ بـ «سوف تعلمون»، و«تعلمون» هنا من باب التعدية إلى مفعول، أي: فسوف تعلمون الذي يأتيه العذاب. ويجوز أن تكون «مَن» استفهامية؛ أي: أئنا يأتيه العذاب؟ وقيل: «مَن» في موضع رفع بالابتداء^(٤)، و«يأتيه» الخبر، و«يُخْزِيهِ» صفة لـ «عذاب».

وحكى الكسائي: أَنَّ أناساً من أهل الحجاز يقولون: سَوْ تعلمون، وقال: مَن قال: «ستعلمون» أسْقَطَ الواوَ والفاء جميعاً. وحكى الكوفيون: سَفَ تعلمون، ولا

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٢.

(٢) كذا نقل المصنف عن الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٤٧١، وهو مخالف لصريح النقل، وفي نسبه لابن عباس نظر.

(٣) النكت والعيون ٢/ ٤٧١، وذكره أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ١٧١. وقال: إلا أن التصريف يضعفه.

(٤) كذا وقع في النسخ، والواقع أن «مَن» في موضع رفع بالابتداء، وذلك على أنها استفهامية، فلعل الصواب حذف لفظة «قيل» في قوله: وقيل: «مَن» في موضع رفع... وتكون العبارة: و«مَن» في موضع رفع... ينظر تفسير الرازي ١٧/ ٢٢٤ - ٢٢٥، والبحر المحيط ٥/ ٢٢٢.

يعرف البصريون إلا سوف تفعل، وستفعل، لغتان ليست إحداهما من الأخرى^(١).
﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ أي: يجب عليه وينزل به. ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: دائم، يريد عذاب
الآخرة.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَهْرَاقًا وَفَارَ التُّنُورُ﴾ اختلَف في التَّنَوُّر على أقوال سبعة:
الأول: أنه وجه الأرض، والعرب تسمي وجه الأرض تنوراً؛ قاله ابن عباس
وعكرمة والزهرى وابن عيينة، وذلك أنه قيل له: إذا رأيت الماء على وجه الأرض
فاركب أنت ومن معك^(٢).

الثاني: أنه تنور الخبز الذي يُخبز فيه، وكان تنوراً من حجارة، وكان لحواء حتى
صار لنوح، فقيل له: إذا رأيت الماء يفور من التنور؛ فاركب أنت وأصحابك. وأنبع
الله الماء من التنور، فعلمت به امرأته، فقالت: يا نوح، فار الماء من التنور، فقال:
جاء وعد ربي حقاً. هذا قول الحسن، وقاله مجاهد، وعطية عن ابن عباس^(٣).

الثالث: أنه موضع اجتماع الماء في السفينة؛ عن الحسن أيضاً^(٤).

الرابع: أنه طلوع الفجر، ونور الصباح؛ من قولهم: نورَ الفجر تنويراً؛ قاله علي
ابن أبي طالب^(٥).

الخامس: أنه مسجد الكوفة؛ قاله علي بن أبي طالب أيضاً^(٦)، وقاله مجاهد.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٢، وينظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٦٤٦ - ٦٤٧.

(٢) النكت والعيون ٢/ ٤٧٢، وأخرجه عن ابن عباس وعكرمة الطبري ١٢/ ٤٠١ - ٤٠٢، وذكره عن
الزهرى البغوي ٢/ ٣٨٣.

(٣) أخرج هذه الأخبار الطبري ١٢/ ٤٠٤ - ٤٠٥، وعطية هو العوفي.

(٤) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ١٧١.

(٥) أورده النحاس في معاني القرآن ٣/ ٣٤٨، والماوردي في النكت والعيون ٢/ ٤٧٢، وأخرجه الطبري
١٢/ ٤٠٢ - ٤٠٣.

(٦) أورده أبو الليث ٢/ ١٢٦، والماوردي في النكت والعيون ٢/ ٤٧٢، وأخرجه الطبري ١٢/ ٤٠٦ عن
الشعبي. وأخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٨ (١٠٨٥٦) عن محمد بن علي.

قال مجاهد: كان ناحية التَّنُور بالكوفة. وقال: اتخذ نوحُ السفينةَ في جوف مسجد الكوفة، وكان التنورُ على يمين الدَّاخل مما يلي كِنْدَةَ. وكان فُورَانُ الماء منه عَلَمًا لنوح، ودليلاً على هلاك قومه^(١). قال الشاعرُ وهو أُمِيَّة:

فَار تَنْوَرُهُمْ وَجَاشَ بِمَاءٍ صَارَ فَوْقَ الْجِبَالِ حَتَّى عَلاهَا^(٢)

السادس: أنه أعالي الأرض، والمواضعُ المرتفعةُ منها؛ قاله قتادة^(٣).

السابع: أنه العينُ التي بالجزيرة «عين الوردة» رواه عكرمة^(٤). وقال مقاتل: كان ذلك تَنْوَرُ آدَمَ، وإنما كان بالشام بموضع يقال له: «عينُ وَرْدَةَ»^(٥). وقال ابن عباس أيضاً: فَارَ تَنْوَرُ آدَمَ بالهند^(٦).

قال النحاس^(٧): وهذه الأقوال ليست بمتناقضة؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أخبرنا أنَّ الماء جاء من السماء والأرض؛ قال: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١١، ١٢]. فهذه الأقوالُ تجتمعُ في أنَّ ذلك كان علامةً.

والفُورَانُ: الْعَلَيَانُ^(٨). والتَّنُورُ اسمُ أعجميٍّ عَرَبِيَّةُ الْعَرَبُ، وهو على بناء فَعْلٍ؛ لأنَّ أَضْلَّ بَنَاهُ: تَنَّرَ، وليس في كلام الْعَرَبِ نُونٌ قَبْلَ رَاءٍ^(٩).

(١) تفسير البغوي ٢/٣٨٣ - ٣٨٤، وعرائس المجالس ص ٥٧.

(٢) النكت والعيون ٢/٤٧٢، وأُمِيَّة هو ابن أبي الصلت، والبيت في ديوانه ص ١٤٩ برواية: طَمْ، بدل: صار.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/٤٠٤.

(٤) النكت والعيون ٢/٤٧٢ وأخرجه ابن أبي حاتم ٦/٢٠٢٩ (١٠٨٩٥) من طريق عكرمة عن ابن عباس. وعين الوردة: هو رأسُ عين، المدينةُ المشهورة بالجزيرة. وبقرها يقع جبل طورزيتا عند قنطرة الخابور. ينظر معجم البلدان ٤/٤٧ و ١٨٠.

(٥) تفسير البغوي ٢/٣٨٤. وعرائس المجالس ص ٥٧.

(٦) تفسير البغوي ٢/٣٨٤، وأخرجه الطبري ١٢/٤٠٨ بلفظ: فار التنور بالهند.

(٧) في معاني القرآن ٣/٣٤٨ - ٣٤٩.

(٨) عرائس المجالس ص ٥٧، وتفسير البغوي ٢/٣٨٤.

(٩) ينظر تهذيب اللغة ١٤/٢٦٩ - ٢٧٠، ومقاييس اللغة ٣/٢٨.

وقيل : معنى : «فَارَ التَّنُورُ» : التمثيلُ لحضور العذاب ، كقولهم : حَمِيَ الوطيسُ :
إذا اشتدَّت الحرب. والوطيسُ : التنور. ويقال : فارت قَدْرُ القومِ : إذا اشتدَّ حربُهم^(١) ؛
قال شاعرهم :

تركتُم قَدْرَكُم لا شيءَ فيها وقَدْرُ القومِ حامِيَةٌ تَفُورُ^(٢)

قوله تعالى : ﴿قُلْنَا اخْلِفْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ يعني ذكراً وأنثى ؛ لبقاء
أصل النسل بعد الطوفان. وقرأ حفصٌ : ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ بنونين «كلٌّ» أي :
من كلِّ شيءٍ زوجين^(٣). والقراءتان ترجعان إلى معنى : واحد^(٤) معه آخرُ لا يستغني
عنه^(٥). ويقال للاثنيين : هما زوجان ، في كلِّ اثنين لا يستغني أحدهما عن صاحبه ؛
فإنَّ العربَ تسمي كلَّ واحدٍ منهما زوجاً^(٦). يقال : له زوجا نعلٍ ، إذا كان له نعلان.
وكذلك : عنده زوجا حمام ، وعليه زوجا قيود ، قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ
الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [النجم : ٤٥] ^(٧). ويقال للمرأة : هي زوجُ الرجل ، وللرجل : هو زوجها.

وقد يقال للاثنيين : هما زوج^(٨). وقد يكون الزوجان بمعنى الضَّربين ، والصَّنَفينِ ،
وكلُّ ضَرْبٍ يُدْعَى زوجاً ؛ قال الله تعالى : ﴿وَأَنبَتْنَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بَهِيحٍ﴾ [الحج : ٥]

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ١٧١ ، ومجمع البيان ١٢/ ١٥٧ . وقوله : حَمِيَ الوطيسُ ، أولُ مَنْ قال هذه
الكلمة رسول الله ﷺ في غزوة حنين ، قال : «هذا حين حمي الوطيس» أخرجه مطولاً أحمد (١٧٧٥) ،
ومسلم (١٧٧٥) . قال أبو العباس في المفهم ٣/ ٦١٧ : وهذه الاستعارة عجيبة لا يُعرف مَنْ تكلم بها
قبل النبي ﷺ من العرب ، ومنه تُلَقِّيْتُ فَضِيْرَتٍ مثلاً في الأمر إذا اشتد.

(٢) قائله جبل بن جَوَّال الثعلبي كما في سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٣ .

(٣) السبعة ص ٣٣٣ ، والتيسير ص ١٢٤ . قال الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٥١ : والمعنى واحدٌ في
الزوجين أَصْفَتْ أم لم تُصِفْ .

(٤) بعدها في (م) : شيء .

(٥) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٩ .

(٦) تفسير البغوي ٢/ ٣٨٤ .

(٧) تفسير الطبري ١٢/ ٤٠٨ . وذكره بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين .

(٨) الحجة للفارسي ٤/ ٣٢٥ ، وذكره عن أبي الحسن الأخفش .

أي: من كل لونٍ وصنف^(١). وقال الأعشى:

وكل زوجٍ من الذيباجِ يلبسه أبو قدامةً مخبوءٌ بذاك معاً^(٢)
أراد: كل ضربٍ ولون.

و«مِنْ كُلِّ ذَوْبَيْنٍ» في موضع نصبٍ بـ «احمل»^(٣). «اثنين» تأكيد «وأهلك»
أي: واحمل أهلك «إِلَّا مَنْ سَبَقَ» «مَنْ» في موضع نصبٍ بالاستثناء^(٤). «عَلَيْهِ الْقَوْلُ»
منهم، أي: بالهلاك، وهو ابنه كنعانُ وامرأته وإِبله؛ كانا كافرين^(٥). «وَمَنْ ءَامَنَ»
قال الضحَّاك وابن جريج: أي: احمل مَنْ آمَنَ بي، أي: مَنْ صدَّقَكَ، فـ «مَنْ» في
موضع نصبٍ بـ «احمل».

«وَمَنْ ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ» قال ابن عباس رضي الله عنهما: آمَنَ مِنْ قَوْمِهِ ثمانونَ
إنساناً^(٦). منهم ثلاثةٌ من بنيهِ: سامٌ وحامٌ ويافث، وثلاثٌ كنائِنَ له^(٧). ولَمَّا خرجوا
من السفينة بنوا قريةً وهي اليوم تُدعى قرية الثمانين بناحية الموصل^(٨).

وورد في الخبر: أنه كان في السفينة ثمانية أنفُس؛ نوحٌ وزوجته غيرُ التي
عوقبت، وبنيهِ الثلاثة وزوجاتهم. وهو قولُ قتادة والحَكَم بن عُتيبة وابن جريج

(١) ينظر تفسير الطبري ٤٠٨/١٢ ، والمحرم الوجيز ١٧١/٣ .

(٢) ديوان الأعشى ميمون بن قيس ص ١٥٧ ، وتفسير الطبري ٤٠٩/١٢ وهو فيهما برواية وفيهما: محبوا،
والبيت من قصيدة في مدح هود بن علي، وهو أبو قدامة.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٣/٢ .

(٤) المصدر السابق.

(٥) تفسير البغوي ٣٨٤/٢ ، والمحرم الوجيز ١٧٢/٣ وفيه: والعة، بدل: وإِبله. وقال ابن عطية: وقيل:
هو عموم في مَنْ لم يؤمن من قوم نوح وعشيرته.

(٦) أخرجه الطبري ٤١٢/١٢ .

(٧) تفسير الطبري ٤١١/١٢ ، وعرائس المجالس ص ٥٨ ، وتفسير البغوي ٣٨٤/٢ .

(٨) هي بليدة عند جبل الجودي قرب جزيرة ابن عمر التغلبي فوق الموصل. معجم البلدان ٨٤/٢ ، والخبر
أخرجه مطولاً ابن أبي حاتم ٢٠٣٢/٦ (١٠٨٨٢). عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ومحمد بن كعب^(١). فأصاب حام امرأته في السفينة، فدعا نوح الله أَنْ يُغَيِّرَ نَظْفَتَهُ فجاء بالسودان^(٢). قال عطاء: ودعا نوح على حام أَلَّا يَغْدُوَ شَعْرُ أولاده آذَانَهُمْ، وأنَّهُمْ حَيْثُمَا كَانَ وَلَدُهُ يكونون عبيداً لولد سام ويافث^(٣).

وقال الأعمش: كانوا سبعة: نوح، وثلاث كنائث، وثلاثة بنين^(٤)، وأسقط امرأة نوح. وقال ابن إسحاق: كانوا عشرة سوى نسائهم: نوح وبنوه سام وحام ويافث، وستة أناس ممن كان آمن به، وأزواجهم جميعاً^(٥).

و«قَلِيلٌ» رفع بـ «آمَنَ»، ولا يجوزُ نصبه على الاستثناء؛ لأنَّ الكلامَ قبله لم يتم، إِلَّا أنَّ الفائدة في دخول «إِلَّا» و«مَا»؛ أنك^(٦) لو قلت: آمَنَ معهُ فلانٌ وفلانٌ جاز أن يكونَ غيرُهُم قد آمنَ؛ فإذا جئت بما وإلَّا، أوجبتَ لما بعدَ إلَّا، ونفيتَ عن غيرِهِم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجْرِبُهَا وَنُرْسِلُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ٤٢ قَالَ سَتَأْتِيَ إِلَيَّ جَبَلٌ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ٤٣ وَقِيلَ يَتَازَرُ ابْنِي مَاءَكِ وَيَسْمَاكِ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾ أمرٌ بالركوب؛ ويَحْتَمِلُ أن يكونَ من الله تعالى،

(١) تفسير البغوي ٢/ ٣٨٤ دون ذكر الحكم، وأخرجه عن قتادة وابن جريج الطبري ١٢/ ٤١٠ - ٤١١. وأخرج عن الحكم قوله: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: نوح، وثلاثة بنيه، وأربع كنائث.

(٢) هذا تنمة خبر ابن جريج - المذكور في التعليق السابق - عند الطبري ١٢/ ٤١١.

(٣) عرائس المجالس ص ٦٢.

(٤) أخرجه الطبري ١٢/ ٤١١.

(٥) تفسير البغوي ٢/ ٣٨٤.

(٦) في النسخ: لأنك، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٣.

ويحتمل أن يكون من نوح لقومه. والركوب: العلو على ظهر الشيء. ويقال: ركب الدّين. وفي الكلام حذف، أي: اركبوا الماء في السفينة. وقيل: المعنى: اركبوها، و«في» للتأكيد؛ كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّعْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣] ^(١) وفائدة «في»: أنهم أمروا أن يكونوا في جوفها لا على ظهرها ^(٢).

قال عكرمة: ركب نوح عليه السلام في الفلك لعشر خلون من رجب، واستوت على الجوديّ لعشر خلون من المحرم، فذلك ستة أشهر. وقاله قتادة وزاد: وهو يوم عاشوراء، فقال لمن كان معه: من كان صائماً فليتم صومه، ومن لم يكن صائماً فليصمه ^(٣).

وذكر الطبري في هذا حديثاً عن النبي ﷺ: أن نوحاً ركب في السفينة أوّل يوم من رجب، وصام الشهر أجمع، وجرت بهم السفينة إلى يوم عاشوراء، ففيه أرسلت على الجوديّ، فصامه نوح ومن معه ^(٤).

وذكر الطبري عن ابن إسحاق ما يقتضي أنه أقام على الماء نحو السنة ^(٥). ومرت بالبيت فطافت به سبعا، وقد رفعه الله عن الغرق فلم ينله غرق، ثم مضت إلى اليمن، ورجعت إلى الجوديّ فاستوت عليه ^(٦).

قوله تعالى: ﴿يَسْمِ اللَّهَ يُجْرِبَهَا وَمُرْسَهَا﴾ قراءة أهل الحرمين وأهل البصرة بضم

(١) أي: إن كنتم تعبرون الرويا، فاللام صلة. ينظر المدهش لابن الجوزي ص ٣٣، وتاج العروس (عبر)، والبحر ٣١٢/٥.

(٢) ينظر تفسير الرازي ٢٢٨/١٧، والبحر ٢٢٤/٥، والدر المصون ٣٢٤/٦.

(٣) النكت والعيون ٤٧٣/٢ عن قتادة، وأخرجه عنه الطبري ٤٢٠/١٢، ولم نقف عليه عن عكرمة.

(٤) تفسير الطبري ٤١٩/١٢ - ٤٢٠ من طريق عبد العزيز بن عبد الغفور، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ، وذكره. قال الحافظ في الإصابة ٣٢٦/٧: وهذا مقلوب وفيه انقطاع، والصواب رواية عبد الغفور، عن أبيه عبد العزيز، عن أبيه سعيد. هذا من حيث السند، وإلا فرجاله ما بين ضعيف ومجهول.

(٥) المحرر الوجيز ١٧٥/٣.

(٦) أخرجه الطبري ٤٢٠/١٢ عن ابن جريج.

الميم فيهما إلا مَنْ شَذَّ [منهم] على معنَى: بسم الله إجراؤها وإرساؤها، فمُجْراها ومُرساها في موضع رفعٍ بالابتداء، ويجوز أن تكونَ في موضع نصب، ويكونُ التقدير: بسم الله وقتَ إجرائها، ثم حُذِفَ وقت، وأُقيِمَ «مُجراها» مقامه^(١).

وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي: ﴿يُسْمِرُ اللَّهُ بِجَرِّهَا﴾ بفتح الميم^(٢). ﴿وَمُرْسَهَا﴾

بضم الميم.

وروى يحيى بنُ عيسى، عن الأعمش، عن يحيى بن وثاب: «بسم الله مَجْراها وَمَرْساها» بفتح الميم فيهما، على المصدر من جَرَت تَجري جرياً ومَجَرى، ورَسَت رُسُوًا ومَرَسَى: إذا ثَبَتَتْ^(٣).

وقرأ مجاهدٌ ومسلم^(٤) بنُ جُنْدُب وعاصم الجَحْدَرِيُّ وأبو رَجَاء العَطَارِدِيُّ: «بسم الله مُجْريها ومُرْسِيها» نعتٌ لله عزَّ وجلَّ في موضع جرّ. ويجوز أن يكون في موضع رفعٍ على إضمارٍ مبتدأ، أي: هو مُجْريها ومُرْسِيها. ويجوز النصب على الحال^(٥).

وقال الضحَّاك: كان نوح عليه السلام إذا قال: بسم الله مَجْراها، جرت. وإذا قال: بسم الله مَرْساها، رست^(٦).

وروى مروان بن سالم، عن طلحة بن عبيد الله بن كَرِيز، عن الحسين بن علي، عن النبي ﷺ قال: أَمَانٌ لأمتي من الغرق إذا ركبوا في الفلك: بسم الله الرحمن الرحيم:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٣. وما بين حاصرتين منه، وذكر النحاس أنه يجوز أيضاً أن يكون

التقدير: باسم الله موضعَ إجرائها، ثم حُذِفَ موضع، وأُقيِمَ مجراها مقامه.

(٢) السبعة ص ٣٣٣، والتيسير ص ١٢٤. والكلام من إعراب القرآن للنحاس.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٣.

(٤) في النسخ: وسليمان، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس، وهو الصواب. وينظر معرفة القراء الكبار

١٨٤/١.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٣ - ٢٨٤، وذكر القراءة عن مجاهد والجحدري ابنُ خالويه في

القراءات الشاذة ص ٦٠.

(٦) أخرجه الطبري ١٢/ ٤١٦.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَقَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] ﴿يَسِّرْ اللَّهُ مَجْرِبَهَا وَمُزِمَهَا إِنَّ رَبِّي لَفُتُوْرٌ رَّحِيمٌ﴾^(١).

وفي هذه الآية دليلٌ على ذكر البسملة عند ابتداء كلِّ فعلٍ، على ما بيَّناه في البسملة^(٢)، والحمد له. ﴿إِنَّ رَبِّي لَفُتُوْرٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لأهل السفينة.

وروي عن ابن عباس قال: لَمَّا كَثُرَتِ الْأَزْوَاثُ وَالْأَقْدَارُ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نُوحٍ: اغْمِزْ ذَنْبَ الْفِيلِ، فوقع منه خنزيرٌ وخنزيرةٌ، فأقبلا على الرُّوثِ، فقال نوح: لو غمزْتُ ذَنْبَ هَذَا الْخَنْزِيرِ! ففعل، فخرج منه فَارٌّ وفأرةٌ، فلَمَّا وَقعا أَقبلا على السفينة وحبالها تقرضها، وتقرضُ الْأُمْتَعَةَ وَالْأَزْوَادَ، حتى خافوا على حبال السفينة، فأوحى الله إلى نُوحٍ أَنْ امسحْ جبهةَ الْأَسَدِ، فمسحها، فخرج منها سِنُّورَانِ فَأَكَلَا الْفِئْرَةَ^(٣).

ولَمَّا حَمَلَ الْأَسَدُ فِي السَّفِينَةِ قَالَ: يَا رَبِّ مَنْ أَيْنَ أَطْعَمُهُ؟ قَالَ: سَوْفَ أَشْغَلُهُ، فَأَخَذَتْهُ الْحُمَى، فَهُوَ الدَّهْرَ مَحْمُومٌ^(٤).

قال ابن عباس^(٥): وَأَوَّلُ مَا حَمَلَ نُوحٌ مِنَ الْبَهَائِمِ فِي الْفِلْكِ حَمَلَ الْإِوْرَةَ^(٦)، وَآخِرُ مَا حَمَلَ الْحِمَارَ، قَالَ: وَتَعَلَّقَ إِبْلِيسُ بِذَنْبِهِ، وَيَدَاهُ قَدْ دَخَلَتَا فِي السَّفِينَةِ،

(١) أخرجه أبو يعلى (٦٧٨١)، وابن السُّنِّي في عمل اليوم والليلة (٥٠٠) وابن عدي ٢٦٥٥/٧ - ٢٦٥٦ ، وفي إسناده يحيى بن العلاء الرازي، قال أحمد: كذاب يضع الحديث. وقال الدارقطني: متروك. وضعفه ابن معين وجماعة. الميزان ٣٩٧/٤ ، وينظر فيض القدير ١٨٢/٢ .

(٢) ١٥١/١ .

(٣) أخرجه الطبري ٣٩٥/١٢ - ٣٩٦ و ٤٠٠ ، وذكره الثعلبي في عرائس المجالس ص ٦٠ ، وقد سلفت قطعة منه ص ١١١ من هذا الجزء . وهذا الخبر وما بعده من الأخبار الإسرائيلية التي لا أساس لها .

(٤) بنحوه في تفسير ابن أبي حاتم ٢٠٣٠ - ٢٠٣١ (١٠٨٦٩) و (١٠٨٧٠) و (١٠٨٧١)، وعرائس المجالس ص ٥٨ .

(٥) أخرجه الطبري ٣٩٨/١٢ ، وذكره الثعلبي في عرائس المجالس ص ٥٨ ، والبيهقي ٣٨٤/٢ .

(٦) كذا في النسخ، وعند الطبري والبيهقي: الدُّرَّة، وهي الببغاء. حياة الحيوان للدميري ٣٣٦/١ . وفي عرائس المجالس: الدُّرَّة، وهي مفرد الدُّر: وهو النمل الأحمر الصغير. حياة الحيوان ٣٥٦/١ .

ورجلاه خارجةً بعدُ، فجعل الحمارُ يَضْطَرِبُ ولا يستطيع أن يدخلَ، فصاح به نوح: ادخل ويلك! فجعل يضطرب، فقال: ادخلْ ويلك! وإن كان معك الشيطانُ؛ كلمةً زَلَّتْ على لسانه، فدخل، ووثب الشيطانُ فدخل. ثم إن نوحاً رآه يغني^(١) في السفينة، فقال له: يا لعينُ، ما أدخلَكَ بيتي؟ قال: أنتَ أَذِنْتَ لي، فذكر له، فقال له: قم فاخرج. قال: ما لك بدُّ في أن تحملني معك، فكان فيما يزعمون في ظهر الفُلْكِ.

وكان مع نوح عليه السلام خَرَزَتَانِ مَضِيَّتَانِ، واحدةٌ مكانَ الشمس، والأخرى مكانَ القمر. ابن عباس: إحداهما بياضٌ كبياض النهار، والأخرى سوداءٌ كسواد الليل، فكان يعرفُ بهما مواقيتَ الصلاة، فإذا أَمَسُوا غَلَبَ سوادُ هذه بياضَ هذه، وإذا أصبحوا غلب بياضُ هذه سوادَ هذه، على قَدْرِ الساعات^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَهُي تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ الموجُ جمع موجةٍ، وهي ما ارتفع من جملة الماء الكثير عند اشتداد الريح. والكاف للتشبيه، وهي في موضع خفضٍ نعتٍ للموج. وجاء في التفسير أن الماء جاوز كلَّ شيءٍ بخمسةَ عشر ذراعاً^(٣).

﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ قيل: كان كافراً واسمُه كنعانُ. وقيل: يام^(٤). ويجوز على قول سيبويه: «ونادى نوحُ ابنَه» بحذف الواو من «ابنه» في اللفظ^(٥)، وأنشد:

لَهُ زَجَلٌ كَأَنَّهُ صَوْتُ حَادٍ^(٦)

(١) في (د) و(ز): يتغنى، وفي (ظ): يتعشى.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٢٢/٢٦٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٥٣، وذكره الثعلبي في عرائس المجالس ص ٥٩ عن ابن عباس: أن الماء ارتفع على أعلى جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً.

(٤) النكت والعيون ٢/٤٧٦، وزاد المسير ٤/١٠٩، ومجمع البيان ١١/١٥٨.

(٥) أي: بالضم والاختلاس من غير إشباع، وهي قراءة أبي جعفر محمد بن علي كما في القراءات الشاذة ص ٦٠، ونقل المصنف كلام سيبويه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٨٤.

(٦) صدر بيت للشماخ، وعجزه: إذا طلب الموسيقى أو زَمِيرٌ، وهو في ديوانه ١٥٥، والكتاب ١/٣٠، وسلف ١/٤٨٥. قال الشتمري في شرح الشواهد ص ٦٤: أراد: كأنه، فحذف الواو ضرورة.

فأما: «وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فَقْرَاءً شَاةً»، وهي مَرْوِيَّةٌ عن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعروة بن الزبير^(١). وزعم أبو حاتم أنها تجوز على أنه يريد: «ابنها» فحذفت الألف كما تقول: «ابنه» فتحذف الواو. وقال النحاس^(٢): وهذا الذي قاله أبو حاتم لا يجوز على مذهب سيبويه؛ لأنَّ الألف خفيفة فلا يجوز حذفها، والواو ثقيلة يجوز حذفها.

﴿وَكَانَ فِي مَعَزِلٍ﴾ أي: من دين أبيه. وقيل: عن السفينة^(٣). وقيل: إنَّ نوحاً لم يعلم أنَّ ابنه كان كافراً، وأنه ظنَّ أنه مؤمنٌ؛ ولذلك قال له: ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ وسيأتي^(٤). وكان هذا النداء من قبل أن يستيقن القومُ الغرق، وقبل رؤية اليأس، بل كان في أوَّل ما فار التُّور، وظهَّرت العلامة لنوح.

وقرأ عاصم: ﴿يَبْنِيَّ أَزْكَبَ مَعْنَا﴾ بفتح الياء، والباقون بكسرها^(٥). وأصل «يا بني» أن تكون بثلاث ياءات: ياء التصغير، وياء الفعل^(٦)، وياء الإضافة، فأدغمت ياء التصغير في لام الفعل، وكُسرت لَمْ الفعل من أجل ياء الإضافة، وحذفت ياء الإضافة لوقوعها موقع التنوين، أو لسكونها وسكونِ الراء في هذا الموضع. هذا أضلُّ قراءة من كَسَر الياء. وهو أيضاً أصلُ قراءة مَنْ فتح؛ لأنه قلبَ ياء الإضافة أَلِفاً لخَفَّةِ الألف، ثم حذفت الألف لكونها عَوْضاً من حرفٍ يُحذف، أو لسكونها وسكونِ الراء^(٧).

(١) ذكرها عن عليّ وعروة الطبرسي في مجمع البيان ١١/١٥١، وأبو حيان في البحر ٥/٢٢٦، وهي في الكشف ٢/٢٧٠، والمححر الوجيز ٣/١٧٣، وتفسير الرازي ١٧/٢٣١ عن عروة وجعفر بن محمد. وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٠ عن هشام بن عروة. وسيأتي عن عليّ قراءة: «ابنها» بفتح الهاء وألف.

(٢) في إعراب القرآن ٢/٢٨٤، وما قبله منه.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٥٤، وقال الزجاج عن القول الثاني: وهو أشبه.

(٤) ص ١٣٣ من هذا الجزء.

(٥) السبعة ص ٣٣٤، والتيسير ص ١٢٤.

(٦) وهي لامه؛ لأن أصل «ابن»: بنى، على فَعَلَ. ينظر الكشف عن وجوه القراءات ١/٥٢٩.

(٧) ينظر الكشف عن وجوه القراءات ١/٥٢٩ - ٥٣٠، ومشكل إعراب القرآن ١/٣٦٥، والمححر الوجيز ٣/١٧٤.

قال النحاس^(١): أَمَّا قِرَاءَةُ عَاصِمٍ فَمَشْكِلَةٌ. قال أبو حاتم: يريد: يا بُنَيَّاه، ثم يَحْذِفُ^(٢)؛ قال النحاس: رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ سَلِيمَانَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ الْأَلْفَ خَفِيفَةً. قال أبو جعفر النحاس: مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّحْوِيِّينَ جَوَزَ الْكَلَامَ فِي هَذَا إِلَّا أَبَا إِسْحَاقَ^(٣)؛ فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ الْفَتْحَ مِنْ جِهَتَيْنِ، وَالْكَسْرَ مِنْ جِهَتَيْنِ؛ فَالْفَتْحُ عَلَى أَنَّهُ يَبْدُلُ مِنَ الْيَاءِ أَلْفًا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَارًا: ﴿يَوَلِّقْ﴾ [الفرقان: ٢٨] وكما قال الشاعر:

فِيَا عَجَبًا مِّن رَّحَلِهَا الْمُتَحَمِّلِ^(٤)

فيريد: يا بُنَيَّاه، ثُمَّ حَذَفَ الْأَلْفَ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ، كَمَا تَقُولُ: جَاءَنِي عَبْدُ^(٥) اللَّهِ فِي الثَّنِيَةِ. وَالْجِهَةُ الْأُخْرَى أَنَّ تَحَذَفَ الْأَلْفَ؛ لِأَنَّ النَّدَاءَ مَوْضِعُ حَذْفٍ. وَالْكَسْرُ عَلَى أَنَّ تَحَذَفَ الْيَاءَ لِلنَّدَاءِ. وَالْجِهَةُ الْأُخْرَى عَلَى أَنَّ تَحذفُهَا لِالْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَتَأْتِي﴾ أي: أَرْجِعْ وَأَنْضِمْ ﴿إِلَّا جَبَلٍ يَخَصِمُنِي﴾ أي: يَمْنَعُنِي ﴿مِنَ الْمَاءِ﴾ فلا أغرق ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: لا مانع؛ فإنه يومٌ حَقٌّ فِيهِ الْعَذَابُ عَلَى الْكُفَّارِ. وَانْتَصَبَ «عَاصِمٌ» عَلَى التَّبَرُّعِ^(٦). وَيَجُوزُ: «لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ» تَكُونَ «لَا» بِمَعْنَى «لَيْسَ»^(٧).

﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ﴾ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ اسْتِثْنَاءٍ لَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِ؛ أَي: لَكُنْ مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ فَهُوَ يَعَصِمُهُ؛ قَالَ الزَّجَّاجُ^(٨). وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، عَلَى أَنَّ عَاصِمًا

(١) فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ٢/ ٢٨٤ .

(٢) فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ: ثُمَّ حَذَفَ .

(٣) هُوَ الزَّجَّاجُ وَيَنْظُرُ مَعَانِي الْقُرْآنِ لَهُ ٣/ ٥٤ .

(٤) وَصَدْرُهُ: وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيئِي، وَقَاتِلُهُ أَمْرُ الْقَيْسِ، وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ ١١ ، وَسَلَفَ ٨/ ٣٥٨ .

(٥) فِي (م): عَبْدًا .

(٦) أَي: النَّافِيَةُ لِلْجِنْسِ. يَنْظُرُ أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ٢/ ٥٢٧ - ٥٣٠ .

(٧) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ٢/ ٢٨٥ ، وَجَوَازُ تَنْوِينِ الرِّفْعِ، يَعْنِي فِي اللُّغَةِ، لَا فِي الْقِرَاءَةِ .

(٨) فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ ٢/ ٥٤ .

بمعنى معصوم، مثلُ: ﴿تَلَوْدَافِي﴾ [الطارق: ٦] أي: مدفوق^(١)، فلا استثناء على هذا متَّصِل؛ قال الشاعر:

بطيءُ القيامِ رخيْمُ الكلا م أمسى فؤادي به فاتِنَا^(٢)
أي: مفتوناً. وقال آخر:

دع المكارِم لا تنهض لبغيتهَا واقعذ فإنك أنت الطاعمُ الكاسي^(٣)
أي: المَظْعومُ المَكْسُو.

قال النحاس^(٤): ومن أحسن ما قيل فيه أن تكون «مَنْ» في موضع رفع؛ بمعنى: لا يعصم اليوم من أمر الله إلا الراجِم، أي: إلا الله - وهذا اختيارُ الطَّبْرِي^(٥) - ويَحْسُنُ هذا لأنك لم تجعل عاصماً بمعنى معصوم فتخرجه من بابهِ، ولا «إِلَّا» بمعنى «لكن».

﴿وَسَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾ يعني بين نوح وابنه ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ قيل: إنه كان راكباً على فرسٍ قد بَطَرَ بنفسه، وأعجب بها، فلما رأى الماء جاء قال: يا أبت، فار التَّنُور! فقال له أبوه: ﴿يَبْقَى أَرْكَبُ مَعَنَا﴾ فما استتمَّ المراجعةَ حتى جاءت مَوْجَةٌ عظيمةٌ فالتقمتهُ هو وفرسه، وجِلَّ بينه وبين نوح فغرق.

وقيل: إنه اتخذ لنفسه بيتاً من زجاج يتحصَّن فيه من الماء، فلما فار التَّنُور دخل فيه وأقفله عليه من داخلٍ، فلم يزل يتغوَّط فيه ويبولُ حتى غرق بذلك^(٦).

وقيل: إنَّ الجبل الذي آوى إليه «طورُ زيتا»^(٧).

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٥.

(٢) الصحاح واللسان (فتن) برواية رخيْم الكلام قطع القيام...

(٣) قائله الخطيئة، وهو في ديوانه ص ٢٨٤ برواية: لا ترحل لبغيتهَا.

(٤) في إعراب القرآن ٢/ ٢٨٥.

(٥) في تفسيره ٢/ ٤١٨.

(٦) لطائف الإشارات ٢/ ١٣٩.

(٧) في (م): طور سيناء، والمثبت من النسخ الخطية والنكت والعيون ٢/ ٤٧٣، والكلام منه. وطور زيتا علم مرتجل لجبل بقرب رأس عين عند قنطرة الخابور. معجم البلدان ٤/ ٤٧ - ٤٨.

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَتَّزِئُ آبِلَى مَاءِكِ وَنَسَمَكُ أَقْلَى﴾ هذا مجازٌ لأنها مَوَات. وقيل: جعل فيها ما تُمَيِّزُ به. والذي قال: إنه مجاز، قال: لو فُتِّشَ كلامُ العرب والعجم ما وُجِدَ فيه مثلُ هذه الآية على حسن نَظْمِها، وبلاغة وُضْفِها، واشتمال المعاني فيها^(١).

وفي الأثر: إِنَّ الله تعالى لا يُخْلِي الأرضَ من مطرٍ في عامٍ أو عامين^(٢)، وإنه ما نزل من السماء ماءً قط إلا بحفِظِ مَلِكٍ موَكَّلٍ به، إلا ما كان من ماء الطوفان؛ فإنه خرج منه ما لا يحفِظُه المَلِك. وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَّا طَعَا أَلَمَّا حَمَلْنَا فِي الْبَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١].

فجرت بهم السَّفِينَةُ إلى أن تناهى الأمر، فأمر الله الماء المنهجر من السماء بالإمساك، وأمر الله الأرضَ بالابتلاع. يقال: بَلَعَ الماءُ يبلعه؛ مثل: مَنَعَ يَمْنَعُ، ويَلْعُ يبلَعُ؛ مثل: حَمِدَ يَحْمَدُ، لغتانٍ حكاهما الكسائيُّ والفرَّاء^(٣). والبالوعةُ: الموضعُ الذي يشربُ الماء^(٤).

قال ابن العربي: ^(٥) التقى الماءان على أمرٍ قد قُدِّرَ، ما كان في الأرض وما نزل من السماء، فأمر الله ما نزل من السماء بالإقلاع، فلم تمتصَّ الأرضُ منه قطرةً، وأمر الأرضَ بابتلاع ما خرج منها فقط. وذلك قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَتَّزِئُ آبِلَى مَاءِكِ وَنَسَمَكُ أَقْلَى وَغِيصَ أَلَمَاءُ﴾.

وقيل: ميَّز الله بين الماءين، فما كان من ماء الأرض أمرها فبلعته، وصار ماء السماء بحاراً.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٦.

(٢) وقع في مطبوع أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٣٠٠ (والكلام منه): في عامر أو غامر.

(٣) ينظر معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧، وتفسير الطبري ١٢/ ٤١٩، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٦. وتهذيب اللغة ٢/ ٤١١.

(٤) ينظر تهذيب اللغة ٢/ ٤١١ - ٤١٢، ومقاييس اللغة ١/ ٣٠١.

(٥) في أحكام القرآن ٣/ ١٣٠٠ - ١٣٠١.

قوله تعالى: ﴿وَنَقَصَ الْمَاءَ﴾ أي: نَقَصَ؛ يقال: غاض الشيء، وَغَضَتْهُ أنا، كما يقال: نَقَصَ بنفسه وَنَقَصَهُ غيره، ويجوز: «غُيِضَ» بضم الغين^(١). ﴿وَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: أُحْكِمَ وَفُرِغَ منه؛ يعني: أهلك قوم نوح على تمام وإحكام.

ويقال: إِنَّ الله تعالى أَعَقَمَ أَرْحَامَهُمْ، أي: أرحامَ نسائهم قبل الغرق بأربعين سنة، فلم يكن فيَمَن هَلَكَ صغير^(٢). والصحيحُ أنه أهلك الولدانَ بِالطُّوفَانِ، كما هلكت الطير والسباع، ولم يكن الغرقُ عقوبةً للصبيان والبهائم والطير، بل ماتوا بآجالهم^(٣).

وحُكي أنه لَمَّا كَثُرَ الماءُ في السَّكَكِ خَشِيتُ أُمُّ صَبِيٍّ عليه، وكانت تحبُّه حبًّا شديدًا، فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثُلثه، فلَمَّا بَلَغَهَا الماءُ خرجت حتى بلغت ثُلثيه، فلَمَّا بَلَغَهَا الماءُ استوت على الجبل، فلَمَّا بَلَغَ الماءُ رَقَبَتَهَا رفعت يديها بابنها حتى ذهب بها الماء، فلو رَحِمَ الله منهم أحداً لرحم أُمُّ الصبي^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: هلاكاً لهم. الجُودِيُّ: جبلٌ بقرب المَوْصِلِ^(٥)، استوتْ عليه في العاشر من المحرم يومَ عاشوراء، فصامه نوح وأمر جميعَ مَنْ معه من الناس والوحش والطير والدوابِّ وغيرها فصاموه شكراً لله تعالى، وقد تقدَّم هذا المعنى^(٦). وقيل: كان ذلك يومَ الجمعة.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٦، وقرأ الكسائي وهشام: «قيل» و«غُيِضَ» و«جيء» بإشمام الضم لأول ذلك حيث وقع، والباقون بإخلاص كسره. التيسير ص ٧٢، وينظر السبعة ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٦٢/ ٢٤٩، وينظر تفسير الطبري ١٢/ ٣٩٦ - ٣٩٨.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/ ٤٢٤ - ٤٢٥ عن الضحاك.

(٤) تفسير البغوي ٢/ ٣٨٥، وهذه قطعة من حديث أخرجه الطبري ١٢/ ٣٩٤، والحاكم ٢/ ٣٤٢ عن عائشة رضي الله عنها. وفي إسناده: موسى بن يعقوب. قال الذهبي في التلخيص: إسناده مظلم، وموسى ليس بذلك.

(٥) قال ياقوت في معجم البلدان ٢/ ١٧٩: هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة، من أعمال الموصل.

(٦) ص ١١٩ من هذا الجزء.

وَرُوي أَنَّ اللهَ تعالى أوحى إلى الجبال أَنَّ السفينةَ تُرسي على واحدٍ منها فتناولت، وبقيَ الجُوديُّ لم يتناولْ تواضعاً لله، فاستوت السفينةُ عليه، وبقيتْ عليه أعرادُها^(١). وفي الحديث أَنَّ النبي ﷺ قال: «لقد بقي منها شيءٌ أدركه أوائلُ هذه الأمة»^(٢).

وقال مجاهد: تشامختِ الجبالُ وتناولت لثلاً ينالها الغرقُ، فعلا الماءُ فوقها خمسةَ عشرَ ذراعاً، وتطامنَ الجوديُّ، وتواضعَ لأمر الله تعالى فلم يغرق، ورستِ السفينةُ عليه^(٣).

وقد قيل: إِنَّ الجوديَّ اسمٌ لكلِّ جبل^(٤)، ومنه قولُ زيد بن عمرو بن نُفيل: سُبْحانَه ثُمَّ سُبْحاناً يَعُودُ لَهُ وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الجُوديُّ والجُمُدُ^(٥) ويقال: إن الجُوديَّ من جبال الجنة^(٦)؛ فلهذا استوت عليه.

ويقال: أكرم الله ثلاثةَ جبال بثلاثةِ نَفَرٍ: الجوديَّ بنوح، وطورَ سيناءَ بموسى، وجِراءَ بمحمدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

مسألة: لَمَّا تواضعَ الجوديُّ وخضعَ عزّاً، ولَمَّا ارتفعَ غيرُهُ واستعلى ذلّاً، وهذه سُنَّةُ الله في خَلْقِهِ، يرفعُ مَنْ تخشَّعَ، ويضعُ مَنْ ترفعَ، ولقد أحسن القائل:

(١) المحرر الوجيز ١٧٦/٣، وسيأتي نحوه عن مجاهد، وينظر تاريخ ابن عساكر ٢٦٢/٦٢.

(٢) المحرر الوجيز ١٧٦/٣، ولم نقف عليه مرفوعاً، وعلقه البخاري قبل الحديث (٤٨٦٩) عن قتادة قوله، ووصله عبد الرزاق في التفسير ٢٥٨/٣، والطبري ١٢٨/٢٢.

(٣) عرائس المجالس ص ٥٩، وأخرجه الطبري ٤٢٢/١٢.

(٤) النكت والعيون ٤٧٤/٢.

(٥) تُسب البيت لزيد في مجاز القرآن ٢٩٠/١، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ١٩٤/١، والنكت والعيون ٤٧٤/٢، ونسبه سيبويه في الكتاب ٣٢٦/١ لأمية بن أبي الصلت، وهو في ديوان أمية ص ١٦١ باختلاف يسير. ونسب لورقة بن نوفل كما في الأغاني ١٢١/٣، والخزانة ٣٨٨/٣. قوله: الجُمُد: هو جبل لبنى نصر بنجد. معجم البلدان ١٦١/٢.

(٦) تاريخ ابن عساكر ٢٦٢/٦٢.

وَإِذَا تَذَلَّلْتُ الرِّقَابُ تَخَشُّعاً مِّنَّا إِلَيْكَ فَعِزُّهَا فِي ذُلِّهَا^(١)

وفي صحيح البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال: كانت ناقة للنبي ﷺ تُسَمَّى العَضْبَاءُ، وكانت لا تُسَبِّقُ، فجاء أعرابيٌّ على قَعُودٍ له فسبقها، فاشتدَّ ذلك على المسلمين؛ وقالوا: سُبِّقَتِ العَضْبَاءُ! فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَلَّا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»^(٢).

وخرَّج مسلم^(٣) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ».

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَقْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ». خرَّجه البخاري^(٤).

مسألة: نذكر فيها من قصة نوح مع قومه وبعض ذكر السفينة.

ذكر الحافظ ابن عساكر في «التاريخ»^(٥) له عن الحسن: أَنَّ نُوحًا أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]. وكان قد كَثُرَتْ فِيهِمُ الْمَعَاصِي، وَكَثُرَتْ الْجَبَابِرَةُ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا، وَكَانَ نُوحٌ يَدْعُوهُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَعَلَانِيَةً، وَكَانَ صَبُورًا حَلِيمًا، وَلَمْ يَلْقَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَشَدَّ مِمَّا لَقِيَ نُوحٌ، فَكَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ فَيَخْنُقُونَهُ حَتَّى يَتْرَكَ وَقِيدًا^(٦)، وَيَضْرِبُونَهُ فِي الْمَجَالِسِ وَيُطْرَدُ، وَكَانَ لَا يَدْعُ عَلَى مَا

(١) هو لأبي إسحاق الصابي كما في يتيمة الدهر ٢/ ٣٢٥ برواية: تقرُّباً منها إليك، بدل: تخشعاً منا إليك.

(٢) صحيح البخاري (٢٨٧٢)، وهو عند أحمد (١٢٠١٠)، ولم نقف عليه عند مسلم. قوله: على قعود، القعود من الإبل: ما أمكن أن يُركب، وأدناه يكون له سستان. النهاية (قعد).

(٣) في صحيحه (٢٥٨٨)، وهو عند أحمد (٩٠٠٨).

(٤) في الأدب المفرد (٤٢٦) و(٤٢٨)، وهو عند مسلم (٢٨٦٥): (٦٤) وهو من حديث عياض بن حمار.

(٥) ٢٤٤/٦٢.

(٦) الوقيد: الذي يغشى عليه؛ لا يُدرى أميت أم لا. اللسان (وقد).

يُصْنَعُ بِهِ أَنْ يَدْعُوهُمْ^(١)، ويقول: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ». فكان لا يزيدهم ذلك إلا فراراً منه، حتى إنه ليُكَلِّمُ الرجلَ منهم فيلُفُّ رأسه بثوبه، ويجعلُ أذُنَيْهِ فِي أذُنَيْهِ لِكَيْلَا يَسْمَعَ شَيْئاً مِنْ كَلَامِهِ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغِيَهُمْ فِي أَعَانِهِمْ وَأَسْتَفْسَهُوا بِأَكْبَاهِهِمْ﴾ [نوح: ٧].

وقال مجاهدٌ وعبيدُ بن عمير: كانوا يضربونه حتى يُغشى عليه، فإذا أفاق قال: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ^(٢).

وقال ابن عباس: إِنَّ نوحاً كَانَ يُضْرَبُ، ثُمَّ يُلَفُّ فِي لِبْدٍ^(٣) فَيُلْقَى فِي بَيْتِهِ، يُرَوِّدُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَدْعُوهُمْ؛ حَتَّى إِذَا بَيَّسَ مِنْ إِيْمَانِ قَوْمِهِ جَاءَهُ رَجُلٌ وَمَعَهُ ابْنُهُ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَا، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، انْظُرْ هَذَا الشَّيْخَ لَا يَغْرُنْكَ، قَالَ: يَا أَبَتِ، أَمْكِنِّي مِنَ الْعَصَا، فَأَمْكَنَهُ، فَأَخَذَ الْعَصَا ثُمَّ قَالَ: ضَعْنِي فِي الْأَرْضِ، فَوَضَعَهُ، فَمَشَى إِلَيْهِ بِالْعَصَا فَضْرِبَهُ فَشَجَّهُ شَجَّةً مُوضِحَةً^(٤) فِي رَأْسِهِ، وَسَالَتِ الدَّمَاءُ، فَقَالَ نوح: رَبِّ قَدْ تَرَى مَا يَفْعَلُ بِي عِبَادُكَ، فَإِنْ يَكُ لَكَ فِي عِبَادِكَ خَيْرٌ فَاهْدِهِمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرُ ذَلِكَ فَصَبِّرْنِي إِلَى أَنْ تَحْكُمَ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ وَأَيَّسَ مِنْ إِيْمَانِ قَوْمِهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَلَا فِي أَرْحَامِ النِّسَاءِ مُؤْمِنٌ، قَالَ: ﴿وَأَوْحَى إِلَيْكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أَي: لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾ قَالَ: يَا رَبِّ، وَأَيْنَ الْخَشَبُ؟ قَالَ: اغْرِسِ الشَّجَرَ. قَالَ: فَغَرَسَ السَّاجَ عَشْرِينَ سَنَةً، وَكَفَّ عَنِ الدَّعَاءِ، وَكَفُّوا عَنِ الاسْتِهْزَاءِ، وَكَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَ الشَّجَرُ؛ أَمَرَهُ رَبُّهُ فَقَطَعَهَا وَجَفَّفَهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَتَّخِذُ هَذَا الْبَيْتَ؟ قَالَ: اجْعَلْهُ عَلَى ثَلَاثِ صُورٍ؛ رَأْسُهُ كِرَاسُ الدَّيْكِ، وَجُوجُهُ

(١) فِي (م): وَكَانَ لَا يَدْعُو عَلَى مَنْ يَصْنَعُ بِهِ بَلْ يَدْعُوهُمْ.

(٢) تَارِيخُ ابْنِ عَسَاكِرَ ٢٤٧/٦٢، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٩٦/١٢ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ مَطْوِلاً.

(٣) اللَّبْدُ: مِنَ الْبَسْطِ مَعْرُوفٌ. اللَّسَانُ (لِبْدٌ).

(٤) الْمَوْضِحَةُ مِنَ الشَّجَارِ: الَّتِي بَلَّغَتْ الْعَظْمَ فَأَوْضَحَتْ عَنْهُ. اللَّسَانُ (وَضَح).

كجَوْجُو الطير، وذَنَبُه كذَنَب الديك؛ واجعلها مطبَّقةً، واجعل لها أبواباً في جَنبِها، وشُدَّها بدُسُرٍ، يعني مسامير الحديد. وبعث الله جبريلَ فعَلَّمه صَنْعَةَ السفينة، وجعلت يده لا تخطئ^(١).

قال ابن عباس: كانت دارُ نوح عليه السلام دمشق، وأنشأ سفينته من خشب لبنان بين زمزم وبين الركن والمقام، فلَمَّا كَمَلَتْ حَمَلَ فيها السباع والدواب في الباب الأول، وجعل الوحش والطير في الباب الثاني، وأطبق عليهما، وجعل أولاد آدم أربعين رجلاً وأربعين امرأة في الباب الأعلى، وأطبق عليهم، وجعل الدرَّ معه في الباب الأعلى لضعفها؛ أَلَّا تَطَّأها الدواب^(٢).

قال الزُّهريُّ: إِنَّ الله عَزَّ وجلَّ بعثَ ريحاً، فحمل إليه من كلِّ زوجين اثنين، من السباع والطير والوحش والبهائم^(٣).

وقال جعفر بن محمد: بعث الله جبريلَ فحشَّهم، فجعل يضربُ بيديه على الزوجين، فتقعُ يده اليمنى على الذكر، واليسرى على الأنثى، فيُدخله السفينة.

وقال زيد بن ثابت: استصعبت على نوح الماعزةُ أَنْ تدخلَ السفينةَ، فدفعها بيده في ذنبها؛ فمن ثَمَّ انكسر ذنبُها فصار مَعْقُوفاً وبدا حياؤها. ومضت النعجةُ حتى دخلت، فمسح على ذنبها فُسِّرَ حياؤها^(٤).

قال إسحاق: أخبرنا رجلٌ من أهل العلم: أَنَّ نوحاً حَمَلَ أهلَ السفينة، وجعل فيها من كلِّ زوجين اثنين، وحمل من الهدد زوجين، فماتت الهددة في السفينة قبل أن تظهر الأرض، فحملها الهددُ فطاف بها الدنيا ليصيبَ لها مكاناً، فلم يجد طيناً ولا تراباً، فرحمه ربُّه فحفر لها في قفاه قبراً فدفنها فيه، فذلك الريشُ الناتئ في قفا

(١) أخرجه ابن عساكر ٢٤٨/٦٢ - ٢٤٩ من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس. وذكره الثعلبي في العرائس ص ٥٦ - ٥٧ مطولاً، والخبر من الإسرائيليات.

(٢) ينظر تاريخ ابن عساكر ٢٤١/٦٢ و ٢٤٩.

(٣) أخرجه ابن عساكر ٢٥٥/٦٢.

(٤) أخرجهما ابن عساكر ٢٥٢/٦٢ - ٢٥٣ و ٢٥٥، وهما من الأخبار الثالثة.

الهدهد موضعُ القبر؛ فلذلك نَتَأْت أَقْفِيَهُ الهداهد^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «كان حمل نوحٍ معه في السفينة من جميع الشجر، وكانت العَجُوةُ من الجنة مع نوح في السفينة»^(٢).

وذكرَ صاحبُ كتاب «العروس»^(٣) وغيره: أَنَّ نوحاً عليه السلام لما أراد أن يبعثَ مَنْ يَأْتِيهِ بخبر الأرض قال الدَّجَاج: أنا، فأخذها وخَتَمَ على جناحها وقال لها: أَنْتِ مختومةٌ بخاتمي، لا تطيري أبداً، أَنْتِ يَنْتَفِعُ بِكِ أمتي. فبعث الغراب، فأصاب جِيْفَةً فوقع عليها فاحتبس، فلعنه، ولذلك يُقْتَلُ في الحِلِّ والحَرَم، ودعا عليه بالخوف؛ فلذلك لا يَأْلَفُ البيوت. وبعث الحمامة فلم تجد قراراً فوقَعَتْ على شجرة بأرض سَبَأ^(٤)، فحملت ورقةً زيتونيةً، ورجعت إلى نوح فعلم أنها لم تستمكُن من الأرض، ثم بعثها بعد ذلك فطارت حتى وقعت بوادي الحَرَم، فإذا الماء قد نَضَبَ من مواضع الكعبة، وكانت طيئُها حمراء، فاخْتُضِبَتْ رجلاها، ثم جاءت إلى نوح عليه السلام فقالت: بُشْرَايَ مِنْكَ أَنْ تَهَبَ لِي الطَّوْقَ في عنقي، والخِضَابَ في رجلي، وأسكن الحَرَم، فمسح يده على عنقها وطَوَّقَهَا، ووهبَ لها الحمرَةَ في رجليها، ودعا لها ولذريَّتها بالبركة.

(١) تاريخ ابن عساكر ٢٦١/٦٢. وإسحاق هو ابن بشر. قال الدارقطني: كذاب متروك. ميزان الاعتدال ١٨٤/١.

(٢) أخرجه ابن عساكر ٢٦١/٦٢ من حديث علي عليه السلام. وقوله: «العجوة من الجنة». أخرجه أحمد (٨٠٠٢) من حديث أبي هريرة عليه السلام، و(١١٤٥٣) من حديث جابر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، و(١٥٥٠٨) من حديث رافع بن عمرو المزني، و(١١٩٣٨) من حديث بريدة الأسلمي عليه السلام. والخبر في تاريخ ابن عساكر ٢٦٣/٦٢ - ٢٦٤.

(٣) كتاب العروس لجعفر بن محمد، قال الملا علي القاري في المصنوع ص ٢٥١: وقال الديلمي: أسانيد كتاب العروس لأبي الفضل جعفر بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي الحسيني واهية لا يعتمد عليها، وأحاديثه منكورة. والخبر ذكره ابن عساكر ٢٦٣/٦٢ - ٢٦٤. وكان من الأولى بالمصنف أن ينزه كتابه عن أمثال هذه القصص التالفة.

(٤) في (د) و(م): سيناء.

وذكر الثعلبي أنه بعث بعد الغراب التذرج^(١) وكان من جنس الدجاج، وقال: إياك أن تعتذر، فأصاب الحُضرة والفرجة فلم يرجع، وأخذ أولاده عنده رهناً إلى يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٤١) قَالَ يَنْتَوِخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتْلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٢) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٣) ﴿

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ أي: دعاه. ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ أي: من أهلي الذين وعدتهم أن تُنجيهم من الغرق؛ ففي الكلام حذف. ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ يعني الصدق.

وقال علماؤنا: وإنما سأل نوحُ ربّه ابنه لقوله: «وَأَهْلَكَ»، وترك قوله: ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ (٢) فلما كان عنده من أهله قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ يدلُّ على ذلك قوله: ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تكن ممن لست منهم؛ لأنه كان عنده مؤمناً في ظنّه (٣)، ولم يك نوحٌ يقول لربه: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ إلا وذلك عنده كذلك؛ إذ محالٌ أن يسأل هلاك الكفار، ثم يسأل في إنجاء بعضهم، وكان ابنه يُسرُّ الكفر ويظهرُ الإيمان، فأخبر الله تعالى نوحاً بما هو منفرد به من علم الغيوب؛ أي: علمت من حال ابنك ما لم تعلمه أنت.

وقال الحسن: كان منافقاً؛ ولذلك استحلَّ نوحٌ أن يناديه (٤). وعنه أيضاً: كان ابن

(١) طائر يغرد في البساتين بأصوات طيبة، يكون بأرض خراسان وغيرها من بلاد فارس. حياة الحيوان ص ١٦٣.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٤٦/٣.

(٣) ينظر لطائف الإشارات ١٣٧/٢.

(٤) النكت والعيون ٤٧٦/٢.

امراته^(١)، دليله قراءة علي: «ونادى نوح ابنتها»^(٢).

﴿وَأَتَتْ أَخَكُمُ الْحَكِيمِينَ﴾ ابتداء وخبر. أي: حكمت على قوم بالنجاة، وعلى قوم بالفرق.

الثانية: قوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْتُحِ إِيَّاهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: ليس من أهلك الذين وعدتهم أن أنجيهم؛ قاله سعيد بن جبير. وقال الجمهور: ليس من أهل دينك ولا ولايتك^(٣)، فهو على حذف مضاف. وهذا يدل على أن حكم الاتفاق في الدين أقوى من حكم النسب.

﴿إِنَّهُمْ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ قرأ ابن عباس وعروة وعكرمة ويعقوب والكسائي: ﴿إِنَّهُمْ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(٤) أي: من الكفر والتكذيب، واختاره أبو عبيد. وقرأ الباقون: ﴿عَمَلٌ﴾ أي: ابنك ذو عمل غير صالح، فحذف المضاف؛ قاله الزجاج وغيره^(٥). قال:

تَرْتَعُ مَا رَتَعْتَ حَتَّى إِذَا أَذْكَرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ^(٦)
أي: ذات إقبال وإدبار. وهذا القول والذي قبله يرجع إلى معنى واحد.
ويجوز أن تكون الهاء للسؤال، أي: إنَّ سؤَالَك إِيَّاي أَنْ أُنْجِيَهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ.
قاله قتادة^(٧).

وقال الحسن: معنى عمل غير صالح: أنه وُلِدَ على فراشه ولم يكن ابنه. وكان

(١) أورده الواحدي في الوسيط ٥٧٥/٢ .

(٢) القراءات الشاذة ص ٦٠ .

(٣) النكت والعيون ٤٧٦/٢ .

(٤) السبعة ص ٤٣٣ والتيسير ص ١٢٥ عن الكسائي، والنشر ٢/٢٨٩ عنه وعن يعقوب، وأخرجها عن ابن عباس الطبري ٤٣٥/١٢، وذكرها ابن عطية ٣/١٧٧ عن علي وابن عباس وعائشة وأنس .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/٥٥، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٣٥٥ .

(٦) البيت للخشاء، وهو في ديوانها ص ٤٨، وسلف ٣/٥٤ و ٢٥٩/٢ .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ١/٣١٠، وسعيد بن منصور في سننه (١٠٩٣ - تفسير).

لغيرِ رِشْدَةٍ، وقاله أيضاً مجاهد^(١). قال قتادة: سألت الحسن عنه فقال: والله ما كان ابنه، قلت: إن الله أخبر عن نوح أنه قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ فقال: لم يقل مني، وهذه إشارة إلى أنه كان ابنَ امرأته من زوجٍ آخر، فقلت له: إن الله حكى عنه أنه قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ ولا يختلف أهلُ الكتابين أنه ابنه، فقال الحسن: ومَن يأخذُ دينَه عن أهل الكتاب! إنهم يكذبون. وقرأ: ﴿فَخَانَتْهُمَا﴾ [التحریم: ١٠]^(٢). وقال ابنُ جريج: ناداه وهو يحسب أنه ابنه، وكان وُلد على فراشه، وكانت امرأته خاتنه فيه^(٣)؛ ولهذا قال: ﴿فَخَانَتْهُمَا﴾.

وقال ابن عباس: ما بغتِ امرأةُ نبيٍّ قط، وأنه كان ابنه لصلبه. وكذلك قال الضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وميمون بن مهران وغيرهم، وأنه كان ابنه لصلبه. وقيل: لسعيد بن جبير: يقول نوح: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ أكان من أهله؟ أكان ابنه؟ فسبح الله طويلاً ثم قال: لا إله إلا الله! يُحَدِّثُ اللهُ محمداً ﷺ أنه ابنه، وتقول: إنه ليس ابنه! نعم كان ابنه، ولكن كان مخالفاً في النية والعمل والدين^(٤)، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكُمْ﴾.

وهذا هو الصحيحُ في الباب إن شاء الله تعالى لجلالة مَنْ قال به، وإنَّ قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكُمْ﴾ ليس مما ينفي عنه أنه ابنه^(٥).

(١) النكت والمعيون ٢/٤٧٥، وأخرجه قولهما الطبري ١٢/٤٢٦ و ٤٣٤. وقوله: لغيرِ رِشْدَةٍ، أي: لغيّةٍ وزُنيّة. اللسان (رشد). وقد ردّ الألوسي هذا الكلام في روح المعاني ١٢/٥٨، وقال: نسبة هذا القول إلى الحسن ومجاهد كذبٌ صريح. وقال: إن الله تعالى قد طهّر الأنبياء عليهم السلام عما دون ذلك من النقص بمراحل، فحاشاهم ثم حاشاهم أن يشار إليهم بأصبع الطعن، وإنما المراد بالخيانة الخيانة في الدين.

(٢) أخرجه بنحوه عبد الرزاق في التفسير ١/٣٠٦، والطبري ١٢/٤٢٧.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/٤٢٨، وسلف أن هذا الكلام لا يصح.

(٤) أخرجه مع ما سبقه من قول ابن عباس وغيره الطبري ١٢/٤٢٨ - ٤٣٣.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٥١.

وقوله: ﴿فَكَانَتْهُمَا﴾ يعني في الدين لا في الفراش^(١)، وذلك أن هذه كانت تُخبرُ الناسَ أنه مجنون، وذلك أنها قالت له: أما ينصرك ربك؟ فقال لها: نعم. قالت: فمتى؟ قال: إذا فار التثور. فخرجت تقول لقومها: يا قوم، والله إنه لمجنون، يزعم أنه لا ينصره ربه إلا أن يفور هذا التثور! فهذه خيانتها. وخيانةُ الأخرى أنها كانت تدلُّ على الأضياف^(٢). على ما سيأتي إن شاء الله^(٣). والله أعلم.

وقيل: الولدُ قد يسمَّى عملاً كما يسمَّى كسباً، كما في الخبر: «أولادكم من كسبكم»^(٤). ذكره القشيري.

الثالثة: في هذه الآية تسليّة للخلق في فساد أبنائهم وإن كانوا صالحين^(٥). وروِيَ أن ابنَ مالك بن أنس نزل من فوقٍ ومعه حمامٌ قد غطاه، قال: فَعَلِمَ مالِكُ أنه قد فَهِمَهُ الناسُ، فقال مالك: الأدبُ أدبُ الله، لا أدبُ الآباءِ والأمهات، والخيرُ خيرُ الله، لا خيرُ الآباءِ والأمهات^(٦).

وفيهما أيضاً دليلٌ على أن الابنَ من الأهل لغةً وشرعاً، ومن أهل البيت^(٧)، فَمَنْ وَصَّى لأهله دَخَلَ في ذلك ابْنُهُ وَمَنْ تَصَمَّنَهُ مَنْزِلُهُ وهو في عياله. وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ٧٥-٧٦]. فسمَّى جميعَ مَنْ ضَمَّهُ مَنْزِلُهُ من أهله^(٨).

(١) تفسير البغوي ٣٨٧/٢.

(٢) أخرجه مختصراً عبد الرزاق في التفسير ٣١٠/١، والطبري ٤٣٠/١٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقوله: الأخرى، يعني امرأة لوط.

(٣) ص ١٧٦ من هذا الجزء، وعند تفسير الآية (١٠) من سورة التحريم.

(٤) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٢٥٢٩٦)، والترمذي (١٣٥٨)، وابن ماجه (٢٢٩٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٤٧.

(٦) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاضل (١٤٨).

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٤٧.

(٨) أحكام القرآن للكلبي الطبري ٣/٢٢٥ - ٢٢٦.

الرابعة: ودلت الآية على قول الحسن ومجاهد وغيرهما: أن الولد للفراش؛ ولذلك قال نوح ما قال آخذاً بظاهر الفراش. وقد روى سفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار، أنه سمع عبيد بن عمير يقول: نرى رسول الله ﷺ إنما قضى بالولد للفراش من أجل ابن نوح عليه السلام، ذكره أبو عمر في كتاب «التمهيد»^(١).

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الولد للفراش، وللعاشر الحَجَر»^(٢) يريد: الخيبة. وقيل: الرَّجْم بالحجارة^(٣).

وقرأ عروة بن الزبير: «وَنَادَى نُوحُ ابْنَهَا»^(٤) يريد ابن امرأته، وهي تفسيرُ القراءة المتقدمة عنه وعن عليٍّ ؓ^(٥)، وهي حُجَّةٌ للحسن ومجاهد؛ إلا أنها قراءة شاذة، فلا تترك المتفق عليها لها. والله أعلم.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: أنهاك عن هذا السؤال، وأحذرك لئلا تكون، أو كراهية أن تكون من الجاهلين، أي: الآثمين^(٦). ومنه قوله تعالى: ﴿يَعْطُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ [النور: ١٧] أي: يحذركم الله وينهاكم. وقيل: المعنى: أرفعك أن تكون من الجاهلين^(٧).

قال ابنُ العربي: وهذه زيادة من الله وموعظة يرفعُ بها نوحاً عن مقام الجاهلين،

(١) ١٩٥/٨ ، وأخرجه الطبري ٤٢٨/١٢ ، وهو ضعيف لإرساله.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٨٦)، والبخاري (٢٠٥٧)، ومسلم (١٤٥٧) من حديث عائشة رضي الله عنها، وأخرجه أحمد (٧٢٦٢)، ومسلم (١٤٥٨) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) المفهم ١٩٧/٤ . وضعَّف أبو العباس القول الثاني، وكذلك النووي في شرحه لصحيح مسلم ٣٧/١٠ وقال: لأنه ليس كل زانٍ يرجم، وإنما يرجم المحصن خاصة، ولأنه لا يلزم من رجمه نفْيُ الولد عنه، والحديث إنما ورد في نفْي الولد عنه.

(٤) ذكرها أبو حيان في البحر ٢٢٦/٥ ، وسلف ذكرها عن علي ؓ.

(٥) ص ١٢٣ من هذا الجزء، وهي قراءة: «ونادى نوح ابنته».

(٦) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٨٦/٢ ، والوسيط ٥٧٦/٢ .

(٧) النكت والعيون ٤٧٦/٢ .

وَيُعْلِيهِ بِهَا إِلَى مَقَامِ الْعُلَمَاءِ وَالْعَارِفِينَ، فَقَالَ نُوحٌ: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ الآية، وهذه ذنوبُ الأنبياء عليهم السلام، فشكر الله تذكُّله وتواضعه^(١). ﴿وَلَا تَغْفِرْ لِي﴾ ما فَرَطَ من السؤال ﴿وَتَرَحَّمْتَ﴾ أي: بالتوبة. ﴿أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: أعمالاً. فقال: ﴿يَنْتُحُ أَهْيَطُ إِسْلَمٍ مِنَّا﴾.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَنْتُحُ أَهْيَطُ إِسْلَمٍ مِنَّا وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّهِ وَمَنْ مَعَكَ وَأُمُّهُمْ سَمِعَتْهُمْ ثُمَّ مَنَّ عَلَيْهِمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤٨)

قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَنْتُحُ أَهْيَطُ إِسْلَمٍ مِنَّا﴾ أي: قالت له الملائكة، أو قال الله تعالى له: اهبط من السفينة إلى الأرض، أو من الجبل إلى الأرض، فقد ابتلعت الماء وجفت. «بِسَلَامٍ مِنَّا» أي: بسلامة وأمن. وقيل: بتحية^(٢).

﴿وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ﴾ أي: نعم ثابتة، مشتقٌّ من بركوك الجمل، وهو ثبوته وإقامته^(٣). ومنه البركة؛ لثبوت الماء فيها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نوح آدم الأصغر^(٤). فجميع الخلائق الآن من نسله، ولم يكن معه في السفينة من الرجال والنساء إلا من كان من ذريته، على قول قتادة وغيره، حسب ما تقدّم^(٥)، وفي التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧].

﴿وَعَلَى أُمِّهِ وَمَنْ مَعَكَ﴾ قيل: دخل في هذا كلُّ مؤمن إلى يوم القيامة. ودخل في قوله: ﴿وَأُمُّهُمْ سَمِعَتْهُمْ ثُمَّ مَنَّ عَلَيْهِمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ كلُّ كافر إلى يوم القيامة؛ روي

(١) ينظر تفسير الرازي ١٨/٣ - ٤. وقد ردَّ الرازي على من قَدَحَ في عصمة الأنبياء، وذكر أنه يجب حمل الكلام هنا على أنه من باب ترك الأفضل والأكمل، وقد قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَحْمَدُنَّكَ وَاسْتَغْفِرُونَكَ﴾ قال: ومعلوم أن مجيء نصر الله والفتح، ودخول الناس في دين الله أفواجا، ليست بذنب يوجب الاستغفار.

(٢) الوجيز للواحدي (على هامش مراح لبيد) ص ٣٨٦.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٧.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/٥٧٦.

(٥) ص ١١٧ من هذا الجزء، وينظر الوسيط ٢/٥٧٦.

ذلك عن محمد بن كعب. والتقدير على هذا: وعلى ذرِّيَّة أمم مَن معك، وذرِّيَّة أممٍ سنمتَّعهم^(١).

وقيل: «مِن» للنبعوض، وتكونُ لبيان الجنس.

«وَأُمَمٌ سُنْمَتَّعُهُمْ»؛ ارتفع «وَأُمَمٌ» على معنى: وتكونُ أمم. قال الأخفش سعيدٌ: كما تقول: كلَّمْتُ زيداً وعمرُو جالسٌ. وأجاز الفراء في غير القراءة: وأمماً، وتقديره: ونمتَّع أمماً^(٢). وأعيدت «على» مع «أُمَمٍ» لأنه معطوفٌ على الكاف من «عَلَيْكَ»، وهي ضميرُ المجرور، ولا يُعطفُ على ضمير المجرور إلا بإعادة الجارِّ على قول سيبويه وغيره. وقد تقدَّم في «النساء» بيان هذا مستوفى في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ بالخفض.

والباء في قوله: «بِسَلَامٍ» متعلقة بمحذوف؛ لأنها في موضع الحال، أي: اهبط مسلماً عليك. و«عليك»^(٣) في موضع جرٍّ متعلِّقٌ بمحذوف؛ لأنه نعت للبركات. «وَعَلَى أُمَمٍ» متعلِّقٌ بما تعلَّق به «عَلَيْكَ»؛ لأنه أعيد من أجل المعطوف على الكاف. و«مِن» في قوله: «مِمَّنْ مَعَكَ» متعلِّقٌ بمحذوف؛ لأنه في موضع جرٍّ نعتٍ للأمم. و«مَعَكَ» متعلِّقٌ بفعلٍ محذوف؛ لأنه صلةٌ لـ «مَن»، أي: ممن استقرَّ معك، أو آمن معك، أو ركب معك^(٤).

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَيْبِ تُوجِيحاً إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَيْبِ﴾ أي: تلك الأنباء، وفي موضعٍ آخر: «ذلك»، أي: ذلك النبأ والقَصَصُ من أنباء ما غاب عنك. ﴿تُوجِيحاً إِلَيْكَ﴾ أي: لتقف عليها

(١) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٥٥ - ٣٥٦، وخبر كعب أخرجه الطبري ١٢/٤٣٨.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٧، وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/١٨.

(٣) في النسخ عدا (ز): ومنا، والمثبت من (ز)، وهو الصواب.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٣/١٧٩.

﴿ثَوًّا﴾ [مود: ٢٥]. وقيل له أخوهم؛ لأنه منهم، وكانت القبيلة تجمعهم، كما تقول: يا أخا تميم، وقيل: إنما قيل له: أخوهم؛ لأنه من بني آدم، كما أنهم من بني آدم^(١)، وقد تقدّم هذا في «الأعراف»^(٢)، وكانوا عبدة الأوثان.

وقيل: هم عادان، عاد الأولى، وعاد الأخرى، فهؤلاء هم الأولى، وأما الأخرى فهو شداد ولقمان المذكوران في قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ آلِمَادُ﴾ [الفجر: ٧].

وعاد: اسم رجل، ثم استمر^(٣) على قوم انتسبوا إليه.

﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ بالخفض على اللفظ، و«غيره» بالرفع على الموضع، و«غيره» بالنصب على الاستثناء^(٤).

﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا مُفَرَّقٌ﴾ أي: ما أنتم في اتّخاذكم إلهاً غيره إلا كاذبون عليه جلّ وعزّ^(٥).

قوله تعالى: ﴿يَنْقُورُ لَا أَسْأَلُكَ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ تقدّم معناه^(٦). والفطرة: ابتداء الخلق.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما جرى على قوم نوح لما كذبوا الرسل.

قول تعالى: ﴿وَيَنْقُورُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ تقدّم في أول السورة^(٧).

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ جُزِمَ لأنه جواب، وفيه معنى المجازاة.

(١) ضعف هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ١٧٩/٣.

(٢) ٢٦٢/٩.

(٣) في (ظ): اشتهر.

(٤) الخفض والرفع قرأتان متواترتان، وقد سلف الكلام فيهما ٢٦٠/٩، وأما النصب فقرة شاذة. القراءات الشاذة ص ٤٤.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٧/٢.

(٦) ص ٢٥-٢٦ من هذا الجزء.

(٧) ص ٦٧ من هذا الجزء.

﴿عَلَيْكُمْ مَذَرَارًا﴾ نصبٌ على الحال، وفيه معنى التكثير؛ أي: يرسلُ السماء بالمطر متتابعاً يتلو بعضُه بعضاً، والعربُ تحذفُ الهاء في مفعالٍ على النَّسَبِ^(١)، وأكثرُ ما يأتي مفعالٌ من أفْعَل، وقد جاء هاهنا من فَعَلَ؛ لأنه من: درَبَ السماءَ تَدْرِئُ وتَدْرُ، فهي مَذَرَارٌ.

وكان قومُ هود - أعني عاداً - أهلَ بساتين وزروعٍ وعمارةٍ، وكانت مساكنُهم الرمالُ التي بين الشام واليمن^(٢)، كما تقدَّم في «الأعراف»^(٣).
﴿وَبَرِّذْكُمْ﴾ عطفٌ على يُرسل.

﴿قُوَّةً لَكَ قُوَّةً﴾ قال مجاهد: شِدَّةٌ إلى^(٤) شِدَّتْكُمْ. الضَّحَّاك: خِضْباً إلى خِضْبِكُمْ. عليُّ بنُ عيسى: عِزًّا إلى^(٥) عَزَّكُمْ. عِكْرمة: وَلَدُ الْوَلَدِ^(٦). وقيل: إن الله حبَسَ عنهم المطرَ وأَعَقَمَ الأرحامَ ثلاثَ سنين، فلم يُؤَلِّدْ لهم وَلَدٌ، فقال لهم هودٌ: إنْ آمَنْتُمْ أحيا الله بلادَكُمْ، ورزَقكم المالَ والولدَ، فتلك القُوَّة. وقال الزجاج^(٧): المعنى يَزِدكم قُوَّةً في النِّعم.

﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ أي: لا تُغْرِضُوا عَمَّا أَدْعَوْكُمْ إِلَيْهِ، وتُقيموا على الكفر.
قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: حُجَّة واضحة. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ إصرارُ^(٨) منهم على الكفر.

(١) مشكل إعراب القرآن ١/ ٣٦٧ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٥٧ .

(٣) ٢٣٦/٧ ، وفيه أن مساكنهم كانت بنواحي حضرموت إلى اليمن.

(٤) في (د) و(م): على .

(٥) في (م): على .

(٦) في (م): ولدًا إلى ولدكم، وفي (ظ): دوام الولد، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٢/ ٤٧٧ .

(٧) في معاني القرآن ٣/ ٥٧ .

(٨) في (م): إصراراً.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾ أي: أصابَكَ. ﴿بَعْضُ إِلَهَيْنَا﴾ أي: أصنامنا. ﴿يَسْؤُونَ﴾ أي: بجنونٍ لِسَبِّك إياها، عن ابن عباس وغيره^(١). يقال: عَرَاهُ الأمرُ واعتَرَاه واعتَرَّه^(٢): إذا أَلَمَّ به. ومنه ﴿وَأَطِيعُوا أَلْفَانِيَ وَالْمُعَتَّرَ﴾^(٣) [الحج: ٣٦].

﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ﴾ أي: على نفسي. ﴿وَأَشْهَدُوا﴾ أي: وأشهدكم، لا أنهم كانوا أهل شهادة، ولكنه نهايةٌ للتقرير، أي: لتعرفوا ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أي: من عبادة الأصنام التي تعبدونها.

﴿فَكَيْدُنِي جَمِيعًا﴾ أي: أنتم وأوثانكم في عداوتي^(٤) وَضَرِّي. ﴿ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ أي: لا تؤخرون. وهذا القول مع كثرة الأعداء يدلُّ على كمال الثقة بنصر الله تعالى، وهو من أعلام النبوة؛ أن يكون الرسول وحده يقول لقومه: ﴿فَكَيْدُنِي جَمِيعًا﴾، وكذلك قال النبي ﷺ لقريش^(٥)، وقال نوح ﷺ: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ الآية [يونس: ٧١].

قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ أي: رضيتُ بحُكمه، ووَثِّقْتُ بنصره. ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ﴾ أي: نفس تدبُّ على الأرض، وهو في موضع رفع بالابتداء. ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: يَصْرِفُهَا كيف يشاء، ويمنعها مما يشاء، أي: فلا تصلون إلى ضَرِّي. وكلُّ ما فيه رُوح يقال له: دابٌّ ودابَّة، والهاء للمبالغة^(٦). وقال الفراء: مالِكُها، والقادرُ عليها، وقال القُتَيْبِيُّ^(٧): قاهرُها؛ لأنَّ من أخذتِ بناصيته فقد قهرته، وقال الضَّحَّاك: يُحْيِيهَا ثم يَمِيتُهَا^(٨)، والمعنى متقارب.

(١) أخرجه الطبري ١٢/٤٤٧.

(٢) قوله: واعتَرَّه، ليس في (م).

(٣) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٥٧.

(٤) في (ط): عذابي.

(٥) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ [المرسلات: ٣٩].

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٨.

(٧) في تأويل مشكل القرآن ص ١٣٨.

(٨) تفسير البغوي ٢/٣٨٨ - ٣٨٩، والأقوال السالفة منه.

والناصية: قُصَّاصُ الشَّعْرِ في مقدِّم الرأس، وَنَصَوْتُ الرجلَ أَنْصُوهُ نَصْوًا، أي: مددتُ ناصيته.

قال ابن جرير^(١): إِنَّمَا خَصَّ النَّاصِيَةَ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَسْتَعْمَلُ ذَلِكَ إِذَا وَصَفَتْ إِنْسَانًا بِالذُّلَّةِ وَالْخُضُوعِ، فيقولون: مَا نَاصِيَةُ فُلَانٍ إِلَّا بَيْدُ فُلَانٍ، أي: إِنَّهُ مَطْبِيعٌ لَهُ يُصْرِفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَكَانُوا إِذَا أَسْرَوْا أَسِيرًا وَأَرَادُوا إِطْلَاقَهُ وَالْمَنْ عَلَيْهِ جَزَاؤُا نَاصِيَتِهِ، لِيَعْرِفُوا بِذَلِكَ فَخْرًا عَلَيْهِ، فَخَاطَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا يَعْرِفُونَ فِي كَلَامِهِمْ.

وقال الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول»^(٢): قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ وَجْهُهُ عِنْدَنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ مَقَادِيرَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ خَلَقَ خَلْقَهُ، وَقَدْ نَفَذَ بَصْرَهُ فِي جَمِيعِ مَا هُمْ فِيهِ عَامِلُونَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، فَلَمَّا خَلَقَهُمْ وَضَعَ نُورَ تِلْكَ النَّظَرَةِ فِي نَوَاصِيهِمْ، فَذَلِكَ النُّورُ آخِذٌ بِنَوَاصِيهِمْ، يُجْرِيهِمْ إِلَى أَعْمَالِهِمُ الْمُقَدَّرَةِ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْمَقَادِيرِ.

وَخَلَقَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَدَّرَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^(٣).

وَلِهَذَا قَوَّيْتُ الرِّسْلَ وَصَارُوا مِنْ أُولِي الْعَزْمِ؛ لِأَنَّهُمْ لَاحِظُوا نُورَ النِّوَاصِي، وَأَيَقَنُوا أَنَّ جَمِيعَ خَلْقِهِ مُنْقَادُونَ^(٤) بِتِلْكَ الْأَنْوَارِ إِلَى مَا نَفَذَ بَصْرَهُ فِيهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَأَوْفَرَهُمْ حِطًّا مِنَ الْمَلَا حِظَةِ أَقْوَاهُمْ فِي الْعَزْمِ، وَلِذَلِكَ مَا قَوَّيَ هُودُ^(٥) النَّبِيَّ ﷺ حَتَّى قَالَ: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ . إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾.

(١) في النسخ: ابن جريج، وهو خطأ، وابن جرير: هو الطبري، والكلام في تفسيره ٤٤٩/١٢.

(٢) قوله: في نوادر الأصول، ليس في (ظ)، ولم نقف على كلامه في المطبوع من النوادر.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٦٥٣).

(٤) في (ظ): متفاوتون.

(٥) في (ظ): عزم، بدل: هود.

وإنما سُمِّيت ناصيةً؛ لأن الأعمالَ قد نَصَّت وبرزت من غيبِ الغيب، فصارت منصوبةً في المقادير، قد نفذَ بَصَرُ الخالق في جميع حركات الخلق بقدرة، ثم وُضِعَتْ حركاتُ كلِّ من دَبَّ على الأرض حياً في جبهته بين عينيه، فسُمِّي ذلك الموضعُ منه ناصيةً؛ لأنها تُنصُّ حركاتِ العباد بما قدَّر، فالناصيةُ مأخوذةٌ بمنصوصِ الحركات التي نظرَ الله تعالى إليها قبل أن يخلُقها.

ووصفَ ناصيةً أبي جهل، فقال: ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٦]؛ يُخْبِرُ أَنَّ النواصيَ فيها كاذبةٌ خاطئةٌ، فعلى سبيل ما تأولوه يستحيلُ أن تكون الناصيةُ منسوبةً إلى الكذب والخطأ، والله أعلم.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال النحاس: الصُّرَاطُ في اللغة: المنهاج الواضح، والمعنى أن الله جلَّ ثناؤه، وإن كان يقدرُ على كلِّ شيء، فإنه لا يأخذُهم إلا بالحق^(١). وقيل: معناه: لا خَلَلَ في تدبيره، ولا تفاوتٍ في خلقه سبحانه^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ في موضع جزم؛ فلذلك حُذِفَتْ منه النون، والأصل: تتولَّوا، فحُذِفَتْ التاء؛ لاجتماع تاءين. ﴿فَقَدْ أَتْلَفْتُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ بمعنى: قد بَيَّنْتُ لكم.

﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يُهْلِكُكم، ويخلقُ من هو أطوعُ له منكم يوحدونه ويعبدونه. «ويستخلفُ» مقطوعٌ ممَّا قبله، فلذلك ارتفع، أو معطوفٌ على ما يجب فيما بعد الفاء من قوله: «فقد أبلغتكم»^(٣). ورُوي عن حفص عن عاصم: «ويستخلفُ» بالجزم حملاً على موضع الفاء وما بعدها^(٤)، مثل: «ويذرهم في طغيانهم يعمهون»^(٥) [الأعراف: ١٨٦].

(١) معاني القرآن ٣/٣٥٩.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٨.

(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٨.

(٤) رواها هبيرة عن حفص. المحرر الوجيز ٣/١٨٢، والقراءة المتواترة عن حفص بالرفع، كقراءة الجماعة.

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي، وسلف ذكرها ٩/٤٠٤.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا﴾ أي: بتوليكم وإعراضكم. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ أي: لكل شيء حافظ. «على» بمعنى اللام، فهو يحفظني من أن تنالوني بسوء.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي: عذابنا بهلاك عاد. ﴿فَنَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ لأن أحداً لا ينجو إلا برحمة الله تعالى، وإن كانت له أعمال صالحة. وفي «صحيح» مسلم والبخاري وغيرهما^(١)، عن النبي ﷺ: «لن ينجي أحداً منكم عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه». وقيل: معنى «بِرَحْمَةٍ مِنَّا»: بأن بينا لهم الهدى الذي هو رحمة. وكانوا أربعة آلاف، وقيل: ثلاثة آلاف.

﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي: عذاب يوم القيامة، وقيل: هو الريح العقيم؛ كما ذكر الله في «الذاريات» وغيرها، وسيأتي^(٢).

قال القشيري أبو نصر: والعذاب الذي يتوعد به النبي أمته إذا حضر ينجي الله منه النبي والمؤمنين معه، نعم، لا يبعد أن يتلي الله نبياً وقومه فيعمهم بلاء، فيكون ذلك عقوبة للكافرين، وتمحيصاً للمؤمنين، إذا لم يكن مما توعدهم النبي به.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ ابتداءً وخبر. وحكى الكسائي أن من العرب من لا يصرف «عاداً»، فيجعله اسماً للقبيلة^(٣). ﴿جَعَلُوا يَتَذَكَّرُ رَبِّهِمْ﴾ أي: كذبوا بالمعجزات وأنكروها. ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ يعني هوداً وحده، لأنه لم يرسل إليهم من الرسل سواه. ونظيره قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُلَ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] يعني النبي ﷺ وحده؛ لأنه لم يكن في عصره رسول سواه، وإنما جمع هاهنا؛ لأن من كذب رسولا واحداً فقد كفر بجميع الرسل. وقيل: عصوا هوداً والرسل قبله، وكانوا بحيث لو

(١) صحيح مسلم (٢٨١٦): (٧١)، وصحيح البخاري (٦٤٦٢) عن أبي هريرة، وهو في المسند (٧٢٠٣).

(٢) عند تفسير الآية (٤١) منها.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٩.

أَرْسِلْ إِلَيْهِمْ أَفْئِدَةً رَسُولٍ لِّجَحِّدُوا الْكُلَّ.

﴿وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي: اتَّبِعْ سِقَاطَهُمْ رُؤْسَاءَهُمْ. والجَبَّار: المتكبر، والعنيد: الطاغوي الذي لا يقبل الحق ولا يُذعن له. قال أبو عبيدة^(١): العنيد والعنود والعائد والمُعاند: المعارض بالخلاف، ومنه قيل للعرق الذي ينفجر بالدم: عائد. قال الراجز:

إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنْدَا^(٢)

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي: أَلْحِقُوهَا. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: وَاتَّبِعُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ مثل ذلك، فالتمام على قوله: «ويوم القيامة»^(٣).
﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ قال الفراء^(٤): أي: كفروا نعمة ربهم، قال: ويُقال: كَفَرْتُهُ وَكَفَرْتُ بِهِ، مثل: شكرته وشكرت له.

﴿أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوِيٍّ هَوِيٍّ﴾ أي: لا زالوا مُبْعِدِينَ عن رحمة الله. والبُعد: الهلاك، والبُعد: التَّبَاعُدُ من الخير، يقال: بُعِدَ يَبْعُدُ بُعْدًا: إِذَا تَأَخَّرَ وَتَبَاعَدَ، وَبِعِدَ يَبْعُدُ بُعْدًا: إِذَا هَلَكَ، قال:

لَا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سَمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ^(٥)
وقال النابغة:

فَلَا تَبْعَدُنْ إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنَهْلٌ وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا بِهِ الْحَالُ زَائِلٌ^(٦)

(١) في (م): أبو عبيد، والمثبت من (ز) و(ظ)، والكلام في مجاز القرآن له ٢٩٠/١، بنحوه، وينظر تفسير البغوي ٣٨٩/٢.

(٢) أورده كذلك الطبري ٤٥٢/١٢، وابن الشجري في أماليه ٤٢٢/١، وقبله عنده: إِذَا رَكِبْتَ فَاجْعَلُونِي وَسَطًا. والعندا: الصعاب من الإبل، وسيذكر المصنف الرجز عند تفسير الآية (١٥) من سورة إبراهيم.

(٣) والوقف حسن، كما في الوقف والابتداء لابن الأنباري ٧١٤/٢.

(٤) في معاني القرآن ٢٠/٢، ونقله عنه المصنف بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢٨٩/٢.

(٥) سلف ٥٦/٣.

(٦) ديوان النابغة الذبياني ص ٩٠، وفيه: إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَوْعِد.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمِرْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ أي: أرسلنا إلى ثمود ﴿أَخَاهُمْ﴾ أي: في النسب. ﴿صَالِحًا﴾. وقرأ يحيى بن وثاب: «وإلى ثمود» بالتثنية في كل القرآن^(١)، وكذا روي عن الحسن، واختلف سائر القراء فيه، فصرفوه في موضع، ولم يصرفوه في موضع^(٢)، وزعم أبو عبيدة أنه لولا مخالفة السواد لكان الوجه ترك الصرف؛ إذ كان الأغلب عليه التانيث. قال النحاس^(٣): الذي قاله أبو عبيدة - رحمه الله - من أن الغالب عليه التانيث كلامٌ مردود؛ لأن ثموداً يقال له حي، ويقال له قبيلة، وليس الغالب عليه القبيلة، بل الأمر على ضد ما قال عند سيويه، والأجود عند سيويه^(٤) فيما لم يقل فيه: بنو فلان، الصرف، نحو قریش وثقيف وما أشبههما، وكذلك ثمود، والعلّة في ذلك أنه لما كان التذكير الأصل، وكان يقع له مذكر ومؤنث؛ كان الأصل الأخف أولى، والتانيث جيد بالغ حسن. وأنشد سيويه^(٥) في التانيث:

غَلَبَ الْمَسَامِيحَ الْوَلِيدُ سَمَاحَةً وَكَفَى قَرِيشَ الْمَعْضِلَاتِ وَسَادَهَا^(٥)
الثانية: قوله تعالى: ﴿قَالَ يَتَقَوَّمِرْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ تقدّم^(٦).

﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: ابتداء خلقكم من الأرض، وذلك أن آدمَ خُلِقَ من

(١) القراءات الشاذة ص ٤٤، وزاد نسبتها للأعمش.

(٢) ينظر السبعة ص ٣٣٧، والتيسير ص ١٢٥.

(٣) في إعراب القرآن ٢/ ٢٨٩ - ٢٩٠، وما قبله منه. إلا أن فيه: أبو عبيد، في الموضعين.

(٤) الكتاب ٣/ ٢٥٠. ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس.

(٥) البيت لعدي بن البرقاع. والمساميح: جمع سَمَحَ على غير قياس، وهو من الجمع النادر، والمعضلات:

الشدائد. شرح الشواهد للشتمري ص ٤٦٠ - ٤٦١.

الأرض على ما تقدّم في «البقرة» و«الأنعام»^(١). وهم منه. وقيل: أنشأكم في الأرض. ولا يجوز إدغام الهاء من «غيره» في الهاء من «هو» إلا على لغة من حذف الواو في الإدراج^(٢).

﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي: جعلكم عُمَارَهَا وَسُكَّانَهَا. قال مجاهد: ومعنى «استعمركم»: أعماركم، من قولهم^(٣): أَعْمَرُ فلانٌ فلاناً دارَهُ، فهي له عُمَرَى، وقال قتادة: أسكنكم فيها، وعلى هذين القولين يكون استَفْعَلَ بمعنى أَفْعَلَ، مثل: استجاب بمعنى أجاب، وقال الضَّحَّاك: أطال أعماركم، وكانت أعمارهم من ثلاث مئة إلى ألف^(٤). ابن عباس: أعاشكم فيها. زيد بن أسلم: أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن، وغرس أشجار. وقيل: المعنى: ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها.

الثالثة: قال ابن العربي^(٥): قال بعض علماء الشافعية: الاستعمار: طلبُ العمارة، والطلبُ المطلقُ من الله تعالى على الوجوب. قال القاضي أبو بكر: تأتي كلمة استَفْعَلَ في لسان العرب على معان منها: استَفْعَلَ بمعنى طلب الفعل، كقوله: استحمله، أي: طلبتُ منه حُمْلاناً، وبمعنى اعتقد، كقولهم: استسهلتُ هذا الأمر: اعتقدته سهلاً، أو وجدته سهلاً، واستعظمته؛ أي: اعتقدته عظيماً ووجدته، ومنه استفعلتُ بمعنى أصبتُ، كقولهم: استجدتُ أي: أصبته^(٦) جيداً، ومنها بمعنى فَعَلَ، كقوله: قرَّ في المكان واستقرَّ، وقالوا: وقوله: ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ٥]

(١) ٤١٧/١ و ٣١٨/٨.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٠، وإدغام الهاء من «غيره» في الهاء من «هو» من الإدغام الكبير لأبي عمرو البصري من رواية السوسي.

(٣) في (د) و(م): قوله.

(٤) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٢/ ٤٥٣، والنكت والعيون ٢/ ٤٧٩، وتفسير البغوي ٢/ ٣٩٠.

(٥) في أحكام القرآن ٣/ ١٠٤٧، وما سورد بين حاصرتين منه.

(٦) في (د): وجدته، وفي (ظ): أصبت.

و﴿يَسْتَحْزِرُونَ﴾ [الصافات: ١٤] منه.

فقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ خلقكم لعمارته، لا على معنى استجدته واستسهلته، أي: أصبته جيداً وسهلاً، وهذا يستحيل في الخالق، فيرجع إلى أنه خَلَقَ؛ لأنه الفائدة، وقد يُعبر عن الشيء بفائدته مجازاً، ولا يصح أن يقال: إنه طلب من الله تعالى لعمارته؛ فإنَّ هذا اللفظ لا يجوز في حقّه، أمّا أنه يصح أن يقال: إنه استدعى عمارته؛ فإنه جاء بلفظ استفعل، وهو استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه إذا كان أمراً، وطلب للفعل إذا كان من الأدنى إلى الأعلى [رغبة].

قلت: لم يذكر استفعل بمعنى أفعل، مثل قوله: استوقد بمعنى أوقد، وقد ذكرناه^(١). وهي:

الرابعة: ويكون فيها دليل على الإسكان والعُمري، وقد مضى القول في «البقرة» في السُّكنى والرُّقْبى^(٢).

وأما العُمري فاختلف العلماء فيها على ثلاثة أقوال:

أحدها: إنها تمليك لمنافع الرُّقْبَة حياة المُعَمَّر مدة عُمره، فإن لم يذكر عَقِباً، فمات المُعَمَّر؛ رجعت إلى الذي أعطاه أو لورثته، هذا قول القاسم بن محمد ويزيد ابن قُسيط والليث بن سعد، وهو مشهور مذهب مالك، وأحد أقوال الشافعي، وقد تقدّم في «البقرة» حُجَّة هذا القول^(٣).

الثاني: إنها تمليك الرُّقْبَة ومنافعها، وهي هبة مَبْتُولة^(٤)، وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأصحابهما والثوري والحسن بن حي وأحمد بن حنبل وابن شُبْرمة

(١) ٣٢١/١.

(٢) ٤٤٥/١، وما بعدها.

(٣) ٤٤٦/١.

(٤) في (ظ) مقبولة. ومبتولة، أي: منقطعة من مال واهبها خارجة عنه، من البُئْل: وهو القطع وتمييز

الشيء من الشيء. تهذيب اللغة ٢٩١/١٤.

وأبي عُبَيْد، قالوا: من أَعَمَّرَ رجلاً شيئاً حَيَاتَهُ فهو له حَيَاتُهُ، وبعد وفَاتِهِ لورثته؛ لأنه قد مَلَكَ رَقَبَتَهَا، وَشَرَّطَ المعطي الحَيَاةَ أو العَمَرَ باطلٌ؛ لأن رسولَ الله ﷺ قال: «العُمري جائزة»^(١)، و«العُمري لمن وُهِبَ له»^(٢).

الثالث: إن قال: عُمَرَكَ، ولم يذكر الْعَقِبَ، كان كالقول الأول، وإن قال: لَعَقِبِكَ، كان كالقول الثاني، وبه قال الزُّهْرِيُّ وأبو ثور وأبو سَلَمَةَ بْنُ عبد الرحمن وابنُ أبي ذئب^(٣)، وقد رُوِيَ عن مالك، وهو ظاهرُ قوله في «الموطأ»^(٤).

والمعروفُ عنه وعن أصحابه أنها ترجعُ إلى الْمُغَمِّرِ إذا انقَضَ عَقِبُ الْمُغَمَّرِ، إن كان الْمُغَمِّرُ حَيًّا، وإلا فإلى من كان حَيًّا من ورثته وأولى الناس بميراثه، ولا يملكُ الْمُغَمَّرُ بلفظ العُمري عند مالك وأصحابه رَقَبَةً شَيْءٍ من الأشياء، وإنما يملكُ بلفظ العُمري المنفعةَ دون الرقبة^(٥).

وقد قال مالك في الْحُبْسِ أيضاً إذا حَبَسَ على رجلٍ وَعَقِبَهُ: إنه لا يرجع إليه، وإن حَبَسَ على رجلٍ بعينه حَيَاتَهُ رَجَعَ إليه، وكذلك العُمري قِياساً^(٦)، وهو ظاهر «الموطأ». وفي «صحيح مسلم» عن جابر بن عبد الله أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أَيُّمَا رجلٍ أَعَمَّرَ رجلاً عُمري له وَلَعَقِبَهُ فقال: قد أُعْطِيَتْكُمَا وَعَقِبُكَ ما بقي منكم أحدٌ، فَإِنَّهَا لَمَنْ أُعْطِيَهَا»^(٧)، وإنها لا ترجعُ إلى صاحبها؛ من أجلِ أنه أُعْطِيَ عطاءً وقعت فيه المَوَارِيثُ. وعنه قال: إن العُمري التي أجاز رسولُ الله ﷺ أن يقول: هي لك وَلَعَقِبُكَ، فأما إذا قال: هي لك ما عِشْتُ، فَإِنَّهَا ترجعُ إلى صاحبها. قال مَعَمَّر: وبذلك كان الزُّهْرِيُّ يُقْتِي^(٨).

(١) أخرجه أحمد (٨٥٦٧)، والبخاري (٢٦٢٦)، ومسلم (١٦٢٦): (٣٢) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) أخرجه أحمد (١٤٢٤٣)، والبخاري (٢٦٢٥)، ومسلم (١٦٢٥): (٢٥) من حديث جابر بن عبد الله ؓ.

(٣) ينظر التمهيد ١١٤/٧ وما بعدها.

(٤) ٧٥٦/٢.

(٥) الاستذكار ٣١٧/٢٢.

(٦) الكافي ١٠١٣/٢.

(٧) بعدها في (ز) و(ظ): وعقبه.

(٨) صحيح مسلم (١٦٢٥): (٢٢) و(٢٣)، وهما في مستد أحمد (١٥٢٩٠) و(١٤١٣١).

قلتُ: معنى القرآن يجري مع أهل القول الثاني؛ لأنَّ الله سبحانه قال: ﴿وَأَسْتَعْمِرُكُمْ﴾ بمعنى أعمركم، فأعمرَ الرجلَ الصَّالح فيها مدةَ حياته بالعمل الصَّالح، وبعد موته بالذكر الجميل والثناء الحسن، وبالعكس الرجلُ الفاجرُ، فالدنيا ظرفٌ لهما حياةٌ وموتاً. وقد يقال: إنَّ الثناء الحسن يجري مجرى العقب. وفي التنزيل: ﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] أي: ثناءً حسناً، وقيل: هو محمدٌ ﷺ (١). وقال: ﴿وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧] وقال: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ لِسَانِكَ وَمِنْ دُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَعَلَيْهِ لِنَفْسِهِ مُبِيتٌ﴾ [الصافات: ١١٣].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ أي: سَلُوهُ المغفرةَ من عبادة الأصنام. ﴿ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ﴾ أي: ارجعوا إلى عبادته. ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ أي: قريبُ الإجابة لمن دعاه. وقد مضى في «البقرة» عند قوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ دَعْوَةَ الدَّالِّغِ﴾ [١٨٦] القول فيه (٢).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَصْلِحْ فَدَكُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (١٧) قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُمْ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (١٨) وَيَنْقُورُ هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوْهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (١٩) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٢٠) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا صَلْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٢١) وَالَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِمِينَ (٢٢) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَا إِنَّ شُمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ آلَا بَعْدًا لِّشُمُودٍ (٢٣) ﴿

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَصْلِحْ فَدَكُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ أي: كنا نرجو أن تكون فينا سيِّداً قبل هذا، أي: قبل دعوتك النبوة. وقيل: كان صالحٌ يعيب آلهم ويشنؤهم،

(١) ينظر ما سيرد عند تفسير الآية ٨٣ من سورة الشعراء.

(٢) ١٧٨/٣ فما بعدها.

وكانوا يرجون رجوعه إلى دينهم، فلمّا دعاهم إلى الله قالوا: انقطع رجائنا منك^(١).
﴿أَتُهَنَّا﴾ استفهامٌ معناه الإنكار. ﴿أَنْ تَعْبُدَ﴾ أي: عن أن نعبد ﴿مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾
فـ «أن» في محلّ نصبٍ بإسقاط حرف الجر. ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرُسُلِهِ﴾ وفي سورة إبراهيم:
﴿وَلَئِنْ﴾ [٩] والأصل: ولئنّا، فاستثقل ثلاث نونات فأسقط الثالثة^(٢). ﴿وَمَا تَدْعُونَا﴾
الخطابُ لصالح، وفي سورة إبراهيم: ﴿تَدْعُونَا﴾ [٩] لأنّ الخطاب للرسل صلوات
الله وسلامه عليهم ﴿إِلَيْهِ مُّرْسِلٌ﴾ من أربّته فانا أربّيه: إذا فعلت به فعلاً يوجب لديه^(٣)
الرّيبة. قال الهذلي:

كُنْتُ إِذَا أَتَوْتُهُ مِنْ غَيْبٍ يَشْمُ عِظْفِي وَيَبْزُ ثَوْبِي
كَأَنَّمَا أَرَبُّهُ بِرَيْبٍ^(٤)

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ أَأَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَيْنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾
تقدّم معناه في قول نوح^(٥). ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ استفهامٌ معناه النفي؛
أي: لا ينصُرني منه إن عصيته أحدٌ. ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ أي: تضليل وإبعاد من
الخير، قاله الفراء^(٦). والتّخسيرُ لهم لا له ﷻ، كأنه قال: غير تخسير لكم، لا لي،
وقيل: المعنى ما تزيدونني باحتجاجكم بدين آبائكم غير بصيرة بخسارتكم، عن ابن
عباس^(٧).

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ هَذِهِ نَافَةٌ لِّلَّهِ﴾ ابتداءً وخبر. ﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ نصبٌ على

(١) تفسير البغوي ٣٩٠/٢.

(٢) ينظر زاد المسير ١٢٤/٤.

(٣) في (د): توجب به.

(٤) قائله خالد بن زهير، جعله أبو ذؤيب - خاله - رسولاً بينه وبين عشيقته، فأفسدها عليه، فكان يشك فيه، فقال له خالد هذه الآيات. والشعر في ديوان الهذليين ١٦٥/١، وقبله: يا قوم ما بال أبي ذؤيب. وأتوته: لغة في أتيته، ويز ثوبي، أي: يجذبه إليه. اللسان: (أتى) و(بزز).

(٥) ص ١٠١ من هذا الجزء.

(٦) معاني القرآن ٢٠/٢، ونقله عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢٩٠/٢.

(٧) تفسير البغوي ٣٩١/٢.

الحال، والعاملُ معنى^(١) الإشارة، أو التنبيه في «هذه». وإنَّما قيل: ناقةُ الله؛ لأنه أخرجها لهم من جبل على ما طلبوا، على أنَّهم يؤمنون^(٢). وقيل: أخرجها من صخرة صماء منفردة في ناحية الحجر يقال لها: الكائنة، فلما خرجت الناقة - على ما طلبوا - قال لهم نبيُّ الله صالح: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾ أمرٌ وجوابه، وحذفت النون من «فذروها» لأنه أمرٌ، ولا يقال: وَذَرْ ولا وَادِرْ إلا شاذًّا، وللنحويين فيه قولان: قال سيبويه^(٣): استغنوا عنه بترك، وقال غيره: لما كانت الواو ثقيلةً، وكان في الكلام فعلٌ بمعناه لا واو فيه؛ ألغوه. قال أبو إسحاق الزجاج: ويجوزُ رفع «تأكل» على الحال والاستئناف.

﴿وَلَا تَمْسُوهَا﴾ جزمٌ بالنهي. ﴿يَسُوءُ﴾ قال الفراء: بعقر. ﴿فَأُخَذُوا﴾ جواب النهي. ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ أي: قريبٌ من عقربها^(٤).

قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ فيه مسألان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ إنما عَقَرَهَا بعضهم، وأضيف إلى الكل؛ لأنه كان برضا الباقيين. وقد تقدَّم الكلام في عَقَرَهَا في «الأعراف». ويأتي أيضاً^(٥).

﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا﴾ أي: قال لهم صالح: تَمَتَّعُوا، أي: بنعم الله عزَّ وجلَّ قبل العذاب. ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ أي: في بلدكم، ولو أراد المنزلَ لقال: فِي دُورِكُمْ. وقيل: أي: يتمتع كلُّ واحدٍ منكم في داره ومسكنه، كقوله: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾^(٦) [غافر: ٦٧]؛ أي: كلُّ واحدٍ طِفْلاً. وعبرَ عن التمتع بالحياة؛ لأن الميِّت لا يتلذَّذ ولا

(١) في (ظ): فيه.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٠.

(٣) الكتاب ٢٥/ ١، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٠، والأقوال السالفة منه.

(٥) ينظر ٩/ ٢٧٠. وسيرد في تفسير الآية ٢٩ من سورة القمر، والآية ١٤ من سورة الشمس.

(٦) في (ظ): ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [الحج: ٥].

يتمتع بشيء، فعُفِرَت يومَ الأربعاء، فأقاموا يومَ الخميس والجمعة والسَّبت، وأتاهم العذابُ يومَ الأحد، وإنَّما أقاموا ثلاثةَ أيامٍ؛ لأنَّ الفَصِيلَ رِغاً ثلاثاً، على ما تقدَّم في «الأعراف»^(١)، فاصفَرَّت ألوانُهُم في اليومِ الأوَّل، ثم احمرَّت في الثاني، ثم اسودَّت في الثالث، وهلكوا في الرابع، وقد تقدَّم في «الأعراف»^(٢).

الثانية: استدَلَّ علماؤنا بإرجاء الله العذابَ عن قومٍ صالحٍ ثلاثةَ أيامٍ على أن المسافرين إذا لم يُجمِع على إقامة أربع ليالٍ قَصَرَ؛ لأنَّ الثلاثةَ الأيامَ خارجةٌ عن حكم الإقامة. وقد تقدَّم في «النساء»^(٣) ما للعلماء في هذا.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ أي: غير كَذِبٍ. وقيل: غير مكذوبٍ فيه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي: عذابُنا. ﴿بَنَيْنَا صَلِيلًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رَحِمُوا مِمْكًا﴾ تقدَّم^(٤). ﴿وَمِنْ خِزْيٍ يُومِئِدُ﴾ أي: ونَجَّيناهم من خِزْيٍ يومئذٍ، أي: من فضيحته وذُلِّته. وقيل: الواو زائدة؛ أي: نَجَّيناهم من خِزْيٍ يومئذٍ، ولا يجوزُ زيادتها عند سيويه^(٥) وأهل البصرة، وعند الكوفيين يجوزُ زيادتها مع «لَمَّا» و«حَتَّى» لا غير^(٦).

وقرأ نافع والكسائي: «يومئذٍ» بالنصب، والباقون بالكسْر على إضافة «يوم» إلى «إِذ»^(٧). وقال أبو حاتم: حدَّثنا أبو زيد، عن أبي عمرو أنه قرأ: «وَمِنْ خِزْيٍ يَوْمِئِذٍ»؛ أدغمَ الياءَ في الياءَ، وأضاف، وكسّر الميمَ في «يومئذٍ». قال النحاس^(٨): الذي يرويه

(١) ٢٧١/٩.

(٢) لم يذكر المصنف هذا في «الأعراف»، وينظر المحرر الوجيز ٤٢٢/٢.

(٣) ٨٣/٧.

(٤) تقدم معناه في قصة هود ص ١٤٦ من هذا الجزء.

(٥) الكتاب ١٠٣/٣.

(٦) ينظر الإنصاف للأنباري ٤٥٦/٢ وما بعدها.

(٧) السبعة ص ٣٣٦، والتيسير ص ١٢٥.

(٨) إعراب القرآن ٢/٢٩١، وما قبله منه.

النحويون مثلُ سيبويه ومن قارَيه^(١) عن أبي عمرو في مثل هذا الإخفاء^(٢)، فأما الإدغامُ فلا يجوز؛ لأنه يلتقي ساكنان، ولا يجوز كَسْرُ الزاي^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ أي: في اليوم الرابع؛ صَبَحَ بهم فماتوا، ودُكِّرَ؛ لَأَنَّ الصَّيْحَةَ والصَّيَاحَ واحدٌ. قيل: صيحةُ جبريل، وقيل: صيحةُ من السماء فيها صوتُ كلِّ صاعقة، وصوتُ كلِّ شيء في الأرض، فتقطعت قلوبهم وماتوا^(٤).

وقال هنا: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ وقال في «الأعراف»: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [٧٨]، وقد تقدّم بيانهُ هناك.

وفي التفسير: إنهم لما أيقنوا بالعذاب قال بعضهم لبعض: ما مقامكم أن يأتاكم الأمرُ بَغْتَةً؟! قالوا: فما نصنع؟ فأخذوا سيوفهم ورمائحهم وعُدَدَهم، وكانوا فيما يقال: اثني عشر ألف قبيلة، في كل قبيلة اثنا عشر ألف مقاتل، فوقفوا على الطُّرُق والفجاج - زعموا - يلاقون العذاب، فأوحى الله تعالى إلى المَلَكِ الموكِّل بالشمس أن يُعَذِّبَهُمْ بحرّها، فادناها من رؤوسهم، فاشتَوَّتْ أيديهم، وتدلَّتْ ألسنتهم على صدورهم من العطش، ومات كلُّ ما كان معهم من البهائم، وجعل الماء يتفوّر من تلك العيون من غَلْيَانِهِ حتى يبلُغَ السماء، لا يسقط على شيءٍ إلا أهلكه من شدّة حرّه، فما زالوا كذلك، وأوحى الله إلى مَلَكِ الموت ألا يقبض أرواحهم؛ تعذيباً لهم إلى أن غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فصَبَحَ بهم، فأهلكوا.

(١) في (ظ): قارنه.

(٢) قال سيبويه في الكتاب ٤/٤٣٨: وإذا كان قبل الحرف المتحرك الذي بعده حرف مثله سواة حرف ساكن لم يجز أن يسكن، ولكنك إن شئت أخفيت، وكان بزنته متحركاً.

(٣) قال أبو عمرو الداني في جامع البيان ١/١٨٣ مقررأ مذهب أبي عمرو البصري في الإدغام: فأما المثلان إذا كانا من كلمتين فإنه أدغم الأول في الثاني منهما في جميع القرآن، وسواء سكن ما قبله أو تحرك... إلا موضعاً واحداً وهو في لقمان: ﴿فَلَا يَحْزَنْكَ كُفْرُكُ﴾ [٢٣] فإنه لم يدغم الكاف في الكاف فيه؛ لسكون التون قبلها، وكونها مخفأة عنده، فلو أدغمها لوالى بين إعلالين.

(٤) تفسير البغوي ٢/٣٩١، والقول الثاني أخرجه الطبري في تفسيره ١٢/٤٦٢ في سياق طويل، من حديث عمرو بن خارجة مرفوعاً.

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ أي: ساقطين على وجوههم قد لَصِقُوا بالتراب، كالطير إذا جثمت.

﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ تقدم معناه^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطٍ ﴿٧٥﴾ وَأَمْرَانَهُ فَأَبْرَأَهُمُ فَنَجَّيْنَاهُ مِنْهُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءَهُ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى﴾ هذه قصّة لوط عليه السلام، وهو ابن عم إبراهيم عليه السلام لحا^(٢)، وكانت قرى لوط بنواحي الشام، وإبراهيم ببلاد فلسطين، فلما أنزل الله الملائكة بعذاب قوم لوط مرؤا بإبراهيم ونزلوا عنده، وكان كل من نزل عنده يُحْسِنُ قَرَاهُ، وكانوا مرؤا ببشارة إبراهيم، فظنّهم أضيافاً، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، قاله ابن عباس. الضحّاك: كانوا تسعة. السُّدِّي: أحد عشر ملكاً على صورة الغلمان الحسان الوجوه، ذوّو وضاءة وجمال بارع^(٣).

﴿إِلْبَشْرَى﴾ قيل: بالولد، وقيل: بإهلاك قوم لوط، وقيل: بشّروه بأنهم رسل الله عز وجل، وأنه لا خوف عليه.

﴿قَالُوا سَلَمًا﴾ نُصِبَ بوقوع الفعل عليه، كما تقول: قالوا خيراً، وهذا اختيار الطبري^(٤). وأما قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ﴾ [الكهف: ٢٢] فالثلاثة اسمٌ غير قولٍ مقول^(٥)،

(١) في قصة هود ص ١٤٧ من هذا الجزء.

(٢) أي: لاصق النسب. الصحاح: (لحج).

(٣) ينظر تفسير البغوي ٣٩٢/٢.

(٤) تفسير الطبري ٤٦٦/١٢.

(٥) في (د): غير مقول.

ولو رُفِعَا جميعاً أو نُصِبَا جميعاً ﴿قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ﴾ جاز في العربية^(١). وقيل: انتصبَ على المصدر، وقيل: ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾ أي: فاتحوه بصوابٍ من القول، كما قال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] أي: صواباً، فسلاماً معنى قولهم، لا لفظه. قال معناه ابنُ العربي واختاره^(٢)، قال: ألا ترى أنَّ الله تعالى لما أراد ذِكرَ اللفظ قاله بعينه، فقال مخبراً عن الملائكة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَّيْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٦] ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقيل: دَعَوْا له، والمعنى: سَلِمْتَ سلاماً.

﴿قَالَ سَلَمٌ﴾ في رفعه وجهان: أحدهما: على إضمار مبتدأ؛ أي: هو سلامٌ، وأمرِي سلامٌ. والآخرُ بمعنى: سلامٌ عليكم، إذا جُعِلَ بمعنى التحيَّة، فأصمَرَ الخبر، وجاز «سلامٌ» على التنكير؛ لكثرة استعماله، فحذَفَ الألف واللام كما حُذِفَتْ من لاهمَّ في قولك: اللهم. وقرئ: «سِلْمٌ»^(٣) قال الفراء^(٤): السِّلْم والسَّلَام بمعنى، مثل الجِلِّ والحَلال.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ يَعْجِلُ حَزِينٌ﴾ فيه أربع عشرة مسألة^(٥):

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ﴾ «أن» بمعنى حتَّى، قاله كُتُبَاء النُّحويين، حكاه ابنُ العربي^(٦)، التقدير: فما لَيْتَ حتَّى جاء.

وقيل: «أن» في موضع نصبٍ بسقوط حرفِ الجرِّ، التقدير: فما لَيْتَ عن أن جاء، أي: ما أبطأ عن مجيئه بعجلٍ، فلمَّا حذف حرف الجرِّ بقي «أن» في محلِّ

(١) معاني القرآن للفراء ٢١/٢.

(٢) في أحكام القرآن ١٠٤٨/٣.

(٣) وقرأ بها من السبعة حمزة والكسائي. السبعة ص ٣٣٧ - ٣٣٨، والتيسير ص ١٢٥.

(٤) معاني القرآن ٢٠/٢ - ٢١.

(٥) المسائل التي ذكرها المصنف تنظم هذه الآية والتي بعدها.

(٦) أحكام القرآن ١٠٥٠/٣، وعقب عليه بقوله: وأعجب لهم كيف استجازوا ذلك مع سعة معرفتهم. ثم ذكر أن التحقيق في موضع «أن جاء» النصب على حكم المفعول.

النَّصِبِ، وفي «البث» ضميرُ اسمِ إبراهيم. و«ما» نافيةٌ، قاله سيويه.

وقال الفراء^(١): فما لبث مجيئه، أي: ما أبطأ مجيئه، فـ «أن» في موضع رفع، ولا ضميرَ في «لبث»، و«ما» نافيةٌ، ويصحُّ أن تكون «ما» بمعنى الذي، وفي «البث» ضميرُ إبراهيم، و«أن جاء» خبرُ «ما» أي: فالذي لبثَ إبراهيمُ هو مجيئه بعجلٍ حنيذٍ. و﴿حَنِيزٌ﴾ مشويٌّ، وقيل: هو المشويُّ بِحَرِّ الحجارة من غير أن تَمَسَّ النارُ. يقال: حَنَذْتُ الشاةَ أَحْنَذُهَا حَنْذًا، أي: شويتها، وجعلتُ فوقها^(٢) حجارةً مُحَمَّاةً لتَنْضِجها، فهي حنيذٌ، وَحَنَذْتُ الفرسَ أَحْنَذُهُ حَنْذًا - وهو أن تُحْضِرَهُ^(٣) شوطاً أو شوطين ثم تَظَاهِرَ عليه الجلال في الشمس ليعرَقَ - فهو محنوذٌ وَحَنِيزٌ، فإن لم يعرَقْ قيل: كَبَا. وَحَنْذٌ: موضعٌ قريبٌ من المدينة^(٤).

وقيل: الحَنِيزُ: السَّمِيطُ^(٥). ابنُ عباس وغيره: حنيذٌ: نَضِيجٌ^(٦). وَحَنِيزٌ بمعنى محنوذٌ، وإنما جاء بعجلٍ؛ لأنَّ البقرَ كانت أكثرَ أمواله.

الثانية: في هذه الآية من أدب الضيف أن يُعَجَّلَ قِراءه، فيقدِّم الموجودَ الميسَّرَ في الحال، ثم يُتَبَعَه بغيره إن كان له جِذَّةٌ، ولا يتكلَّف ما يَضُرُّ به.

والضَّيَافَةُ من مكارم الأخلاق، ومن آداب الإسلام، ومن خُلُقِ النبيِّين والصَّالحين، وإبراهيمُ أوَّلُ من أَضَافَ على ما تقدَّم في «البقرة»^(٧)، وليست بواجبة عند عامة أهل العلم؛ لقوله ﷺ: «الضَّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَجَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، فَمَا

(١) في معاني القرآن ٢١/٢.

(٢) في (ظ): وجعلتها فوق.

(٣) قال في الصحاح (حضر): أحضر الفرسَ إحضاراً واحتضر، أي: عدا، واستحضرته: أعديته.

(٤) الصحاح: (حنذ).

(٥) السميطة في قول الليث: إذا مُرِطَ عنه صوفه، ثم شُويَ بإهابه. وأصل السميطة: أن ينزع صوف الشاة المذبوحة بالماء الحار لتشوى. اللسان: (سمط).

(٦) أخرجه الطبري ١٢/٤٦٨ - ٤٦٩.

(٧) ٣٥٢/٢.

كان وراء ذلك فهو صدقة^(١)، والجائزة: العطية والصلة التي أصلها على الندب، وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه^(٢)، وإكرام الجار ليس بواجب إجماعاً، فالضيافة مثله^(٣)، والله أعلم، وذهب الليث إلى وجوبها متمسكاً^(٤) بقوله ﷺ: «ليلة الضيف حق»^(٥) إلى غير ذلك من الأحاديث، وفيما أشرنا إليه كفاية، والله الموفق للهداية.

قال ابن العربي^(٦): وقد قال قوم: إن وجوب الضيافة كان في صدر الإسلام ثم نسخ. وهذا ضعيف؛ فإن الوجوب لم يثبت، والناسخ لم يرد. وذكر حديث أبي سعيد الخدري، خرجه الأئمة^(٧)، وفيه: «فاستضيفناهم فأبوا أن يضيفونا، فلديع سيد ذلك الحي» الحديث. وقال: هذا ظاهر في أن الضيافة لو كانت حقاً لآلَم النبي ﷺ القوم الذين أبوا، ولبيّن لهم ذلك.

الثالثة: اختلف العلماء فيمن يُخاطَبُ بها؛ فذهب الشافعي ومحمد بن عبد الحَكَم إلى أن المخاطَبَ بها أهل الحَضَر والبادية، وقال مالك: ليس على أهل الحَضَر ضيافة. قال سُخْنُون: إنما الضيافة على أهل القرى، وأما الحَضَر فالفندق ينزل فيه المسافر^(٨)، واحتجوا بحديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الضيافة

(١) أخرجه أحمد (١٦٣٧١)، والبخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨): (١٤) [١٣٥٢/٢] بنحوه، من حديث أبي شريح الخزاعي. وأخرجه الترمذي (١٩٦٨) وفيه: «وما أنفق عليه بعد ذلك فهو صدقة».

(٢) أخرجه أحمد (٧٦٢٦)، والبخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧): (٧٤) من حديث أبي هريرة.

(٣) التمهيد ٤٧/٢١.

(٤) في (م): تمسكاً.

(٥) أخرجه أحمد (١٧١٧٢)، وأبو داود (٣٧٥٠)، وابن ماجه (٣٦٧٧) من حديث أبي كريمة المقدم بن معدي كرب.

(٦) في أحكام القرآن ٣/١٠٤٩ - ١٠٥٠.

(٧) أخرجه أحمد (١١٣٩٩)، والبخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١): (٦٥).

(٨) بعدها في (د) و(م): حكى اللغتين صاحب العين وغيره، وهي مقحمة لا وجه لها.

على أهل الوَبَرِ، وليست على أهل المَدَرِ^(١). وهذا حديث لا يصح، وإبراهيم ابن أخي عبد الرزاق متروك الحديث، منسوب إلى الكذب، وهذا مما انفرد به، ونُسب إلى وضعه، قاله أبو عمر بن عبد البر^(٢). قال ابن العربي^(٣): الضيافة حقيقة فرض على الكفاية، ومن الناس من قال: إنها واجبة في القرى حيث لا طعام ولا مأوى^(٤)، بخلاف الحواضر؛ فإنها مشحونة بالمأواه^(٥) والأقوات، ولا شك أن الضيف كريم، والضيافة كرامة، فإن كان غريباً^(٦) فهي فريضة.

الرابعة: قال ابن العربي^(٧) قال بعض علمائنا: كانت ضيافة إبراهيم قليلة، فشكرها الحبيب. وهذا حكم بالظن في موضع القطع، وبالقياص في موضع النقل، من أين علم أنه قليل؟! بل قد نقل المفسرون أن الملائكة كانوا ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، وعجل لثلاثة عظيم، فما هذا التفسير لكتاب الله بالرأي؟! هذا - بأمانة الله - هو التفسير المذموم، فاجتنبوه فقد علمتموه.

الخامسة: السنة إذا قُدِّم للضيف الطعام أن يبادر المقدم إليه بالأكل؛ فإن كرامة الضيف تعجيل التقديم، وكرامة صاحب المنزل المبادرة بالقبول، فلما قبضوا أيديهم نكروهم إبراهيم؛ لأنهم خرجوا عن العادة، وخالفوا السنة، وخاف أن يكون وراءهم مكروه^(٨) يقصدونه^(٩). وروى أنهم كانوا ينكتون بقداح كانت في أيديهم في اللحم،

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل ٢٧١/١، والقضاعي في مسند الشهاب (٢٨٤). من طريق إبراهيم بن عبد الله ابن أخي عبد الرزاق.

(٢) في التمهيد ٤٣/٢١ - ٤٤.

(٣) في أحكام القرآن ٣/١٠٥٠.

(٤) في (د) و(ز) و(ظ): ولا ماء.

(٥) في (د) و(ز) و(ظ): بالماء.

(٦) في (ظ): كانت عرساً.

(٧) في أحكام القرآن ٣/١٠٥١.

(٨) في (ز) و(ظ): مكر.

(٩) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٥١.

ولا تصل أيديهم إلى اللحم، فلما رأى ذلك منهم ﴿نَكَرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾^(١)
 أي: أضمر، وقيل: أحس، والوجس: الدخول، قال الشاعر^(٢):
 جاء البريدُ بقِرطاسٍ يحُبُّ به فأوجس القلبُ من قِرطاسِهِ جَزَعاً
 «خِيفَةً»: خوفاً، أي: فزعاً، وكانوا إذا رأوا الضيف لا يأكلُ ظنوا به شراً، فقالت
 الملائكة: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطٍ﴾.

السادسة: من أدب الطعام أنَّ لصاحب الضيف أن ينظر في ضيفه هل يأكل أم لا، وذلك ينبغي أن يكون بتلفُّتٍ ومسارقةٍ، لا بتحديد النَّظر. روي أن أعرابياً أكلَ مع سليمان بن عبد الملك، فرأى سليمانُ في لقمة الأعرابيِّ شعرةً، فقال له: أزلِ الشعرةَ عن لقمَتِكَ، فقال له: أنتنظرُ إليَّ نظر من يرى الشعرة في لقمتي؟! والله لا أكلتُ معك^(٣).

قلتُ: وقد ذكر أنَّ هذه الحكاية إنما كانت مع هشام بن عبد الملك لا مع سليمان، وأن الأعرابيَّ خرج من عنده وهو يقول:
 وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ يُلاحِظُ أطرافَ الأكيلِ على عَمْدٍ^(٤)
 السابعة: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ﴾ يقول: أنكرهم، تقول: نَكَّرْتُكَ، وأنكرتُكَ، واستنكرتُكَ: إذا وجدته على غير ما عهَدته، قال الشاعر^(٥):

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٧١/١٢ من قول جندب بن سفيان.

(٢) هو يزيد بن معاوية، قاله حينما جاءه نعي والده معاوية ؓ، والبيت في ديوان شعره ص ٢٥.

(٣) المحرر الوجيز ١٨٨/٣.

(٤) العقد الفريد ١٨٢/٦، والبيت نسب لحاتم الطائي، ولقيس بن عاصم، وهو في البيان والتبيين ٣١٠/٣، وعيون الأخبار ٢٦٣/٣ دون نسبة، وينظر تعليق الأستاذ عبد السلام هارون على البيان والتبيين.

(٥) ثيبٌ للأعشى، والبيت في ديوانه ص ١٥١، غير أن أبا عبيدة نقل في مجاز القرآن ٢٩٣/١ عن يونس عن أبي عمرو أنه هو الذي زاد هذا البيت في شعر الأعشى، وقال: فأتوب إلى الله منه.

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتُ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا
فجمع بين اللغتين^(١). ويقال: نَكِرْتُ: لما تراه بعينك. وأنكرْتُ: لما تراه بقلبك.

الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَالِمَةٌ﴾ ابتداءً وخبر، أي: قائمةٌ بحيث ترى
الملائكة، قيل: كانت من وراء السُّتر، وقيل: كانت تخدم الملائكة وهو جالسٌ،
وقال محمد بن إسحاق: قائمةٌ تُصلي^(٢)، وفي قراءة عبد الله بن مسعود: «وامرأته
قائمةٌ وهو قاعدٌ»^(٣).

التاسعة: قوله تعالى: ﴿فَصَحَّكَتُ﴾ قال مجاهد وعكرمة^(٤): حاضَتْ، وكانت
آيسةً، تحقيقاً للبشارة، وأنشد على ذلك اللغويون:

وإني لآتي العرسَ عند طهورها وأهجرها يوماً إذا تك ضاحكا^(٥)
وقال آخر:

وضحك الأرنب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا^(٦)
والعرب تقول: ضحكت الأرنب: إذا حاضت، ورؤي عن ابن عباس رضي الله
عنهما وعكرمة^(٧)، أخذ من قولهم: ضحكت الكافورة - وهي قشرة الطلعة - إذا
انشقت، وقد أنكر بعض اللغويين أن يكون في كلام العرب ضحكت بمعنى:
حاضت.

(١) تفسير الطبري ٤٧٢/١٢ .

(٢) في المحرر الوجيز ١٨٨/٣ : وقالت فرقة . ولم تقف على من نسب هذا القول لابن إسحاق.

(٣) تفسير الطبري ٤٧٣/١٢ ، والمحرر الوجيز ١٨٨/٣ ، وقراءة ابن مسعود عندهما: «وهو جالس»،
وذكرها الفراء في معاني القرآن ٢٢/٢ مثل رواية المصنف.

(٤) قول مجاهد أخرجه الطبري ٤٧٦/١٢ - ٤٧٧ ، وقول عكرمة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٣٠٦/٢ .

(٥) أورده أبو الشيخ عقب قول عكرمة فيما ذكر السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٤٠ ، دون نسبة.

(٦) أورده الطبري في تفسيره ٤٧٧/١٢ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ١٨٩/٣ .

(٧) قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم وغيره فيما ذكر السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٤٠ ، وقول عكرمة
ذكره الرازي في تفسيره ٢٦/١٨ .

وقال الجمهور: هو الضَّحْكُ المعروف، واختلفوا فيه: فقليل: هو ضحك التعجب، قال أبو ذؤيب:

فجاء بِمِزْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ هو الضَّحْكُ إِلَّا أَنَّهُ عَمَلُ النَّخْلِ^(١)
وقال مقاتل: ضحكت من خوف إبراهيم ورغدته من ثلاثة نفر، وإبراهيم في حَشَمِهِ وَخَدَمِهِ^(٢)، وكان إبراهيم يُقَوِّم وحده بمئة رجل.

قال: وليس الضَّحْكُ: الحيز في اللغة بمستقيم، وأنكر أبو عُبَيْدَةَ^(٣) والفرَّاء ذلك. قال الفرَّاء^(٤): لم أسمع من ثقة، وإنما هو كناية.

ورُوي أن الملائكة مَسَحَت العجل، فقام من موضعه، فَلَحِقَ بأمه، فضحكت سارة عند ذلك، فبَشَّرَها بإسحاق.

ويقال: كان إبراهيم عليه السلام إذا أَرَادَ أن يكرِّم أضيافه أقام سارة تَخْدِمهم، فذلك قوله: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ أي: قائمة في خدمتهم.

ويقال: «قَائِمَةٌ» لروع إبراهيم، «فَضَحِكْتُ» لقولهم: «لَا تَخَفْ» سروراً بالأمن^(٥).

وقال الفرَّاء: فيه تقديم وتأخير، المعنى: فبَشَّرَناها بإسحاق فضحكت، أي: ضحكت سروراً بالولد، وقد هَرِمْتُ، والله أعلم أي ذلك كان^(٦).

(١) ديوان الهذليين ٤٢/١. والمزج: العسل، والضحك: قيل في تفسيره هنا: هو الشهد، وقيل: الزُّبْد، وقيل: الثلج، والأجود في تفسير البيت - فيما ذكر الأستاذ محمود شاكر رحمه الله في تعليقه على تفسير الطبري ٣٩٣/١٥ - أن يقال: إن الضحك هنا: هو طلع النخل حين ينشق عما في جوفه، وهو أبيض شديد البياض والنفاء. وينظر اللسان: (مزج) و(ضحك).

(٢) تفسير البغوي ٣٩٣/٢.

(٣) في (م): أبو عبيد، والمثبت من (ز) و(ظ)، وهو الموافق لما في تفسير الرازي ٢٦/١٨. وقد نقل الرازي عن أبي بكر الأنباري قوله: هذه اللغة إن لم يعرفها هؤلاء فقد عرفها غيرهم.

(٤) معاني القرآن ٢/٢٢.

(٥) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٣٩٣/٢، وتفسير الرازي ٢٥/١٨ - ٢٦.

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/٢٢، إلا أنه لم يجزم بهذا القول، بل ذكر أنه مما يقوله بعض المفسرين، ثم قال: وهو مما قد يحتمله الكلام، والله أعلم بصوابه.

قال النحاس^(١): فيه أقوال: أحسنها: أنهم^(٢) لَمَّا لم يأكلوا أنكرهم^(٣) وخافهم، فلما قالوا: لا تَخَفْ، وأخبروه أنهم رُسُلُ الله، فَرِحَ بذلك، فضحكت امرأته سروراً بفرحه. وقيل: إنها كانت قالت له: أَحَسَبُ أن هؤلاء القوم سينزل بهم عذابٌ، فَضَمَّ لوطاً إليك، فلما جاءت الرسل بما قالت؛ سُرَّتْ به فضحكت. قال النحاس^(٤): وهذا إن صحَّ إسناده فهو حسنٌ.

والضَّحِكُ: انكشافُ الأسنان، ويجوز أن يكون الضَّحْكُ: إشراقُ الوجه، تقول: رأيتُ فلاناً ضاحكاً، أي: مشرقاً، وأتيتُ على رَوْضَةٍ تضحكُ، أي: مشرقة. وفي الحديث: «إن الله سبحانه يبعثُ السَّحَابَ، فيضحكُ أحسنَ الضَّحِكِ»^(٥)؛ جعل انجلاءه عن البرق ضحكاً، وهذا كلامٌ مستعارٌ^(٦).

ورُوي عن رجل من قراء مكة يقال له: محمد بنُ زياد الأعرابي: «فضحكت»، بفتح الحاء^(٧)، قال المهدوي: وفتحُ «الحاء» من «فضحكت» غيرُ معروفٍ. وضحك يضحك ضحكاً وضحكاً وضحكاً، أربع لغات. والضَّحْكة: المرَّة الواحدة، ومنه قول كُثَيِّر:

غَلِقْتُ لِضَحْكَيْهِ رِقَابُ الْمَالِ^(٨)

(١) في معاني القرآن ٣/ ٣٦٣.

(٢) في (ظ): أنه.

(٣) في (ز) و(ظ): نكرهم.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٣٦٣.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٦٨٦) من حديث رجل من بني غفار، بلفظ: «إن الله ينشق السحاب، فينطق أحسن المنطق، ويضحك أحسن الضحك».

(٦) هذا تأويل ابن الأثير في النهاية: (ضحك)، وقد أول الطحاوي في شرح مشكل الآثار ١٣/ ٢١٨ ضحك السحاب: بخروج الزهر والمرعى في الجنان بما يهطل من مائه.

(٧) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٠ دون نسبة.

(٨) ديوانه ص ٢٩٥، و صدره: غَمُرُ الرِّداء إذا تبسَّم ضاحكاً.

قاله الجوهري^(١).

العاشرة: روى مسلم عن سَهْل بن سَعْد قال: دعا أَبُو أُسَيْد السَّاعِدِيُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ في عُرْسِهِ، فكانت امرأته يومئذٍ خَادِمَهُمْ، وهي العَرُوسُ، قال سَهْل: أتدرون ما سَقَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ أَنْقَعَتْ له تمراتٍ من الليل في تَوْرٍ، فَلَمَّا أَكَلَ سَقَتْهُ إِيَّاهُ^(٢).

وأخرجه البخاري^(٣) وترجمَ له: بَابُ قِيَامِ الْمَرْأَةِ عَلَى الرِّجَالِ فِي الْعُرْسِ وَخِدْمَتِهِمْ بِالنَّفْسِ.

قال علماؤنا: فيه جوازُ خدمةِ العَرُوسِ زَوْجِهَا وَأَصْحَابِهِ فِي عُرْسِهَا، وفيه أنه لا بأسَ أن يعْرِضَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ عَلَى صَالِحِ إِخْوَانِهِ، وَيَسْتَخْدِمَهُنَّ لَهُمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا قَبْلَ نَزُولِ الْحِجَابِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الحادية عشرة: ذكر الطبري^(٤) أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا قَدَّمَ الْعِجْلَ قَالُوا: لَا نَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا بِثَمَنِ، فَقَالَ لَهُمْ: ثَمْنُهُ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَوَّلِهِ، وَتَحْمَدُوهُ فِي آخِرِهِ، فَقَالَ جَبْرِيلُ لِأَصْحَابِهِ: بِحَقِّ اتَّخَذَ اللَّهُ هَذَا خَلِيلًا.

قال علماؤنا: ولم يأكلوا؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَأْكُلُ. وَقَدْ كَانَ مِنَ الْجَائِزِ كَمَا يَسَّرَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ أَنْ يَتَشَكَّلُوا^(٥) فِي صِفَةِ الْآدَمِيِّ جَسَدًا وَهَيْئَةً أَنْ يُيَسَّرَ لَهُمْ أَكْلُ الطَّعَامِ؛ إِلَّا أَنَّهُ فِي قَوْلِ الْعُلَمَاءِ أَرْسَلَهُمْ فِي صِفَةِ الْآدَمِيِّ، وَتَكَلَّفَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الضِّيَاقَةَ، [حَتَّى إِذَا رَأَى التَّوَقُّفَ وَخَافَ، جَاءَتْهُ الْبُشْرَى فَجَاءَةً]^(٦).

الثانية عشرة: ودلَّ هذا على أَنَّ التَّسْمِيَةَ فِي أَوَّلِ الطَّعَامِ، وَالْحَمْدَ فِي آخِرِهِ

(١) في الصحاح: (ضحك).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٠٦) (٨٦)، وهو عند أحمد (١٦٠٦٢).

(٣) صحيح البخاري (١٥١٨٢).

(٤) تفسير الطبري ٤٧٣/١٢ - ٤٧٤.

(٥) في (ز) و(ظ): ينسلكوا، وفي (د): يسلكوا، والمثبت من (م) وأحكام القرآن.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٥١/٣، وما بين حاصرتين منه.

مشروع في الأمم قبلنا، وقد جاء في الإسرائيليات أن إبراهيم عليه السلام كان لا يأكل وحده، فإذا حضر طعامه أرسل يطلّب من يأكل معه، فلقى يوماً رجلاً، فلما جلس معه على الطعام، قال له إبراهيم: سَمَّ الله، قال الرجل: لا أدري ما الله؟ فقال له: فاخرج عن طعامي، فلما خرج نزل إليه جبريل، فقال له: يقول الله: إنه يرزقه على كفره مدى عمره، وأنت بخلت عليه بلقمة، فخرج إبراهيم فرعاً يجر رداءه، وقال: ارجع، فقال: لا أرجع حتى تخبرني لم تردني لغير معنى؟ فأخبره بالأمر، فقال: هذا ربّ كريم، آمنت، ودخل وسمّى الله، وأكل مؤمناً^(١).

الثالثة عشرة: قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَهَا إِسْحَاقَ﴾ لَمَّا وُلِدَ لإبراهيم إسماعيل من هاجر تمت سارة أن يكون لها ابن، وأيسّت لكبر سنّها، فبشرت بولد يكون نبياً ويلد نبياً، فكان هذا بشارة لها بأن ترى ولد ولدها.

الرابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ قرأ حمزة وعبد الله بن عامر: «يعقوب» بالنصب، ورفع الباقون^(٢)، فالرفع على معنى: ويحدث لها من وراء إسحاق يعقوب، ويجوز أن يرتفع بالفعل الذي يعمل في ﴿مِنْ وَرَاءِ﴾^(٣) كأن المعنى: وثبت لها من وراء إسحاق يعقوب، ويجوز أن يرتفع بالابتداء، ويكون في موضع الحال، أي: بشروها بإسحاق مقابلاً له يعقوب، والنصب على معنى: ووهبنا لها من وراء إسحاق يعقوب، وأجاز الكسائي والأخفش وأبو حاتم أن يكون «يعقوب» في موضع جرٍّ، على معنى: وبشرناها من وراء إسحاق يعقوب. قال الفراء^(٤): ولا يجوز الحذف إلا بإعادة الحرف الخافض. قال سيبويه^(٥) ولو قلت: مررت بزيد أول من

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٤٩/٣ .

(٢) وعن عاصم روايتان: فروى عنه أبو بكر الرفع، وروى حفص عنه النصب. السبعة ص ٣٣٨ ، والتيسير ص ١٢٥ .

(٣) لفظة: «وراء»، ليست في (م).

(٤) في معاني القرآن ٢٢/٢ .

(٥) في الكتاب ٩٣/١ - ٩٤ .

أَمْسِ وَأَمْسِ عَمْرُو كَانَ قَبِيحاً خَبِيثاً؛ لَأَنَّكَ فَرَقْتَ بَيْنَ الْمَجْرُورِ وَمَا يَشْرُكُهُ وَهُوَ الْوَائِدُ، كَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ^(١)؛ لَأَنَّ الْجَارَّ لَا يُفَصِّلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَجْرُورِ، وَلَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَائِدِ^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَوَئَلَيْكَ ءَالِدُ وَءَا أَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ

عَجِيبٌ ﴿٧١﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَوَئَلَيْكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ^(٣): أصلها: يا ويلتي، فأبدلَ من الياء ألفٌ؛ لأنها أخفُّ من الياء والكسرة.

ولم تُردِّ الدعاءَ على نفسها بالويل، ولكنها كلمةٌ تَخَفُّ على أفواه النساءِ إذا طرأَ عليهنَّ ما يعجِبُنَّ منه، وعجِبْتُ من ولادتها وكون^(٤) بعليها شيخاً؛ لخروجه عن العادة، وما خرج عن العادة مستغربٌ ومستنكر.

و﴿ءَالِدُ﴾ استفهامٌ معناه التعجب. ﴿وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ أي: شيخخة، ولقد عَجَزْتُ تَعَجُّزُ عَجَزاً، وَعَجَزْتُ تَعَجُّزاً، أي: طعنت في السنِّ. وقد يقال: عَجُوزَةٌ أيضاً. وَعَجَزَتْ المرأةُ، بكسر الجيم: عَظُمَتْ عَجِيزَتُهَا عُجْزاً وَعَجَزاً، بضم العين وفتحها.

قال مجاهدٌ: كانت بنتُ تسعٍ وتسعين سنة. وقال ابنُ إسحاق: كانت بنتُ تسعين. وقيل غيرُ هذا^(٥).

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾ أي: زوجي ﴿شَيْخًا﴾ نصبٌ على الحال، والعاملُ فيه التنبيهُ أو الإشارةُ، «وهذا بعلي» ابتداءً وخبر، وقال الأخفش: وفي قراءة

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٣، وعنه نقل المصنف قولِي الفراء وسيبويه.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٦٢.

(٣) في معاني القرآن له ٣/ ٦٣.

(٤) في (د): ولو أن، وفي (م): ومن كون.

(٥) ينظر تفسير البغوي ٢/ ٣٩٣.

ابن مسعود وأبي: «وهذا بعلي شيخ». قال النحاس^(١): كما تقول: هذا زيد قائم، فزيد بدل من هذا، وقائم خبر الابتداء، ويجوز أن يكون «هذا» مبتدأ، و«زيد قائم» خبرين، وحكى سيويه^(٢): هذا حلّو حامض.

وقيل: كان إبراهيم ابن مئة وعشرين سنة، وقيل: ابن مئة، فكان يزيد عليها في قول مجاهد سنة^(٣). وقيل: إنها عرّضت بقولها: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ أي: عن ترك غشيانه لها. وسارة هذه امرأة إبراهيم بنت هاران بن ناحور بن شاروع بن أرغو بن فالغ، وهي بنت عم إبراهيم^(٤).

﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أي: الذي بشرتُموني به لشيء عجيب.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ لما قالت: ﴿وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ وتعجبت، أنكرت الملائكة عليها تعجبها من أمر الله؛ أي: من قضائه وقدره، أي: لا عجب من أن يرزقكما الله الولد، وهو إسحاق.

وبهذه الآية استدلل كثير من العلماء على أن الذبيح إسماعيل، وأنه أسن من إسحاق؛ لأنها بُشّرت بأن إسحاق يعيش حتى يولد له يعقوب^(٥). وسيأتي الكلام في هذا وبيانه في «الصافات» إن شاء الله تعالى.

(١) في إعراب القرآن ٢/ ٢٩٤.

(٢) في الكتاب ٢/ ٨٣.

(٣) تفسير البغوي ٢/ ٣٩٣.

(٤) وقيل: في نسبها غير ذلك، ينظر الطبري ١٢/ ٤٧٢ - ٤٧٣، والوسيط ٢/ ٥٨١، وتفسير البغوي ٢/ ٣٩٢، والمحرم الوجيز ٣/ ١٨٩.

(٥) ينظر المحرم الوجيز ٣/ ١٩٠.

الثانية: قوله تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْتُمْ﴾ مبنداً، والخبر ﴿عَلَيْكُمْ﴾. وحكى سيبويه: «عَلَيْكُمْ» بكسر الكاف لمجاورتها الياء. وهل هو خبرٌ أو دعاء؟ وكونه إخباراً أشرف؛ لأنَّ ذلك يقتضي حصول الرحمة والبركة لهم، المعنى: أوصلَ الله لكم رحمته وبركاته أهل البيت، وكونه دعاءً إنما يقتضي أنه أمرٌ يُترجى ولم يتحصّل بعدُ. ونصب ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ على الاختصاص، وهذا مذهبُ سيبويه^(١). وقيل: على النداء.

الثالثة: هذه الآية تعطي^(٢) أن زوجة الرجل من أهل البيت، فدلَّ هذا على أنَّ أزواج الأنبياء من أهل البيت، فعائشة رضي الله عنها وغيرها من جملة أهل بيت النبي ﷺ، ممن قال الله فيهم: ﴿وَيُطَهِّرُهُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] وسيأتي. الرابعة: ودلَّت الآية أيضاً على أنَّ منتهى السلام: وبركاته، كما أخبر الله عن صالح عبادته: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْتُمْ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾. والبركة النموُّ والزيادة، ومن تلك البركات أنَّ جميع الأنبياء والمرسلين كانوا في ولد إبراهيم وسارة^(٣).

وروى مالك^(٤) عن وَهْب بن كَيْسَانَ أَبِي نُعَيْمٍ، عن محمد بن عَمْرٍو بن عطاء، قال: كنتُ جالساً عند عبد الله بن عباس، فدخل عليه رجلٌ من أهل اليمن، فقال: السَّلام عليك ورحمةُ الله وبركاته، ثم زاد شيئاً مع ذلك، فقال ابنُ عباس، وهو يومئذ قد ذهب بصره: مَنْ هذا؟ فقالوا: اليمانيُّ الذي يغشاك، فعرفوه إياه، فقال: إنَّ السَّلام انتهى إلى البركة.

(١) الكتاب ٢/٢٣٦. ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٤.

(٢) في (ظ): تقتضي.

(٣) كذا قال المصنف رحمه الله، وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/١٣٣: إن أكثر الأنبياء والأسباط من إبراهيم وسارة.

(٤) الموطأ ٢/٩٥٩.

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ ؓ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا أَنَا بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي غُضْبَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، عَشْرُونَ لِي، وَعَشْرُونَ لَكَ». قَالَ: وَدَخَلْتُ الثَّانِيَةَ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، ثَلَاثُونَ لِي وَعَشْرُونَ لَكَ^(١)». فَدَخَلْتُ الثَّالِثَةَ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، ثَلَاثُونَ لِي وَثَلَاثُونَ لَكَ، أَنَا وَأَنْتَ فِي السَّلَامِ سَوَاءً^(٢)».

﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ أي: محمودٌ ماجدٌ. وقد بيَّناهما في «الأسماء الحُسنى»^(٤).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَّبِعُهُمُ الْغَوْصُ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ مِنَ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَكُمْ عَذَابٌ عَزِيزٌ مَرْدُودٌ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ أي: الخوف؛ يقال: ارتاع من كذا: إذا خاف، قال النابغة:

فارتاعَ من صَوْتِ كَلَابٍ فَبَاتَ لَهُ طَوْعَ الشَّوَامِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرْدٍ^(٥)
﴿وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ﴾ أي: بإسحاق ويعقوب، وقال قتادة: بَشَرُوهُمُ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا أَتَوْا بِالْعَذَابِ إِلَى قَوْمِ لُوطٍ، وَأَنَّهُ لَا يَخَافُ^(٦).

(١) في (د) و(ز): وعشرة.

(٢) في (ط): لأصحابي.

(٣) أخرجه البزار في مسنده (٨٠٨)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠/٨، وقال: فيه مختار بن نافع التيمي، وهو ضعيف، وفيه عبيد بن إسحاق العطار، وهو متروك.

(٤) بيان «المجيد» في الأسنى ص ٢٤٤، وأما «الحميد» فلم نقف على بيانه في المطبوع منه.

(٥) ديوان النابغة الذبياني ص ٣٢. يصف ثوراً فزع من صوت الصياد صاحب الكلاب، فبقي قائماً متقاداً لشوامته - أي: قوائمه، جمع شامة - من الخوف والصدود، وهو البرد. وقيل: طوع الشوامت، أي: بات له ما يسر الأعداء الشامتين به. ينظر: شرح القصائد المشهورات للنحاس ١٦٣/٢، وشرح القصائد العشر ص ٣٥٣ - ٣٥٤، وخزانة الأدب ٣/١٨٨ - ١٨٩.

(٦) تفسير الطبري ١٢/٤٨٦.

﴿يُجَادِلُنَا﴾ أي: يجادلُ رسلنا، وأضافه إلى نفسه؛ لأنهم نزلوا بأمره، وهذه المجادلة رواها حميد بن هلال، عن جندب، عن حذيفة؛ وذلك أنهم لما قالوا: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١] قال لهم: أرايتم إن كان فيها خمسون من المسلمين؛ أتهلكونهم؟ قالوا: لا. قال: فأربعون؟ قالوا: لا. قال: فثلاثون؟ قالوا: لا. قال: فعشرون؟ قالوا: لا. قال: فإن كان فيها عشرة - أو خمسة، شك حميد - قالوا: لا^(١). قال قتادة نحوه منه، قال: فقال يعني إبراهيم: قوم ليس فيهم عشرة من المسلمين لا خير فيهم^(٢). وقيل: إن إبراهيم قال: أرايتم إن كان فيها رجل مسلم، أتهلكونها؟ قالوا: لا. فقال إبراهيم عند ذلك: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تُهْلِكُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٢].

وقال عبد الرحمن بن سُمرة: كانوا أربع مئة ألف. ابن جريج: وكان في قرى قوم لوط أربعة آلاف ألف^(٣).

ومذهب الأخفش والكسائي أن «يُجَادِلُنَا» في موضع «جادلنا». قال النحاس^(٤): لما كان جواب «لما» يجب أن يكون بالماضي فجعل المستقبل مكانه، كما أن الشرط يجب أن يكون بالمستقبل، فجعل الماضي مكانه، وفيه جواب آخر: أن يكون «يُجَادِلُنَا» في موضع الحال؛ أي: أقبل يُجادِلُنَا، وهذا قول الفراء^(٥).

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ تقدّم في «براءة»^(٦) معنى «لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ». والمنيب: الراجع^(٧)، يقال: أناب: إذا رجع. وإبراهيم عليه السلام كان راجعاً إلى الله تعالى في أموره

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٥٢٣/١١ - ٥٢٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٥٧/٦ (١١٠٣٧).

(٢) تفسير عبد الرزاق ٣٠٨/٢ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٩٢/١٢ .

(٤) في إعراب القرآن ٢/٢٩٥ .

(٥) في معاني القرآن له ٢٣/٢ .

(٦) في ٤٠١/١٠ - ٤٠٤ .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٩٣/١ ، وتفسير أبي الليث ١٣٦/٢ .

كلها^(١). وقيل: الأواه: المتأوه أسفاً على ما قد فات قومَ لوط من الإيمان.

قوله تعالى: ﴿يَكْذِبُهُمْ أَغْرَضُ عَنْ هَذَا﴾ أي: دَع عَنْكَ الْجِدَالَ فِي قَوْمِ لُوط. ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: عَذَابُهُ لَهُمْ. ﴿وَلَا إِلَهُمْ إِلَّا هُوَ﴾ أي: نَازَلَ بِهِمْ. ﴿عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ أي: غَيْرُ مَصْرُوفٍ عَنْهُمْ وَلَا مَدْفُوعٍ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُمْ يَهْرَعُونَ لِإِيْدِهِ مِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوِرُ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ۝ ٧٨ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝ ٧٩ قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى زَوْجِي شَدِيدٍ ۝ ٨٠ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَنْفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانَا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝ ٨١ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَنِهَا سَأْفِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ ۝ ٨٢ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ۝ ٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم - وكان بين إبراهيم وقرية لوط أربعة فراسخ - بَصُرَتْ بَنَاتُ لُوطَ وَهُمَا تَسْتَقِيَانِ بِالْمَلَائِكَةِ وَرَأَتَا هَيْئَةً حَسَنَةً، فَقَالَتَا: مَا شَأْنُكُمْ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُمْ؟ قَالُوا: مِنْ مَوْضِعٍ كَذَا، نَرِيدُ هَذِهِ الْقَرْيَةَ، قَالَتَا: فَإِنَّ أَهْلَهَا أَصْحَابُ الْفَوَاحِشِ، فَقَالُوا: أَبْهَى مَنْ يُضِيفُنَا؟ قَالَتَا: نَعَمْ، هَذَا الشَّيْخُ، وَأَشَارَتَا إِلَى لُوطَ، فَلَمَّا رَأَى لُوطَ هَيْئَتَهُمْ خَافَ قَوْمَهُ عَلَيْهِمْ^(٣).

﴿سِيءَ بِهِمْ﴾ أي: سَاءَ مَجِئُهُمْ^(٤)، يقال: سَاءَ يَسُوءُ، فَهُوَ لَازِمٌ، وَسَاءَ يَسُوءُهُ،

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٥.

(٢) تفسير أبي الليث ١٣٦/٢، وتفسير البغوي ٣٩٤/٢.

(٣) الكلام بنحوه في تفسير أبي الليث ١٣٦/٢.

(٤) تفسير الطبري ١٢/ ٤٩٤، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٣٦٦.

فهو متعدُّ أيضاً^(١)، وإن شئتَ ضَمَمْتَ السَّيْنَ؛ لأنَّ أصلَها الضَّمُّ، والأصل: سُوءٌ بهم مِنَ السَّوْءِ، قُلِبَتْ حركَةُ الواوِ على السَّيْنَ فانقلبتْ ياءً، وإن خَفَفَتْ الهمزة أَلْقِيَتْ حركَتُها على الياء، فقلتُ: «سَيِّ بهم» مخففاً، ولغةٌ شاذَّةٌ بالتشديد^(٢).

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي: ضاق صدره بمجيئهم، وكَرِهَهُ. وقيل: ضاق وُسْعُهُ وطاقَتُهُ. وأصلُهُ أن يَذَرَعَ البعيرُ بيديه في سيره ذَرْعاً على قدر سَعَةِ خَطْوِهِ، فإذا حُمِلَ على أَكْثَرِ مِنْ طَوْقِهِ ضاقَ عن ذلك، وَضَعُفَ ومدَّ عُنُقَهُ^(٣)، فضيقُ الذَّرْعِ عبارةٌ عن ضيقِ الوُسْعِ. وقيل: هو مِنَ: ذَرَعَهُ القِيءُ، أي: غَلَبَهُ، أي: ضاقَ عن حَبْسِهِ المَكْرُوهَ في نَفْسِهِ^(٤)، وإنما ضاقَ ذَرْعُهُ بهم لِمَا رَأَى مِنْ جَمالِهِمْ، وما يَعْلَمُ من فسقِ قومه^(٥).

﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي: شديدٌ في الشرِّ^(٦). وقال الشاعر:

وإنَّكَ إِلَّا تُرَضِّ بِكَرْبَنٍ وائِلٍ يَكُنْ لَكَ يَوْمٌ بِالْعِرَاقِ عَصِيبٌ^(٧)
وقال آخر:

يَوْمٌ عَصِيبٌ يَعَصِيبُ الْأَبْطَالَ عَضَبَ الْقَوِيِّ السَّلَمَ الطَّوَالَا^(٨)
ويقال: عَصِيبٌ وَعَصْبُصَبٌ على التَّكْثِيرِ، أي: مَكْرُوهٌ مُجْتَمِعُ الشَّرِّ، وقد عَضَبَ؛ أي: عَضَبَ بِالشَّرِّ عَصَابَةً، ومنه قيل: عُصْبَةٌ وَعِصَابَةٌ، أي: مُجْتَمِعُو الكَلِمَةِ، أي:

(١) ينظر تفسير الرازي ٣١/١٨.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٥/٢.

(٣) تهذيب اللغة ٣١٦/٢.

(٤) ينظر زاد المسير ١٣٦/٤.

(٥) ينظر تفسير البغوي ٣٩٤/٢.

(٦) مجمع البيان ١٩٤/١٢.

(٧) قائله عَتْبَانُ بن أَصِيلَةَ - ويقال: وَصِيلَةَ - الشَّيْبَانِي، وهو في الاشتقاق لابن دريد ص ٣٥٩ ومعجم الشعراء للمزرباني ص ١٠٨.

(٨) هو في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٩٤/١، وتفسير الطبري ٤٩٨/١٢. والسَّلَمُ: شجر من العُضَا (الشوك). الصَّحاح (سلم).

مجتمعون في أنفسهم. وَعَصَبَةُ الرجل: المجتمعون معه في النَّسَب، وتعَصَّبْتُ لفلان: صِرْتُ كَعَصَبَتِهِ، وَرَجُلٌ معصوبٌ، أي: مجتمعُ الخَلْق.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ في موضع الحال^(١). «يُهْرَعُونَ» أي: يُسرعون. قال الكسائي والفراء وغيرهما من أهل اللغة: لا يكون الإهراعُ إلا إسرَاعاً^(٢) مع رعدة، يقال: أهرع الرجل إهراعاً، أي: أسرع في رعدة من برد أو غضب أو حُمى، وهو مُهرَع^(٣)، قال مُهلِهل: فجاؤوا يُهرعون وهم أسارى نَقَوْهُمْ على رَغَمِ الأنوفِ^(٤) وقال آخر:

بِمُفْجَلَاتٍ نحوه مَهَارِع^(٥)

وهذا مثل: أُولِعَ فلانٌ بالامر، وأرعدَ زيدٌ، وزُهِىَ فلان. وتجيء ولا تُستعملُ إلا على هذا الوجه. وقيل: أهرع، أي: أهرَّعَه جِرْصُهُ^(٦)، وعلى هذا «يُهْرَعُونَ» أي: يُستحثُّون عليه^(٧). ومن قال بالأول قال: لم يُسمَعْ إلا أهرعَ الرجلُ، أي: أسرع، على لفظ ما لم يُسمَّ فاعله^(٨). قال ابن القوطية^(٩): هُرِعَ الإنسان هَرَعاً، وأهرع: سَبَقَ واستُعِجِلَ. وقال الهروي: يقال: هُرِعَ الرجلُ وأهرع، أي: استُحِثَّ^(١٠). قال ابن

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٥، وما قبله منه.

(٢) في النسخ الخطية: سراعاً، والمثبت من (م).

(٣) ينظر تهذيب اللغة ١/ ١٤١، والنكت والعيون ٢/ ٤٨٨، وزاد المسير ٤/ ١٣٧.

(٤) تفسير الطبري ١٢/ ٥٠٠، وتهذيب اللغة ١/ ١٤١، والمحور الوجيز ٣/ ١٩٤.

(٥) هو في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢٩٤، وتفسير الطبري ١٢/ ٤٩٩.

(٦) تفسير الرازي ١٨/ ٣٢.

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢٩٤، وفيه: يُستحثُّون إليه.

(٨) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٠٦، والصحاح (هرع).

(٩) محمد بن عمر بن عبد العزيز الأندلسي، القرطبي، النحوي، ألف «تصارييف الأفعال»، وصنَّف تاريخاً في أخبار الأندلس. توفي سنة (٣٦٧هـ). السير ١٦/ ٢١٩.

(١٠) ينظر تهذيب اللغة ١/ ١٤١.

عباس وقتادة والسدي: «يُهرعون»: يهرولون. الضحاك: يَسْعَوْنَ. ابن عُيينة: كأنهم يُدفعون. وقال شمر بن عطية: هو مشي بين الهرولة والجَمْزَى^(١). وقال الحسن: مشي بين مشيين^(٢)، والمعنى متقارب.

وكان سببُ إسراعهم ما رُوي أنَّ امرأة لوط الكافرة، لما رأت الأضيافِ وجمالهم وهيئتهم، خرجت حتى أتت مجالسَ قومها، فقالت لهم: إنَّ لوطاً قد أضافَ الليلةَ فتيّةً ما رُئيَ مثلُهم جمالاً، وكذا وكذا، فحينئذٍ جاؤوا يُهرعون إليه^(٣).

ويُذَكَّرُ أنَّ الرُّسُلَ لما وصلوا إلى بلد لوط وجدوا لوطاً في حَرْثٍ له. وقيل: وَجَدُوا ابنته تستقي ماءً من نهر سدوم^(٤)، فسألوها الدلالةَ على من يُضيفهم، ورأت هيئتهم فخافت عليهم من قوم لوط، وقالت لهم: مكانكم! وذهبت إلى أبيها فأخبرته، فخرج إليهم، فقالوا: نريدُ أن تُضيفنا الليلةَ، فقال لهم: أَوْ مَا سَمِعْتُمْ بعمل هؤلاء القومِ؟ فقالوا: ما عملُهم؟ فقال: أشهدُ بالله إنهم لَشَرُّ قومٍ في الأرض - وقد كان الله عزَّ وجلَّ قال لملائكته: لا تُعَذِّبُوهم حتى يشهدَ لوطُ عليهم أربعَ شهادات - فلما قال لوطُ هذه المقالةَ، قال جبريلُ لأصحابه: هذه واحدةٌ، وتردَّدَ القولُ بينهم حتى كرَّرَ لوطُ الشهادةَ أربعَ مرات، ثم دخل بهم المدينة^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ أي: ومن قبل مجيء الرُّسُلِ^(٦). وقيل: من قبل لوط^(٧).

(١) أخرج هذه الأقوال الطبري ١٢/٥٠٠ - ٥٠١. والجَمْزَى: ضربٌ من السير سريع. النهاية (جمز).

(٢) تفسير البغوي ٢/٣٩٥.

(٣) المحرر الوجيز ٣/١٩٤، وأخرجه الطبري ١٢/٥٠٤ عن ابن إسحاق بنحوه.

(٤) قال الأزهرى في تهذيب اللغة ١٢/٣٧٤: وسدوم: مدينة من مدائن قوم لوط، كان قاضيها يقال له: سدوم. قال أبو حاتم في كتاب المزال والمُفسد: إنما هو سدوم، بالذال، والذال خطأ. قال الأزهرى: وهذا عندي هو الصحيح. اهـ. قلنا: يضرب المثل بجور قاضيها، فيقال: أجور من قاضي سدوم. معجم البلدان ٣/٢٠٠.

(٥) المحرر الوجيز ٣/١٩٣. وأخرجه الطبري ١٢/٤٩٦ عن قتادة والسدي.

(٦) تفسير الطبري ١٢/٥٠٢، وتفسير البغوي ٢/٣٩٥.

(٧) تفسير أبي الليث ٢/١٣٦.

﴿كَانُوا يَحْمِلُونَ كِسْفًا﴾ أي: كانت عادتهم إتيان الرجال. فلما جاؤوا إلى لوط وقصدوا أضيافه قام إليهم لوط مُدافعاً^(١)، وقال: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ ابتداءً وخبر^(٢). وقد اختلف في قوله: «هؤلاء بناتي» فقيل: كان له ثلاث بنات من صلبه. وقيل: بنتان، زيتا وزعوراء، فقيل: كان لهما سيدان مُطاعان، فأراد أن يزوجهما ابنتيه^(٣). وقيل: ندبهم في هذه الحالة إلى النكاح، وكانت سُنَّتُهُمْ جواز نكاح الكافر المؤمنة^(٤)، وقد كان هذا في أول الإسلام جائزاً ثم نُسخ، فزوّج رسول الله ﷺ بنتاً له من عتبة بن أبي لهب، والأخرى من أبي العاص بن الربيع قبل الوحي، وكانا كافرين^(٥).

وقالت فرقة - منهم مجاهد وسعيد بن جبیر -: أشار بقوله: «بَنَاتِي» إلى النساء جملةً، إذ نبي القوم أب لهم، ويقوي هذا أن في قراءة ابن مسعود: «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ»^(٦).

وقالت طائفة: إنما كان الكلام مُدافعةً، ولم يرد إمضاءه، روي هذا القول عن أبي عبيدة، كما يقال لمن ينهى عن أكل مال الغير: الخنزير أحل لك من هذا^(٧).

(١) المحرر الوجيز ١٩٤/٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٥/٢.

(٣) مجمع البيان ١٩٧/١٢.

(٤) المحرر الوجيز ١٩٤/٣.

(٥) تفسير البغوي ٣٩٥/٢. وحديث تزويج النبي ﷺ رقية رضي الله عنها من عتبة بن أبي لهب أخرجه الطبراني في الكبير ٤٣٤/٢٢ (١٠٥٦) وفيه: ... فلما أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿تَبَّتْ يُدَىٰ أَبِي لَهَبٍ﴾ سأل النبي ﷺ عتبة طلاق رقية، وسألته رقية ذلك، فطلقها، فتزوج عثمان رقية وتوفيت عنده. اهـ وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ٨٦/٧ أن عتبة تزوّج رقية قبل عثمان ولم يدخل بها، فأمره أبوه بمفارقتها ففارقها.

وحديث تزويج النبي ﷺ زينب رضي الله عنها من أبي العاص بن الربيع قبل أن يُسلم، أخرجه الحاكم في المستدرک ٢٣٦/٣، وقد ترجم البخاري قبل الحديث (٣٧٢٩): باب ذكر أسهار النبي ﷺ، منهم أبو العاص بن الربيع. اهـ وولدت له أمانة، وهي التي كان النبي ﷺ يحملها وهو يصلي، كما في الحديث المشهور.

(٦) أخرجه الطبري ٥٠٢/١٢ - ٥٠٤. وقراءة ابن مسعود في القراءات الشاذة ص ١١٩.

(٧) المحرر الوجيز ١٩٤/٣، وقال ابن عطية: وهذا التنطع ليس من كلام الأنبياء صلى الله عليهم وسلم.

وقال عكرمة: لم يعرض عليهم بناته ولا بنات أمته، وإنما قال لهم هذا لينصرفوا^(١).
 قوله تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ ابتداءً وخبر، أي: أزواجكموهنَّ، فهو أطهرُ لكم
 مما تريدون، أي: أحلُّ. والتطهَّرُ التنزُّه عما لا يحلُّ. وقال ابن عباس: كان رؤساؤهم
 خطبوا بناته فلم يُجِبه^(٢)، وأراد ذلك اليوم أن يفدي أضيافه ببناته.
 وليس ألفت «أطهر» للتفضيل حتى يتوهم أن في نكاح الرجال^(٣) طهارة، بل هو
 كقولك: الله أكبرُ وأعلى وأجلُّ، وإن لم يكن تفضيلاً؛ وهذا جائز شائع في كلام
 العرب، ولم يُكابر الله تعالى أحدٌ حتى يكون الله تعالى أكبر منه. وقد قال أبو سفيان
 ابن حرب يوم أحد: أغلُّ هُبْلُ، فقال النبي ﷺ لعمر: «قل: الله أعلى وأجلُّ». وهُبْلُ
 لم يكن قطُّ عالياً ولا جليلاً^(٤).

وقرأ العامة برفع الراء. وقرأ الحسن وعيسى بن عمر: «هَٰؤُلَاءِ أَطْهَرُ» بالنصب على
 الحال^(٥). و«هَٰؤُلَاءِ» عماد. ولا يُجيزُ الخليلُ وسيبويه والأخفش أن يكون «هَٰؤُلَاءِ» هاهنا
 عماداً، وإنما يكون عماداً فيما لا يتِمُّ الكلام إلا بما بعدها، نحو: كان زيدٌ هو
 أخاك، لتدلُّ بها على أن الأخ ليس بنعت^(٦). قال الزجاج^(٧): ويدلُّ بها على أن
 «كان» تحتاجُ إلى خبر. وقال غيره: يدلُّ بها على أن الخبرَ معرفةٌ أو ما قاربها^(٨).

(١) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٦٨.

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/١٩٥ بنحوه دون نسبة.

(٣) في النسخ: النساء، وهو خطأ.

(٤) ينظر تفسير الرازي ٣٣/١٨، والحديث أخرجه البخاري مطولاً من حديث البراء بن عازب ؓ، وسلف
 ٣٥٨/٥ - ٣٥٩/٥.

(٥) القراءات الشاذة ص ٦٠، والمحتسب ١/٣٢٥، والمحرر الوجيز ٣/١٩٤.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٦، وينظر قول الخليل وسيبويه في الكتاب ٢/٣٩٧، وقول الأخفش في
 معاني القرآن له ٢/٥٨١.

(٧) في معاني القرآن له ٣/٦٧، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٩٦.

(٨) في (م): قاربها.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ أي: لا تهينوني ولا تذلوني، ومنه قول حسان:

فأخزأك ربي يا عُتِيبَ بْنَ مَالِكٍ وَلَقَّاكَ قَبْلَ الْمَوْتِ إِحْدَى الصَّوَاعِقِ
مَدَدْتَ يَمِينًا لِلنَّبِيِّ تَعْمُدًا وَدَمَّيْتَ فَاهُ قُطِعَتْ بِالْبَوَارِقِ^(١)

ويجوز أن يكون من الخَزَاية؛ وهو الحياء والخجل، قال ذو الرمة:

خَزَايَةً أَدْرَكْتُهُ بَعْدَ جَوْلَتِهِ مِنْ جَانِبِ الْحَبْلِ مَخْلُوطًا بِهَا الْغَضَبُ^(٢)
وقال آخر:

مَنْ الْبَيْضِ لَا تَخْزَى إِذَا الرِّيحُ أَلْصَقَتْ بِهَا مِرْطَهَا أَوْ زَايِلَ الْحَلِيِّ جِيدَهَا^(٣)
وضيف يقع للثنين والجميع على لفظ الواحد؛ لأنه في الأصل مصدر^(٤)، قال الشاعر:

لَا تَعْدَمِي الدَّهْرَ شِفَارَ الْجَاوِزِ لِلضَّيْفِ وَالضَّيْفِ أَحَقُّ زَائِرِ^(٥)
ويجوز فيه التثنية والجمع^(٦)، والأوّل أكثر كقولك: رجالٌ صَوْمٌ وفطر وزُور.
وخَزِي الرجلُ خَزَايَةً، أي: استحيا^(٧)، مثلُ: ذَلَّ وهان. وخَزِي خَزِيًا إذا افْتُضِحَ،
يَخْزِي فِيهِمَا جَمِيعًا^(٨).

(١) ديوان حسان ص ٣٤٧ - ٣٤٨، وفيه: بسطت، بدل: مددت، وبرمية، بدل: تعمداً، وفادمية، بدل: ودَمَّيْتَ.

(٢) ديوان ذي الرمة ١٠٣/١، وينظر تهذيب اللغة ٤٩١/٧.

(٣) قاله ابن الدُمينة، وهو في ديوانه ص ٥٢ وفيه: ألزقت، بدل: ألصقت، ونسبه المرزباني في معجم الشعراء ص ١٣٤ لعلّي بن حسان البكري، وفيه: درعها، بدل: مرطها، ونسبه البكري في سبط اللالئ ١٠٨/١ للحسين بن مطير.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٦/٢، وينظر البيان لأبي البركات الأنباري ٢٥/٢.

(٥) لم نقف على قائله، وهو في فتح القدير ٥١٤/٢.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٦/٢.

(٧) ينظر تفسير الرازي ٣٤/١٨.

(٨) ينظر تهذيب اللغة ٤٩١/٧ - ٤٩٢.

ثم وبَّخهم بقوله: ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ زَشِيدٌ؟﴾^(١) أي: شديدٌ يأمرُ بالمعروف وينهى عن المنكر. وقيل: «رشيد» أي: ذو رَشَد. أو بمعنى راشد أو مُرَشِد، أي: صالح أو مُصْلِح. ابن عباس: مؤمن. أبو مالك: ناهٍ عن المنكر. وقيل: الرشيد بمعنى الرَشَد، والرَّشَد والرَّشَاد: الهدى والاستقامة. ويجوز أن يكون بمعنى المُرَشَد، كالحكيم بمعنى المُحَكَّم^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ روي أن قومَ لوطَ خطبوا بناتِه فردَّهم، وكانت سَنَّتُهُمْ أَنَّ مَنْ رُدَّ فِي خِطْبَةِ امْرَأَةٍ لَمْ تَحِلَّ لَهُ أَبَدًا، فذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ ويَعَدُّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْخَاصِيَّةُ^(٣). فوجهُ الكلام أنه ليس لنا إلى بناتك تعلُّقٌ، ولا هُنَّ قَصْدُنَا، ولا لنا عادة نطلبُ ذلك^(٤). ﴿وَأِنَّكَ لَنَافِلُهُ مَا يُبَدِّلُ﴾ إشارة إلى الأضياف.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ لَمَا رَأَى اسْتِمْرَارَهُمْ فِي غِيْبِهِمْ، وَضَعَفَ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى دَفْعِهِمْ، تَمَتَّى لَوْ وَجَدَ عَوْنًا عَلَى رَدِّهِمْ، فَقَالَ عَلَى جِهَةِ التَّفْجِيعِ وَالِاسْتِكَانَةِ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾^(٥) أي: أنصاراً وأعواناً. وقال ابنُ عباس: أراد الولد^(٦).

و«أَنَّ» في موضع رفعٍ بفعلٍ مضمَر، تقديره: لو اتَّفَقَ أو وقع. وهذا يَطْرُدُ فِي «أَنَّ» التَّابِعَةَ لِـ «لَوْ». وجوابُ «لَوْ» محذوف^(٧)، أي: لرددتُ أهلَ الفساد، وحُلْتُ بينهم

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٩٥.

(٢) ينظر النكت والعيون ٢/ ٤٨٩، وتفسير البغوي ٢/ ٣٥٩، وزاد المسير ٤/ ١٣٩.

(٣) في النسخ: وبعد ألا تكون هذه الخاصة. والمثبت من المحرر الوجيز ٣/ ١٩٥، والكلام منه.

(٤) في (د) و(ز) و(ظ): ولكنها عادة نطلبها في ذلك، وفي (ف): ولا كنا عادة نطلب ذلك، والمثبت من (م) والمحرر الوجيز.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٩٥.

(٦) النكت والعيون ٢/ ٤٩٠.

(٧) المحرر الوجيز ٣/ ١٩٥.

وبين ما يريدون.

﴿أَوِ آوَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ شَدِيدٌ﴾ أي: الجأ وأنضوي. وقُرئ: ﴿أَوِ آوَىٰ﴾^(١) بالنصب عطفاً على «قوة»، كأنه قال: «لو أن لي بكم قوة» أو إيواء إلى ركن شديد، أي: وأن آوَى، فهو منصوب بإضمار «أن». ومراد لوط بالركن العشيرة والمنعة بالكثرة^(٢).

وَبَلَغَ بِهِمْ قَبِيحُ فَعَلِهِمْ إلى قوله هذا مع علمه بما عند الله تعالى، فيُرَوَّى أن الملائكة وَجَدَتْ عليه حين قال هذه الكلمات، وقالوا: إِنَّ رُكْنَكَ لَشَدِيدٌ.

وفي البخاري عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يَرْحَمُ اللَّهُ لوطاً، لقد كان يَأْوِي إلى ركنٍ شديد» الحديث، وقد تقدّم في «البقرة»^(٣). وخَرَّجَهُ الترمذي وزاد: «ما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروة من قومه». قال محمد بن عمرو: والثروة: الكثرة والمنعة؛ حديث حسن^(٤).

ويروى أن لوطاً عليه السلام لما غلبه قومه، وهُمُّوا بكسر الباب وهو يُمسكه، قالت له الرُّسل: تنحَّ عن الباب، فتنحَّى وانفتح الباب، فضربهم جبريلُ بجناحه فَطَمَسَ أَعْيُنَهُمْ، وَعَمُّوا وانصرفوا على أعقابهم يقولون: النجاء^(٥)، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِمْ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر: ٣٧].

وقال ابن عباس وأهل التفسير: أغلق لوطُ بابَه والملائكة معه في الدار، وهو يُناظرُ قومه ويُناشدهم من وراء الباب، وهم يعالجون تسوُّرَ الجدار؛ فلما رأت الملائكة ما لقي من الجَهد والكُرب والنَّصب بسببهم، قالوا: يا لوط، إِنَّ رُكْنَكَ

(١) القراءات الشاذة ص ٦٠ - ٦١، والمحاسب ٣٢٦/١.

(٢) المحرر الوجيز ١٩٥/٣.

(٣) ٣١٠/٤.

(٤) سنن الترمذي (٣١١٦)، ومحمد بن عمرو: هو أبو عبد الله، ويقال: أبو الحسن، الليثي المدني، أحد رجال الإسناد.

(٥) المحرر الوجيز ١٩٥/٣ - ١٩٦.

لشديد، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود، وإنّا رسل ربك؛ فافتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب فصرّبهم جبريلُ بجناحه على ما تقدّم. وقيل: أخذ جبريلُ قبضةً من تراب فأذراها في وجوههم، فأوصل الله إلى عين من بعد ومن قرب من ذلك التراب فطمس أعينهم، فلم يعرفوا طريقاً، ولا اهتدوا إلى بيوتهم، وجعلوا يقولون: النجاء النجاء، فإنّ في بيت لوط قوماً هم أشحر من على وجه الأرض، وقد سحرونا فأعموا أبصارنا. وجعلوا يقولون: يا لوط، كما أنت حتى نصبح فستري؛ يتوعدونه^(١).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ لَمَّا رأت الملائكة حُرْثَه واضطرابه ومدافعتة عرفوه بأنفسهم، فلما علم أنهم رسل مكن قومه من الدخول، فأمر جبريلُ عليه السلام يده على أعينهم فعموا، وعلى أيديهم فجفت. ﴿لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ أي: بمكره.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾، قرئ «فأسر» بوصل الألف وقطعها، لغتان فصيحتان^(٢). قال الله تعالى: ﴿وَالْأَيْلُ إِذَا يَسَرَ﴾ [الفجر: ٤] وقال: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى﴾ [الإسراء: ١] وقال النابغة - فجمع بين اللغتين -:

أَسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجِوَاءِ سَارِيَةً تُزْجِي الشَّمَالَ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ^(٣)
وقال آخر^(٤):

حَيِّ النَّصِيرَةِ رِيَّةَ الْخِذْرِ أَسْرَتْ إِلَيْكَ وَلَمْ تَكُنْ تَسْرِي
وقد قيل: «فأسر»؛ بِالْقَطْعِ: إذا سار من أوّل الليل، وسرى: إذا سار من آخره،

(١) عرائس المجالس ص ١٠٧، وتفسير البغوي ٣٩٦/٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٦/٢، وقرأ بوصل الهمزة من السبعة نافع وابن كثير وقرأ الباكون بقطعها. السبعة ص ٣٣٨، والتيسير ١٢٥.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٣١ وفيه: سرت، بدل: أسرت، وهو في المحرر الوجيز ١٩٦/٣ بلفظ المصنف.

(٤) هو حسان بن ثابت، والبيت مطلع قصيدة له في الديوان ص ٢٢٤.

ولا يقال في النهار إلا : سار. وقال لبيد:

إذا المرء أسرى ليلةً ظنَّ أنه قَضَى عملاً والمرء ما عاش عامِلٌ^(١)

وقال عبد الله بن رواحة:

عند الصُّباحِ يَحْمَدُ القومُ السَّرى وتَنجِلِي عنهم غَيَابَاتُ الكَرَى^(٢)

﴿يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾ قال ابن عباس: بطائفة من الليل. الضحاك: ببقية من الليل. قتادة: بعد مُضيِّ صدرٍ من الليل^(٣). الأخفش: بعد جُنج من الليل. ابن الأعرابي: بساعة من الليل. وقيل: بظلمة من الليل^(٤). وقيل: بعد هَدْءٍ من الليل. وقيل: هَزِيعٍ من اللَّيْلِ. وكلُّها متقاربة.

وقيل: إنه نصفُ اللَّيْلِ، مأخوذٌ من قَطْعِهِ نِصْفَيْنِ، ومنه قول الشاعر:

ونائحةٌ تَنُوحُ بِقِطْعِ لَيْلٍ على رجلٍ بقارعةِ الصَّعيدِ^(٥)

فإن قيل: السَّرى لا يكون إلا بالليل، فما معنى «بِقِطْعِ من الليل»؟ فالجواب: أنه لو لم يقل: «بِقِطْعِ مِنَ اللَّيْلِ» جاز أن يكون أوَّلُه^(٦).

﴿وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ أي: لا ينظر وراءه منكم أحدٌ، قاله مجاهد. ابن عباس: لا يتخلف منكم أحدٌ. عليُّ بنُ عيسى: لا يشتغل منكم أحدٌ بما يُخلفه من مال

(١) النكت والعيون ٢/ ٤٩٠. والبيت في ديوان لبيد ص ٢٥٤.

(٢) الرجز في النكت والعيون ٢/ ٤٩٠، ونسب في الحيوان ٦/ ٥٠٨ لبكر بن عبد الله المزني، وفي مجمع الأمثال ٣/ ٢ لخالد بن الوليد.

(٣) أورد هذه الأقوال البغوي ٢/ ٣٩٦، وقول ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري ١٢/ ٥٢٤.

(٤) أورد هذا القول الواحد في الوسيط ٢/ ٥٨٤ ونسبه لابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) النكت والعيون ٢/ ٤٩١، والبيت أورد أبو بكر الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٨٥، والسيرطي في الدر المنثور ٣/ ٣٤٥، والألوسي في روح المعاني ١٢/ ١٠٩ ونسبه لمالك بن كنانة بلفظ:

ونائحة تقوم بقطع ليل على رجل أهانته شعوب

(٦) معاني القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٦.

أو متاع^(١).

﴿إِلَّا امْرَأَتُكَ﴾ بالنصب^(٢)، وهي القراءة الواضحة البينة المعنى، أي: فأسر بأهلك إلا امرأتك. وكذا في قراءة ابن مسعود: «فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ»^(٣) فهو استثناء من الأهل. وعلى هذا لم يخرج بها معه. وقد قال الله عز وجل: ﴿كَانَتْ مِنْكُمْ أَلْفَتَيْنِ﴾ [الأعراف: ٨٣] أي: من الباقيين. وقرأ أبو عمرو وابن كثير: «إِلَّا امْرَأَتُكَ» بالرفع على البدل من «أحد». وأنكر هذه القراءة جماعة منهم أبو عبيد، وقال: لا يصح ذلك إلا برفع «يلتفت» ويكون نعتاً؛ لأن المعنى يصير - إذا أبدلت وجزمت - أن المرأة أبيع لها الالتفات، وليس المعنى كذلك.

قال النحاس^(٤): وهذا الحمل من أبي عبيد وغيره على مثل أبي عمرو مع جلالة ومحلّه من العربية لا يجب أن يكون، والرفع على البدل له معنى صحيح، والتأويل له على ما حكى محمد بن الوليد^(٥) عن محمد بن يزيد أن يقول الرجل لحاجبه: لا يخرج فلان، فلفظ النهي لفلان، ومعناه للمخاطب، أي: لا تدعه يخرج، ومثله قولك: لا يقم أحد إلا زيد، يكون معناه: انهم عن القيام إلا زيداً. وكذلك النهي للوط ولفظه لغيره، كأنه قال: إنهم لا يلتفت منهم أحد إلا امرأتك. ويجوز أن يكون استثناء من النهي عن الالتفات لأنه كلام تام، أي: لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، فإنها تلتفت وتهلك، وأن لوطاً خرج بها، ونهى من معه ممن أسري بهم ألا يلتفت،

(١) النكت والعيون ٤٩١/٢، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٥٢٤/١٢، وقول ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٦٥/٦.

(٢) قرأ بها نافع وابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي. السبعة ص ٣٣٨، والتيسير ص ١٢٥.

(٣) ذكرها الطبري ٥٢٥/١٢. والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٢٩٦/٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٧/٢، والكلام الذي قبله فيه بنحوه، وينظر البيان لأبي البركات الأنباري ٢٦/٢.

(٥) المصري النحوي التميمي، يُعرف بولاد، قرأ كتاب سيبويه على المبرد. توفي سنة (٢٩٨هـ). إنباه الرواة ٢٢٥/٣.

فلم يلتفت منهم أحد سوى زوجته، فإنها لما سمعت هذه العذاب التفتت، وقالت: واقوما، فأدركها حَجَرٌ فقتلها^(١).

﴿إِنَّهُمْ مُصِيبُهَا﴾ أي: من العذاب. والكناية في «إنه» ترجع إلى الأمر والشأن، أي: فإن الأمر والشأن والقصة^(٢).

﴿مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ لما قالت الملائكة: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١] قال لوط: الآن الآن. استعجلهم بالعذاب لغيظه على قومه، فقالوا: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؟ وقرأ عيسى بن عمر: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِضَمِّ الْبَاءِ، وَهِيَ لُغَةٌ^(٣). وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَ الصُّبْحَ مِيقَاتًا لِهَلَاكِهِمْ؛ لِأَنَّ النُّفُوسَ فِيهِ أَوْدَعُ، وَالنَّاسَ فِيهِ أَجْمَعُ^(٤)﴾.

وقال بعض أهل التفسير: إن لوطاً خرج بابنتيه ليس معه غيرهما عند طلوع الفجر، وإن الملائكة قالت له: إن الله قد وكل بهذه القرية ملائكة معهم صوت رعد، وخطف برق، وصواعق عظيمة، وقد ذكرنا لهم أن لوطاً سيخرج فلا تؤذوه، وأمارته أنه لا يلتفت، ولا تلتفت ابتاه فلا يهولنك ما ترى. فخرج لوط وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي: عذابنا. ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَهَا﴾ وذلك أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قري قوم لوط، وهي خمس: سدوم - وهي القرية العظمى - وعامورا، ودادوما، وصعرة، وقيم^(٥)، فرفعها من تخوم الأرض حتى أدناها من السماء بما فيها، حتى سمع أهل السماء نهيق حُمُرهم وصياح

(١) تفسير البغوي ٣٩٦/٢.

(٢) ينظر مجمع البيان ١٩٥/١٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٧، وقراءة عيسى بن عمر في القراءات الشاذة ص ٦١.

(٤) النكت والعيون ٢/٤٩١ - ٤٩٢.

(٥) اختلفت النسخ والمصادر في أسماء هذه القرى اختلافاً كبيراً ما عدا سدوم. وينظر المحبر ص ٤٦٧،

والتعريف والإعلام للشهيلي ص ١٧٦، ومعجم البلدان ٢/٤١٨ و ٣/٤١١ و ٤/٧١.

دِيكْتَهُمْ، لَمْ تَنْكُفِ لَهُمْ جَزَّةً، وَلَمْ يَنْكَسِرْ لَهُمْ إِنْاءٌ، ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَأَتْبَعَهُمُ اللَّهُ بِالْحِجَارَةِ. مَقَاتِلُ: أَهْلَكْتُ أَرْبَعَةَ، وَنَجَثَ صَعْرَةً. وَقِيلَ غَيْرَ هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ دليلٌ على أَنَّ من فعل فعلهم حكمه الرِّجْمُ، وقد تقدَّم في «الأعراف»^(٢).

وفي التفسير: أَمْطَرْنَا فِي الْعَذَابِ، وَمُطَرْنَا فِي الرَّحْمَةِ^(٣). وَأَمَّا كَلَامُ الْعَرَبِ فيقال: مَطَرَتِ السَّمَاءُ وَأَمْطَرَتْ، حَكَاهُ الْهَرَوِيُّ^(٤).

وَاخْتَلَفَ فِي «السَّجِّيلِ» فَقَالَ الْبَخَارِيُّ^(٥): السَّجِّيلُ: الشَّدِيدُ الْكَثِيرُ، وَسَجَّيْلٌ وَسِجِّينُ اللَّامِ وَالنُّونِ اخْتَانٌ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ^(٦): السَّجِّيلُ الشَّدِيدُ، وَأَنْشَدَ:

ضَرْبًا تَوَاصَى بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّينَا^(٧)

قال النحاس^(٨): وَرَدَّ عَلَيْهِ هَذَا الْقَوْلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ^(٩) وَقَالَ: هَذَا سَجِّينٌ وَذَلِكَ سَجِّيلٌ، فَكَيْفَ يَسْتَشْهَدُ بِهِ؟! قَالَ النحاس: وَهَذَا الرَّدُّ لَا يُلْزَمُ، لِأَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ اللَّامَ تُبْدَلُ مِنَ النُّونِ لِقَرَبِ إِحْدَاهُمَا مِنَ الْآخَرَى، وَقَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ يُرَدُّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى قَوْلِهِ لَكَانَ حِجَارَةً سَجِّيلًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَقَالُ: حِجَارَةٌ مِنْ شَدِيدٍ؛ لِأَنَّ شَدِيدًا نَعْتُ.

وَحَكَى أَبُو عُبَيْدَةَ^(١٠) عَنِ الْفَرَاءِ^(١١) أَنَّهُ قَدْ يَقَالُ لِحِجَارَةِ الْأَرْحَاءِ: سَجِّيلٌ. وَحَكَى

(١) عرائس المجالس ص ١٠٧، وتفسير البغوي ٣٩٦/٢، والمحزر الوجيز ١٩٧/٣، وسلف الكلام ٢٨٠/٩.

(٢) ٢٧٤/٩ وما بعدها.

(٣) ينظر المحزر الوجيز ١٩٧/٣.

(٤) تهذيب اللغة ٣٤١/١٣.

(٥) في (م): النحاس، والكلام عند البخاري (٤٦٨٤) وينظر فتح الباري ٣٥١/٨.

(٦) في مجاز القرآن ٢٩٦/١.

(٧) سيأتي بتمامه قريباً.

(٨) في معاني القرآن ٣٧٠/٣ - ٣٧١.

(٩) هو ابن قتيبة، وكلامه في تفسير غريب القرآن له ص ٢٠٨.

(١٠) في (د) و(ز) و(ط) و(م): أبو عبيدة، والمثبت من (ف) وهو الموافق لأعراب القرآن للنحاس ٢٩٧/٢، والكلام منه.

(١١) في معاني القرآن ٢٤/٢.

عن محمد بن الجهم^(١) أن سجّيلاً طيناً يُطَبَّخُ حتى يصيرَ بمنزلة الأرحاء.

وقالت طائفة - منهم ابنُ عباس وسعيد بن جبير وابن إسحاق -: إنّ سجّيلاً لفظة غير عربية عُربَتْ، أصلُها سنج وجيل. ويقال: سنك وكيل، بالكاف موضع الجيم، وهما بالفارسية حجرٌ وطين؛ عربّتهما العربُ، فجعلتهما اسماً واحداً. وقيل: هو من لغة العرب.

وقال قتادة وعكرمة: السجّيلُ: الطينُ؛ بدليل قوله: ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣]. وقال الحسن: كان أصلُ الحجارة طيناً فشَدَّت. والسجّيل عند العرب كلُّ شديدٍ صُلْب. وقال الضحاك: يعني الأجر. وقال ابنُ زيد: طينٌ طَبَّخَ حتى كان كالآجر، وعنه أنّ سجّيلاً اسمُ السماء الدنيا^(٢)، ذكره المهدوي، وحكاه الثعلبي عن أبي العالية، وقال ابن عطية^(٣): وهذا ضعيفٌ يرُدُّه وصفُه بـ «منضود». وعن عكرمة: أنه بحرٌ معلقٌ في الهواء بين السماء والأرض منه نزلتِ الحجارة^(٤). وقيل: هي جبالٌ في السماء، وهي التي أشار الله تعالى إليها بقوله: ﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَنَ الْجِبَالِ فِيهَا مِنْ بَرَرٍ﴾^(٥) [النور: ٤٣]. وقيل: هو مما سُجِّلَ لهم، أي: كُتِبَ لهم أن يُصيبهم، فهو في معنى سَجَّين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَجِئُكَ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٨-٩] قاله الزجاج^(٦) واختاره. وقيل: هو فِعْلٌ مِّنَ أَسَجَلْتُهُ؛ أي: أرسلته، فكانها مُرسلةٌ عليهم. وقيل: هو مِّنَ أَسَجَلْتُهُ: إذا أعطيته، فكانه عذابٌ أعطوه، قال:

مَنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلْ مَا جِدَا يَمْلَأُ الدَّلْوُ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ^(٧)

(١) أبي عبد الله السَّمَرِيُّ، الأديب، تلميذ الفراء وراوي. توفي سنة (٢٧٧هـ). السير ١٦٣/١٣.

(٢) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٢/٥٢٦ - ٥٢٩، وتفسير البغوي ٢/٢٩٧، وزاد المسير ٤/١٤٤.

(٣) في المحرر الوجيز ٣/١٩٧.

(٤) زاد المسير ٤/١٤٤.

(٥) تفسير البغوي ٢/٣٩٧.

(٦) في معاني القرآن ٣/٧١.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣/٧١، والبيت للفضل بن العباس، وهو في الكامل ١/٢٥٠، والأغاني =

وقال أهل المعاني: السَّجِيلُ والسَّجِين: الشديد من الحَجَر والضَّرْب، قال ابن مقبل:

وَرَجَلَةٌ يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ ضَاحِيَةً ضَرْبًا تَوَاصَى بِهِ الْأَبْطَالُ سَجِينًا^(١)

﴿مَنْضُودٌ﴾ قال ابن عباس: مُتَتَابِع. وقال قتادة: نُضِدَ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ. وقال الرِّبِيع: نُضِدَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى صَارَ جَسَدًا وَاحِدًا. وقال عِكْرَمَة: مَصْفُوف^(٢). وقال بَعْضُهُمْ: مَرْصُوصٌ، وَالْمَعْنَى مُتَقَارِب. يُقَالُ: تَضَدَّتِ الْمَتَاعُ وَاللَّيْنُ: إِذَا جَعَلَتْ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، فَهُوَ مَنْضُودٌ وَنَضِيدٌ وَنَضْدٌ، قَالَ:

وَرَفَعَتْهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالْنَضْدِ^(٣)

وقال أبو بكر الهذلي: مُعَدُّ، أَي: هُوَ مِمَّا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِأَعْدَائِهِ الظُّلْمَةِ^(٤). ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ أَي: مُعْلَمَةٌ، مِنَ السَّيْمَا؛ وَهِيَ الْعَلَامَةُ، أَي: كَانَ عَلَيْهَا أَمْثَالُ الْخَوَاتِيمِ^(٥). وَقِيلَ: مَكْتُوبٌ عَلَى كُلِّ حَجَرٍ اسْمٌ مِّنْ رُّمِي بِهِ، وَكَانَتْ لَا تُشَاكِلُ حَجَارَةَ الْأَرْضِ^(٦). وَقَالَ الْفَرَّاءُ^(٧): زَعَمُوا أَنَّهَا كَانَتْ مَخْطُطَةً بِحُمْرَةٍ وَسَوَادٍ فِي بَيَاضٍ، فَذَلِكَ

= ١٧٢/١٦. قال المبرد: وأصل المساجلة أن يستقي ساقيان، فيخرج كل واحد منهما في سَجْلِهِ مِثْلَ مَا يُخْرِجُ الْآخَرَ، فَأَيُّهُمَا نَكَلَ فَقَدْ غَلَبَ، فَضَرَبَتْهُ الْعَرَبُ مِثْلًا لِلْمَفَاخِرَةِ أَهْ قَوْلُهُ: الْكَزْبُ: هُوَ حَبْلٌ يُشَدُّ عَلَى عِرَاقِي الدَّلْوِ، يُثْنَى ثُمَّ يُثَلَّثُ. رَغْبَةُ الْأَمَلِ لِسَيِّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَرْصُفِيِّ ٢/٢٣٧.

(١) ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٩٦، والبيت في ديوان تميم بن مقبل ص ٣٣٣، وفيه: عن عرض، بدل: ضاحية. قوله: الْبَيْضُ، هُوَ جَمْعُ بَيْضَةٍ، وَهِيَ الْخُوْذَةُ.

(٢) تنظر هذه الأقوال في زاد المسير ٤/١٤٥، وقولا الربيع وعكرمة أخرجهما الطبري ١٢/٥٢٩.

(٣) ينظر معاني القرآن للنحاس ٣/٣٧١، والبيت للناطقة الذبياني، وهو في ديوانه ص ٣١، وصدوره: خَلَّتْ سَبِيلَ أَتَيْ كَانِ يَحْبِسُهُ.

وَالسَّجْفَانُ: سَتْرَانِ رَقِيقَانِ يَكُونَانِ فِي مَقْدَمِ الْبَيْتِ. شَرَحَ الْقَصَائِدَ الْمَشْهُورَاتِ لِلنَّحَاسِ ٢/١٦٠، وَسَيَأْتِي الْبَيْتُ بِتَمَامِهِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ (٢٩) مِنْ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ.

(٤) أخرجه الطبري ١٢/٥٢٩.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٩٧، والنكت والعيون ٢/٤٩٣.

(٦) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٢/٥٣٠ - ٥٣١، وتفسير البغوي ٢/٣٩٧، وزاد المسير

١٤٥/٤ - ١٤٦.

(٧) في معاني القرآن ٢/٢٤، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٩٧.

تسويها. وقال كعب: كانت مُعلمةً بياض وُحْمرة^(١)، وقال الشاعر:

غلامٌ رماه الله بالحسنِ يافعاً له سيمياءٌ لا تشقُّ على البَصَرِ^(٢)

و«مُسَوِّمة» من نعت حجارة. و«منضوي» من نعت «سَجِيل». وفي قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ دليلٌ على أنها ليست من حجارة الأرض، قاله الحسن^(٣). ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ يعني قومَ لوط، أي: لم تكن تُخطئهم^(٤). وقال مجاهد: يُرهب قريشاً^(٥)، المعنى: ما الحجارة من ظالمي قومك يا محمدُ ببعيد^(٦). وقال قتادة وعكرمة: يعني ظالمي هذه الأمة، والله ما أجاز الله منها ظالماً بعد^(٧). وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «سيكون في آخر أمتي قومٌ يكتفي رجالهم بالرجال ونساؤهم بالنساء، فإذا كان ذلك فارتقبوا عذاب قوم لوط، أن يرسل الله عليهم حجارة من سَجِيل»، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾. وفي رواية عنه عليه الصلاة والسلام: «لا تذهب الليالي والأيام حتى تستحل هذه الأمة أديبار الرجال كما استحلوا أديبار النساء، فتصيب طوائف من هذه الأمة حجارة من ربك»^(٨). وقيل: المعنى ما هذه القرى من الظالمين ببعيد، وهي بين الشام والمدينة^(٩). وجاء «بِبَعِيدٍ» مذكراً على معنى بمكان بعيد.

(١) النكت والعيون ٢/٤٩٣، وزاد المسير ٤/١٤٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) البيت لابن عنقاء الفزاري، وهو في الأغاني ١٩/٢٠٨، والمؤتلف والمختلف للآمدي ص ٢٣٨، وسط اللالكئ ١/٥٤٣، وعندهم: بالخير، بدل: بالحسن.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٧٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٨.

(٥) أخرجه الطبري ١٢/٥٣٢.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٢٥.

(٧) أخرجه الطبري ١٢/٥٣٣.

(٨) لم نقف عليه، وأورد ابن حبان في المجروحين ٢/١٨٢ نحوه من حديث وائلة بن الأسقع وأنس بن مالك رضي الله عنهما مرفوعاً بلفظ: «لا تذهب الدنيا حتى يستغني النساء بالنساء، والرجال بالرجال، السحاق زنا النساء فيما بينهن»، وفي إسناده العلاء بن كثير الدمشقي، قال ابن حبان: كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات. قال البخاري: منكر الحديث، وقال أحمد: ليس بشيء. ميزان الاعتدال ٣/١٠٤.

(٩) ينظر المحرر الوجيز ٣/١٩٨.

وفي الحجارة التي أمطرت قولان: أحدهما: أنها أمطرت على المدن حين رفعها جبريل. الثاني: أنها أمطرت على من لم يكن في المدن من أهلها وكان خارجاً عنها^(١).

قوله تعالى: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَوِرَ أَغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْيَكْبَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۝٨٥ وَيَنْفَوِرَ أَزِفُوا الْيَكْبَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٨٦ بَقِيََتْ إِلَهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ ۝٨٧ قَالُوا يَشْعِيبُ أَمَلَاكَ تَأْمُرُنَا أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۝٨٨ قَالَ يَنْفَوِرَ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ يَنْفَرٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقْنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلُقَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنَهَكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٩ وَيَنْفَوِرَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ۝٩٠ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩١ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝٩٢ قَالَ يَنْفَوِرَ أَرْهَطِىْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا ۝٩٣ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُّحِيطٌ ۝٩٤ وَيَنْفَوِرَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَمِلٌ سَوِّفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝٩٥ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْعَةَ فَاصْبِرُوا فِي دِينِهِمْ جَنَّتِمْ ۝٩٦ كَانَ لَرَّ بَغْتَا فِيمَا أَلَا بُعْدًا لِّمَلَيْنَ كَمَا بَعَدَتْ نَمُودُ ۝٩٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا﴾ أي: وأرسلنا إلى مدين، ومدين هم قوم شعيب.

وفي تسميتهم بذلك قولان: أحدهما: أنهم بنو مدين بن إبراهيم، فقليل: مدين، والمراد بنو مدين. كما يقال: مُضَر، والمراد: بنو مُضَر. الثاني: أنه اسم مدينتهم، فنُسبوا إليها^(١).

قال النحاس^(٢): لا ينصرف مدين لأنه اسم مدينة. وقد تقدّم في «الأعراف» هذا المعنى وزيادة^(٣).

﴿قَالَ يَنْفَعُكُمْ أَنْعَبُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ تَقَدَّمَ^(٤). ﴿وَلَا تَنْفَعُوكُمُ الْبَائِعُ بِالطَّعَامِ﴾ كانوا مع كفرهم أهل بَخْسٍ وَتَطْفِيفٍ^(٥)، كانوا إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بَكِيلٍ زائد، واستوفوا بغاية ما يَقْدِرُونَ عليه، وظلموا، وإن جاءهم مُشْتَرٍ للطعام باعوه بَكِيلٍ ناقص، وشحّحوا له بغاية ما يَقْدِرُونَ، فأمرُوا بالإيمان إقلاعاً عن الشُّرك، وبالوفاء نهياً عن التطفيف.

﴿إِنِّي أَرْزُقُكُمْ بِخَيْرٍ﴾ أي: في سَعَةٍ مِنَ الرِّزْقِ، وكثرة من النُّعم^(٦). وقال الحسن: كان سِعْرُهُمْ رَخِيصاً^(٧).

﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُونَ﴾ وَصَفَ الْيَوْمَ بِالْإِحَاطَةِ، وَأَرَادَ وَصَفَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِالْإِحَاطَةِ بِهِمْ، فَإِنَّ يَوْمَ الْعَذَابِ إِذَا أَحَاطَ بِهِمْ فَقَدْ أَحَاطَ الْعَذَابُ بِهِمْ، وَهُوَ كَقَوْلِكَ: يَوْمٌ شَدِيدٌ، أي: شَدِيدٌ حَرُّهُ.

وَاخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ الْعَذَابِ، فَقِيلَ: هُوَ عَذَابُ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ. وَقِيلَ: عَذَابُ

(١) النكت والعيون ٢/ ٤٩٤ .

(٢) في إعراب القرآن ٢/ ٣٩٨ .

(٣) في ٩/ ٢٨٠ وما بعدها.

(٤) ٩/ ٢٥٧ .

(٥) ينظر النكت والعيون ٢/ ٤٩٥ ، وتفسير الرازي ١٨/ ٤٠ .

(٦) ينظر تفسير أبي الليث ٢/ ١٣٩ .

(٧) أخرجه الطبري ١٢/ ٥٣٩ .

الاستئصال في الدنيا. وقيل: غلاء السَّعر؛ روي معناه عن ابن عباس^(١). وفي الحديث عن النبي ﷺ: «ما أظهر قومُ البُخس في المكيال والميزان إلا ابتلاههم الله بالقُحط والغلاء»، وقد تقدّم^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَيَقْوِمُوا أَوْقُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ أمرٌ بالإيفاء بعد أن نهى عن التطفيف تأكيداً. والإيفاء: الإتمام. «بالقسط» أي: بالعدل والحق، والمقصود أن يَصِلَ كلُّ ذي نصيبٍ إلى نصيبه، وليس يريدُ إيفاء المكيل والموزون، لأنه لم يقل: أَوْقُوا بالمكيال وبالميزان، بل أراد ألا تَنْقُصُوا حَجَمَ المكيال عن المعهود، وكذا الصَّنَجَات.

﴿وَلَا يَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي: لا تَنْقُصُوهم مما استحقُّوه شيئاً^(٣). ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بَيَّنَّ أَنَّ الخيانة في المكيال والميزان مبالغةٌ في الفساد في الأرض، وقد مضى في «الأعراف» زيادةٌ لهذا^(٤)، والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿يَقِيْتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ﴾ أي: ما يُبْقِيه الله لكم بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثرُ بركةً، وأحمدُ عاقبةً مما تُبقونه أنتم لأنفسكم من فضل التطفيف بالتجبر والظلم، قال معناه الطبري^(٥) وغيره. وقال مجاهد: «بَقِيَّةُ الله خَيْرٌ لكم» يريدُ طاعته^(٦). وقال الربيع: وصيةُ الله^(٧). وقال الفراء^(٨): مراقبةُ الله. ابن زيد: رحمةُ الله.

(١) النكت والعيون ٢/٤٩٥، وقول ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري ١٢/٥٣٨.

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/١٩٩ بنحوه، ولم نقف عليه مرفوعاً عند غيره، وقد تقدم بنحوه من قول ابن عباس رضي الله عنهما، وعزاه المصنف ثمة لمالك، وهو في الموطأ ٢/٤٦٠.

(٣) ينظر تفسير أبي الليث ٢/١٣٩.

(٤) ٢٨٢/٩.

(٥) في تفسيره ١٢/٥٤١، وينظر المحرر الوجيز ٣/١٩٩.

(٦) تفسير مجاهد ١/٣٠٨، وأخرجه الطبري ١٢/٥٤٢.

(٧) النكت والعيون ٢/٤٩٥.

(٨) في معاني القرآن ٢/٢٥.

قتادة والحسن: حَظُّكُمْ من رَبِّكُمْ خيرٌ لكم. وقال ابن عباس: رَزَقَ الله خيرٌ لكم^(١).
﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شَرَطَ هذا لأنهم إنما يَعْرِفُونَ صحةَ هذا إن كانوا مؤمنين^(٢). وقيل: يَحْتَمِلُ أنهم كانوا يَعْرِفُونَ بأنَّ الله خَالَقُهُمْ فخاطبهم بهذا.
﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أي: رقيب أَرْقُبُكُمْ عند كَيْلِكُمْ ووزنِكُمْ، أي: لا يُمكنُنِي شُهودُ كُلِّ معاملةٍ تُضِدُّ منكم حتى أُوَاخِذْكم بإيفاءِ الحقِّ. وقيل: أي: لا يَتَهَيَّأُ لي أن أحفظكم من إزالة نِعَمِ الله عليكم بمعاصيكم^(٣).
قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ﴾ وقرئ: ﴿أَصَلَاتُكَ﴾ من غير جَمْع^(٤).
﴿تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ «أن» في موضع نصب؛ قال الكسائي: مَوْضِعُهَا خفضٌ على إضمار الباء^(٥).

وروي أن شعيباً عليه السلام كان كثير الصلاة، مواظباً على العبادة^(٦) فَرَضَهَا ونَفَّلَهَا، ويقول: الصلاةُ تنهى عن الفحشاء والمنكر، فلَمَّا أَمَرَهُم ونهاهم عَيَّرُوهُ بما رأوه يَسْتَمِرُّ عليه من كثرة الصلاة، واستهزؤوا به، فقالوا ما أَخْبَرَ الله عنهم^(٧).
وقيل: إن الصلاةَ هنا بمعنى القراءة؛ قاله سفيان عن الأعمش، أي: قراءتُكَ تأْمُرُكَ، ودَلَّ بهذا على أنهم كانوا كفاراً^(٨). وقال الحسن: لم يبعثِ الله نبيّاً إلا فَرَضَ

(١) أخرج الأقوال الثلاثة الطبري ١٢/٥٤٣ - ٥٤٤ ، وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٤/١٤٩ .

(٢) زاد المسير ٤/١٤٩ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٨ ، وينظر مجمع البيان ١٢/٢٠٤ .

(٤) قرأ بالتوحيد عاصم - في رواية حفص - وحزمة والكسائي، وقرأ الباقر: «أصلواتك» بالجمع. السبعة ص ٣١٧ ، والتيسير ص ١١٩ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٨ .

(٦) في النسخ: مواظب العبادة. والمثبت من (م).

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٥١ بنحوه.

(٨) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٧٤ ، وقول الأعمش أخرجه الطبري ١٢/٥٤٦ - ٥٤٧ وسفيان: هو الثوري.

عليه الصلاة والزكاة^(١).

﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ زَعَمَ الفراء^(٢) أَنَّ التقدير: أَوْتَهَانَا أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ. وقرأ السُّلَمِيُّ والضَّحَّاكُ بن قيس: «أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ» بالتاء في الفعلين^(٣)، والمعنى: ما نَشَاءُ أَنْتَ يَا شَعِيبُ. وقال النحاس: «أَوْ أَنْ» على هذه القراءة معطوفة على «أَنْ» الأولى^(٤). وَرُوِيَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ مِمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ حَذْفُ الدَّرَاهِمِ^(٥). وَقِيلَ: مَعْنَى «أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ» إِذَا تَرَاضَيْنَا فِيمَا بَيْنَنَا بِالْبَخْسِ فَلَمْ تَمْنَعْنَا مِنْهُ^(٦)!.

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ يَغْنُونُ عِنْدَ نَفْسِكَ بِزَعْمِكَ^(٧)، وَمِثْلُهُ فِي صِفَةِ أَبِي جَهْلٍ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] أَي: عِنْدَ نَفْسِكَ بِزَعْمِكَ. وَقِيلَ: قَالُوهُ عَلَى وَجْهِ الِاسْتَهْزَاءِ وَالسَّخَرَةِ، قَالَه قَتَادَةُ^(٨). وَمِنْهُ قَوْلُهُمُ لِلْحَبَشِيِّ: أَبُو الْبَيْضَاءِ، وَلِلْأَبْيَضِ: أَبُو الْجَوْنِ، وَمِنْهُ قَوْلُ خَزَنَةَ جَهَنَّمَ لِأَبِي جَهْلٍ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٩). وَقَالَ سَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: الْعَرَبُ تَصِفُ الشَّيْءَ بِضِدِّهِ لِلتَّطْيِيرِ وَالتَّفَاوُلِ، كَمَا قِيلَ لِلدِّيْعِ: سَلِيمٌ، وَلِلْفَلَاةِ: مَفَازَةٌ^(١٠). وَقِيلَ: هُوَ تَعْرِیْضٌ أَرَادُوا بِهِ السَّبَّ.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٠.

(٢) في معاني القرآن ٢/ ٢٥، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٢٩٨.

(٣) قرأ السُّلَمِيُّ: «نَفْعَلَ» بِالنُّونِ، وَقَرَأَ الضَّحَّاكُ: «تَفْعَلَ» بِالتَّاءِ، وَقَرَأَ كِلَاهُمَا: «نَشَاءُ» بِالتَّاءِ. يَنْظُرُ الْقُرَّاءَاتِ الشَّاذَّةَ ص ٦١، وَالدَّرُ الْمَصُون ٦/ ٣٧٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٨.

(٥) أخرجه الطبري ١٢/ ٥٤٥. وحذف الدراهم، أَي: كسرها. يَنْظُرُ مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَاجِ ٣/ ٧٣.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٣٧٤.

(٧) المصدر السابق.

(٨) النكت والعيون ٢/ ٤٩٦.

(٩) الكلام بنحوه في عرائس المجالس ص ١٦٧. والجون من الأضداد، يُقَالُ لِلْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ: الْأَضْدَادُ لِابْنِ الْأَنْبَارِيِّ ص ١١١.

(١٠) ذكره البغوي في تفسيره ٢/ ٣٩٨ دون نسبة.

وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا كُلُّهُ، ويدلُّ ما قبله على صحته، أي: إنك أنت الحليم الرشيد حقاً، فكيف تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا؟! ويدلُّ عليه: ﴿أَصَلَّوْا لَكُمْ فَأَمَّا لَكُم مَّا يَتَّبِعُونَ آبَاؤَكُمْ﴾ أنكمروا - لمَّا رأوا من كثرة صلاته وعبادته، وأنه حليم رشيد - بأن يكون يأمرهم بترك ما كان يعبد آباؤهم، وبعده أيضاً ما يدلُّ عليه، ﴿قَالَ يَنْفَوِرُ أَرْءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَنْفَوِرٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: أفلا أنهاركم عن الضلال؟^(١)

وهذا كله يدلُّ على أنهم قالوه على وجه الحقيقة، وأنه اعتقادهم فيه. ويُشبه هذا المعنى قول اليهود من بني قريظة للنبي ﷺ حين قال لهم: «يا إخوة القردة» فقالوا: يا محمد ما علمناك جهولاً!^(٢)

مسألة: قال أهل التفسير: كان مما ينهاتهم عنه، وعُدُّوا لأجله قطعُ الدنانير والدراهم^(٣)، كانوا يقرضون من أطراف الصحاح لتفضُّل لهم القراضة، وكانوا يتعاملون على الصحاح عدداً^(٤)، وعلى المقروضة وزناً، وكانوا يبخسون في الوزن.

وقال ابن وهب: قال مالك: كانوا يكسرون الدنانير والدراهم، وكذلك قال جماعة من المفسرين المتقدمين كسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم، وغيرهما، وكسَرهما ذنبٌ عظيم^(٥). وفي كتاب أبي داود عن علقمة بن عبد الله، عن أبيه قال: نهى رسول الله ﷺ أن تُكسَرَ سِكَّةُ المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس^(٦). فإنها إذا

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٩ .

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠١، والحديث أخرجه الحاكم ٣/ ٣٤ - ٣٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ومن طريقه أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٨/ ٩ - ٨. وعندهما: فحاشاً، بدل: جهولاً. وقد قال النبي ﷺ ذلك في يهود بني قريظة عندما غزاهم.

(٣) عرائس المجالس ص ١٦٧ .

(٤) في (م): عدداً.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٥١ - ١٠٥٢ .

(٦) سنن أبي داود (٣٤٤٩). والسكة: الدنانير والدراهم المضروبة، يُسمَّى كل واحد منهما سكة؛ لأنه طبع بالحديدة. النهاية (سكك).

كانت صحاحاً قام معناها، وظهرت فائدتها، وإذا كُسرَتْ صارت سِلْعَةً، وبَطَلَتْ منها الفائدة، فأضُرَّ ذلك بالناس؛ ولذلك حُرِّم. وقد قيل في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا فِي الْمَدِينَةِ شِعْطَةَ الرَّهَطِ يَقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨] أنهم كانوا يكسرون الدراهم؛ قاله زيد بن أسلم^(١). قال أبو عمر بن عبد البر^(٢): زعموا أنه لم يكن بالمدينة أعلم بتأويل القرآن من زيد بن أسلم بعد محمد بن كعب القرظي.

مسألة: قال أصبغ: قال عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة مولى زيد بن الحارث العتقي: مَنْ كَسَرَهَا لَمْ تُقْبَلْ شهادته، وإن اعتذر بالجهالة لم يُعْذَر، وليس هذا بموضع عذر، قال ابن العربي^(٣): أمّا قوله: لَمْ تُقْبَلْ شهادته فلأنه أتى كبيرة، والكبائر تُسْقِطُ العدالة دون الصغائر، وأمّا قوله: لا يُقْبَلُ عذْرُهُ بالجهالة في هذا، فلأنه أمرٌ بَيْنٌ لا يَخْفَى على أحد، وإنما يُقْبَلُ العذر إذا ظهر الصدق فيه، أو خَفِيَ وجهُ الصدق فيه، وكان الله أعلم به من العبد كما قال مالك.

مسألة: إذا كان هذا معصيةً وفساداً تُرَدُّ به الشهادة؛ فإنه يُعاقَب مَنْ فَعَلَ ذلك. ومَرَّ ابنُ المسيب برجل قد جُلِدَ، فقال: ما هذا؟ فقالوا^(٤): رجلٌ يقطعُ الدنانير والدراهم، قال ابنُ المسيب: هذا من الفساد في الأرض، ولم يُنْكَرْ جُلْدُهُ. ونحوه عن سفيان. وقال أبو عبد الرحمن النجيب^(٥): كنت قاعداً عند عمر بن عبد العزيز، وهو إذ ذاك أمير المدينة، فأتني برجلٍ يقطعُ الدراهم وقد شَهِدَ عليه، فضربه وحلّقه، وأمرَ فطيف به، وأمره أن يقول: هذا جزاء مَنْ يقطع الدراهم، ثم أمر أن يُرَدَّ إليه، فقال: إنه لم يمنعني أن أقطع يدك إلا أنني لم أكن تقدّمت في ذلك قبل اليوم، وقد تقدّمت في

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٥٢.

(٢) في التمهيد ٣/ ٢٤٠.

(٣) في أحكام القرآن ٣/ ١٠٥٢، وما قبله منه.

(٤) في النسخ: قال، والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٥٣، والكلام منه.

(٥) وقع في (ز) وأحكام القرآن لابن العربي النجيب، ولم تجود في (ظ)، ولم نعرفه.

ذلك، فمن شاء فليقطع.

قال القاضي أبو بكر بن العربي^(١): «أما أدبه بالسوط فلا كلام فيه، وأما خلقه فقد فعله عمر، وقد كنت أيام الحكم بين الناس أضرب وأخلق، وإنما كنت أفعل ذلك بمن يربّي^(٢) شغره عوناً له على المعصية، وطريقاً إلى التجمل به في الفساد، وهذا هو الواجب في كل طريق للمعصية؛ أن يُقَطَّع إذا كان غير مؤثر في البدن، وأما قَطْعُ يده فإنما أخذ ذلك عمر من فضل^(٣) السرقة، وذلك أن قَرْضَ الدراهم غير كسرها، فإن الكسر إفساد الوصف، والقرض تنقيص للقدر، فهو أخذ مال على جهة الاختفاء، فإن قيل: أليس الحرز أصلاً في القطع؟ قلنا: يحتمل أن يكون عمر يرى أن تهيتها للفصل بين الخلق ديناراً أو درهماً جرّز لها، وجرّز كل شيء على قدر حاله، وقد أنقذ ذلك ابن الزبير، وقطع يد رجل في قطع الدنانير والدراهم. وقد قال علماؤنا المالكية: إن الدنانير والدراهم خواتيم الله، عليها اسمه، ولو قطع - على قول أهل التأويل - من كسر خاتماً لله كان أهلاً لذلك، إذ من^(٤) كسر خاتم سلطانٍ عليه اسمه أدب، وخاتم الله تقضى به الحوائج فلا يستويان في العقوبة.

قال ابن العربي^(٥): «وأرى أن يُقَطَّع في قرضها دون كسرها، وقد كنت أفعل ذلك أيام توليتي الحكم، إلا أنني كنت محفوفاً بالجّهال، فلم أجب^(٦) بسبب المقال للحسد الضلال، فمن قدر عليه يوماً من أهل الحق؛ فليفعله احتساباً لله تعالى.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَقْوِي أَرْءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَتْنٍ مِّن رَّيِّ تَقْدُمُ﴾^(٧). ﴿وَرَزَقْنِي مِنهُ رِزْقًا

(١) في أحكام القرآن ١٠٥٣/٣، وما قبله منه.

(٢) في النسخ: يرى، والمثبت من أحكام القرآن.

(٣) في (ظ): قصد.

(٤) في (د) و(م): أو من، وفي (ظ): ومن، والمثبت من (ز) و(ف)، وهو الموافق لأحكام القرآن.

(٥) في أحكام القرآن ١٠٥٤/٣.

(٦) في (م): أجبن.

(٧) في ٣٩٨/٨، وص ١٠١ من هذا الجزء.

حَسَنًا ﴿١﴾ أي: واسعاً حلالاً، وكان شعيب عليه السلام كثير المال، قاله ابن عباس وغيره^(١). وقيل: أراد به الهدى والتوفيق، والعلم والمعرفة^(٢)، وفي الكلام حذف، وهو ما ذكرناه، أي: أفلا أنهاكم عن الضلال؟!^(٣) وقيل: المعنى: «أرايتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي» أَتَبِعَ الضَّلَالِ^(٤)؟ وقيل: المعنى: «أرايتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي» أَتَأْمُرُونِي بِالْعَصِيَانِ فِي الْبَخْسِ وَالتَّطْفِيفِ وَقَدْ أَغْنَانِي اللَّهُ عَنْهُ! ﴿٥﴾

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالَفَكُمْ﴾ في موضع نصب بـ «أريدُ»^(٥). ﴿إِنْ مَا أَنهَدَكُم عَنْهُ﴾ أي: ليس أنهاكم عن شيء وأرتكبه^(٦)، كما لا أترك ما أمرتكم به. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي: ما أريدُ إِلَّا فِعْلَ الصَّلاحِ، أي: أَنْ تُصْلِحُوا دُنْيَاكُمْ بِالْعَدْلِ، وَأَخْرَجْتُمْ بِالْعِبَادَةِ، وقال: «مَا اسْتَطَعْتُ» لَأَنَّ الاسْتِطَاعَةَ مِنْ شُرُوطِ الْفِعْلِ دُونَ الْإِرَادَةِ^(٧). و«مَا» مصدرية، أي: إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ جَهْدِي وَاسْتَطَاعَتِي^(٨). ﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ أي: رُشْدِي، وَالتَّوْفِيقُ: الرُّشْدُ. ﴿إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدتُ. ﴿وَالَيْهِ أُتْبِئُ﴾ أي: أَرْجِعُ فِيمَا يَنْزِلُ بِي مِنْ جَمِيعِ النَّوَائِبِ. وقيل: إِلَيْهِ أَرْجِعُ فِي الْآخِرَةِ. وقيل: إِنْ الْإِنَابَةَ الدَّعَاءَ، وَمَعْنَاهُ: وَلَهُ أَدْعُو^(٩).

قوله تعالى: ﴿وَتَقْوَى لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ وقرأ يحيى بن وثاب: «يُجْرِمَنَّكُمْ»^(١٠).

(١) النكت والعيون ٢/٤٩٧، وزاد المسير ٤/١٥١.

(٢) ينظر تفسير البغوي ٢/٣٩٨، وزاد المسير ٤/١٥١.

(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٩، والنكت والعيون ٢/٤٩٧.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/١٣٩، وزاد المسير ٤/١٥١.

(٥) يعني «أَنْ أَخَالَفَكُمْ» في موضع نصب بـ «أريدُ»، ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٩.

(٦) في (ظ): أركبه، وينظر تفسير الطبري ١٢/٥٤٩، وتفسير البغوي ٢/٣٩٨، وزاد المسير ٤/١٥١.

(٧) النكت والعيون ٢/٤٩٧.

(٨) ينظر تفسير الرازي ١٨/٤٦.

(٩) ينظر النكت والعيون ٢/٤٩٧.

(١٠) المحتسب ١/٣٢٧.

﴿شِقَاقِي﴾ في موضع رفع. ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾ في موضع نصب^(١)، أي: لا يَحْمِلَنَّكُمْ مُعَادَاتِي على ترك الإيمان فيصيبكم ما أصاب الكفار قبلكم، قاله الحسن وقتادة^(٢). وقيل: لا يُكْسِبَنَّكُمْ شِقَاقِي إصابتكم العذاب كما أصاب مَنْ كان قبلكم، قاله الزجاج^(٣). وقد تقدّم معنى «يجرمنكم» في «المائدة»، و«الشقاق» في «البقرة»^(٤) وهو هنا بمعنى العداوة، قاله السدي، ومنه قول الأخطل:

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي رَسُولًا فكيف وجدْتُمْ طَغَمَ الشَّقَاقِ^(٥)
وقال الحسن البصري: إضراري. وقال قتادة: فراقِي^(٦).

﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِّنْكُمْ بَعِيدٌ﴾ وذلك أنهم كانوا حديثي عهدٍ بهلاك قوم لوط. وقيل: وما ديار قوم لوط منكم ببعيد^(٧)، أي: بمكان بعيد، فلذلك وَحَدَّ البعيد^(٨). قال الكسائي: أي: دورهم في دوركم^(٩).

قوله تعالى: ﴿وَيَنْفَقُوا أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ تقدّم^(١٠). ﴿إِنْ رَفِئَ رَجِيمٌ وَدُودٌ﴾ اسمان من أسمائه سبحانه، وقد بيّناهما في كتاب «الأسنى في شرح الأسماء الحسنى»^(١١). قال الجوهري^(١٢): وَدِدْتُ الرجلَ أَوْدُهُ وَدًا: إذا أحببته، والودود:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٩.

(٢) أخرجه بنحوه الطبري ١٢/٥٥١ عن قتادة.

(٣) في معاني القرآن ٣/٧٤ بنحوه، وينظر النكت والعيون ٢/٤٩٨.

(٤) في المائدة ٧/٢٦٥، وفي البقرة ٢/٤١٩.

(٥) النكت والعيون ٢/٤٩٨، والبيت في ديوان الأخطل ص ٣١، وفيه: قيساً، بدل: عني.

(٦) النكت والعيون ٢/٤٩٨.

(٧) تفسير الطبري ١٢/٥٥١ - ٥٥٢، وتفسير البغوي ٢/٣٩٩.

(٨) زاد المسير ٤/١٥١.

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٩.

(١٠) في ص ٦٧ من هذا الجزء.

(١١) ينظر ص ٨١ و ٨٦ و ٩١، وينظر شرح الرحيم ص ٣٩٥، وليس في المطبوع منه شرح «الودود».

(١٢) في الصحاح (ودد).

المُحِبُّ، والوَدُّ والوِدِّ والوُدَّة: المَوَدَّة^(١).

ورُوي عن النبي ﷺ أنه كان إذا ذَكَرَ شعبياً قال: «ذاك خطيبُ الأنبياء»^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ﴾ أي: ما نفهم؛ لأنك تَحْمِلُنَا على أمورٍ غائبة من البَغْث والنُّشور، وتَعِظُنَا بما لا عهدَ بمثله. وقيل: قالوا ذلك إعراضاً عن سماعه، واحتقاراً لكلامه^(٣)، يقال: فَقِهَ يَفْقَهُ: إذا فَهِمَ؛ فَقَهَا وَفَقَهَا، وحكى الكسائي: فَقَهَا، وَفَقَهُ فَقَهَا وَفَقَهَا^(٤): إذا صار فقيهاً.

﴿وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِتْنًا ضَعِيفًا﴾ قيل: إنه كان مصاباً ببصره؛ قاله سعيد بن جبير وقتادة. وقيل: كان ضعيف البصر؛ قاله الثوري^(٥)، وحكى عنه النحاس^(٦) مثل قول سعيد بن جبير وقتادة. قال النحاس: وحكى أهل اللغة أَنَّ جَمِيرَ تقول للأعمى: ضعيفٌ، أي: قد ضَعُفَ بذهاب بصره، كما يقال له: مكفوفٌ، أي: قد كُفَّ عن النظر بذهاب بصره^(٧). قال الحسن: معناه: مهين. وقيل: المعنى ضعيف البدن؛ حكاه علي بن عيسى. وقال السدي: وحيداً ليس لك جندٌ وأعاون تُقَدِّرُ بها على مُخالفتنا. وقيل: قليلُ المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة أهلها^(٨).

(١) في (م): والوَدُّ والوِدِّ والوُدَّة والمودة: المحبة.

(٢) سلف ٢٨١/٩، وهو حديث ضعيف.

(٣) النكت والعيون ٤٩٩/٢.

(٤) وقعت العبارة في (م): فَوَقَّهَ يَفْقَهُ إذا فهم فَقَهَا، وحكى الكسائي: فَقَّهَ فَقَهَا وَفَقَهَا...، والمثبت من النسخ الخطية، وهو موافق لإعراب القرآن للنحاس ٢٩٩/٢، والكلام منه.

(٥) تفسير الطبري ٥٥٣/١٢، والنكت والعيون ٤٩٩/٢.

(٦) في معاني القرآن ٣٧٥/٣.

(٧) معاني القرآن للنحاس ٣٧٦/٣. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٠٢/٣: وهذا كله ضعيف، ولا تقوم عليه حجة بضعف بصره أو بدنه، والظاهر من قولهم: «ضعيفاً» أنه ضعيف الانتصار والقدرة. اهـ وكذلك ضَعَّفَ هذا القول الرازي من عدَّة وجوه، تنظر في تفسيره ٤٩/١٨.

(٨) أورد هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٤٩٩/٢.

و«ضعيفاً» نصبَ على الحال. ﴿وَلَوْلَا رَفْعُكَ﴾ رفعٌ بالابتداء^(١)، ورهطُ الرجل: عشيرته الذي يستندُ إليهم ويتقوى بهم، ومنه الرَاهِطَاءُ لجُحُرِ اليرْبُوعِ؛ لأنه يتوثقُ به ويخبأُ فيه ولده^(٢). ومعنى ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾: لقتلناك بالرجم، وكانوا إذا قتلوا إنساناً رجموه بالحجارة، وكان رَفْطُهُ من أهلِ ملتهم^(٣). وقيل: معنى ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾: لَشْتَمْنَاكَ، ومنه قولُ الجعديّ:

تَرَا جَمْنَا بِمُرِّ الْقَوْلِ حَتَّى نَصِيرَ كَأَنَّا فَرَسَا رِهَانٍ^(٤)
والرَّجْمُ أيضاً: اللَّعْنُ، ومنه: الشيطان الرجيم^(٥). ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِمَزِينٍ﴾ أي: ما أنت علينا بغالب ولا قاهر ولا مُمتنع^(٦).

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْفُورِ أَرْهَطِي﴾ «أَرْهَطِي» رفعٌ بالابتداء، والمعنى: أرهطي في قلوبكم ﴿أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ وأعظمُ وأجلُّ وهو يَمْلِكُكُمْ^(٧)
﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾ أي: اتَّخَذْتُمْ ما جئْتُكم به مِنْ أَمْرِ اللّهِ ظَهْرِيًّا، أي: جعلْتُمُوهُ وراءَ ظهوركم، وامتنعْتُمْ من قَتْلِي مخافةً قومي^(٨)، يقال: جعلْتُ أمره بظهرٍ إذا قَصَّرْتُ فيه^(٩)، وقد مضى في «البقرة»^(١٠).

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٩.

(٢) ينظر تهذيب اللغة ٦/ ١٧٥، والمحزر الوجيز ٣/ ٢٠٢.

(٣) ينظر زاد المسير ٤/ ١٥٣.

(٤) النكت والعيون ٢/ ٤٩٩ - ٥٠٠، والبيت في ديوان النابغة الجعدي ص ١٦٥، وفيه: بصلر، بدل: بمر.

(٥) تفسير أبي الليث ٢/ ١٤٠.

(٦) ينظر الوسيط للواحي ٢/ ٥٨٧، والنكت والعيون ٢/ ٥٠٠.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٩.

(٨) ينظر تفسير أبي الليث ٢/ ١٤٠، والوسيط للواحي ٢/ ٥٨٧.

(٩) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٣٧٧ بنحوه.

(١٠) ٢/ ٢٦٨.

﴿إِنَّ رَبِّي يَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: من الكُفر والمعصية. ﴿مُحِيطٌ﴾ أي: عليم. وقيل: حفيظ^(١).

قوله تعالى: ﴿وَيَقْوَمُوا أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد ووعيد^(٢)، وقد تقدّم في «الأنعام»^(٣).

﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي: يُهْلِكُهُ. و«مَنْ» في موضع نصب، مثل: ﴿يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. ﴿وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ عطفٌ عليها^(٤). وقيل: أي: وسوف تعلمون مَنْ هو كاذبٌ مِنَّا. وقيل: في محلّ رفع، تقديره: ويخزي مَنْ هو كاذب^(٥). وقيل: تقديره: ومن هو كاذبٌ فَسَيُعْلَمُ كَذِبُهُ، ويدوقُ وبالَ أمره^(٦). وزعم الفراء^(٧) أنهم إنما جاؤوا بـ «هو» في «وَمَنْ هُوَ كاذبٌ» لأنهم لا يقولون: مَنْ قائمٌ، إنما يقولون: مَنْ قام، وَمَنْ يقوم، وَمَنْ القائم، فزادوا «هو» ليكونَ جملةً تقوم مقامَ فَعَلٍ وَيَفْعَلُ. قال النحاس: ويدلُّ على خلاف هذا قوله:

مَنْ رَسُولٌ إِلَى الثَّرِيَا بِأَنِّي ضِيقْتُ دَرْعًا بِهَجْرِهَا وَالْكِتَابِ^(٨)
﴿وَارْتَبِعُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ أي: انتظروا العذابَ والسَّخَطَ، فإني منتظرٌ النصرَ والرحمة^(٩).

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ قيل: صاحَ بهم جبريلُ صيحةً فخرجت أرواحهم

(١) النكت والعيون ٥٠١/٢.

(٢) النكت والعيون ٥٠١/٢، وتفسير أبي الليث ١٤٠/٢.

(٣) ٣٥/٩.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٩/٢ - ٣٠٠.

(٥) ينظر النكت والعيون ٥٠١/٢.

(٦) تفسير البغوي ٣٩٩/٢.

(٧) في معاني القرآن ٢٦/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣٠٠/٢.

(٨) قائله عمر بن أبي ربيعة، وهو في ديوانه ص ٣٠، وفيه: رسولي، بدل: رسول.

(٩) ينظر تفسير البغوي ٣٩٩/٢.

من أجسادهم^(١)، ﴿بَجَّيْنَا شُعَبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ أي: صيحة جبريل. وَأَنْتَ الْفِعْلَ عَلَى لَفْظِ الصَّيْحَةِ، وقال في صيحة صالح: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٦٧]، فذكر على معنى الصباح.

قال ابن عباس: ما أهلك الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم صالح وقوم شعيب، أهلكهم الله بالصيحة، غير أن قوم صالح أخذتهم الصيحة من تحتهم، وقوم شعيب أخذتهم الصيحة من فوقهم^(٢).

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ . كَانَ لَرَبِّهِمْ فِيهَا أَلَا بَعْدًا لِمَلِكِينَ كَمَا بَعَثَ ثَمُودُ﴾ تقدم معناه^(٣). وحكى الكسائي أن أبا عبد الرحمن السلمي قرأ: «كَمَا بَعَثَتْ ثَمُودُ» بضم العين. قال النحاس^(٤): المعروف في اللغة إنما يقال: بَعْدَ يَبْعُدُ بَعْدًا وَيُبْعَدُ: إِذَا هَلَكَ.

وقال المهدوي: مَنْ ضَمَّ الْعَيْنَ مِنْ «بَعَثَتْ» فَهِيَ لُغَةٌ تُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَمَصْدَرُهَا الْبُعْدُ، وَبَعِدَتْ تُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِّ خَاصَّةً، يُقَالُ: بَعْدَ يَبْعُدُ بَعْدًا، فَالْبُعْدُ عَلَى قِرَاءَةِ الْجَمَاعَةِ بِمَعْنَى اللَّعْنَةِ، وَقَدْ يَجْتَمِعُ مَعْنَى اللَّغَتَيْنِ لِتَقَارُبِهِمَا فِي الْمَعْنَى، فَيَكُونُ مِمَّا جَاءَ مَصْدَرُهُ عَلَى غَيْرِ لَفْظِهِ لِتَقَارُبِ الْمَعَانِي.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٦﴾ إِنْ فِرْعَوْنُ وَمَلَأِيهِ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْأَوْرَدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَتَسَّ الْأَوْرَدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ بَيَّنَّ أَنَّهُ أَتْبَعَ النَّبِيَّ النَّبِيَّ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ،

(١) تفسير الطبري ١٢/٥٥٩ - ٥٦٠ ، وتفسير البغوي ٢/٤٠٠ .

(٢) تفسير الرازي ١٨/٥١ .

(٣) تقدم معنى قوله: «فأصبحوا في ديارهم جائعين» في ص ١٥٧ من هذا الجزء، وقوله: «كان لم يغنوا فيها» في ٩/٢٨٦ ، وقوله: «ألا بعداً» في ص ١٤٧ من هذا الجزء.

(٤) في إعراب القرآن ٢/٣٠٠ ، وما قبله منه ، وقراءة السلمي في القراءات الشاذة ص ٦١ .

ولإِذَا حَقَّ كُلُّ عِلَّةٍ. «بِآيَاتِنَا» أي: بالتوراة، وقيل: بالمعجزات. ﴿وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حُجَّةٌ بَيِّنَةٌ، يعني العصا^(١). وقد مضى في «آل عمران» معنى السلطان واشتقاقه^(٢)، فلا معنى للإعادة.

﴿إِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ فَالْبُغْوَا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: شأنه وحالُه، حتى اتخذوه إلهًا، وخالفوا أمر الله تعالى. ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي: بسديدٍ يُوَدِّي إلى صواب. وقيل: «برشيد» أي: بمرشدٍ إلى خير^(٣).

قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يعني أنه يتقدمهم إلى النار، إذ هو رئيسهم. يقال: قَدَّمَهُمْ يَقْدُمُهُمْ قُدْمًا وَقُدُومًا: إذا تَقَدَّمَهم^(٤). ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ أي: أدخلهم فيها. ذُكِرَ بلفظ الماضي، والمعنى: فيوردهم النار، وما تحقَّق وجودُه فكأنه كائن، فلهذا يُعَبَّرُ عن المستقبل بالماضي^(٥). ﴿وَيَسَّسَ الْوَرْدَ الْمَوْرُودَ﴾ أي: بنس المدخل المدخول، ولم يقل: بنست؛ لأن الكلام يرجع إلى الورد^(٦)، وهو كما تقول: نَعَمْ المنزلُ دارُك، ونعمت المنزلُ دارُك. والورد^(٧): الماء الذي يُورَد، والموضع الذي يُورَد، وهو بمعنى المفعول.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً﴾ أي: في الدنيا. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: ولعنة يوم القيامة، وقد تقدَّم هذا المعنى^(٨).

﴿يَسَّسَ الْوَرْدَ الْمَوْرُودَ﴾ حكى الكسائي وأبو عبيدة: رَفَدْتُهُ أَرْفُدُهُ رَفْدًا، أي: أَعَثْتُهُ

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٥٨٨/٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ٣٥٧/٤.

(٣) الوسيط للواحدي ٥٨٨/٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٠/٢.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٢٠٥/٣.

(٦) في (م): المورد. والكلام بنحوه في تفسير الرازي ٥٤/١٨.

(٧) في (م): والمورود.

(٨) ص ١٤٧ من هذا الجزء.

وأعطيته. واسم العَطِيَّة: الرُّفْد^(١)، أي: بشس العطاء والإعانة. والرُّفْد والرُّفْد^(٢) أيضاً: القَدَح الضخم؛ قاله الجوهري^(٣)، والتقدير: بشس الرُّفْد رِفْدُ المرفود. وذكر الماوردي: أَنَّ الرُّفْد بفتح الراء: القَدَح، والرُّفْد بكسرها: ما في القَدَح من الشراب، حكى ذلك عن الأصمعي، فكأنه ذمٌ بذلك ما يُسْقَوْنه في النار. وقيل: إِنَّ الرُّفْد الزيادة، أي: بشس ما يُرْفَدُون به بعد العَرَق النار، قاله الكلبي^(٤).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٦﴾ وَظَلَمْتُهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا تَتَابَعُوا ﴿١٠٧﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٨﴾ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٩﴾ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿١١٠﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شِقْقٌ وَسَعِيدٌ ﴿١١١﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١١٢﴾ خَلْقَيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١١٣﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلْقَيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُورٍ ﴿١١٤﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ لَمَوْفُوهُمْ فَصِيبُهُمْ غَيْرُ مَنْقُوصٍ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ «ذَلِكَ» رفعٌ على إضمار مبتدأ، أي: الأمر ذلك. وإن شئت بالابتداء^(٥)، والمعنى: ذلك النبأ المتقدم من أنباء القرى

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٠/٢. وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢٩٨/١.

(٢) قوله: والرُّفْد (الثانية)، ليس في (م).

(٣) الصحاح (رفد).

(٤) النكت والعيون ٥٠٢/٢.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٠/٢.

نقصه عليك.

﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ قال قتادة: القائم ما كان قائماً^(١) على عروشه، والحصيد ما لا أثر له. وقيل: القائم: العامر، والحصيد: الخراب، قاله ابن عباس^(٢). وقال مجاهد: قائم: خاوية على عروشها، وحصيد: مُستأصل، يعني محصوداً، كالزراع إذا حُصد، قال الشاعر:

والناس في قَسَمِ المَنِيَّةِ بينهم كالزُّرْعِ منه قائمٌ وحصيدٌ^(٣)
وقال آخر:

إنما نحن مثلُ خامةٍ زرعٍ فمَنى بأن يأتِ مُحْتَصِدُهُ^(٤)
قال الأخفش سعيد^(٥): حصيد، أي: محصود، وجمعه: حَصْدَى وحِصَاد، مثل: مرضى ومِراض، قال: يكون فيمن يعقل: حَصْدَى، مثل: قَتِيل وقَتْلَى^(٦).

﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ أصلُ الظلم في اللغة: وضعُ الشيء في غير موضعه، وقد تقدّم في «البقرة» مستوفى^(٧). ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي. وحكى سيبويه أنه يقال: ظلم إياه^(٨) ﴿فَمَا أَغْنَتْ﴾ أي: دَفَعَتْ. ﴿عَنْهُمْ إِلَهُهُمْ﴾ أَلَى يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ في الكلام حذف، أي: التي كانوا يعبدون، أي: يدعون. ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيرٍ﴾ أي: غير تخسير، قاله مجاهدٌ وقَتادة^(٩). وقال لبيد:

(١) في (د) و(ز) و(ف) و(م): خاوياء، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما أخرجه الطبري ٥٦٧/١٢.

(٢) أخرجه الطبري ٥٦٧/١٢ بنحوه.

(٣) النكت والعيون ٥٠٣/٢.

(٤) قائله الطبري، وهو في ديوانه ص ١٩٨، والشرط الأول فيه: إنما الناس مثل نابتة الزرع. وأورده بلفظ المصنف ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٧١/٢.

(٥) في معاني القرآن ٥٨٢/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣٠١/٢.

(٦) في إعراب القرآن: ويجوز فيمن يعقل: حُصْداء مثل: قبيل وقبلاء. وينظر الدر المصون ٣٨٤/٦.

(٧) ٤٦٠ - ٤٦١.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٣٠١/٢.

(٩) أخرجه الطبري ٥٦٩/١٢ - ٥٧٠.

فلقد بَلَيْتُ وكلُّ صاحبٍ جدَّةٌ لِـبَلَى يعود وذاتكمُ التَّثْبِيبُ^(١)
 والتَّباب: الهلاك والخسران، وفيه إضمار، أي: ما زادتهم عبادة الأصنام،
 فحذف المضاف، أي: كانت عبادتهم إياها قد خسرتهم ثواب الآخرة^(٢).
 قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ أي: كما أخذ هذه القرى التي
 كانت لنوح وعاد وثمود يأخذ جميع القرى الظالمة.
 وقرأ عاصم الجحدري وطلحة بن مصرف: «وَكَذَلِكَ أَخْذَ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى»^(٣).
 وعن الجحدري أيضاً: «وَكَذَلِكَ أَخْذَ رَبِّكَ» كالجماعة «إِذَا أَخَذَ الْقُرَى»^(٤).
 قال المهدوي: من قرأ: «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ» فهو إخبار عما جرث^(٥) به
 العادة في إهلاك من تقدّم من الأمم، والمعنى: وكذلك أخذ ربك من أخذه من
 الأمم^(٦) المهلكة إذ أخذهم.
 وقراءة الجماعة على أنه مصدر، والمعنى: كذلك أخذ ربك من أراد إهلاكه متى
 أخذه، فـ«إِذَا» إما ماضٍ، أي: حين أخذ القرى، و«إِذَا» للمستقبل.
 ﴿وَهِيَ ظَلِيمَةٌ﴾ أي: وأهلها ظالمون، فحذف المضاف، مثل: ﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ﴾
 [يوسف: ٨٢]^(٧).

(١) لم نقف عليه في المطبوع من ديوان لبيد، والكلام في النكت والعيون ٥٠٣/٢، وقد ذكر البيت
 الزجاجي في أماليه ص ١٢٧ ضمن قصيدة لثؤيف بن ثقيع الفقعسي، ولفظه:

قالت: كَبِرتُ، وكل صاحب لذة لِـبَلَى يعود وذلك التثبيـب

(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٣٠١/٢.

(٣) تفسير الطبري ٥٧٢/١٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣٠١/٢ عن عاصم الجحدري. والمحذر الوجيز
 ٢٠٦/٣ عن أبي رجاء العطاردي والجحدري، وفيه: إذا، بدل: إذ.

(٤) من قوله: وعن الجحدري إلى هذا الموضع ليس في (ظ).

(٥) في (م): جاءت.

(٦) من قوله: والمعنى إلى هذا الموضع ليس في (ظ).

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٣٠١/٢.

﴿إِنْ أَخَذَهُ إِلَهٌ شَدِيدٌ﴾ أي: عقوبته لأهل الشرك مُوجِعَةٌ غليظة.

وفي «صحيح» مسلم والترمذي^(١) من حديث أبي موسى: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُقْلِنَهُ»، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ الآية. قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب.

قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ﴾ أي: لَعِبْرَةٌ وموعظة. ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾. ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ﴾، ابتداءً وخبر. ﴿جَمْعُومٌ﴾ من نعته، ﴿لَهُ النَّاسُ﴾ اسم ما لم يُسَمَّ فاعله، ولهذا لم يقل: مجموعون؛ فإن قَدَّرْتَ ارتفاعَ «الناس» بالابتداء، والخبر «مجموعٌ له»، فإنما لم يقل: مجموعون، على هذا التقدير؛ لأن «له» يقوم مقام الفاعل^(٢). والجمع: الحشر، أي: يحشرون لذلك اليوم. ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ أي: يشهده البرُّ والفاجر، ويشهده أهلُ السماء. وقد ذكرنا هذين الاسمين مع غيرهما من أسماء القيامة في كتاب «التذكرة»^(٣) وبينَّاهما، والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ﴾ أي: ما نُؤَخِّرُ ذلك اليوم. ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ أي: لِأَجَلٍ سَبَقَ بِهِ قِضَاؤُنَا، وهو معدودٌ عندنا. ﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾، وقرئ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾؛ لأنَّ الياء تُحذف إذا كان قبلها كسرة، تقول: لا أدري، ذكره القشيري.

قال النحاس^(٤): قرأه أهلُ المدينة وأبو عمرو والكسائيُّ بإثبات الياء في الإدراج، وحذفها في الوقف، ورُوي أَنَّ أُبَيًّا وَابْنَ مَسْعُودَ قَرَأَا: «يَوْمَ يَأْتِي» بالياء في الوقف والوصل^(٥). وقرأ الأعمش وحمزة: «يَوْمَ يَأْتِ» بغير ياءٍ في الوقف والوصل^(٦).

(١) صحيح مسلم (٢٥٨٣)، وسنن الترمذي (٣١١٠)، وهو عند البخاري (٤٦٨٦).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٠١/٢.

(٣) ص ٢٢٠ و ٢٢٩.

(٤) في إعراب القرآن ٣٠١/٢ - ٣٠٢.

(٥) وهي قراءة ابن كثير ويعقوب. السبعة ص ٣٣٨ - ٣٣٩، والتيسير ص ١٢٧، والنشر ٢/٢٩٢.

(٦) قراءة حمزة في السبعة ص ٣٣٩، ووافقه ابن عامر وعاصم.

قال أبو جعفر النحاس^(١): الوجه في هذا ألا يوقف عليه، وأن يُوصل بالياء، لأن جماعة من النحويين قالوا: لا تحذف الياء، ولا يجزم الشيء بغير جازم، فأما الوقف بغير ياء ففيه قولٌ للكسائي، قال: لأنَّ الفعلَ السالمَ يُوقَفُ عليه كالمجزوم، فحذف الياء، كما تحذف الضمة. وأما قراءة حمزة فقد احتجَّ أبو عبيد لحذف الياء في الوصل والوقف بحجَّتَيْن: إحداهما: أنه زعم أنه رآه في الإمام الذي يقال له إنه مصحف عثمان ؓ بغير ياء. والحجَّةُ الأخرى: أنه حكى أنها لغةٌ هذيل، تقول: ما أدر.

قال النحاس^(٢): أما حُجَّتُهُ بمصحف عثمان ؓ فشيءٌ يرثه عليه أكثرُ العلماء، قال مالك بن أنس رحمه الله: سألتُ عن مصحف عثمان ؓ ف قيل لي: ذَهَب. وأما حُجَّتُهُ بقولهم: «ما أدر» فلا حُجَّةَ فيه؛ لأن هذا الحرف^(٣) قد حكاه النحويون القدماء، وذكروا علته، وأنه لا يُقاس عليه. وأنشد الفراء في حذف الياء:

كَفَّاكَ كَفٌّ مَا تُلِيقُ دِرْهَمًا جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِي بِالسَّيْفِ الدِّمَاءَ^(٤)

أي: تعطي. وقد حكى سيبويه والخليل أن العرب تقول: لا أدر، فتحذف الياء وتجتزئ بالكسر، إلا أنهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال. قال الزجاج^(٥): والأجود في النحو إثباتُ الياء، قال: والذي أراه أتباعُ المصحف وإجماعُ القراء؛ لأن القراءة سُنَّةٌ، وقد جاء مثله في كلام العرب.

﴿لَا تَكَلِّمْ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ الأصل: تتكلم، حُذفت إحدى التائين تخفيفاً^(٦).

(١) في إعراب القرآن ٣٠٢/٢.

(٢) في إعراب القرآن ٣٠٢/٢، وما قبله منه.

(٣) في (د) و(م): الحذف، والمثبت من (ز) و(ظ) و(ف)، وهو الموافق لإعراب القرآن.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٧/٢، والأضداد للأنباري ص ٢٦٤، ودرة الغواص للحريص ص ١٦٥. وقوله: ما تُلِيقُ درهماً، أي: ما تحبسه ولا تلتصق به. اللسان (ليق).

(٥) في معاني القرآن ٧٧/٣، وما قبله منه.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٢/٢.

وفيه إضمار، أي: لا تتكلم فيه نفسٌ إلا بالمأذون فيه من حسن الكلام؛ لأنهم مُلَجَّوون إلى ترك القبيح. وقيل: المعنى: لا تكلم بحجة ولا شفاعة إلا بإذنه. وقيل: إن لهم في الموقف وقتاً يُمنعون فيه من الكلام إلا بإذنه^(١).

وهذه الآية أكثر ما يسأل عنها أهل الإلحاد في الدين. فيقول: لم قال: ﴿لَا تَكَلِّمْ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ و﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فِعْمَازُهُمْ﴾ [المرسلات: ٣٥]. وقال في موضع من ذكر القيامة: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوِّمُونَ﴾ [القلم: ٣٠]. وقال: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]. وقال: ﴿وَفَقُّوهُمْ إِنَّهُمْ مُسْعِلُونَ﴾ [الصفات: ٢٤]. وقال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُشْكِلُ عَنْ دَلِيلِهِ إِشٌّ وَلَا جَنَازٌ﴾^(٢) [الرحمن: ٣٩].

والجواب ما ذكرناه، وأنهم لا ينطقون بحجة تجب لهم، وإنما يتكلمون بالإقرار بذنوبهم، ولَوْمِ بعضهم بعضاً، وطرح بعضهم الذنوب على بعض، فأما التكلم والنطق بحجة لهم فلا، وهذا كما تقول للذي يُخاطبك كثيراً وخطابُه فارغٌ عن الحجة: ما تكلمت بشيء، وما نطقت بشيء، فسمي من يتكلم بلا حجة فيه له غير متكلم. وقال قوم: ذلك اليوم طويل، وله مواطن ومواقف، في بعضها يُمنعون من الكلام، وفي بعضها يُطلق لهم الكلام، فهذا يدل على أنه لا تتكلم نفسٌ إلا بإذنه^(٣).

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ أي: من الأنفس، أو من الناس، وقد ذكرهم في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ﴾. والشقي الذي كُتبت عليه الشقاوة، والسعيد الذي كُتبت عليه السعادة، قال كبيد^(٤):

فمنهم سعيدٌ أخذ بنصيبه ومنهم شقيٌّ بالمعيشة قانعٌ
وروى الترمذي^(٥) عن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب قال: لما نزلت هذه الآية

(١) النكت والعيون ٢/ ٥٠٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٧٧ - ٧٨.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٧٨ - ٧٩.

(٤) ديوانه ص ١٧٠.

(٥) في سننه (٣١١١)، وهو عند أحمد (١٩٦).

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ﴾ سألتُ رسول الله ﷺ، فقلت: يا نبيَّ الله، فعلامَ نعمل؟ على شيءٍ قد فُرِغَ منه، أو على شيءٍ لم يُفْرَغَ منه؟ فقال: «بَلْ على شيءٍ قد فُرِغَ منه، وجَرَتْ به الأَقلامُ يا عُمَرُ، ولكن كلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خُلِقَ له». قال: هذا حديثٌ حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عمر، وقد تقدَّم في «الأعراف»^(١).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا الَّذِينَ شَقُوا﴾ ابتداء. ﴿فَفِي النَّارِ﴾ في موضع الخبر، وكذا ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ قال أبو العالية: الزفير من الصدر، والشهيق من الحلق^(٢)، وعنه أيضاً ضدُّ ذلك^(٣). وقال الزجاج^(٤): الزفير من شدَّة الأنين، والشهيق من الأنين المرتفع جداً، قال: وزعم أهل اللغة من الكوفيين والبصريين أنَّ الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمير في الشَّهيق، والشَّهيق بمنزلة آخر صوت الحمار في النَّهيق. وقال ابن عباس ؓ عكسه؛ قال: الزفير: الصوتُ الشديد، والشَّهيق: الصوت الضعيف^(٥). وقال الضحَّاك ومقاتل: الزفير مثلُ أوَّل نهيق الحمار، والشَّهيق مثلُ آخره حين فرغ من صوته^(٦)، قال الشاعر:

حَشَرَجَ فِي الْجَوْفِ سَحِيلاً أَوْ شَهَقَ حَتَّى يُقَالَ نَاهَقٌ وَمَا نَهَقُ^(٧)
وقيل: الزفير: إخراج النَّفَس، وهو أن يمتلئ الجوفُ غمًّا فيخرج بالنَّفَس، والشَّهيق: ردُّ النَّفَس^(٨).

(١) ٣٧٦/٩.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٣/٢، والمحرر الوجيز ٢٠٧/٣.

(٣) أخرجه الطبري ٥٧٧/١٢.

(٤) في معاني القرآن ٧٩/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٣٠٣/٢.

(٥) أخرجه الطبري ٥٧٧/١٢.

(٦) تفسير البغوي ٤٠٢/٢.

(٧) الرجز لرؤبة بن العجاج، وهو في ديوانه ص ١٠٦، والسحيل: الصوت الذي يدور في صدر الحمار. اللسان (سحل).

(٨) ينظر تهذيب اللغة ١٩٣/١٣.

وقيل: الزفير ترديد النَّفْس من شدة الحزن، مأخوذة من الزَّفر، وهو الحَمْل على الظهر لشدته. والشهيق: النفس الطويل الممتد، مأخوذة من قولهم: جبلٌ شاهق، أي: طويل^(١). والزفير والشهيق من أصوات المحزونين^(٢).

قوله تعالى: ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ «ما دامت» في موضع نصبٍ على الظرف، أي: دوام السماوات والأرض، والتقدير: وقت ذلك^(٣).

واختلف في تأويل هذا، فقالت طائفة؛ منهم الضحَّاك: المعنى: ما دامت سماوات الجنة والنار وأرضهما، والسماء كلُّ ما علاك فأظلك، والأرض ما استقرَّ عليه قدمك^(٤)، وفي التنزيل: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤].

وقيل: أراد به السماء والأرض المعهودتين في الدنيا، وأجرى ذلك على عادة العرب في الإخبار عن دوام الشيء وتأبيده، كقولهم: لا آتيك ما جنَّ ليلٌ، أو سال سيلٌ، وما اختلف الليل والنهار، وما ناح الحمام، وما دامت السماوات والأرض، ونحو هذا مما يريدون به طولاً من غير نهاية، فأفهمهم الله تخليد الكفرة بذلك، وإن كان قد أخبر بزوال السماوات والأرض^(٥).

وعن ابن عباس: أنَّ جميع الأشياء المخلوقة أصلها من نور العرش، وأنَّ السماوات والأرض في الآخرة تُردَّان إلى النور الذي أخذتا منه، فهما دائمتان أبداً في نور العرش^(٦).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في موضع نصب، لأنه استثناء ليس من

(١) النكت والعيون ٥٠٤/٢ .

(٢) تهذيب اللغة ٣٨٩/٥ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٣/٢ .

(٤) الوسيط للواحدي ٥٩١/٢ ، وتفسير البغوي ٤٠٢/٢ .

(٥) المحرر الوجيز ٢٠٨/٣ .

(٦) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٠٨/٣ بنحو مختصر.

الأول^(١)، وقد اختلف فيه على أقوال عشرة:

الأول: أنه استثناء من قوله: ﴿فَنَفَى أَلْتَارِ﴾ كأنه قال: إلا ما شاء ربك من تأخير قوم عن ذلك. وهذا قول رواه أبو نضرة عن أبي سعيد الخدري أو جابر^(٢) رضي الله عنهما^(٣). وإنما لم يقل: من شاء؛ لأن المراد العدد لا الأشخاص، كقوله: ﴿مَا طَابَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٣]. وعن أبي نضرة، عن رسول الله ﷺ: «إلا من شاء ألا يدخلهم وإن شقوا بالمعصية»^(٤).

الثاني: أن الاستثناء إنما هو للعصاة من المؤمنين في إخراجهم بعد مدة من النار، وعلى هذا يكون قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ عامًا في الكفرة والعصاة، ويكون الاستثناء من «خَالِدِينَ»؛ قاله قتادة والضحاك وأبو سنان وغيرهم^(٥).

وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ نَاسٌ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا صَارُوا كَالْحُمَمَةِ؛ أُخْرِجُوا مِنْهَا وَدَخَلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقَالُ: هَؤُلَاءِ الْجَهَنَّمِيُّونَ»^(٦) وقد تقدّم هذا المعنى في «النساء»^(٧) وغيرها.

الثالث: أن الاستثناء من الزفير والشهيق، أي: لهم فيها زفير وشهيق إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب الذي لم يذكره، وكذلك لأهل الجنة من النعيم، ما ذكر وما لم يذكر. حكاه ابن الأنباري^(٨).

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٣/٢.

(٢) في النسخ: وجابر، والمثبت من مصادر التخريج.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٣١٣/٢، والطبري ٥٨١/١٢، وأبو نضرة: هو المنذر بن مالك.

(٤) كذا ذكره الماوردي هكذا في النكت والعيون ٥٠٥/٢ مرسلًا.

(٥) أخرجه الطبري ٥٧٩/١٢ - ٥٨١، وينظر المحرر الوجيز ٢٠٨/٣ وأبو سنان: هو ضرار بن مرة الشيباني.

(٦) أخرجه بنحوه أحمد (١٢٢٥٨)، والبخاري (٦٥٥٩). والحمّة: الفحمة. النهاية (حمم).

(٧) ٤٠/٧ وما بعدها.

(٨) النكت والعيون ٥٠٥ - ٥٠٦، وهو قول الزجاج في معاني القرآن ٨٠/٣.

الرابع: قال ابن مسعود: ﴿خَلِيلَيْكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: لا يموتون فيها، ولا يُخرجون منها ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ وهو أن يأمر النار فتأكلهم وتُفنيهم، ثم يُجدّد خلقهم^(١).

قلت: وهذا القول خاصٌّ بالكافر والاستثناء له في الأكل وتجديد الخلق.

الخامس: أنَّ «إلا» بمعنى «سوى»، كما تقول في الكلام: ما معي رجلٌ إلا زيد، ولي عليك ألفا درهمٍ إلا الألف التي لي عليك^(٢).

قيل: فالمعنى: ما دامت السماوات والأرض سوى ما شاء ربُّك من الخلود.

السادس: أنه استثناء من الإخراج، وهو لا يريد أن يُخرجهم منها. كما تقول في الكلام: أردت أن أفعل ذلك إلا أن أشاء غيره، وأنت مقيمٌ على ذلك الفعل، فالمعنى أنه لو شاء أن يُخرجهم لأخرجهم، ولكنه قد أعلمهم أنهم خالدون فيها. ذكر هذين القولين الزَّجاجُ^(٣) عن أهل اللغة، قال: ولأهل المعاني قولان آخران:

فأحد القولين: ﴿خَلِيلَيْكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من مقدار موقفهم على رأس قبورهم، وللمحاسبة، وقدّر مُكثهم في الدنيا، والبرزخ، والوقوف للحساب.

والقول الآخر: وقوع الاستثناء في الزيادة على النعيم والعذاب، وتقديره: ﴿خَلِيلَيْكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من زيادة النعيم لأهل النعيم، وزيادة العذاب لأهل الجحيم^(٤).

قلت: فالاستثناء في الزيادة من الخلود على مُدَّة كون السماء والأرض

(١) زاد المسير ١٦٠/٤.

(٢) المحرر الوجيز ٢٠٨/٣.

(٣) في معاني القرآن ٧٩/٣ - ٨٠.

(٤) هذا القول ليس في معاني الزجاج، والقول الآخر الذي ذكره الزجاج هو القول الثالث الذي ذكره المصنف آنفاً.

المعهودتين في الدنيا ، واختاره الترمذي الحكيم أبو عبد الله محمد بن علي^(١) ، أي : خالدين فيها مقدار دوام السماوات والأرض ، وذلك مدّة العالم ، وللسماء والأرض وقت يتغيّران فيه ، وهو قول سبحانه : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] ، فخلق الله سبحانه الآدميين وعاملهم ، واشترى منهم أنفسهم وأموالهم بالجنة ، وعلى ذلك بايعهم يوم الميثاق ، فمن وفى بذلك العهد فله الجنة ، ومن ذهب برقبته يُخلد في النار بمقدار دوام السماوات والأرض ، فإنما دامت للمعاملة ، وكذلك أهل الجنة ؛ خلود في الجنة بمقدار ذلك ، فإذا تمت هذه المعاملة ، وقع الجميع في مشيئة الله ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٨] ، فيخلد أهل الدارين بمقدار دوامهما ، وهو حقّ الربوبية بذلك المقدار من العظّمة ، ثم أوجب لهم الأبد في كلتا الدارين ؛ لحقّ الأحديّة ، فمن لقيه مؤخّداً لأحديّته ، بقي في داره أبداً ، ومن لقيه مُشركاً بأحديّته إلهاً ، بقي في السّجن أبداً ، فأعلم الله العباد مقدار الخلود ، ثم قال : ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من زيادة المدّة التي تعجزُ القلوب عن إدراكها ؛ لأنه لا غاية لها ؛ فبالاعتقاد دام خلودهم في الدارين أبداً .

وقد قيل : إنّ «إلا» بمعنى الواو ، قاله الفراء^(٢) وبعض أهل النظر . وهو الثامن^(٣) ، والمعنى : وما شاء ربك من الزيادة في الخلود على مدّة دوام السماوات والأرض في الدنيا . وقد قيل في قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [العنكبوت: ٤٦] أي : ولا الذين ظلموا . وقال الشاعر :

وكلُّ أخٍ مُفَارِقُهُ أخوه لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ^(٤)
أي : والفرقدان . وقال أبو محمد مكّي : وهذا قولٌ بعيد عند البصريين أن تكون

(١) لم تقف عليه .

(٢) في معاني القرآن ٢/ ٢٨ .

(٣) لم يذكر المصنف السابع .

(٤) سلف ص ٥٤ من هذا الجزء .

«إلا» بمعنى الواو، وقد مضى في «البقرة» بيانه^(١).

وقيل: معناه: كما شاء ربك، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] أي: كما قد سلف، وهو التاسع^(٢).

العاشر: وهو أن قوله تعالى: «إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» إنما ذلك على طريق الاستثناء الذي ندب الشرع إلى استعماله في كل كلام، فهو على حدّ قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] فهو استثناء في واجب، وهذا الاستثناء في حكم الشرط كذلك، كأنه قال: إن شاء ربك، فليس يوصف بمقتضى ولا منقطع، ويؤيده ويقويه قوله تعالى: «عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ»^(٣)، ونحوه عن أبي عبيد قال: تقدّمت عزيمة المشيئة من الله تعالى في خلود الفريقين في الدارين، فوق لفظ الاستثناء، والعزيمة قد تقدّمت في الخلود، قال: وهذا مثل قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ وقد علم أنهم يدخلونه حتماً، فلم يوجب الاستثناء في الموضوعين خياراً، إذ المشيئة قد تقدّمت بالعزيمة في الخلود في الدارين والدخول في المسجد الحرام، ونحوه عن الفراء^(٤).

وقول حادي عشر: وهو أن الأشقياء هم السعداء، والسعداء هم الأشقياء لا غيرهم، والاستثناء في الموضوعين راجع إليهم، وبيانه: أن «ما» بمعنى «من» استثنى الله عز وجل من الداخلين في النار المخلّدين فيها الذين يخرجون منها من أمة محمد ﷺ بما معهم من الإيمان، واستثنى من الداخلين في الجنة المخلّدين فيها الذين يدخلون النار بذنوبهم قبل دخول الجنة، ثم يخرجون منها إلى الجنة، وهم الذين وقع عليهم الاستثناء الثاني، كأنه قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَوْا فِي النَّارِ لَمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشِهيقٌ

(١) ٤٥٥/٢ - ٤٥٦.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٦١/٤ ونسبه للثعلبي.

(٣) المحرر الوجيز ٢٠٨/٣.

(٤) في معاني القرآن ٢٨/٢.

خَلْدِيكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴿١٠٠﴾ أَلَا يُخْلَدُهُ فِيهَا، وهم الخارجون منها من أمة محمد ﷺ بإيمانهم وبشفاعة محمد ﷺ، فهم بدخولهم النار يُسَمَّون الأشقياء، وبدخولهم الجنة يُسَمَّون السُّعَدَاء، كما روى الضَّحَّاك عن ابن عباس إذ قال: الذين سَعِدُوا شَقُّوا بدخول النار، ثم سَعِدُوا بالخروج منها ودخولهم الجنة^(١).

وقرأ الأعمش وحفص وحزمة والكسائي: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ بضم السين. وقال أبو عمرو: والدليل على أنه سَعِدُوا أَنَّ الأول شَقُّوا، ولم يقل أشقوا. قال النحاس^(٢): ورأيت عليَّ بن سليمان يتعجب من قراءة الكسائي: «سَعِدُوا» مع علمه بالعربية! إذ كان هذا لحناً لا يجوز؛ لأنه إنما يقال: سَعِدَ فلانٌ وأسعده الله، وأُسعد مثل أُمْرِضَ، وإنما احتجَّ الكسائي بقولهم: مسعود، ولا حجة له فيه؛ لأنه يقال: مكان مسعود فيه، ثم يُحذف فيه ويسمى به.

قال المهدوي: وَمَنْ ضَمَّ السين مِنْ «سَعِدُوا» فهو محمولٌ على قولهم: مسعود، وهو شاذٌ قليل؛ لأنه لا يقال: سَعِدَ الله، إنما يقال: أسعده الله^(٣). وقال الثعلبي: «سَعِدُوا» بضم السين، أي: رُزِقُوا السَّعَادَةَ، يقال: سَعِدَ وأسعد بمعنى واحد.

وقرأ الباقون: «سَعِدُوا» بفتح السين قياساً على «شَقُّوا» واختاره أبو عبيد وأبو حاتم. وقال الجوهري^(٤): والسعادة خلافُ الشقاوة، تقول: سَعِدَ الرجلُ - بالكسر - فهو سعيد، مثل: سَلِمَ فهو سليم، وسَعِدَ فهو مسعود، ولا يقال فيه: مُسَعِدٌ، كأنهم استغنَوْا عنه بمسعود. وقال القشيريُّ أبو نصر عبدُ الرحيم: وقد ورد: سَعِدَ اللهُ فهو مسعود، وأسعده الله مُسَعِدٌ، فهذا يقوِّي قولَ الكوفيين. وقال سيبويه: لا يقال: سَعِدَ

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥٠٥/٢ بنحوه.

(٢) في إعراب القرآن ٣٠٣/٢، وما قبله منه. وقراءة حفص وحزمة والكسائي في السبعة ص ٣٣٩، والتيسير ص ١٢٦.

(٣) ينظر مشكل إعراب القرآن ٣٧٤/١، والمحزر الوجيز ٢٠٩/٣.

(٤) في الصحاح (سعد).

فلان، كما لا يقال: شقي فلان؛ لأنه مما لا يتعدى^(١).

﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ يُجْذَوْزُ﴾ أي: غير مقطوع، مِنْ جَذِّه يَجْذُّه، أي: قطعه، قال النابغة:
تَجْذُّ السَّلُوقِيَّ المِضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتُوقِدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الحُبَّاحِ^(٢)
قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ﴾ جزم بالنهي، وحذفت النون لكثرة الاستعمال. ﴿فِي مِرْيَاقٍ﴾ أي: في شك. ﴿وَمِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ مِنَ الْآلِهَةِ أَنَّهَا باطل. وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا: أي: قل يا محمد لكلٍّ مَنْ شَكَّ: «لَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ» إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَإِنَّمَا يَعْبُدُونَهَا كَمَا كَانَ آبَاؤُهُمْ يَفْعَلُونَ؛ تَقْلِيداً لَهُمْ^(٣).

﴿وَأَنَّا لَمَوْفُوهُمُ نَصِيحُهُمْ غَيْرَ مَنْفُوسٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: نصيهم من الرزق؛ قاله أبو العالية^(٤).

الثاني: نصيهم من العذاب؛ قاله ابن زيد.

الثالث: ما وُعدوا به من خيرٍ أو شرٍّ؛ قاله ابن عباس رضي الله عنهما^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِحَ بَيْنَهُمْ وَلِأَتَتْهُمْ لَعْنُ شَكِّ مِتْنَةٍ مُرِيبَةٍ ۝﴾
قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ الكلمة: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَكَمَ

(١) ينظر الحجة للقرء السبعة ٣٧٨/٤.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ١١، وفيه: تقدّ، بدل: تَجْذُّ، وسيرد ص ٣١٩ من هذا الجزء. قوله: السلوقي؛ نسبة إلى سَلُوقٍ؛ قرية باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب. والصُّفَّاح: حجارة عراض رقاق. والحُبَّاح: ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج، ومنه: نار الحُبَّاح، أو هي ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة. القاموس (سلق) (صفح) (حب). ويصف النابغة في هذا البيت السيوف أنها تقدّ الدروع التي ضوعف نسجها والفارس والفرس حتى تبلغ الأرض، فتتقدح النار بها من الحجارة. الشعر والشعراء ١/ ١٧٠.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٤/٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٢٥٠) ٢٠٨٩/٦.

(٥) أخرج هذا القول والذي قبله الطبري ٥٩١/١٢ - ٥٩٢.

أَنْ يُؤَخِّرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِمَا عَلِمَ فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّلاحِ، ولولا ذلك لَقَضَى بَيْنَهُمْ أَجْلَهُمْ بِأَنْ يُثِيبَ الْمُؤْمِنَ وَيُعَاقِبَ الْكَافِرَ^(١). قيل: المراد بين المختلفين في كتاب موسى، فإنهم كانوا بين مُصَدِّقٍ به ومُكَذِّبٍ. وقيل: بين هؤلاء المختلفين فيك يا محمد بتعجيل العقاب، ولكن سبق الحكم بتأخير العقاب عن هذه الأمة إلى يوم القيامة^(٢). ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ إن حُمِلت على قوم موسى، أي: لفي شك من كتاب موسى، فهم في شك من القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلَّ لَمَّا لِيُوقِنَنَّ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٣)
قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلَّ لَمَّا لِيُوقِنَنَّ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: إن كلاً من الأمم التي عَذَّبْنَاهُمْ يَرُونَ جزاء أعمالهم، فكَذَلِكَ قَوْمُكَ يَا مُحَمَّد.

واختلف القراء في قراءة ﴿وَإِنَّ كُلَّ لَمَّا﴾ فقرأ أهل الحرمين؛ نافع وابن كثير وأبو بكر معهم: «وَإِنَّ كُلَّ» بالتخفيف^(٤)، على أنها «إِنْ» المخففة من الثقلية مُعْمَلَةٌ، وقد ذكر هذا الخليل وسيبويه^(٥)، قال سيبويه^(٥): حَدَّثَنَا مَنْ أَثَقَّ بِهِ أَنَّهُ سَمِعَ الْعَرَبَ يَقُولُ: إِنَّ زَيْدًا لَمَنْطَلَقٌ، وَأَنشد قولَ الشاعر:

كَأَنَّ ظَبْيَةً تَغْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلَمِ^(٦)

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠٤.

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٢/ ٥٩٢، والمحور الوجيز ٣/ ٢١٠.

(٣) السبعة ص ٣٣٩، والتيسير ص ١٢٦.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠٥.

(٥) الكتاب ٢/ ١٤٠.

(٦) هذا عجز بيت، وصدرة: ويوماً ثوافينا بوجهٍ مُقَسَّمٍ. وقد اختلف في قائله، فنسبه سيبويه في الكتاب ١٣٤/ ٢ لابن صريم اليشكري، ونسبه الأصمعي في الأصمعيات ص ١٧٥، والأخفش الأصغر علي بن سليمان في الاختيارين ص ٢٠٥ لعلبائه بن أرقم اليشكري. وقد نُسِبَ لغيرهما. ينظر شرح أبيات المغني للبغدادى ١/ ١٥٩ - ١٦٠. تعلق، أي: تتناول أوراق الشجر مُرتعية. والوارق: المورق. والسلم: شجر بعيته. تحصيل عين الذهب ص ٢٨٥.

أراد: كأنها ظبية، فحَفَفَ ونصب ما بعدها، والبصريون يُجَوِّزون تخفيف «إِنَّ» المشددة مع إعمالها، وأنكر ذلك الكسائي وقال: ما أدري على أي شيء قرئ: ﴿وَإِنْ كَلَّا﴾! وزعم الفراء أنه نُصب «كلًا» في قراءة مَنْ حَفَفَ بقوله: «لَيُوفِيَنَّهُمْ» أي: وإن لَيُوفِيَنَّهُمْ كَلَّا، وأنكر ذلك جميع النحويين، وقالوا: هذا من كبير الغلط، لا يجوز عند أحد: زيداً لأُضربته^(١).

وشدّد الباقون «إِنَّ» ونصبوا بها «كلًا» على أصلها.

وقرأ عاصمٌ وحمزة وابن عامر: ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد. وخَفَفَهَا الباقون^(٢) على معنى: وإن كَلَّا لَيُوفِيَنَّهُمْ، جعلوا «ما» صلة. وقيل: دخلت لِتَفْصِلَ بين اللامين اللتين تتلقيان الْقَسَمَ، وكلاهما مفتوح، ففصل بينهما بـ «ما»^(٣).

وقال الزجاج: لام «لَمَّا» لام «إِنَّ» و«ما» زائدة مؤكدة^(٤)، تقول: إنَّ زيداً لمنطلق، فإنَّ تقتضي أن يدخل على خبرها أو اسمها لامٌ كقوله: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨] وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ﴾ [الزمر: ٢١]. واللام في «لَيُوفِيَنَّهُمْ» هي التي يُتْلَقُ بها القسم، وتدخل على الفعل، ويلزمها النون المُشدَّدة أو المُخَفَّفة، ولَمَّا اجتمعت اللامان فصل بينهما بـ «ما»، و«ما» زائدة مؤكدة^(٥).

وقال الفراء^(٦): «ما» بمعنى «مَنْ»، كقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢]، أي: وإنَّ كَلَّا لَمَنْ لَيُوفِيَنَّهُمْ، واللام في «لَيُوفِيَنَّهُمْ» للقسم. وهذا يرجع معناه إلى قول

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٥/٢. وكلام الفراء في معاني القرآن ٢٩/٢ - ٣٠ وقال فيه: وهو وجه لا أشتبهه.

(٢) السبعة ص ٣٣٩، والتيسير ص ١٢٦.

(٣) مشكل إعراب القرآن ٣٧٤/١ - ٣٧٥.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٨١/٣.

(٥) ينظر الحجة للقراء السبعة ٣٨٥/٤.

(٦) في معاني القرآن ٢٨/٢ - ٢٩.

الزَّجَّاج، غير أن «ما» عند الزجاج زائدة، وعند الفراء اسمٌ بمعنى «من». وقيل: ليست بزائدة، بل هي اسمٌ دخل عليها لامٌ التأكيد، وهي خبر «إن»، و«ليوفينهم» جوابُ القسم، التقدير: وإنَّ كَلَّا خَلَقَ ليوفينهم ربُّك أعمالهم^(١). وقيل: «ما» بمعنى «مَنْ» كقوله: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣] أي: مَنْ، وهذا كله هو قولُ الفراء بعينه.

وأما مَنْ شَدَّدَ «لَمَّا» وقرأ: «وإنَّ كَلَّا لَمَّا» بالتشديد فيهما - وهو حمزةٌ ومَنْ وافقه - فقيل: إنه لحَنْ، حكى عن محمد بن يزيد أن هذا لا يجوز، ولا يقال: إنَّ زيدا إلَّا لأضربته، ولا لَمَّا لأضربته^(٢) وقال الكسائي: الله أعلم بهذه القراءة، وما أعرف لها وجهاً. وقال هو وأبو عليٍّ الفارسي^(٣): التشديد فيهما مُشْكِل.

قال النحاس^(٤) وغيره: وللنحويين في ذلك أقوال:

الأول: أنَّ أصلها «لَمَنْ ما» فقلبت النون ميماً، واجتمعت ثلاثُ ميمات، فحذفت الوسطى، فصارت «لَمَّا». و«ما» على هذا القولٍ بمعنى «مَنْ» تقديره: وإنَّ كَلَّا لَمَنْ الذين، كقولهم:

وإني لَمِمَّا^(٥) أضدِرُّ الأمرَ وجهَهُ إذا هو أعياء بالسَّبيل مصادره وزَيَّفَ الزَّجَّاج^(٦) هذا القول، وقال: «مَنْ» اسمٌ على حرفين، فلا يجوز حذفه.

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٥٣٧.

(٢) في (ز) و(ظ): ضربه، وفي (م): لضربه، والمثبت موافق لما في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠٥ والكلام منه.

(٣) الحجة للقراء السبعة ٤/ ٣٨٧.

(٤) في إعراب القرآن ٢/ ٣٠٦.

(٥) في (د) و(ظ) و(م): لما، والمثبت من (ز) و(ف) وهو موافق لما في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩، وتفسير الطبري ١٢/ ٥٩٣، وهو شاهد على حذف ميم عند توالي الميمات لا على أن «ما» بمعنى «مَنْ» لأن «لَمِمَّا» التي في البيت أصلها: لَمِنْ ما، من حرف جر. وينظر تعليق الشيخ محمود شاكر رحمه الله على هذا البيت في تفسير الطبري (طبعته) ١٥/ ٤٩٤.

(٦) في معاني القرآن ٣/ ٨١.

الثاني: أن الأصل: لَمِنْ ما، فحذفت الميمُ المكسورة لاجتماع الميمات، والتقدير: وإنَّ كُلَّ لَمِنْ خَلَقِي لَيُوفِينَهُمْ^(١).

وقيل: «لَمَّا» مصدر «لَمَّ» وجاءت بغير تنوين حملاً للوصل على الوقف^(٢)، فهي على هذا كقوله: ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْثَلًا لَمَّا﴾ [الفجر: ١٩] أي: جامعاً للمال المأكول، فالتقدير على هذا: وإنَّ كُلَّ لَيُوفِينَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ تَوْفِيَةً لَمَّا، أي: جامعةً لأعمالهم جمعاً، فهو كقولك: قياماً لأقومنَّ.

وقد قرأ الزُّهري: «لَمَّا» بالتشديد والتنوين على هذا المعنى^(٣).

الثالث: أن «لَمَّا» بمعنى «إِلَّا»؛ حكى أهل اللغة: سألتك بالله لَمَّا فعلت، بمعنى: إِلَّا فعلت، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] أي: إِلَّا عليها، فمعنى الآية: ما كلُّ واحدٍ منهم إِلَّا لَيُوفِينَهُمْ.

قال القُشيري: وزَيَّفَ الزجَّاجُ هذا القولَ بأنه لا نفيَ لقوله: «وإنَّ كُلَّ لَمَّا» حتى تقدَّرَ «إِلَّا» ولا يقال: ذهب الناسُ لَمَّا زيد^(٤).

الرابع: قال أبو عثمان المازني: الأصل: وإنَّ كُلَّ لَمَّا بتخفيف «لَمَّا» ثم نُقِلَتْ كقوله:

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَرَى جِدْبًا في عامنا ذا بعد ما أخصبًا^(٥)
وقال أبو إسحاق الزجاج^(٦): هذا خطأ، إنما يُخَفَّفُ المَثْقَلُ، ولا يُثَقَّلُ المُخَفَّفُ.

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن ٢/٢٩، واستشهد له بالبيت السالف.

(٢) ذكره مكِّي في الكشف عن وجوه القراءات ١/٥٣٧، وقال: وهو قول ضعيف في الإعراب.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٠٥، والقراءات الشاذة ص ٦١، والمحاسب ١/٣٢٨.

(٤) هذا القول لم يُزيِّقه الزجاج كما نقل المصنف عن القشيري، بل قال الزجاج في معاني القرآن ٣/٨١-٨٢: لا يجوز غيره عندي، وسيأتي قريباً، والذي ضَعَّفَ هذا القول الفراء في معاني القرآن ٢/٢٩ فقال: وأما من جعل «لَمَّا» بمنزلة «إِلَّا» فإنه وجه لا نعرفه.

(٥) الرجز لرؤبة، وهو في ديوانه ص ١٦٩.

(٦) في معاني القرآن ٣/٨١، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٣٠٦.

الخامس: قال أبو عبيد القاسم بن سلام: يجوز أن يكون التشديد من قولهم: لَمَنْتُ الشيءَ أَلْمُهُ لَمَّا: إذا جمعته، ثم بنى منه فَعَلَى، كما قرئ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ [المؤمنون: ٤٤] بغير تنوينٍ وبتنوين. فالألف على هذا للتأنيث، وتُمال على هذا القول لأصحاب الإمامة.

قال أبو إسحاق^(١): القول الذي لا يجوز غيره عندي أنَّ «إن» تكون مُخَفَّفَةً من الثقيلة، وتكون بمعنى «ما»، مثل: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، وكذا أيضاً تُشَدَّدُ على أصلها، وتكون بمعنى «ما»، و«لَمَّا» بمعنى «إلا»، حكى ذلك الخليل وسيبويه وجميع البصريين، وأنَّ «لَمَّا» يُسْتَعْمَلُ بمعنى «إلا».

قلت: هذا القول الذي ارتضاه الزجاجُ حكاه عنه النحاس وغيره، وقد تقدَّم مثله وتضعيفُ الزجاج له، إلا أنَّ ذلك القولُ صوابه: «إن» فيه نافية، وهنا مخففة من الثقيلة فافترقا^(٢).

وبقيت قراءتان. قال أبو حاتم: وفي حرف أبي: «وَإِنْ كَلَّا إِلَّا لِيُؤْفِقِيَهُمْ»^(٣). وروي عن الأعمش: «وَإِنْ كُلُّ لَمَّا» بتخفيف «إن»، ورفع «كل»، وتشديد «لَمَّا»^(٤).

قال النحاس^(٥): وهذه القراءات المخالفة للسواد تكون فيها «إن» بمعنى «ما» لا غير، وتكون على التفسير؛ لأنه لا يجوز أن يُقرأ بما خالف السواد إلا على هذه

(١) هو الزجاج، وكلامه في معاني القرآن ٨١/٣.

(٢) ذكر محققو (م) أنه ورد في حواشي إحدى النسخ ما نصه: صواب ما ذكره الشيخ رحمه الله أن يقول: إلا أن هذا القول «إن» فيه نافية، والقول المتقدم «إن» فيه مخففة من الثقيلة فافترقا.

(٣) في (م): «وَإِنْ كُلُّ إِلَّا لِيُؤْفِقِيَهُمْ»، وفي إعراب القرآن للنحاس ٣٠٥/٢ (والكلام منه): «وَإِنْ كُلُّ إِلَّا لِيُؤْفِقِيَهُمْ رُبُّكَ أَعْمَالَهُمْ». وفي الدر المصون ٣٩٨/٦: قال أبو حاتم: الذي في مصحف أبي: «وَإِنْ مِنْ كُلِّ إِلَّا لِيُؤْفِقِيَهُمْ». وذكر السمين في الدر ٣٩٧/٦ قراءةً أخرى لأبي، وهي: «وَإِنْ كُلُّ لَمَّا...» بتخفيف «إن» ورفع «كل» وتشديد «لَمَّا».

(٤) ذكر ابن جني في المحتسب ٣٢٨/١ والسمين في الدر المصون ٣٩٧/٦ أن الأعمش قرأ: «وَإِنْ كُلُّ إِلَّا لِيُؤْفِقِيَهُمْ». والقراءة التي ذكرها المصنف هي لأبي كما في التعليق السابق.

(٥) في إعراب القرآن ٣٠٥/٢، وما قبله منه.

الجهة. ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ تهديد ووعيد.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ ولغيره.

وقيل: له، والمراد أمته؛ قاله السُّدِّيُّ. وقيل: «اسْتَقِمْ»: اطلب الإقامة على الدين من الله واسأله ذلك. فتكون السين سين السؤال، كما تقول: استغفر الله: أطلب الغفران منه.

والاستقامة: الاستمرار في جهة واحدة من غير أخذ في جهة اليمين والشمال، أي^(١): فاستقم على امثال أمر الله.

وفي «صحيح» مسلم^(٢) عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ».

وروى الدارمي أبو محمد في «مسنده» عن عثمان بن حضير الأزدي قال: دخلتُ على ابن عباس فقلت: أوصني، فقال: نعم، عليك بتقوى الله والاستقامة، اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَغِ^(٣).

﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ أي: استقم أنت وهم، يريد أصحابه الذين تابوا من الشرك، ومن بعده ممن اتبعه من أمته. قال ابن عباس: ما نزل على رسول الله ﷺ آية هي أشدُّ ولا أشقُّ من هذه الآية عليه، ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: لقد أسرع إليك الشيب! فقال: «شَيَّبَنِي هُوْدٌ وَأَخَوَاتُهَا». وقد تقدَّم في أول السورة^(٤).

(١) قوله: أي، من (ز) و(ف).

(٢) برقم (٣٨)، وسلف ٢/ ٢٢٧.

(٣) مسند الدارمي (١٤١)، وأخرجه أيضاً ابن وضاح في البدع ص ٢٥، وينحوه المروزي في السنة (٨٣) من طريق طاوس عن ابن عباس.

(٤) ص ٦٣ من هذا الجزء وهو حديث ضعيف، سلف الكلام عليه ثمة.

رُوي عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ، قال: سمعت أبا عليٍّ الشُّبُويَّ^(١) يقول: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام فقلتُ: يا رسول الله! رُويَ عنك أنك قلت: «شَيَّبَتْنِي هُود». فقال: نعم، فقلت له: ما الذي شَيَّبَكَ منها؟ قصصُ الأنبياءِ وهلاكُ الأمم! فقال: لا، ولكن قولهُ: فاستَقِمَّ كما أُمِرْتَ^(٢).

﴿وَلَا تَقْلُقُوا﴾ نهى عن الطُّغيان، والطُّغيانُ: مجاوزةُ الحد، ومنه: ﴿إِنَّا لَمَّا طَقَا الْآلَاءَ﴾ [الحاقة: ١١]^(٣). وقيل: أي: لا تتجبروا على أحد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿١١﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾ الرُّكونُ حقيقته^(٤): الاستنادُ والاعتماد، والسكونُ إلى الشيء والرضا به. قال قتادة: معناه: لا تودُّوهم ولا تُطيعوهم^(٥). ابن جريج: لا تَميلوا إليهم^(٦). أبو العالية: لا تَرْضَوْا أعمالهم. وكلُّه متقارب. وقال ابن زيد: الرُّكون هنا: الإذعان، وذلك ألا يُنكر عليهم كفرهم^(٧).

الثانية: قرأ الجمهور: «تَرْكَنُوا» بفتح الكاف، قال أبو عمرو: هي لغة أهل الحجاز. وقرأ طلحةُ بنُ مُصَرِّفٍ وقاتدةٌ وغيرهما: «تَرْكَنُوا» بضم الكاف؛ قال الفرَّاء:

(١) تحرف في النسخ وشعب الإيمان إلى: «السُّري»، وهو محمد بن عمر بن شُبُويه الشُّبُويُّ المرزوي، راوي صحيح البخاري عن أبي عبد الله الفِرَبْرِي توفي نحو (٣٨٠) هـ. السير ١٦/٤٢٣، توضيح المشتبه ٢٩١/٥، التقييد لابن نقطة ٨٥/١.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٤٣٩)، وأورده القشيري في الرسالة: ٩٤ والسيوطي في الدر المنثور ٩/٨، والذهبي في السير ١٦/٤٢٣ وابن رجب في جامع العلوم ١/٥٠٩ - ٥١٠.

(٣) المحرر الوجيز ٣/٢١٢.

(٤) في (م): حقيقة.

(٥) لم نقف عليه عن قتادة، وإنما عن عكرمة كما في معاني القرآن للنحاس ٣/٣٨٥، والوسيط للواحيدي ٥٩٣/٢، وذكره السيوطي في الدر ٣/٣٥١ عن عكرمة أيضاً، وعزاه لأبي الشيخ.

(٦) أخرجه الطبري ١٣/٦٠١ من طريق ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره عن ابن عباس أيضاً الماوردي في النكت والعيون ٢/٥٠٨، والواحيدي في الوسيط ٢/٥٩٣.

(٧) أخرج قول أبي العالية وابن زيد الطبري ١٢/٦٠٠ و ٦٠١.

وهي لغة تميم وقيس^(١). وجوَّز قوم ركن يركن، مثل مَنع يَمْنَع^(٢).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قيل: أهل الشرك. وقيل: هي عامة فيهم وفي العصاة، على نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ الآية [الأنعام: ٦٨] وقد تقدَّم. وهذا هو الصحيح في معنى الآية، وأنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم؛ فإنَّ صحبتهم كفرٌ أو معصية؛ إذ الصحبة لا تكون إلا عن موَدَّة؛ وقد قال حكيم^(٣):

عن المرء لا تَسألَ وسلْ عن قَريِنه فكلُّ قَريِنٍ بالمُقَارِنِ يَفْتَدِي
فإن كانت الصحبة عن ضرورة وثقَّة؛ فقد مضى القول فيها في «آل عمران» و«المائدة»^(٤). وصحبة الظالم على الثقَّة مستثناة من النهي بحال الاضطرار^(٥). والله أعلم.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ أي: تُحْرِقُكُمْ، بمخالطتهم ومصاحبتهم، وممالاتهم على إعراضهم، وموافقيتهم في أمورهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبِرَ الصَّلَوةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرِ﴾ ﴿١١٤﴾

فيه ست مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَقْبِرَ الصَّلَوةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ لم يختلف أحدٌ من أهل

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٦/٢، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٦١، والمحاسب ٣٢٩/١.

(٢) المحاسب ٣٢٩/١، وقراءة العامة من: ركن يركن، بكسر العين في الماضي كعليم. ينظر تهذيب اللغة ١٨٩/١٠، والدر المصون ٤١٨/٦.

(٣) هو طرفه بن العبد، والبيت في ديوانه ص ٤٤، وقيل إنه لعدي بن زيد، وسلف ٢٧٣/٥، والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ١٠٥٤/٣.

(٤) ٨٧/٥ في تفسير «آل عمران»، ولم نقف عليه في تفسير «المائدة».

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٥٤/٣.

التأويل في أنَّ الصلاة في هذه الآية يُراد بها الصلوات المفروضة^(١)؛ وخصَّها بالذكر لأنها ثمانية الإيمان، وإليها يُفزع في النوائب؛ وكان النبي ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ فزع إلى الصلاة^(٢).

وقال شيوخ الصُّوفية: إنَّ المراد بهذه الآية استغراقُ الأوقات بالعبادة فرضاً ونفلاً؛ قال ابن العربي^(٣): وهذا ضعيفٌ، فإنَّ الأمر لم يتناول ذلك؛ لا^(٤) واجباً [فإنها خمس صلوات، و] لا نفلاً، فإنَّ الأوراد معلومةٌ، وأوقات النوافل المرغَّب فيها محصورةٌ، وما سواها من الأوقات يسترسل عليها النَّدْبُ على البدل لا على العموم، وليس ذلك في قوة بشرٍ.

الثانية: قوله تعالى: ﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾ قال مجاهد: الطَّرْفُ الأول صلاةُ الصبح، والطرفُ الثاني صلاةُ الظهر والعصر. واختاره ابن عطية^(٥).

وقيل: الطَّرفان: الصبحُ والمغرب؛ قاله ابن عباس والحسن^(٦).

وعن الحسن أيضاً: الطرفُ الثاني: العصرُ وحده. وقاله قتادة والضَّحَّاك^(٧).

وقيل: الطَّرفان: الظهر والعصر، والزُّلْفُ: المغرب والعشاء والصبح. كأنَّ هذا القائل راعى جَهْرَ القراءة^(٨).

وحكى الماورديُّ: أنَّ الطرف الأول صلاةُ الصبح باتِّفاق^(٩).

(١) المحرر الوجيز ٢١٢/٣، وأحكام القرآن لابن العربي ١٠٥٦/٣.

(٢) سلف ٢٦٢/١ من حديث حذيفة بن اليمان ؓ.

(٣) في أحكام القرآن ١٠٥٧/٣، وما قبله وما سيأتي بين حاصرتين منه، وقول شيوخ الصوفية في نقل ابن العربي من لطائف الإشارات ١٦١/٢.

(٤) في النسخ: إلا، والمثبت من أحكام القرآن.

(٥) في المحرر الوجيز ٢١٢/٣، وأخرجه عن مجاهد الطبري ٦٠٢/١٢.

(٦) أخرجه عنهما الطبري ٦٠٣/١٢.

(٧) أخرج قولهم الطبري ٦٠٤/١٢ - ٦٠٥.

(٨) المحرر الوجيز ٢١٢/٣، وذكر القول الطبري ٦٠٥/١٢.

(٩) النكت والعيون ٥٠٨/٢.

قلت: وهذا الاتفاق ينقضه القول الذي قبله.

ورجح الطبري^(١) أن الطرفين: الصبح والمغرب، وأنه الظاهر؛ قال ابن عطية: ورد عليه بأن المغرب لا تدخل فيه لأنها من صلاة الليل^(٢).

قال ابن العربي: والعجب من الطبري الذي يرى أن طرفي النهار الصبح والمغرب، وهما طرفا الليل! فقلب القوس ركوة^(٣)، وحاد عن البرجاس غلوة^(٤)؛ قال الطبري: والدليل عليه إجماع الجميع على أن أحد الطرفين الصبح، فدل على أن الطرف الآخر المغرب. ولم يجمع معه على ذلك أحد^(٥).

قلت: هذا تحامل من ابن العربي في الرد، وأنه لم يجمع معه على ذلك أحد، وقد ذكرنا عن مجاهد أن الطرف الأول صلاة الصبح، وقد وقع الاتفاق - إلا من شذ - بأن من أكل أو جامع بعد طلوع الفجر متعمداً أن يومه ذلك يوم فطر، وعليه القضاء والكفارة، وما ذلك إلا وما^(٦) بعد طلوع الفجر من النهار؛ فدل على صحة ما قاله الطبري في الصبح، وتبقى عليه المغرب، والرد عليه فيه ما تقدم. والله أعلم.

(١) في تفسيره ٦٠٥/١٢، والكلام لابن عطية في المحرر الوجيز ٢١٢/٣.

(٢) لم نقف على هذا القول في المحرر الوجيز، وقول ابن عطية الذي قاله إثر قول الطبري: إلا أن عموم الصلوات الخمس بالآية أولى. والرد الذي ذكره المصنف هو لابن العربي في أحكام القرآن ١٠٥٦/٣.

(٣) الركوة مثلثة: زورق صغير، وصارت القوس ركوة، يضرب في الإدبار وانقلاب الأمور. القاموس (ركو).

(٤) البرجاس: غرض في الهواء على رأس رمح ونحوه يرمى به. تاج العروس (برجس). والغرض: الهدف الذي يرمى فيه الشيء المقصود. والغلوة: هي ثلاث مئة إلى أربع مئة ذراع، أو هي قدر مية سهم أبعد ما تقدر. معجم متن اللغة (غرض) و(غلو) وورد شرح البرجاس في (ظ) و(ف) أقحمه الناسخا ضمن المتن. فجاء فيهما بعد قوله البرجاس، ما نصه: غرض في الهواء يرمى فيه. وأظنه مولداً. قاله الجوهري.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٥٦/٣ - ١٠٥٧. وذكّر الطبري للإجماع هو في تفسيره ٦٠١/١٢ - ٦٠٢ و ٦٠٥.

(٦) في (ظ): أن، بدل: وما.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ أي: في زُلْفٍ من الليل، والزُلْف: الساعات القريبة بعضها من بعض؛ ومنه سميت المزدلفة؛ لأنها منزلٌ بعد عَرَفَةَ بقرب مكة^(١).

وقرأ ابن القَعْقَاع وابن أبي إسحاق وغيرهما: «وَزُلْفَا»؛ بضم اللام جمع زَلِيف؛ لأنه قد نُطِقَ بزليف^(٢). ويجوز أن يكون واحده «زُلْفَة» لغة، كبُسرة وبُسُر، في لغة من ضمَّ السين^(٣).

وقرأ ابن محيصن: «وَزُلْفَا من الليل»، بإسكان اللام، والواحدة «زُلْفَة» تُجمع جمع الأجناس التي هي أشخاص، كدَرَّة ودُرٌّ، وبُرَّة وبُرٌّ^(٤).

وقرأ مجاهد وابن محيصن أيضاً: «زُلْفَى» مثل قُرْبَى^(٥). وقرأ الباقر: «وَزُلْفَا» بفتح اللام كعُرْفَة وعُرَف. قال ابن الأعرابي: الزُلْف: الساعات، واحدها: زُلْفَة. وقال قوم: الزُلْفَة أولُ ساعةٍ من الليل^(٦) بعد مغيب الشمس، فعلى هذا يكون المراد بزُلْفٍ الليل صلاة العَتَمَة؛ قاله ابن عباس. وقال الحسن: المغرب والعشاء^(٧). وقيل: المغرب والعشاء والصبح، وقد تقدّم. وقال الأخفش: يعني صلاة الليل ولم يعين.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ ذهب جمهور المتأولين من

(١) ينظر تفسير الطبري ١٢/٦٠٦، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٣٨٧ والنكت والعيون ٢/٥٠٨ - ٥٠٩ والمحزر الوجيز ٣/٢١٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٠٧، والقراءة عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع في النشر ٢/٢٩١ - ٢٩٢، وعن ابن أبي إسحاق في المحتسب ١/٣٣٠.

(٣) المحتسب ١/٣٣٠. ويجوز أيضاً أن يكون «زُلْفَا» اسماً مفرداً كعُتْق. ينظر الدر المصون ٦/٤٢٠.

(٤) المحتسب ١/٣٣٠، وقال ابن جني: وذلك أن الزُلْفَة جنس من المخلوقات وإن لم يكن جوهرًا.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٨٧، والمحزر الوجيز ٣/٢١٢. قال النحاس: إلا أن ابن محيصن نوّن في الإدراج.

(٦) ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة ١٣/٢١٤ عن الليث قال: الزُلْف أول ساعات الليل.

(٧) أخرج قول ابن عباس وقول الحسن الطبري ١٢/٦٠٨، ٦٠٩.

الصحابه والتابعين رضي الله عنهم أجمعين: إلى أن الحسنات هاهنا هي الصلوات الخمس. وقال مجاهد: الحسنات قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر؛ قال ابن عطية^(١): وهذا على جهة المثال في الحسنات، والذي يظهر أن اللفظ عام في الحسنات خاص في السيئات؛ لقوله^(٢) ﷺ: «ما اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرَ»^(٣).

قلت: سبب النزول يعضد قول الجمهور؛ نزلت في رجل من الأنصار، قيل: هو أبو اليسر بن عمرو. وقيل: اسمه عبّاد. خلا بامرأة فقبلها وتلذذ بها فيما دون الفرج^(٤). روى الترمذي عن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها، وأنا هذا، فاقض فيّ كما شئت. فقال له عمر: لقد سترت الله، لو سترت على نفسك! فلم يردّ عليه رسول الله ﷺ شيئاً، فانطلق الرجل، فأتبعه رسول الله ﷺ رجلاً فدعاه، فتلا عليه: ﴿وَأَقْرِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّكْرَيْنِ﴾ إلى آخر الآية، فقال رجل من القوم: هذا له خاصة؟ قال: «لا، بل للناس كافة». قال الترمذي: حديث حسن صحيح^(٥).

وخرج أيضاً عن ابن مسعود، أن رجلاً أصاب من امرأة قبله حرام، فأتى النبي ﷺ فسأله عن كفارتها، فنزلت: ﴿وَأَقْرِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ فقال الرجل: ألي هذه يا رسول الله؟ فقال: «لك ولمن عمل بها من

(١) في المحرر الوجيز ٢١٢/٣ - ٢١٣، وما قبله منه.

(٢) في المحرر الوجيز: بقوله.

(٣) أخرجه أحمد (٨٧١٥)، ومسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة ؓ بلفظ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر».

(٤) المحرر الوجيز ٢١٣/٣، وذكر الحافظ في الفتح ٣٥٦/٨ - ٣٥٧ الاختلاف على اسم صاحب القصة وما ورد فيه من روايات، ثم قال: وأما قصة عباد فحكاها القرطبي ولم يعزها، وعباد اسم جد أبي اليسر، فلعله نسب ثم سقط شيء، وأقوى الجميع أنه أبو اليسر. اهـ وسيأتي خبر أبي اليسر فيما سيرد من أخبار.

(٥) سنن الترمذي (٣١١٢)، وأخرجه أيضاً مسلم (٢٧٦٣): (٤٢)، وبنحوه عند أحمد (٤٢٥٠).

أَمْتِي». قال الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيح^(١).

وروى عن أبي اليسر قال: أتتني امرأةٌ تبتاعُ تمرًا فقلت: إنَّ في البيت تمرًا أطيبَ من هذا، فدخلت معي في البيت، فأهويتُ إليها فقبَّلْتُها، فأتيتُ أبا بكرٍ فذكرتُ ذلك له، فقال: استر على نفسك وتُبِّ، ولا تخبر أحداً. فلم أصبر، فأتيتُ عمرَ، فذكرتُ ذلك له، فقال: استر على نفسك وتُبِّ، ولا تُخبر أحداً. فلم أصبر، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فذكرتُ ذلك له فقال: «أَخَلَفْتُ غَازِيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا؟!» حتى تمتئى أنه لم يكن أسلم إلا تلك الساعة، حتى ظنَّ أنه من أهل النار. قال: وأظرق رسولُ الله ﷺ حتى أوحى الله إليه: «أَقِمِ الصَّلَاةَ كَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرِينَ» قال أبو اليسر: فأتيتُه فقرأها عليَّ رسولُ الله ﷺ، فقال أصحابه: يا رسول الله! ألهذا خاصة، أم للناس عامة؟ فقال: «بل للناس عامة». قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ غريب، وقيس بنُ الربيع ضَعَفَهُ وَكَيْعٌ وغيره^(٢).

وقد روي أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أغْرَضَ عنه، وأقيمت صلاة العصر، فلَمَّا فرغَ منها نزل جبريل عليه السلام عليه بالآية، فدعاه فقال له: «أشهدت معنا الصلاة؟» قال: نعم! قال: «اذهب، فإنَّها كفَّارةٌ لِمَا فَعَلْتَ»^(٣).

وروي أنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا تلا عليه هذه الآية قال له: «قُمْ فَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ»^(٤).

(١) سنن الترمذي (٣١١٤)، وهو عند أحمد (٣٦٥٣)، والبخاري (٥٢٦) و(٤٦٨٧)، ومسلم (٢٧٦٣): (٣٩).

(٢) سنن الترمذي (٣١١٥). ووقع في المطبوع: حسن صحيح، وما ذكره المصنف موافق لما في التحفة ٣٠٧/٨. وقال الترمذي أيضاً: وروى شريك عن عثمان بن عبد الله هذا الحديث مثل رواية قيس بن الربيع. اهـ قلنا: أخرجه من طريق شريك المذكور النسائي في الكبرى (٧٢٨٦).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ٢/٢٩٧، وعزاه الحافظ في الفتح ٨/٣٥٦ لابن منده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وأخرجه بنحوه أحمد (٢٢١٦٣)، ومسلم (٢٧٦٥) من حديث أبي أمامة ؓ. وأخرجه بنحوه أيضاً البخاري (٦٨٢٣)، ومسلم (٢٧٦٤) من حديث أنس ؓ.

(٤) أخرجه البزار (٢٢١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: وأخرجه عبد الرزاق في التفسير =

والله أعلم.

وخرَجَ الترمذيُّ الحكيم في «نوادِر الأصول» من حديث ابن عباس عن رسول الله ﷺ، قال: «لَمْ أَرْ شَيْئاً أَحْسَنَ طَلَباً وَلَا أَسْرَعَ إدْرَاكاً مِنْ حَسَنَةِ حَدِيثٍ لَذَنْبٍ قَدِيمٍ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾»^(١).

الخامسة: دَلَّتْ الآيةُ مع هذه الأحاديث على أَنَّ القُبلة الحرام، واللَّمَس الحرام، لا يجب فيهما الحدُّ، وقد يُستدلُّ به على أن لا حدَّ ولا أدبَ على الرجل والمرأة وإن وُجدا في ثوبٍ واحد، وهو اختيار ابن المنذر^(٢)؛ لأنه لَمَّا ذَكَرَ اختلاف العلماء في هذه المسألة ذَكَرَ هذا الحديث، مشيراً إلى أنه لا يجب عليهما شيءٌ، وسيأتي ما للعلماء في هذا في «النور»^(٣) إن شاء الله تعالى.

السادسة: ذَكَرَ الله سبحانه في كتابه الصلاةَ بركوعها وسجودها وقيامها وقراءتها وأسمائها، فقال: ﴿أَقْرِ الصَّلَاةَ﴾ الآية [لقمان: ١٧]. وقال: ﴿أَقْرِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ الآية [الإسراء: ٧٨] وقال: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧-١٨]. وقال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]. وقال: ﴿أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧]. وقال:

= ٣١٥/١ ، والطبري ١٢/٦٢٣ - ٦٢٤ من طريق يحيى بن جعدة أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، فذكر القصة. وأخرجه الترمذي (٣١١٣) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ ﷺ، وفيه: ... فأمره أن يتوضأ ويصلي... قال الترمذي: هذا حديث ليس لإسناده بمتصل؛ عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ.

(١) نوادر الأصول ص ٢٣٨، وأخرجه العقيلي ٤/٤٢١، والطبراني في الكبير (١٢٧٩٨)، وابن عبد البر في التمهيد ٢٢/٢١٣. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٣٩: في إسناده مالك بن يحيى بن عمرو النُكري، وهو ضعيف، وكذلك أبوه. وقال العقيلي: يحيى بن عمرو النكري لا يتابع على حديثه. وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٧٥ - زوائد نعيم)، وابن أبي شيبة ١٣/٤٧٥ عن فضيل بن زيد الرقاشي قوله.

(٢) في الإشراف ٢/٥٥.

(٣) عند تفسير الآية الثانية منها.

﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. وقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤] على ما تقدم. وقال: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: بقراءتك. وهذا كله مجملٌ أجملُه في كتابه، وأحال على نبيه في بيانه، فقال جلَّ ذكرُه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فبيَّن ﷺ مواقيت الصلاة، وعدد الركعات والسجّادات، وصفة جميع الصلوات فرضها وسُنَّها، وما لا تصحُّ الصلاة إلا به من الفرائض، وما يُستحبُّ فيها من السُّنن والفضائل، فقال في «صحيح» البخاري: «صلُّوا كما رأيتموني أصلي»^(١). ونقل ذلك عنه الكافة عن الكافة، على ما هو معلوم، ولم يمت النبي ﷺ حتى بيّن جميع ما بالناس الحاجة إليه، فكمّل الدِّين، وأوضح السبيل؛ قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾ أي: القرآن موعظة وتوبة لمن اتَّعظ وتذكَّر، وخصَّ الذاكرين بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بالذكر. والذكرى مصدرٌ جاء بألف التانيث.

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿١١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ﴾ أي: على الصلاة، كقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]. وقيل: المعنى: واصبر يا محمدُ على ما تلقى من الأذى. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني المصلين.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾ أي: فهلاً كان ﴿مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: من الأمم التي قبلكم ﴿أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ أي: أصحاب طاعة ودين وعقل وبصر ﴿يَنْهَوْنَ قَوْمَهُمْ﴾

(١) صحيح البخاري (٦٣١)، وسلف ١/ ٦٧.

الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴿١١٥﴾ لِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعُقُولِ، وَأَرَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ. وهذا توبيخٌ للكفار.

وقيل: «لولا» هاهنا للنفي؛ أي: ما كان مِن قَبْلِكُمْ، كقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ [يونس: ٩٨] أي: ما كانت.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناءٌ منقطع، أي: لكن قليلًا^(١) ﴿مِمَّنْ آمَنَّا مِنْهُمْ﴾ نَهَوْا عَنْ الفساد في الأرض. قيل: هم قومٌ يونس؛ لقوله: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسُ﴾ [يونس: ٩٨]. وقيل: هم أتباعُ الأنبياء وأهل الحق. ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا وَعَصَوْا ﴿مَا أُنْزِلُوا فِيهِ﴾ أي: من الاشتغال بالمال واللذات، وإيثار ذلك على الآخرة ﴿وَكَاوُوا مَجْرِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٧﴾ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَكَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمَلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ أي: أهل القرى ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك وكفر ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ أي: فيما بينهم في تعاطي الحقوق، أي: لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان، وقوم لوط باللواط^(٢). ودلّ هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذابُ الشرك في الآخرة أصعب. وفي «صحيح» الترمذي من حديث أبي بكر الصديق ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْتَمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ». وقد تقدّم^(٣).

(١) ينظر المحرر الوجيز ٢١٤/٣.

(٢) ينظر تفسير أبي الليث ١٤٦/٢ - ١٤٧.

(٣) ٣٨٦/٣، وهو في سنن الترمذي (٢١٦٨)، وفي قول المصنف: صحيح الترمذي، تجوز.

وقيل: المعنى: وما كان ربُّك ليهلك القرى بظلمٍ وأهلها مسلمون، فإنه يكون ذلك ظلماً لهم ونقصاً من حقِّهم، أي: ما أهلك قوماً إلا بعد إعدارٍ وإنذار.

وقال الزَّجَّاج: يجوز أن يكون المعنى: ما كان ربُّك ليهلك أحداً وهو يظلمه وإن كان على نهاية الصَّلاح؛ لأنه تصرَّف^(١) في ملكه؛ دليُّه قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئاً﴾ [يونس: ٤٤]^(٢).

وقيل: المعنى: وما كان الله ليهلكهم بذنوبهم وهم مصلحون، أي: مُخلصون في الإيمان. فالظلمُ المعاصي على هذا^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال سعيد بن جبير: على ملَّة الإسلام وحدها. وقال الضَّحَّاك: أهل دينٍ واحدٍ، أهل ضلالة أو أهل هدى^(٤). ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ أي: على أديانٍ شتى؛ قاله مجاهد وقتادة^(٥).

﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ استثناءٌ منقطع؛ أي: لكن من رَحِمَ ربُّك بالإيمان والهدى، فإنه لم يختلف^(٦).

وقيل: مختلفين في الرزق، فهذا غنيٌّ وهذا فقير ﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ بالقناعة؛ قاله الحسن^(٧).

(١) في (ز) و(ظ): لأن تصرفه.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٨٣/٣ دون قوله: وإن كان على نهاية الصَّلاح لأنه تصرف في ملكه.

(٣) ذكر هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ٢١٥/٣، ورجح أن يكون معنى «بظلم» أي: بظلم منه لهم، تعالى عن ذلك.

(٤) النكت والعيون ٥١١/٢.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون عن مجاهد وعطاء، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٠٩٣/٦ (١١٢٨٢) عن الحسن، ولم نقف عليه عن قتادة.

(٦) ينظر معاني القرآن للزجاج ٨٣/٣، وتفسير البغوي ٤٠٦/٢. وقال أبو حيان في البحر ٢٧٣/٥: هو استثناء متصل من قوله: «ولا يزالون مختلفين» ولا ضرورة تدعو إلى أنه بمعنى لكن فيكون استثناءً منقطعاً.

(٧) النكت والعيون ٥١١/٢. وأخرجه بنحوه الطبري ٦٣٦/١٣.

﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال الحسن ومقاتل وعطاء ويَمَان: الإشارة للاختلاف، أي: وللإختلاف خَلَقَهُمْ^(١).

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: ولرحمته خَلَقَهُمْ^(٢). وإنما قال: «ولذلك»، ولم يقل: ولتلك، والرحمة مؤنثة؛ لأنه مصدر، وأيضاً فإن تأنيث الرحمة غير حقيقي، فحُمِلت على معنى الفضل^(٣).

وقيل: الإشارة بـ «ذلك» للاختلاف والرحمة، وقد يشار بـ «ذلك» إلى شيئين متضادين، كقوله تعالى: ﴿لَا فَاْرِضْ وَلَا يَكُ عَوَاثُ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]^(٤) ولم يقل بين ذينك ولا تينك، وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧] وقال: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُهَا وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] وكذلك قوله: ﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]. وهذا أحسن الأقوال إن شاء الله تعالى؛ لأنه يعم، أي: ولما ذُكر خَلَقَهُمْ.

والى هذا أشار مالك رحمه الله فيما روى عنه أشهب؛ قال أشهب: سألت مالكا عن هذه الآية، قال: خَلَقَهُمْ ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير^(٥). أي: خلق أهل الاختلاف للاختلاف، وأهل الرحمة للرحمة.

وروي عن ابن عباس أيضاً قال: خَلَقَهُمْ فريقين؛ فريقاً يرحمه، وفريقاً لا يرحمه^(٦). قال المهدوي: وفي الكلام على هذا التقدير تقديم وتأخير، المعنى: ولا يزالون

(١) النكت والعيون ٥١١/٢ عن الحسن وعطاء، والوسيط ٥٩٧/٢ عن الحسن ومقاتل.

(٢) أخرجه قولهم الطبري ٦٣٩/١٣ - ٦٤٠.

(٣) تفسير الرازي ٧٩/١٨.

(٤) ينظر تفسير الطبري ٦٤٠/١٣ - ٦٤١، والمحور الوجيز ٢١٥/٣، والبحر ٢٧٣/٥. واختار الطبري هذا القول وقال: فمعنى اللام في قوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ بمعنى على، كقولك للرجل: أكرمتك على برك بي. وأكرمتك لبرك بي.

(٥) تفسير البغوي ٤٠٦/٢، وأخرجه الطبري ٦٣٩/١٣.

(٦) أخرجه الطبري ٦٣٨/١٣.

مختلفين إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبِّكَ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، ولذلك خلقهم^(١).

وقيل: هو متعلق بقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣] والمعنى: ولشهود ذلك اليوم خلقهم. وقيل: هو متعلق بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥] أي: للسعادة والشقاوة خلقهم^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ معنى «تمت»: ثَبَتَ ذَلِكَ كما أخبر وقدر في أَرْزَلِهِ، وتَمَامُ الكَلِمَةِ: امتناعها عن قبول التغيير والتبديل. ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ «مِنَ» لبيان الجنس، أي: من جنس الجنة وجنس الناس. «أَجْمَعِينَ» تأكيد، وكما أخبر أنه يملأ ناره كذلك أخبر على لسان نبيه ﷺ أنه يملأ جنته بقوله: «ولكل واحد منكما ملؤها». خرَّجه البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدَّم^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنْثِي بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ «كُلًّا» نصب بـ «نَقُصُّ»، معناه: وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص عليك^(٤). وقال الأخفش: «كُلًّا» حالٌ مقدَّمة، كقولك: كُلًّا ضربتُ القوم^(٥). ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ أي: من أخبارهم وصبرهم على أذى قومهم.

﴿مَا نُنْثِي بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي: على أداء الرسالة، والصبر على ما يَنَالُكَ فيها من الأذى. وقيل: نزيدك به تثبيتاً وبقيناً. وقال ابن عباس: ما نشدُّ به قلبك^(٦). وقال ابن

(١) ذكر قول المهدوي أبو حيان في البحر ٢٧٣/٥ وقال: وهذا بعيد جداً من تراكيب كلام العرب.

(٢) ذكر القولين الأخيرين ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢١٥، وقال: وهذان المعنيان وإن صحا، فهذا العود المتباعد ليس بجيد.

(٣) ٣٥٦/١ - ٣٥٧، وهو عند البخاري (٤٨٥٠).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٨٤/٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٨/٢، وينظر معاني القرآن للأخفش ٥٨٥/٢.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ٥٩٨/٢ بلفظ: ليزيدك يقيناً ويقوي قلبك.

جُريج: نُصَبِّرُ به قلبك حتى لا تجزع. وقال أهل المعاني: نُطَيَّب، والمعنى متقارب. و«ما» بدلٌ من «كلًا» المعنى: نقصٌ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك^(١).

﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ أي: في هذه السورة؛ عن ابن عباس وأبي موسى^(٢) وغيرهما. وخصَّ هذه السورة لأنَّ فيها أخبارَ الأنبياء والجنة والنار. وقيل: خصَّها بالذكر تأكيداً، وإن كان الحقُّ في كلِّ القرآن^(٣).

وقال قتادة والحسن: المعنى: في هذه الدنيا، يريد النبوة^(٤).

﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الموعظة: ما يُتَّعَظُ به من إهلاك الأمم الماضية، والقرون الخالية المكذبة. وهذا تشريفٌ لهذه السورة؛ لأنَّ غيرها من السور قد جاء فيها الحقُّ والموعظة والذكرى، ولم يقل فيها كما قال في هذه على التخصيص. ﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يتذكرون ما نزل بمن هلك فيتوبون، وخصَّ المؤمنين لأنهم المتعظون إذا سمعوا قصص الأنبياء.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ﴾ تهديدٌ ووعد. ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ تهديدٌ ووعد. ﴿وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ تهديدٌ آخر، وقد تقدَّم معناه^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: غيبهما وشهادتهما؛ فحذف لدلالة المعنى. وقال ابن عباس: خزائن السماوات والأرض. وقال الضحَّاك: جميعُ

(١) معاني القرآن للزجاج ٨٤/٣.

(٢) النكت والعيون ٥١٢/٢، وأخرج قولهما الطبري ٦٤٣/١٣ - ٦٤٤، وأخرجه عن ابن عباس أيضاً سعيد بن منصور في سننه (١١٠٨ - تفسير).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٨٤/٣ - ٨٥.

(٤) زاد المسير ١٧٣/٤، وأخرج قولهما الطبري ٦٤٧/١٢.

(٥) ينظر ١٣٣/٩ و ص ٥٨ من هذا الجزء.

ما غاب عن العباد فيهما^(١).

وقال الباقون: غيب السماوات والأرض: نزولُ العذاب من السماء، وطلوعه من الأرض.

وقال أبو عليّ الفارسيّ: وَلِلّهِ عِلْمٌ^(٢) غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أي: عِلْمُ ما غاب فيهما^(٣)؛ أضاف الغيب - وهو مضافٌ إلى المفعول - توسعاً؛ لأنه حَذَفَ حرفَ الجرّ؛ تقول: غِيبْتُ في الأرض وغبت بيلد كذا.

﴿وَالَّذِي يَرْجِعُ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾ أي: يومَ القيامة؛ إذ ليس لمخلوق أمرٌ إلا بإذنه. وقرأ نافع وحفص: ﴿يَرْجِعُ﴾ بضمّ الياء وبفتح الجيم^(٤)؛ أي: يُرَدُّ. ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ أي: الجأ إليه وثق به.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: يجازي كلّاً بعمله. وقرأ أهل المدينة والشام وحفص بالتاء على المخاطبة. الباقون بياءٍ على الخبر^(٥). قال الأخفش سعيد^(٦): «يعملون» إذا لم يخاطب النبي ﷺ معهم، قال: وقال بعضهم: «تعملون» بالتاء لأنه خاطب النبي ﷺ، أو قال: قل لهم: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وقال كعب الأحبار: خاتمةُ التوراة خاتمةُ «هود»^(٧) من قوله: ﴿وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى آخرِ السورة.

تمت سورة هود، ویتلوها سورة يوسف عليه السلام.

(١) ذكر قول ابن عباس وقول الضحاك الطبرسي في مجمع البيان ٢٣٨/١٢.

(٢) قوله: علم، من (ز) و(ظ).

(٣) الوسيط ٥٩٨/٢، وزاد المسير ١٧٥/٤.

(٤) وقرأ الباقون بفتح الياء وكسر الجيم. السبعة ص ٣٤٠، والتيسير ص ١٢٦.

(٥) قرأ نافع وابن عامر وحفص: «تعملون» بالتاء، والباقون بالياء. السبعة ص ٣٤٠، والتيسير ص ١٢٦.

(٦) في معاني القرآن ٥٨٦/٢.

(٧) أخرجه الطبري ٦٤٩/١٣، وسلف ٣١١/٨.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة يوسف عليه السلام

وهي مكيّة كلّها. وقال ابن عباس وقتادة: إلّا أربع آيات منها^(١). ورُوي أنّ اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فنزلت السّورة، وسيأتي^(٢).

وقال سعد بن أبي وقّاص: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: لو قصّصت علينا، فنزل: ﴿الرَّيَّةُ يَأْتِيكَ الْكِتَابُ الْيَمِينُ﴾ [إلى قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ فتلاه عليهم زماناً فقالوا: لو حدّثتنا، فنزل: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]^(٣).

قال العلماء: وذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكرّرها بمعنى واحد في وجوه مختلفة، بالفاظ متباينة على درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف ولم يكرّرها، فلم يقدّر مخالفتاً على معارضة ما تكرّر، ولا على معارضة غير المتكرّر، والإعجاز لمن تأمل.

قوله تعالى: ﴿الرَّيَّةُ يَأْتِيكَ الْكِتَابُ الْيَمِينُ﴾ ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿الرَّيَّةُ﴾ تقدّم القول فيه^(٤)، والتقدير هنا: «تلك آيات الكتاب» على

(١) النكت والعيون ٥/٣ .

(٢) ص ٢٤٢ و ٢٥٩ من هذا الجزء.

(٣) أخرجه البزار (١١٥٢) و (١١٥٣)، وأبو يعلى (٧٤٠)، والطبري ٨/١٣، وابن حبان (٦٢٠٩)، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٧٣، وما بين حاصرتين من المصادر.

(٤) ٢٣٧/١ وما بعدها، و ٤٤٥/١٠ - ٤٤٦ .

الابتداء والخبر^(١). وقيل: «الر» اسمُ السورة، أي: هذه السورةُ المسماة «الر».

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني بالكتاب المبين: القرآن المبين، أي: المبيِّن حلاله وحرامه، وحدوده وأحكامه، وهُداه وبركته^(٢).

وقيل: أي: هذه تلك الآيات التي كنتم توعدون بها في التوراة^(٣).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ①

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ يجوز أن يكون المعنى: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا^(٤)، نصب «قرآنًا» على الحال، أي: مجموعاً، و«عربياً» نعتٌ لقوله «قرآنًا». ويجوز أن يكون توطئةً للحال، كما تقول: مررتُ بزيدٍ رجلاً صالحاً، و«عربياً» على الحال، أي: يُقرأ بلغتكم يا معشر العرب. [ومعنى] أَغْرَبَ: بَيَّنَّ، ومنه: «الثَّيْبُ تُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهَا»^(٥).

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه^(٦). وبعضُ العرب يأتي بأن مع «لعل» تشبيهاً بعسى. واللام في «لعل» زائدةٌ للتوكيد، كما قال الشاعر:

يَا أَبْتَأَ عِلَّكَ أَوْ عَسَاكَ^(٧)

وقيل: «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» أي: لتكونوا على رجاءٍ من تَذَبُّره، فيعود معنى الشكِّ إليهم لا إلى الكتاب، ولا إلى الله عزَّ وجلَّ.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٩/٢.

(٢) تفسير البغوي ٤٠٨/٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٨٧/٣، وللنحاس ٣٩٥/٣.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣٩٥/٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٩/٢، وما سلف بين حاصرتين منه. وقوله: «الثيب تعرب...» قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٧٧٢٢)، وابن ماجه (١٨٧٢) من طريق عدي بن عدي الكندي عن أبيه.

(٦) تفسير البغوي ٤٠٨/٢.

(٧) الرجز للعجاج، وهو في ديوانه ص ١٨١، والكتاب ٣٧٥/٢، والخزانة ٣٦٢/٥، وإعراب القرآن للنحاس ٣٠٩/٢، والكلام منه.

وقيل: معنى «أَنْزَلْنَاهُ»، أي: أنزلنا خبر يوسف؛ قال النحاس^(١): وهذا أشبه بالمعنى؛ لأنه يُروى أَنَّ اليهود قالوا: سَلُوهُ لِمَ انتقل آل يعقوبَ من الشَّامِ إلى مصر، وعن خبر يوسف. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هذا بمكة موافقاً لِمَا في التوراة، وفيه زيادةٌ ليست عندهم. فكان هذا للنبي ﷺ - إذ أخبرهم ولم يكن يقرأ كتاباً قط ولا هو في موضع كتاب - بمنزلة إحياء عيسى عليه السلام الميِّت، على ما يأتي فيه^(٢).

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ ابتداءً وخبر. ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ بمعنى المصدر، والتقدير: قصصاً^(٣) أحسن القصص.

وأصلُ الْقَصَصِ: تتبُّع الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١] أي: تتبَّعي أثره، فالقاصُّ يتبَّع^(٤) الآثار فيُخبرُ بها. والحُسْنُ يعود إلى الْقَصَصِ لا إلى القصة. يقال: فلانٌ حَسَنُ الاقتصاص للحديث؛ أي: جيّدُ السِّيَاقَةِ له. وقيل: الْقَصَصُ ليس مصدرًا، بل هو في معنى الاسم، كما يقال: الله رجاؤنا، أي: مرجؤنا، فالمعنى على هذا: نحن نخبرك بأحسن الأخبار^(٥).

﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: بوحينا، فـ«ما» مع الفعل بمنزلة المصدر. ﴿هَذَا الْقُرْآنَ﴾ نصب القرآن على أَنَّهُ نعتٌ لـ«هذا»، أو بدلٌ منه، أو عطفُ بيان^(٦).

(١) في معاني القرآن ٣/ ٣٩٦.

(٢) ص ٢٥٩ من هذا الجزء.

(٣) في (د) و(ز) و(م): قصصنا، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في إعراب القرآن للنحاس ٣١٠/٢، والكلام منه.

(٤) في (ظ): فالقصاص يتبَّع.

(٥) ينظر تفسير الرازي ١٨/ ٨٥.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٩، وضَعَّف ابن عطية كونه عطف بيان.

وأجاز الفراء الخفض؛ قال: على التكرير^(١). وهو عند البصريين على البدل من «ما»^(٢). وأجاز أبو إسحاق^(٣) الرفع على إضمار مبتدأ؛ كأن سائلاً سأل عن الوحي ف قيل له: هو هذا القرآن^(٤). ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: من الغافلين عما عرفناكم^(٥).

مسألة: واختلف العلماء لِمَ سُمِّيَتْ هذه السورة أحسن القصص من بين سائر الأقسام؟

فقيل: لأنه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه القصة، وبيان قوله في آخرها: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الآية: ١١١].

وقيل: سماها أحسن القصص لحسن مجازاة^(٦) يوسف إخوته^(٧)، وصبره على أذاهم، وعفوه عنهم - بعد الالتقاء بهم - عن ذكر ما تعاطوه [معه]، وكرمه في العفو عنهم، حتى قال: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وقيل: لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين، والملائكة والشياطين، والجن والإنس، والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك^(٨) والتجار، والعلماء والجُهاَل،

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٣١٠.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣١٠، وقال الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٨٨: فيكون المعنى: نحن نقص عليك أحسن القصص بهذا القرآن. ولا تقرأ بها.

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٨٨.

(٤) في (د) و(ز) و(ظ): هو القرآن، وفي (ف) ومعاني القرآن للزجاج: هذا القرآن، والمثبت من (م).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣١٠.

(٦) في النسخ الخطية: محاوزة، وفي (م): مجاوزة، والمثبت من عرائس المجالس ص ١١٠، والكلام وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٧) في (م): عن إخوته.

(٨) في (م): الممالك.

والرُجال والنساء وَجِيلَهُنَّ وَمَكْرَهُنَّ، وفيها ذكر التَّوْحِيدِ والفقه^(١) والسَّيَر، وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، وَجُمِلَ الفوائد التي تصلح للدين والدنيا.

وقيل: لَأَنَّ فيها ذَكَرَ الحبيب والمحبوب وسَيَّرَهما. وقيل: «أَحْسَنَ» هنا بمعنى: أَعْجَبَ.

وقال بعضُ أهل المعاني: إِنَّمَا كانت أَحْسَنَ الْقَصَصِ لَأَنَّ كُلَّ مَنْ ذُكِرَ فيها كان مَالَهُ السَّعَادَةُ؛ انظر إلى يوسفَ وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز: قيل: والمَلِكُ أيضاً أسْلَمَ بيوسفَ وَحَسُنَ إسلامه، ومُسْتَعْبِرُ الرؤيا السَّاقِي، والشَّاهِدُ فيما يقال^(٢)، فما كان أَمْرُ الجميع إلا إلى خير.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ «إِذْ» في موضع نصبٍ على الظرف، أي: اذكر لهم حين قال يوسف. وقراءة العامة بضم السين. وقرأ طلحة بن مُصَرِّف: «يُؤْسِفُ» بالهمز وكسْرِ السين. وحكى أبو زيد: «يؤْسَفُ» بالهمز وفتح السين. ولم ينصرف لَأَنَّهُ أَعْجَمِي^(٣). وقيل: هو غربي^(٤).

وسئل أبو الحسن الأقطع - وكان حكيماً - عن «يوسف» فقال: الأسْفُ في اللغة الحزن؛ والأسيف: العبد، وقد اجتمعَا في يوسف؛ فلذلك سُمِّيَ يوسف^(٥).

(١) في عرائس المجالس: والعفة.

(٢) وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: ٢٦].

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣١٠/٢، وينظر القراءات الشاذة ص ٦٢.

(٤) ذكره الزمخشري ٣٠١/٢ وقال: وليس بصحيح؛ لأنه لو كان عربياً لانصرف، لَحُلُوهُ عن سببٍ آخَرَ سوى التعريف.

(٥) عرائس المجالس ص ١١٠، وتفسير البغوي ٤٠٩/٢.

﴿لِأَيِّهِ يَتَّابِتُ﴾ بكسر التاء، قراءة أبي عمرو وعاصم ونافع وحزمة والكسائي^(١)، وهي عند البصريين علامة التانيث؛ أدخلت على الأب في النداء خاصة بدلاً من ياء الإضافة، وقد تدخل علامة التانيث على المذكر فيقال: رجل نُكَّحَ وَهُزَأَ^(٢)؛ قال النحاس^(٣): إذا قلت: «يَا أَبَتِ» بكسر التاء، فالتاء عند سيبويه^(٤) بدلٌ من ياء الإضافة؛ ولا يجوز على قوله الوقفُ إلَّا بالهاء، وله على قوله دلائلٌ منها: أنَّ قولك: «يا أبه» يؤدِّي عن معنى «يا أبي»، وأنَّه لا يقال: «يا أبه»^(٥) إلَّا في المعرفة، ولا يقال: جاءني أبةٌ، ولا تستعمل العربُ هذا إلَّا في النداء خاصة، ولا يقال: «يا أبتى»؛ لأنَّ التاء بدلٌ من الياء فلا يُجمع بينهما.

وزعم الفراء^(٦) أنَّه إذا قال: يَا أَبَتِ - فَكَسَرَ - وَقَفَ على التاء^(٧) لا غير؛ لأنَّ الياء في النية. وزعم أبو إسحاق^(٨) أنَّ هذا خطأ، والحقُّ ما قال؛ كيف تكون الياء في النية وليس يقال: يا أبتى؟!

وقرأ أبو جعفر والأعرج وعبدُ الله بن عامر: «يَا أَبَتِ» بفتح التاء^(٩)؛ قال البصريون: أرادوا: يا أبتى بالياء، ثم أبدلت الياء ألفاً فصارت: يا أبتا، فحُذفت الألف وبقيت الفتحة على التاء^(١٠).

(١) وقرأ بها أيضاً ابن كثير. السبعة ص ٣٤٤، والتيسير ص ٦٠ و ١٢٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٨٩/٣ بنحوه.

(٣) في إعراب القرآن ٣١٠/٢.

(٤) ينظر الكتاب ٢١٠/٢ - ٢١١.

(٥) في (م): يا أبت، وكذا اللفظة بعدها، والمثبت من النسخ الخطية وإعراب القرآن للنحاس.

(٦) في معاني القرآن ٣٢/٢.

(٧) في (م): دل على الياء.

(٨) هو الزجاج، وكلامه في معاني القرآن ٨٩/٣.

(٩) السبعة ص ٣٤٤، والتيسير ص ١٢٧ عن ابن عامر، والنشر ٢/٢٩٣ عن ابن عامر وأبي جعفر، وذكرها عنهم جميعاً النحاس في إعراب القرآن ٣١٠/٢.

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٩٠/٣.

وقيل: الأصلُ الكسر، ثم أبدل من الكسرة فتحَةً، كما يُبدل من الياء ألف؛ فيقال [في: يا غلامي أَقْبِلْ]: يا غلاماً أَقْبِلْ^(١). وأجاز الفراء^(٢): «يا أَبْتُ» بضمّ التاء.

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ ليس بين النحويين اختلافٌ أنّه يقال: جاءني أَحَدُ عَشَرَ، ومررتُ بِأَحَدِ عَشَرَ، وكذلك ثلاثةَ عَشَرَ وتسعةَ عَشَرَ وما بينهما؛ جعلوا الاسمين اسماً واحداً وأعربوهما بأخفّ الحركات^(٣).

قال السّهيلي^(٤): أسماءُ هذه الكواكب جاء ذِكْرُها مُسْتَنَداً؛ رواه الحارث بن أبي أسامة قال: جاء بستانة^(٥) - وهو رجلٌ من أهل الكتاب - فسأل النبي ﷺ عن الْأَحَدِ عَشَرَ كَوْكَباً الذي رأى يوسفُ، فقال: «الحرثان وطارق والذّيال وقايس والنطح والطروح وذو الكنفان وذو الفرع والفيلق ووثّاب والعُمودان، رآها يوسف عليه السلام تسجد له»^(٦).

قال ابن عباس وقتادة وابن جريج^(٧): الكواكبُ إخوته، والشمس أمّه، والقمر أبوه.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣١٢/٢، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣٢/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣١٠/٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣١٢/٢.

(٤) في التعريف والإعلام ص ٧٩.

(٥) في النسخ الخطية: بستان، والمثبت من (م) وهو الموافق لبعض مصادر التخرّيج على ما يأتي، ووقع في التعريف والإعلام وبعض المصادر: بستاني.

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١١١١ - تفسير)، والبزار (٢٢٢٠ - كشف)، والطبري ١٣/١٠، وابن حبان في المجروحين ١/٢٥٠ - ٢٥١، والعقيلي في الضعفاء ١/٢٥٩، والبيهقي في الدلائل ٦/٢٧٧، وابن الجوزي في الموضوعات (٧٠) واختلفت أسماء الكواكب في المصادر اختلافاً كثيراً، وقد أثبتنا ما اتفقت عليه غالب نسخنا وكان موافقاً للتعريف والإعلام وبعض مصادر التخرّيج.

قال البزار: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد. وقال ابن حبان: هذا حديث لا أصل له من حديث رسول الله ﷺ. وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ. قال العقيلي: لا يصح من هذا المتن عن النبي ﷺ شيء من وجه يثبت. وينظر الفوائد المجموعة ص ٤٦٤.

(٧) قوله: وابن جريج، من (ظ)، وقد أخرج قولهم الطبري ١٣/١٢ - ١٣.

وقال قتادة أيضاً: الشمسُ خالته؛ لأنَّ أمَّهُ كانت قد ماتت، وكانت خالته تحت أبيه^(١).

﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ تأكيد. وقال: «رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ» فجاء مذكراً، فالقولُ عند الخليل وسيبويه أَنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِالطَّاعَةِ وَالسَّجُودِ وَهُمَا مِنْ أَفْعَالٍ مَنْ يَعْقِلُ أَخْبَرَ عَنْهَا كَمَا يَخْبِرُ عَمَّنْ يَعْقِلُ^(٢). وقد تقدَّم هذا المعنى في قوله: ﴿وَوَرَّيْتُهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إِلَيْكَ [الأعراف: ١٩٨]. والعربُ تَجْمَعُ مَا لَا يَعْقِلُ جَمْعَ مَنْ يَعْقِلُ إِذَا أَنْزَلُوهُ مِنْزَلَتَهُ، وَإِنْ كَانَ خَارِجاً عَنِ الْأَصْلِ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْصُصْ رُءُيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝﴾
فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ أي: يحتالوا في هلاكك؛ لأنَّ تأويلها ظاهر، فربما يحملهم الشيطان على قَصْدِكَ بِسُوءٍ حِينْتِذٍ. واللامُ في «لك» تأكيد، كقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٣).

الثانية: الرؤيا حالة شريفة، ومنزلة رفيعة؛ قال ﷺ: «لَمْ يَبْنَؤُ بَعْدِي مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ الصَّادِقَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحَ، أَوْ تُرَى لَهُ»^(٤). وقال «أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا»^(٥). وَحَكَّمَ ﷺ بِأَنَّهَا: «جَزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جِزْءاً مِنَ النَّبِئَةِ»^(٦).

(١) ذكره البغوي ٤٠٩/٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣١٣/٢، وينظر البيان لابن الأنباري ٣٣/٢.

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٣/١٤ - ١٥. وينظر أيضاً ما سلف ص ١١٩ من هذا الجزء.

(٤) قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٩٠٠)، ومسلم (٤٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٧٦٤٢)، ومسلم (٢٢٦٣): (٦) عن أبي هريرة ﷺ.

(٦) قطعة من الحديث الذي قبله. وأخرجه أيضاً أحمد (١٢٠٣٧)، والبخاري (٦٩٨٣)، ومسلم (٢٢٦٤)

من حديث أنس ﷺ. وأخرجه أحمد (٢٢٦٩٧)، والبخاري (٦٩٨٧)، ومسلم (٢٢٦٤) من حديث عبادة

ابن الصامت ﷺ. وأخرجه البخاري (٦٩٨٨) عن أبي هريرة ﷺ، و(٦٩٨٩) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

وينظر التمهيد لابن عبد البر ٢٨٠/١.

وَرُوي: «من سبعين جزءاً من النبوة»^(١). وَرُوي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «جزءٌ من أربعين جزءاً من النبوة»^(٢). ومن حديث ابن عمرو^(٣): «جزءٌ من تسعة وأربعين جزءاً». ومن حديث العباس: «جزءٌ من خمسين جزءاً من النبوة»^(٤). ومن حديث أنس: «من ستة وعشرين»^(٥) وعن عبادة بن الصّامت: «من أربعة وأربعين من النبوة»^(٦).

والصحيحُ منها حديثُ الستة والأربعين، ويتلوه في الصحة حديثُ السبعين؛ ولم يُخرَج مسلمٌ في صحيحه غيرَ هذين الحديثين، أمّا سائرُها فَمِنْ أحاديثِ الشيوخ؛ قاله ابنُ بَطّال^(٧).

قال أبو عبد الله المازريُّ: والأكثر والأصحُّ عند أهل الحديث: «من ستة وأربعين»^(٨).

قال الطَّبْريُّ: والصواب أن يُقال: إنَّ عامَّةَ هذه الأحاديث أو أكثرها صحاحٌ، ولكلُّ حديثٍ منها مخرَجٌ معقول؛ فأما قوله: «إنَّها جزءٌ من سبعين جزءاً من النبوة»

(١) أخرجه أحمد (٤٦٧٨)، ومسلم (٢٢٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه أحمد (٢٨٩٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره عن ابن عباس القاضي عياض في إكمال المعلم ٢١١/٧، وأبو العباس في المفهم ١٢/٦، وابن حجر في الفتح ٣٦٣/١٢، وعزاه ابن حجر للطبري، وأخرجه أحمد (١٦١٨٣)، والترمذي (٢٢٧٨) وابن عبد البر في التمهيد ٢٨٣/١ من حديث أبي رزين العُقيلي ؓ.

(٣) في النسخ: ابن عمر، والمثبت من إكمال المعلم ٢١١/٧، وكذلك أخرجه أحمد (٧٠٤٤)، والطبري ٢١٨/١٢ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه مطولاً البزار (٢١٢٤ - كشف)، وابن عبد البر في التمهيد ٢٨١/١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٢/٧ - ١٧٣: فيه ابن إسحاق، وهو مدلس، وبقيّة رجاله ثقات.

(٥) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٢٨٢/١ وقال: حسن الإسناد.

(٦) أخرجه الطبري ٢١٨/١٢، وضعّف إسناده ابن عبد البر في التمهيد ٢٨١/١.

(٧) ذكر قول ابن بطال أيضاً ابن حجر في الفتح ٣٦٥/١٢.

(٨) المفهم ١٢/٦، وينظر المعلم للمازري ١١٧/٣ - ١١٨.

فإنَّ ذلك قولٌ عامٌّ في كلِّ رؤيا صالحة صادقة، ولكلِّ مسلمٍ رآها في منامه على أيِّ أحواله كان. وأما قوله: إنها من أربعين أو ستّة وأربعين؛ فإنَّه يريد بذلك مَنْ كان صاحبُها بالحال التي ذُكرت عن الصّدِّيق - عليه السلام - أنه كان بها؛ فمَنْ كان من أهلِ إسباغِ الوضوء في السَّبرات^(١)، والصبرِ في الله على المكروهات، وانتظارِ الصَّلَاة بعد الصَّلَاة، فروياه الصالحة - إن شاء الله - جزءً من أربعين جزءاً من النبوة، ومَنْ كانت حاله في ذاته بين ذلك فروياه الصادقة بين الجزئين؛ ما بين الأربعين إلى الستين^(٢)، لا تنقصُ عن سبعين، وتزيد على الأربعين.

والى هذا المعنى أشار أبو عمر بن عبد البر^(٣) فقال: اختلاف الآثار في هذا الباب في عدد أجزاء الرؤيا ليس ذلك عندي اختلاف تضادٍّ وتداوُّعٍ والله أعلم؛ لأنَّه يَحتمل أن تكون الرؤيا الصالحة من بعض مَنْ يراها على حَسَب ما يكون من صِدْقِ الحديث، وأداء الأمانة، والدِّين المتين، وحُسن اليقين؛ فعلى قَدْرِ اختلاف النَّاس فيما وَصَفْنَا تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد، فمن خَلَصَتْ^(٤) له نيَّته في عبادة ربِّه وبقينه وصدق حديثه، كانت رؤياه أصدق، وإلى النبوة أقرب، كما أنَّ الأنبياء يتفاضلون [والنبوة كذلك]؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

قلت: فهذا التأويل يجمعُ شتات الأحاديث، وهو أولى من تفسير بعضها دون بعض وطُرُجه.

ذكر أبو سعيد الأسفاقسي^(٥) عن بعض أهل العلم قال: معنى قوله: «جزء من ستّة

(١) جمع سَبْرَة بسكون الباء، وهي شدة البرد. النهاية (سبر).

(٢) كذا وقع، ولعل الصواب: السبعين وقد نقل كلام الطبري بنحوه المازري في المعلم ١١٨/٣، وأبو العباس في المفهم ١٥/٦ - ١٦ وابن حجر في الفتح ٣٦٥/١٢.

(٣) في التمهيد ٢٨٣/١، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٤) في (د) و(ظ) و(ف): حصلت.

(٥) ذكره ابن حجر في الفتح ٣٦٤/١٢ بلفظ: السفاقسي، ونقل كلامه عن ابن بطلان، وما سيرد بين حاصرتين منه.

وأربعين جزءاً من النبوة» فإنَّ الله تعالى أوحى إلى محمدٍ ﷺ [في المنام ستة أشهر، ثم أوحى إليه بعد ذلك] في النبوة ثلاثة وعشرين عاماً - فيما رواه عكرمة وعمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما^(١) - فإذا نَسَبْنَا ستة أشهرٍ من ثلاثة وعشرين عاماً، وَجَدْنَا ذلك جزءاً من ستة وأربعين جزءاً.

والى هذا القول أشار المازريُّ في كتابه «المعلم»^(٢)، واختاره الغزنويُّ^(٣) في تفسيره من سورة يونس، عند قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: ٦٤]. وهو فاسدٌ من وجهين:

أحدهما: ما رواه أبو سلمة عن ابن عباس وعائشة: بأنَّ مدَّةَ الوحي كانت عشرين سنة^(٤)، وأنَّ النَّبِيَّ ﷺ بُعِثَ على رأس أربعين، فأقام بمكةَ عَشْرَ سنين؛ وهو قول عروة والشعبيِّ وابنِ شهابٍ والحسن وعطاء الخراسانيِّ، وسعيد بن المسيَّب على اختلافٍ عنه، وهي روايةٌ ربيعة وأبي غالب عن أنس^(٥)، وإذا ثبت هذا الاختلافُ^(٦) بطل ذلك التأويل.

الثاني: أنَّ سائر الأحاديث في الأجزاء المختلفة تبقى بغير معنى.

الثالثة: إنَّما كانت الرؤيا جزءاً من النبوة؛ لأنَّ فيها ما يُعجز ويُمتنع، كالطيران وقلب الأعيان، والاطِّلاع على شيءٍ من علم الغيب، كما قال عليه الصلاة والسلام:

(١) رواية عكرمة عن ابن عباس عند أحمد (٢٢٤٢) والبخاري (٣٨٥١). ورواية عمرو بن دينار عن ابن عباس عند مسلم (٢٣٥١).

(٢) ١١٧/٣.

(٣) في (م): القونوي، وفي (د): القرونوي، وفي (ظ): العزيزي، والمثبت من باقي النسخ.

(٤) أخرجه أحمد (٢٦٩٦)، والبخاري (٤٤٦٤، ٤٤٦٥) بلفظ: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشرًا.

(٥) التمهيد ١٦/٣، ورواية ربيعة (وهو ابن أبي عبد الرحمن) عن أنس عند أحمد (١٣٥١٩)، والبخاري (٣٥٤٧) ومسلم (٢٣٤٧). ورواية أبي غالب عن أنس عند أحمد (١٢٥٢٩)، وينظر التمهيد ٩/٣-١٢.

(٦) في (م): الحديث، وفي (د) و(ف): الخلاف.

«إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مَبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ» الحديث^(١). وعلى الجملة فإن الرؤيا الصادقة من الله، وإنَّها من النُّبُوَّةِ؛ قال ﷺ: «الرُّؤْيَا مِنْ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٢). وإنَّ التصديقَ بها حقٌّ، ولها التأويلُ الحَسَنُ، وربَّما أغنى بعضها عن التأويل، وفيها من بديع [حكمة] الله وَلُطْفِهِ ما يزيد المؤمن في إيمانه؛ ولا خلاف في هذا بين أهل الدين والحقِّ من أهل الرأي والأثر، ولا يُنكر الرؤيا إلَّا أهلُ الإلحاد، وشِرْذمَةٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ^(٣).

الرابعة: إن قيل: إذا كانت الرؤيا الصادقة جزءاً من النُّبُوَّةِ؛ فكيف يكون الكافر والكاذب والمُخْلَطُ أهلاً لها؟ وقد وقعت من بعض الكفَّار وغيرهم ممن لا يُرضى دينه مناماتٌ صحيحةٌ صادقة؛ كمنام رؤيا الملك الذي رأى سِنْعَ بقرات، ومنامِ الفَتَيْنِ في السجن، ورؤيا بُخْتَنَصَّرَ، التي فسَّرها دانيال في ذهاب مُلكه، ورؤيا كسرى في ظهور النبي ﷺ^(٤)، ومنامِ عاتكةَ عَمَّةِ رسول الله ﷺ في أمره وهي كافرة^(٥). وقد ترجم البخاري: باب رؤيا أهل السجن^(٦).

فالجواب: أنَّ الكافرَ والفاجرَ والفاقد والكاذب، وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات، لا تكون من الوحي ولا من النُّبُوَّةِ؛ إذ ليس كلُّ مَنْ صَدَّقَ في حديث عن غيبٍ يكون خبره ذلك نبوةً؛ وقد تقدَّم في «الأنعام»^(٧) أنَّ الكاهن وغيره قد يخبر

(١) سلف في المسألة الثانية.

(٢) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٢٢٥٢٥)، والبخاري (٣٢٩٢)، ومسلم (٢٢٦١) عن أبي قتادة ؓ.

(٣) التمهيد ١/ ٢٨٥، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) التمهيد ١/ ٢٨٥، وينظر خبر هذه الرؤيا في تاريخ الطبري ٢/ ١٦٦، ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٢٦-١٢٩، والبداءة والنهاية ٣/ ٣٩٥.

(٥) التمهيد ١/ ٢٨٥، وخبر رؤيا عاتكة في سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٧ عن ابن إسحاق قال: أخبرني مَنْ لا أَتُّهم عن عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس. ويزيد بن رومان، عن عروة قال: وقد رأت عاتكة، وذكر الخبر مطولاً.

(٦) صحيح البخاري، قبل الحديث (٦٩٩٢) بلفظ: باب رؤيا أهل السجون والفساد والشرك.

(٧) ٤٠٥/٨.

بكلمة الحق فيُصدّق، لكنّ ذلك على التدور والقلّة، فكذلك رؤيا هؤلاء^(١).

قال المهلب: إنّما ترجم البخاريّ بهذا لجواز أن تكون رؤيا أهل الشّرك رؤيا صادقة، كما كانت رؤيا الفثيين صادقة، إلا أنّه لا يجوز أن تُضاف إلى النبوة إضافة رؤيا المؤمن إليها؛ إذ ليس كلّ ما يصحّ له تأويل من الرؤيا حقيقة يكون جزءاً من النبوة.

الخامسة: الرؤيا المضافة إلى الله تعالى هي التي خلّصت من الأضغاث والأوهام، وكان تأويلها موافقاً لما في اللوح المحفوظ. والتي هي من خيّر^(٢) الأضغاث هي الحلم، وهي المضافة إلى الشيطان، وإنّما سُميت ضغثاً لأنّ فيها أشياء متضادة؛ قال معناه المهلب.

وقد قسم رسول الله ﷺ الرؤيا أقساماً تغني عن قول كلّ قائل؛ روى عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «الرؤيا ثلاثة؛ منها أهوّل الشيطان ليحزن ابن آدم، ومنها ما يهّم^(٣) به في يقظته، فيراه في منامه، ومنها جزء من ستّة وأربعين جزءاً من النبوة». قال: قلت: سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم! سمعته من رسول الله ﷺ^(٤).

السادسة: قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ الآية. الرؤيا مصدر: رأى في المنام رؤيا، على وزن فعلى، كالسّقى والبُشرى، وألفه للتأنيث؛ ولذلك لم ينصرف^(٥).

وقد اختلف العلماء في حقيقة الرؤيا؛ فقليل: هي إدراك في أجزاء لم تحلّها آفة،

(١) المفهم ١٣/٦.

(٢) في النسخ عدا (ز): خبر، والمثبت من (ز).

(٣) في (ظ) و(م): يهّم، وفي (ف): هم، والمثبت من (د) و(ز) والمصادر على ما يأتي.

(٤) التمهيد ١/٢٨٥ - ٢٨٦، والحديث أخرجه ابن ماجه (٣٩٠٧)، وابن حبان (٦٠٤٢). والسائل في

آخر الحديث هو مسلم بن مشكم، وهو الذي رواه عن عوف ﷺ.

(٥) المفهم ٥/٦.

كالنوم المستغرق وغيره، ولهذا أكثر ما تكون الرؤيا في آخر الليل؛ لقلّة غلبَةِ النوم، فيخلق الله تعالى للرائي علماً ناشئاً، ويخلق له الذي يراه على ما يراه ليصحّ الإدراك. قال ابن العربي^(١): ولا يرى في المنام إلا ما يصحّ إدراكه في اليقظة؛ ولذلك لا يرى في المنام شخصاً قائماً قاعداً بحال، وإنّما يرى الجائزات [الخارقة للعادات، أو الأشياء] المعتادات.

وقيل: إنّ لله ملكاً يعرضُ المرئيات على المحلّ المدرك من النائم، فيمثل له صوراً محسوسة، فتارة تكون تلك الصور أمثلةً موافقةً لما يقع في الوجود، وتارة تكون [أمثلة] لمعانٍ^(٢) معقولةٍ غير محسوسة، وفي الحالتين تكون مبشرة أو مُنذرة؛ قال ﷺ في «صحيح» مسلم وغيره: «رأيتُ سوداءَ نائرة الرأسِ تخرجُ من المدينة إلى مَهْبِعةٍ، فأولّتها الحُمى»^(٣). و«رأيتُ سيفي قد انقطع صدره، وبَقَرًا تُنَحِر. فأولّتهما: رجلٌ من أهل بيتي يُقتل، والبقرُ نَفَرٌ من أصحابي يُقتلون»^(٤). و«رأيتُ أني أدخلتُ يدي في درعِ حصينة؛ فأولّتها المدينة»^(٥). و«رأيت في يديّ سِوَارين؛ فأولّتهما كذّابين يخرجان بعدي»^(٦). إلى غير ذلك مما ضُربَتْ له الأمثال؛ ومنها ما يظهر معناه أولاً^(٧)، ومنها

(١) في أحكام القرآن ٣/ ١٠٦١، وما قبله وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٢) في (د): المعاني، وفي (ز): معاني، وفي (ظ) و(ف) و(م): لمعاني، والمثبت من المفهم ٧/٦ والكلام وما بين حاصرتين منه.

(٣) لم نقف عليه عند مسلم، وأخرجه أحمد (٥٨٤٩)، والبخاري (٧٠٣٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ومهبة: اسم الجحفة، وهي ميقات أهل الشام. النهاية (مهيع).

(٤) ذكر المصنف لفظ هذا الحديث والذي قبله نقلاً عن ابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ١٠٦٢ وقد أخرجه بمعناه البخاري (٣٦٢٢) ومسلم (٧٢٧٢) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ مطولاً. وأخرجه أحمد (١٣٨٢٥)، والبخاري (٢١٣١ - كشف) من حديث أنس ﷺ. وأخرجه أحمد (١٤٧٨٧) من حديث جابر ﷺ.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٦٢، وأخرجه مطولاً دون قوله: «أدخلت يدي» أحمد (٢٤٤٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، و(١٤٧٨٧) من حديث جابر ﷺ.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٦٢، وأخرجه بأطول مما هنا البخاري (٣٦٢١)، ومسلم (٢٢٧٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٧) بعدها في النسخ عدا (ظ): فأولاً، والمثبت من (ظ) وأحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٦٢، والكلام منه.

ما لا يظهر إلّا بعد الفِكر. وقد رأى النائم في زمن يوسف عليه السلام بقرّاً فأولّها يوسفُ السنين، ورأى أحدَ عشرَ كوكباً والشمسَ والقمرَ فأولّها بإخوته وأبويه.

السابعة: إن قيل: إنَّ يوسف عليه السلام كان صغيراً وقتَ رؤياه، والصغيرُ لا حُكْمَ لِفِعْلِهِ، فكيف تكون له رؤيا لها حُكْمٌ حتى يقول له أبوه: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾؟

فالجواب: أنَّ الرؤيا إدراكٌ حقيقةً على ما قدّمناه، فتكونُ من الصغير كما يكون منه الإدراكُ الحقيقيُّ في البقطة، وإذا أخبر عما رأى صدّق، فكذلك إذا أخبر عما يرى في المنام^(١). وقد أخبر الله سبحانه عن رؤياه وأنها وُجدت كما رأى، فلا اعتراض. روي أنَّ يوسف عليه السلام كان ابن اثنتي عشرة سنة^(٢).

الثامنة: هذه الآية أصلٌ في ألا تُقَصَّ الرؤيا على غير شفيقي ولا ناصح، ولا على مَنْ لا يُحسِّن التأويل فيها؛ روى أبو رَزين العُقيليُّ أنَّ النبي ﷺ قال: «الرؤيا جزءٌ من أربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا معلقةٌ برجلٍ طائرٍ ما لم يحدث بها صاحبُها، فإذا حدّث بها وقعت، فلا تُحدّثوا بها إلّا عاقلاً أو مُحبّاً أو ناصحاً» أخرجه الترمذي وقال فيه: حديثٌ حسنٌ صحيح، وأبو رَزين اسمه لَقِيط بنُ عامر^(٣).

وقيل لمالك: أيعبُرُ الرؤيا كلُّ أحد؟ فقال: أبا النبوة يُلعب؟ وقال مالك: لا يعبُرُ الرؤيا إلّا مَنْ يُحسِنُها، فإنْ رأى خيراً أخبر به، وإنْ رأى مكروهاً فليقل خيراً أو ليصمت. قيل: فهل يعبُرُها على الخير وهي عنده على المكروه لقول مَنْ قال: إنّها على ما أوّلت^(٤) عليه؟ فقال: لا! ثم قال: الرؤيا جزءٌ من النبوة فلا يُتَلَّعَب بالنبوة.

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٦٢ - ١٠٦٣.

(٢) عرائس المجالس ص ١١٢ عن ابن وهب.

(٣) سنن الترمذي (٢٢٧٨)، وأخرجه أحمد (١٦١٨٣)، وابن عبد البر في التمهيد ١/ ٢٨٣ واللفظ له.

(٤) في (د) و(ز) و(م): تأولت، وفي (ظ): تأول، وفي (ف): تويلت، والمثبت من التمهيد ١/ ٢٨٨، والكلام منه.

التاسعة: وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ مباحاً^(١) أن يُحذَر المسلم أخاه المسلم ممن يخافُه عليه، ولا يكون داخلاً في معنى الغيبة؛ لأنَّ يعقوبَ عليه السلام قد حذَّر يوسف أن يَقْصُ رؤياه على إخوته فيَكيدوا له كيداً.

وفيهما أيضاً ما يدلُّ على جواز ترك إظهار النعمة عند مَنْ تُخشى غائلته حسداً وكيداً؛ وقال النبي ﷺ: «استعينوا على حوائجكم بالكتمان؛ فإنَّ كلَّ ذي نعمة محسود»^(٢).

وفيهما أيضاً دليلٌ واضحٌ على معرفة يعقوبَ عليه السلام بتأويل الرؤيا؛ فإنَّه علم من تأويلها أنَّه سيظهرُ عليهم، ولم يبالِ بذلك من نفسه؛ فإنَّ الرجل يودُّ أن يكون ولده خيراً منه، والأخ لا يودُّ ذلك لأخيه^(٣).

ويدلُّ أيضاً على أنَّ يعقوبَ عليه السلام كان أحسنَّ من بنيه حسداً يوسف وبُغْضَتَه، فنهاه عن قَصَص الرؤيا عليهم خوفاً أنْ تَغْلَ بذلك صدورهم، فيعملوا الحيلة في هلاكه، ومن هنا ومن فَعَلهم بيوسف يدلُّ على أنَّهم كانوا غيرَ أنبياء في ذلك الوقت، ووقع في كتاب الطبري لابن زيد أنَّهم كانوا أنبياء، وهذا يرُدُّه القطعُ بعصمة الأنبياء عن الحسد الدنياوي، وعن عقوق الآباء، وتعرِضِ مؤمنٍ للهلاك، والتأمر في قتله^(٤)، ولا التفاتَ لقول مَنْ قال: إنَّهم كانوا أنبياء، ولا يستحيلُ في العقل زَلَّة نبيٍّ، إلَّا أنَّ هذه الزَلَّة قد جمعت أنواعاً من الكبائر، وقد أجمع المسلمون على عصمتهم

(١) في (ظ): على أنه يباح.

(٢) أحكام القرآن للكميا الطبري ٢٢٩/٣، والحديث أخرجه ابن حبان في روضة العقلاء ص ١٨٧، والسهمي في تاريخ جرجان ص ٢٢٣ من حديث أبي هريرة ر. روي الحديث أيضاً عن معاذ ر. كما في الضعفاء للعقيلي ١٠٨/٢، والكامل لابن عدي ٧٧٠/٢ - ٧٧١ - ٣/١٢٤٠، وأخبار أصبهان لأبي نعيم ٢١٧/٢ والموضوعات لابن الجوزي (٨٨٩) و(٨٩٠). وعن ابن عباس كما في المجروحين لابن حبان ٣٨٤/١ - ٣٨٥، والموضوعات (٨٩١) و(٨٩٢). قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٦٣.

(٤) المحرر الوجيز ٣/٢٢٠، وخبر ابن زيد في تفسير الطبري ١٣/١٣.

منها، وإنما اختلفوا في الصغائر على ما تقدّم ويأتي^(١).

العاشرة: روى البخاري^(٢) عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لم يبقَ من النبوة إلا المبشرات» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة». وهذا الحديث بظاهره يدلُّ على أنَّ الرؤيا بشرى على الإطلاق، وليس كذلك؛ فإنَّ الرؤيا الصادقة قد تكون منذرةً من قِبَل الله تعالى لا تَسُرُّ رائيها، وإنَّما يُريها الله تعالى المؤمنَ رفقا به ورحمة، ليستعدَّ لنزول البلاء قبل وقوعه^(٣)؛ فإنَّ أدرك تأويلها بنفسه، وإلا سأل عنها مَنْ له أهلية ذلك. وقد رأى الشافعي رحمه الله وهو بمصر رؤيا لأحمد بن حنبل تدلُّ على محتته، فكتبَ إليه بذلك ليستعدَّ لذلك^(٤).

وقد تقدّم في «يونس» في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: ٦٤] أنَّها الرؤيا الصالحة. وهذا وحديث البخاري مخرجه على الأغلب^(٥)، والله أعلم.

الحادية عشرة: روى البخاري^(٦) عن أبي سلمة قال: لقد كنتُ أرى الرؤيا فتُمِرُّضني، حتى سمعتُ أبا قتادة يقول: وأنا كنتُ لأرى الرؤيا فتُمِرُّضني حتى سمعتُ رسول الله يقول: «الرؤيا الحسنَةُ من الله؛ فإذا رأى أحدكم ما يحبُّ فلا يحدث به إلا مَنْ يحبُّ، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرِّها، وليتقلَّ ثلاثاً^(٧)، ولا يحدث بها أحداً، فإنَّها لن تضرَّه».

(١) تقدم ٤٥٩/١ - ٤٦٠، وسيأتي ص ٢٦٥ من هذا الجزء.

(٢) في صحيحه (٦٩٩٠).

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٧٥/١٢ - ٣٧٦ نحو هذا الكلام عن المهلب.

(٤) روى الخبر مطولاً ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص ٥٥١، والمقدسي في محنة الإمام أحمد ص ٨ - ١٠.

(٥) أي أن التعبير بالمبشرات والبشرى خرج على الأغلب. ينظر الفتح ٣٧٥/١٢.

(٦) في صحيحه (٧٠٤٤)، وهو عند أحمد (٢٢٦٤٤)، ومسلم (٢٢٦١): (٤).

(٧) في (م): ثلاث مرات.

قال علماؤنا: فجعل الله الاستعاذة منها ممّا يرفع أذاها؛ ألا ترى قول أبي سلمة^(١): «إني كنت لأرى الرؤيا هي أثقل عليّ من الجبل، فلمّا سمعتُ بهذا الحديث كنت لا أعُدّها شيئاً. وزاد مسلم^(٢) من حديث جابر عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليصُتْ عن يساره ثلاثاً، وليتعوّذ بالله من الشيطان ثلاثاً، وليتحوّل عن جنبه الذي كان عليه». وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصّل»^(٣).

قال علماؤنا: وهذا كلّهُ ليس بمتعارضٍ، وإنّما هذا الأمر بالتحوّل والصلاة زيادةٌ، فعلى الرائي أن يفعل الجميع، والقيامُ إلى الصلاة يشمل الجميع؛ لأنّه إذا صلى تضمّن فعله للصلاة جميع تلك الأمور؛ لأنّه إذا قام إلى الصلاة تحوّل عن جنبه، وإذا تمضمض نفث^(٤) وبصق، وإذا قام إلى الصلاة تعوّد ودعا وتضرّع لله تعالى في أن يكفيه شرّها في حالٍ هي أقرب الأحوال إجابةً، وذلك السحر من الليل.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ الكاف في موضع نصب؛ لأنّها نعتٌ لمصدرٍ محذوف، وكذلك الكاف في قوله: ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ و«ما» كافة^(٥).

(١) في النسخ الخطية: قول قتادة، وفي (م): قول أبي قتادة، والمثبت من صحيح البخاري (٥٧٤٧) وصحيح مسلم (٢٢٦١): (٢).

(٢) برقم (٢٢٦٢)، وهو عند أحمد (١٤٧٨٠).

(٣) أخرجه مطولاً أحمد (٧٦٢٢)، ومسلم (٢٢٦٣).

(٤) في (د) و(ظ) و(م): نقل، والمثبت من باقي النسخ والمفهم ١٩/٦، والكلام منه.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣١٤/٢، والتقدير في الكاف الأولى: ومثّل ذلك الاجتهاد العظيم يجتبيك. ويجوز فيها الرفع على خبر ابتداء مضمر، أي: الأمر كذلك. الدر المصون ٦/٤٤٠.

وقيل: «وَكَذَلِكَ» أي: كما أكرمك بالرؤيا فكذلك يجتبيك، ويُحسن إليك بتحقيق الرؤيا. مقاتل: بالسجود لك. الحسن: بالنبوة^(١).

والاجتباء: اختيارُ معالي الأمورِ للمجتبى، وأصله من جَبَيْتُ الشيء، أي: حصَلْتُهُ، ومنه: جَبَيْتُ الماءَ في الحوض؛ قاله النحاس^(٢). وهذا ثناءٌ من الله تعالى على يوسف عليه السلام، وتعييدٌ فيما عدده عليه من النعم التي آتاه الله تعالى، من التمكين في الأرض، وتعليم تأويل الأحاديث؛ وأجمعوا أنَّ ذلك في تأويل الرؤيا^(٣). قال عبد الله بن شدَّاد بن الهاد: كان تفسير رؤيا يوسف ﷺ بعد أربعين سنة، وذلك منتهى الرؤيا^(٤).

وعنى بالأحاديث ما يراه الناس في المنام، وهي معجزةٌ له؛ فإنه لم يَلْحَقْهُ فيها خطأ. وكان يوسف عليه السلام أعلم الناس بتأويلها، وكان نبينا ﷺ نحو ذلك، وكان الصديق ﷺ من أغبر الناس لها، وحصل لابن سيرين فيها التقدم العظيم، والطبع والإحسان، ونحوه أو قريب منه كان سعيد بن المسيب فيما ذكروا^(٥).

وقد قيل: في تأويل قوله: ﴿وَمَعْلُوكٌ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي: أحاديث الأمم والكتب ودلائل التوحيد^(٦)، فهو إشارةٌ إلى النبوة، وهو المقصودُ بقوله: ﴿وَيُؤْتِيهِمْ نَفْسَهُمْ عَلَيْكَ﴾ أي: بالنبوة. وقيل: بإحواج^(٧) إخوانك إليك. وقيل: بإنجائك من كلِّ مكروه.

(١) قول الحسن في النكت والعيون ٨/٣. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٨١/٤ عن ابن عباس.

(٢) في معاني القرآن ٣/٣٩٨.

(٣) التمهيد ١/٣١٣.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٩٧، وأخرجه ابن أبي شيبة ٨٢/١١، والطبري ١٣/٣٥٨.

(٥) التمهيد ١/٣١٤.

(٦) ذكر نحوه الزجاج في معاني القرآن ٣/٩٢.

(٧) في (ظ) و(م): بإخراج، وهو موافق لما ورد في المطبوع من النكت والعيون ٨/٣، والمثبت من باقي النسخ، وهو موافق لما في زاد المسير ١٨١/٤ وقد نقله ابن الجوزي عن الماوردي.

﴿كَمَا أَنتَهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِذْهُمْ﴾ بالخلة، وإنجائه من النار ﴿وَلِإِسْحَاقَ﴾ بالنبوة. وقيل: إنجائه^(١) من الذبح؛ قاله عكرمة^(٢). وأعلمه الله تعالى بقوله: ﴿وَوَدَّعَاكَ يَعْقُوبَ﴾ أنه سيعطي بني يعقوب كلهم النبوة؛ قاله جماعة من المفسرين^(٣). ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بما يعطيك ﴿حَكِيمٌ﴾ في فعله بك.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّالِّينَ﴾ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْتَانَا وَتَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْلُ لَكُمْ وَجَهٌ أَيْكُمُ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّالِّينَ﴾ يعني: مَنْ سأل عن حديثهم. وقرأ أهل مكة: ﴿آيَةً﴾ على التوحيد^(٤)؛ واختار أبو عبيد: «آيَات» على الجمع؛ قال: لأنها خير كثير. قال النحاس^(٥): «آيَةً» هنا قراءة حسنة، أي: لقد كان للذين سألوا عن خبر يوسف آية فيما خُبروا به؛ لأنهم سألوا النبي ﷺ وهو بمكة فقالوا: أخبرنا عن رجلٍ من الأنبياء كان بالشام أخرج ابنه إلى مصر، فبكى عليه حتى عمي - ولم يكن بمكة أحدٌ من أهل الكتاب، ولا مَنْ يعرفُ خبر الأنبياء؛ وإنما وجَّه اليهود إليه^(٦) من المدينة يسألونه عن هذا - فأنزل الله عزَّ وجلَّ سورة يوسف جملةً واحدة؛ فيها كلُّ ما في التوراة من خيرٍ وزيادة. فكانَ ذلك آيةً للنبي ﷺ؛ بمنزلة إحياء عيسى ابن مريم عليه السلام الميت.

(١) قوله: إنجائه، من (ظ).

(٢) أخرجه الطبري ١٦/١٣. وقد سلف التنبيه ٤٠٩/٢ على أن الصحيح هو أن الذبيح إسماعيل عليه السلام.

(٣) ينظر معاني القرآن للزجاج ٩٢/٣، والنكت والعيون ٨/٣، وتفسير البغوي ٤١٠/٢، والمحور الوجيز ٢٢١/٣.

(٤) هي قراءة ابن كثير المكي والباقون على الجمع. السبعة ص ٣٤٤، والتيسير ص ١٢٧.

(٥) في إعراب القرآن ٣١٤/٢، وما قبله منه، إلا أنه وقع فيه: عبر كثيرة، بدل: خير كثير.

(٦) في (ز) و(ف) و(م): إليهم، وليست في (د)، والمثبت من (ظ) وإعراب القرآن.

«آية»^(١): موعظة. وقيل: عبرة. ورُوي أنها في بعض المصاحف: «عبرة». وقيل: بصيرة^(٢). وقيل: عَجَب؛ تقول: فلان آية في العلم والحسن؛ أي: عَجَب.

قال الثعلبي في «تفسيره»: لَمَّا بَلَغَ الرَّؤْيَا إِخْوَةَ يَوْسُفَ حَسَدُوهُ؛ قال ابن زيد: كانوا أنبياء، وقالوا: ما يرضى أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه! فبَغَوْهُ بالعداوة. وقد تقدّم ردُّ هذا القول^(٣).

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ وأسماءهم: روبيل وهو أكبرهم، وشمعون ولاوى ويهوذا وزيالون ويشجر، وأمهم ليا بنت ليان، وهي بنت خال يعقوب، وولدت له من سُرِّيَّتَيْنِ أربعة نفر؛ دان ونفتالي وجاد وآشر، ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل، فولدت له يوسف وبنيامين، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً^(٤).

قال السهيلي^(٥): وأمُّ يعقوب اسمها رفقا، وراحيل ماتت في نفاس بنيامين، وليان بن ناهر بن آزر هو خال يعقوب.

وقيل في اسم الأمتين: ليا وتلتا، كانت إحداهما لراحيل، والأخرى لأختها ليا، وكانتا قد وهبتهما ليعقوب^(٦)، وكان يعقوب قد جمع بينهما، ولم يحل لأحد بعده^(٧)؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣]. وقد تقدّم الردُّ على ما قاله ابن زيد^(٨)، والحمد لله.

(١) في (م): آيات.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٩٢/٣، ومعاني القرآن للنحاس ٣٩٩/٣.

(٣) ص ٢٥٥ من هذا الجزء.

(٤) تفسير البغوي ٤١٠/٢ - ٤١١، ووقع فيه: آشر، بدل: يشجر. وأشير، بدل: آشر.

(٥) في التعريف والإعلام ص ٧٩ - ٨٠.

(٦) التعريف والإعلام ص ٨٢.

(٧) ينظر تفسير أبي الليث ١٥١/٢، وقد ذكر أبو الليث أن يعقوب جمع بين راحيل وأختها ليا، قال: وكان الناس يجمعون بين الأختين إلى أن بعث الله موسى عليه السلام.

(٨) قوله: وقد تقدم الرد... قد ذكره المصنف قبل، ولا محل له هنا.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ﴾ «يوسف» رفع بالابتداء؛ واللام للتأكيد، وهي التي يُتلقى بها القسم، أي: والله لَيُوسُفُ. ﴿وَأَخُوهُ﴾ عطف عليه. ﴿أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا﴾ خبره، ولا يثنى ولا يُجمع لأنه بمعنى الفعل^(١)؛ وإنما قالوا هذا لأنَّ خبر المنام بلغهم فتأمروا في كيده.

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة، وكانوا عشرة. والعُصْبَةُ ما بين الواحد إلى العشرة، وقيل: إلى الخمسة عشر. وقيل: ما بين الأربعين إلى العشرة. ولا واحد لها من لفظها، كالتنقير والرَّمْط^(٢).

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لم يريدوا ضلالَ الدين؛ إذ لو أرادوه لكانوا كفَّاراً، بل أرادوا: لفِي ذهابٍ عن وجه التدبير، في إيثارة اثنين على عشرة مع استوائهم في الانتساب إليه. وقيل: لفِي خطأ بين بإيثارة يوسف وأخاه علينا^(٣).

قوله تعالى: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ في الكلام حذف، أي: قال قائلٌ منهم: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ ليكون أحسمَ لمادة الأمر. ﴿أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي: في أرض، فأسقط الخافض، وانتصب الأرض؛ وأنشد سيبويه^(٤) فيما حذف منه «في»:

لَذَنْ بِهَرِّ الْكَفِّ يَغْسِلُ مَثْنُهُ فيه كما عَسَلَ الطَّرِيقُ الثَّغْلَبُ^(٥)

قال النحاس^(٦): إلاَّ أَنَّهُ في الآية حَسَنٌ كثير؛ لأنه يتعدَّى إلى مفعولين؛ أحدهما بحرف، فإذا حذفت الحرف تعدَّى الفعل إليه.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣١٥/٢.

(٢) تفسير البغوي ٤١١/٢.

(٣) تفسير البغوي ٤١١/٢. قال الألوسي ١٩٠/١٢: والذي ينبغي أن يعوَّل عليه أنه عليه السلام إنما أحبه أكثر منهم لما رأى فيه من مخايل الخير ما لم يَرِ فيهم، وزاد ذلك الحب بعد الرؤيا لتأكيدهما تلك الأمارات عنده.

(٤) في الكتاب ٣٦/١ و ٢١٤.

(٥) أي: في الطريق، والبيت لساعدة بن جؤية، وهو في شرح ديوان الهذليين ١١٢٠/٣، وسلف ١٧٢/٩.

(٦) في إعراب القرآن ٣١٥/٢، وما قبله منه.

والقاتل قيل: هو شمعون؛ قاله وهب بن منبه. وقال كعب الأحبار: دان. وقال مقاتل: روبيل^(١). فالله أعلم. والمعنى: أرضاً تبعد عن أبيه. فلا بد من هذا الإضمار؛ لأنه كان عند أبيه في أرض^(٢).

﴿يَحْلُكُمُ جَزْمٌ﴾؛ لأنه جواب الأمر؛ معناه: يخلص ويصفو ﴿لَكُمْ وَجْهٌ أَيْكُمْ﴾ فيقبل عليكم بكليته ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد الذنب، وقيل: من بعد يوسف ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ أي: تائبين، أي: تحدثوا توبةً بعد ذلك فيقبلها الله منكم^(٣)؛ وفي هذا دليل على أن توبة القاتل مقبولة، لأن الله تعالى لم ينكر هذا القول منهم. وقيل: «صَالِحِينَ» أي: يصلح شأنكم عند أبيكم من غير أثر ولا تفضيل^(٤).

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿١٥﴾

فيه ثلاث عشرة مسألة:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ القائل هو يهوذا، وهو أكبر ولد يعقوب؛ قاله ابن عباس^(٥). وقيل: روبيل، وهو ابن خالته، وهو الذي قال: ﴿فَلَنَ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ الآية [يوسف: ٨٠]. وقيل: شمعون^(٦).

﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ قرأ أهل مكة وأهل البصرة وأهل الكوفة: ﴿فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾. وقرأ أهل المدينة: ﴿فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ﴾^(٧) واختار أبو عبيد التوحيد؛ لأنه

(١) ذكر أفوالهم البخوي ٤١١/٢.

(٢) ينظر معاني القرآن للزجاج ٩٣/٣، وللنحاس ٣٩٩/٣ - ٤٠٠.

(٣) الوسيط ٦٠١/٢، وقد ذكره الواحدي عن ابن عباس.

(٤) النكت والعيون ١١/٣.

(٥) ذكره ابن الجوزي ١٨٤/٤ من طريق أبي صالح عنه.

(٦) أخرج القولين الأخيرين الطبري ٢٠/١٣ - ٢١؛ الأول عن قتادة وابن إسحاق، والثاني عن مجاهد.

(٧) وهي قراءة نافع وأبي جعفر. السبعة ص ٣٤٥، والتيسير ص ١٢٧، والنشر ٢/٢٩٣.

على موضع واحد الْقَوْه فيه، وأنكر الجمع لهذا. قال النحاس^(١): وهذا تضيق في اللغة، «وغيابات» على الجمع يجوز [من وجهين]: حكى سيبويه: سِيرَ عليه عُشَيَّانَتِ وَأَصْيَلَانَتِ، يريد: عُشَيَّةً وَأَصْيَلًا، فجعل كلَّ وقتٍ منها عُشَيَّةً وَأَصْيَلًا^(٢). فكذا جُعل كلُّ موضعٍ مما يُغَيَّبُ غَيَابَةً. والآخر: أن يكون في الجبِّ غَيَابَاتٌ جماعة. ويقال: غاب يَغِيْبُ^(٣) غَيْبًا وَغَيَابَةً وَغَيَابًا؛ كما قال الشاعر:

أَلَا فَالْبَشَا شَهْرَيْنِ أَوْ نَصْفَ ثَالِثٍ إِلَى ذَاكُمَا مَا^(٤) غَيَّبْتَنِي غَيَابِيَا^(٥)
قال الهروي^(٦): والغَيَابَةُ شبه لَجْفٍ^(٧)، أو طاقٌ في البئر فَوَيْقَ الماء، يَغِيْبُ الشيء عن العين. وقال ابن عُزَيْرٍ^(٨): كلُّ شيء غَيَّبَ عنك شيئاً فهو غَيَابَةٌ. قلت: ومنه قيل: للقبور: غَيَابَةٌ^(٩)؛ قال الشاعر:

فإِنْ أَنَا يَوْمًا غَيَّبْتَنِي غَيَابَتِي فَسَيِّرُوا بِسَيْرِي فِي الْعَشِيرَةِ وَالْأَهْلِ^(١٠)
والجُبُّ: الرِّكِيَّةُ التي لم تُطَوَّ، فإذا طُوِيَتْ فهي بئر^(١١)؛ قال الأعشى^(١٢):

(١) في إعراب القرآن ٣١٥/٢، وما قبله وما سird بين حاصرتين منه.

(٢) الكتاب ٤٨٤/٣. قال سيبويه: قالوا: عُشَيَّانَتِ، كأنهم سمَّوا كلَّ جزءٍ منه عشيَّةً.

(٣) من قوله: غَيَابَةٌ وَالْآخَرُ...، إلى هذا الموضع من (م) وإعراب القرآن.

(٤) في (م): أَنَا ذَاكُمَا قَدْ، وفي باقي النسخ: إِلَى ذَاكُمَا قَدْ، والمثبت من إعراب القرآن وباقي المصادر على ما يَأْتِي.

(٥) قائله ابن أحمر، كما في معاني القرآن للأخفش ١٨٧/١، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٣٧٧/٢ وأمالى ابن السجري ٧٥/٣، وهو بلا نسبة في المحتسب ٢٢٧/٢، والخزانة ٧١/١١.

قال المرزوقي: أراد بالغياب: الغَيَابَةُ؛ لذلك أَثَّه. اهـ أي: أَثَّه الفعل غيبتني.

(٦) في (ظ): المهدوي.

(٧) حفر في جانب البئر. القاموس (لجف).

(٨) في شرح غريب القرآن ص ٣٤٣.

(٩) ينظر الوسيط ٦٠١/٢ - ٦٠٢، واللسان (غيب).

(١٠) قائله المنخَّل بن سُبَيْح العنبري، كما في مجاز القرآن ٣٠٢/١، وزاد المسير ١٨٥/٤. وهو في معاني القرآن للزجاج ٩٤/٣ برواية: غيبتني منيتي.

(١١) تفسير الغريب لابن عزيز ص ١٩٤. والركيَّة: البئر. القاموس (ركو). وفي اللسان (طوي): طوى الركبة طيًّا: عرشها بالحجارة والأجر.

(١٢) في ديوانه ص ١٧٣.

لئن كنتَ في جبٍّ ثمانينَ قامَةً ورُقُيتَ أسبابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ
وسُمِّيتَ جُبًّا لأنها قُطِعتْ في الأرضَ قَطْعاً. وجمْعُ الجبِّ: جِبَّةٌ وجِبَابٌ
وأجبابٌ^(١).

وجَمَعَ بين الغَيابة والجُبِّ؛ لأنه أراد: ألقوه في موضعٍ مظلمٍ من الجُبِّ حتى لا
يلحقه نظرُ الناظرين. قيل: هو بئرُ بيت المقدس^(٢). وقيل: هو بالأرْدُنِّ؛ قاله وهب بن
منبّه. مقاتل: هو على ثلاثةِ فراسخٍ من منزلِ يعقوب^(٣).

الثانية: قوله تعالى: ﴿يَلْقَظُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ جزم على جواب الأمر. وقرأ مجاهد
وأبو رجاء والحسن وقتادة: «تَلْقَظُهُ» بالتاء^(٤). وهذا محمولٌ على المعنى؛ لأنَّ بعض
السَّيَّارة سَيَّارة، وحكى سيويه: سقطت بعضُ أصابعه، وأنشد:

وتَشْرِقَ بالقول الذي قد أذغته كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ من الدِّمِّ^(٥)
وقال آخر:

أَرَى مَرَّ السَّنِينِ أَخَذَنَ مَنِّي كما أَخَذَ السَّرَارُ من الهلالِ^(٦)
ولم يقل: شَرِقَ ولا أَخَذَتْ.

والسَّيَّارة: الجمعُ الذين يسرون في الطريق للسَّفر؛ وإنما قال هذا القائلُ هذا

(١) تهذيب اللغة ٥١١/١٠.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٣١٨/١، والطبري ٢١/١٣ - ٢٢، وذكره الواحدي في الوسيط ٦٠٢/٢.

(٣) الوسيط ٦٠٢/٢.

(٤) القراءات الشاذة ص ٦٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣١٦/٢ والكلام منه.

(٥) الكتاب ٥٢/١، والبيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ١٧٣. وقوله: وتشرق، بالفتح، معطوف على ما قبله.
يخاطب به يزيد بن مُسهر الشيباني فيقول: يعود عليك مكروه ما أذعت عني من القول، ونسبته إلي من
القيح، والشَّرِقَ بالماء كالغصص بالطعام. والشاهد فيه تأنيث فعل الصدر وهو مذكّر؛ لأنه مضاف إلى
مؤنث. شرح الشواهد للشتمري ص ٨٠.

(٦) البيت لجرير، وهو في ديوانه بشرح محمد بن حبيب ٥٤٦/٢ برواية: رأت مرَّ السنين. قال شارح
الديوان: أراد: رأت السنين، والسَّرَارَ ليلتان تبقيان من الشهر إذا كان تأمًا، وإذا كان ناقصًا كان سراه
ليلة. اهـ. وفي اللسان (سرر): استسرَّ الهلال في آخر الشهر: خفي.

حتى لا يحتاجوا إلى حملة إلى موضع بعيد، ويحصل المقصود؛ فإنَّ مَنْ التقطه من السيارة يحمله إلى موضع بعيد، وكان هذا وجهاً في التدبير حتى لا يحتاجوا إلى الحركة بأنفسهم، فربَّما لا يأذن لهم أبوهم، وربما يطلع على قُضدهم.

الثالثة: وفي هذا ما يدلُّ على أنَّ إخوة يوسف ما كانوا أنبياء أولاً ولا آخرًا^(١)؛ لأنَّ الأنبياء لا يدبِّرون في قتل مسلم، بل كانوا مسلمين، فارتكبوا معصية ثم تابوا. وقيل: كانوا أنبياء، ولا يستحيل في العقل زلَّة نبيٍّ، فكانت هذه زلَّةً منهم. وهذا يرُدُّه أنَّ الأنبياء معصومون من الكبائر على ما قدَّمناه^(٢). وقيل: ما كانوا في ذلك الوقت أنبياء ثم نبَّأهم الله^(٣)، وهذا أشبه، والله أعلم.

الرابعة: قال ابن وَهَب: قال مالك: طُرح يوسف في الجُبِّ وهو غلام. وكذلك روى ابن القاسم عنه، يعني أنَّه كان صغيراً، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ قال: ولا يُلتَقَط إلا الصغير، وقوله: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ وذلك أمرٌ يختصُّ بالصغار^(٤)، وقولهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا خَدًّا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

الخامسة: الالتقاط: تناوُل الشيء من الطريق، ومنه اللَّقِيط واللُّقْطَة، ونحن نذكر من أحكامها ما دلَّت عليه الآية والسُّنة، وما قال في ذلك أهل العلم واللغة.

قال ابن عرفة: الالتقاط وجود الشيء على غير طَلَب، ومنه قوله تعالى: ﴿يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ أي: يجده من غير أن يحتسبه.

(١) في (ف) و(م): لا أولاً ولا آخرًا.

(٢) ٤٥٩/١ - ٤٦٠ و ص ٢٥٥ من هذا الجزء.

(٣) ذكره البغوي ٤١٢/٢ عن أبي عمرو بن العلاء. قال ابن كثير عند تفسير الآية السابعة من هذه السورة: اعلم أنه لم يَقم دليل على نبوة إخوة يوسف... ومن الناس مَنْ يزعم أنهم أوحى إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر، ويحتاج مدَّعي ذلك إلى دليل... الخ وينظر تمة قوله هناك.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٥/٣ - ١٠٦٦.

وقد اختلف العلماء في اللَّقِيط؛ فقيل: أصله الحرية؛ لَعَلَّبة الأحرار على العبيد. ورُوي عن الحسن بن عليٍّ أَنه قضى بأنَّ اللَّقِيط حُرٌّ، وتلا: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾. وإلى هذا ذهب أشهب صاحبُ مالك، وهو قولُ عمر بن الخطاب، وكذلك يُروى عن عليٍّ وجماعة. وقال إبراهيم النَّخعي: إنَّ نوى رِقَّه فهو مملوك، وإنَّ نوى الحِسْبَةَ فهو حرٌّ^(١).

وقال مالك في «موطئه»^(٢): الأمرُ عندنا في المنبوذ أَنه حرٌّ، وأنَّ ولاءه لجماعة المسلمين، هم يرثونه ويعقلون عنه. وبه قال الشافعيُّ؛ واحتجَّ بقوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّما الوَلَاءُ لمن أعتق»^(٣) قال: فنَقَى الوَلَاءُ عن غير المعتق.

واتفق مالكٌ والشافعيُّ وأصحابهما على أنَّ اللَّقِيط لا يُوالي أحداً، ولا يرثه أحدٌ بالوَلَاءِ. وقال أبو حنيفة وأصحابه وأكثر الكوفيين: اللَّقِيط يوالي مَنْ شاء، فَمَنْ والاه فهو يرثه ويعقل عنه. وعند أبي حنيفة: له أن يتنقل بولائه حيث شاء، ما لم يعقل عنه الذي والاه، فإنَّ عَقْلَ عنه جناية، لم يكن له أن يتنقل عنه بولائه أبداً^(٤).

وذكر أبو بكر بنُ أبي شيبة^(٥) عن عليٍّ ؑ: المنبوذ حرٌّ، فإنَّ أحبَّ أن يوالي الذي التقطه والاه، وإنَّ أحبَّ أن يوالي غيره والاه. ونحوه عن عطاء^(٦)، وهو قولُ ابنِ شهابٍ وطائفةٍ من أهل المدينة^(٧)، وهو حرٌّ.

قال ابن العربي^(٨): إنما كان أصل اللَّقِيط الحرِّيَّة؛ لَعَلَّبة الأحرار على العبيد،

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٦/٣ عدا قول أشهب، وذكر قوله ابن عبد البر في الاستذكار ١٥٦/٢٢، وقول عمر أخرجه مالك في الموطأ ٧٣٨/٢، وقول علي سبرد قريباً.

(٢) ٧٣٨/٢ (٢)

(٣) الاستذكار ١٥٨/٢٢، والحديث سلف ٢٤٧/٨.

(٤) الاستذكار ١٥٨/٢٢.

(٥) في مصنفه ٤٠٦/١١.

(٦) المصنف ٤٠٧/١١.

(٧) الاستذكار ١٥٩/٢٢.

(٨) في أحكام القرآن ١٠٦٧/٣ - ١٠٦٨.

فيَقْضَى^(١) بالغالب، كما حُكِمَ أنه مسلم أخذاً بالغالب؛ فإن كان في قرية فيها نصارى ومسلمون؛ قال ابن القاسم: يُحْكَمُ بالأغلب، فإن وُجِدَ عليه زيُّ اليهود فهو يهوديٌّ، وإن وُجِدَ عليه زيُّ النصارى فهو نصرانيٌّ. وإلاَّ فهو مسلم، إلاَّ أن يكون أكثرُ أهلِ القرية على غير الإسلام^(٢). وقال غيره: لو لم يكن فيها إلا مسلمٌ واحدٌ قُضِيَ لِلْقَيْطِ بالإسلام، تغليباً لحكم الإسلام الذي يعلو ولا يُعْلَى عليه^(٣)، وهو مقتضى قولٍ أشهب؛ قال أشهب: هو مسلم أبداً؛ لأنِّي أجعله مسلماً على كلِّ حال، كما أجعله حرّاً على كلِّ حال^(٤).

واختلف الفقهاء في المنبوذ تشهد البيّنة أنه عبد؛ فقالت طائفةٌ من أهل المدينة: لا يُقْبَلُ قولها في ذلك. وإلى هذا ذهب أشهب؛ لقول عمر: هو حرٌّ. ومن قضى بحرّيته^(٥) لم يقبل البيّنة في أنه عبد. وقال ابن القاسم: تُقْبَلُ البيّنة في ذلك. وهو قولُ الشافعيِّ والكوفيِّ^(٦).

السادسة: قال مالك في اللقيط: إذا أنفق عليه الملتقيط، ثم أقام رجلٌ البيّنة أنه ابنه، فإنَّ الملتقيط يرجع على الأب إن كان طَرَحَهُ متعمداً، وإن لم يكن طَرَحَهُ ولكنه ضلَّ منه فلا شيءَ على الأب، والملتقيط متطوِّعٌ بالنفقة. وقال أبو حنيفة: إذا أنفق على اللَّقَيْطِ فهو متطوِّعٌ، إلاَّ أن يأمره الحاكم. وقال الأوزاعي: كلُّ مَنْ أنفق على مَنْ لا تجب [له] عليه نفقة؛ رَجَعَ بما أنفق^(٧).

وقال الشافعيُّ: إن لم يكن لِلْقَيْطِ مالٌ وجبت نفقته في بيت المال، فإن لم يكن

(١) في النسخ: فقضى والمثبت من أحكام القرآن.

(٢) الاستذكار ١٥٧/٢٢.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٨/٣.

(٤) الاستذكار ١٥٧/٢٢.

(٥) في المطبوع من الاستذكار ١٥٦/٢٢ (والكلام منه): ومن قضى بحديثه.

(٦) في الاستذكار: والكوفيين.

(٧) التمهيد ١٢٨/٣ - ١٢٩، وما سلف بين حاصرتين منه.

ففيه قولان: أحدهما: يُستقرض له في ذمته. والثاني: يقسّط على المسلمين من غير عَوْض^(١).

السابعة: وأمّا اللَّقْطَةُ والضَّوَالُّ فقد اختلف العلماء في حكمهما؛ فقالت طائفة من أهل العلم: اللَّقْطَةُ والضَّوَالُّ سواء في المعنى، والحكمُ فيهما سواء. وإلى هذا ذهب أبو جعفر الطحاوي، وأنكر قول أبي عبيد القاسم بن سلام - إنَّ الضَّالَّةَ لا تكون إلا في الحيوان، واللَّقْطَةُ في غير الحيوان - وقال: هذا غلط؛ واحتجَّ بقوله ﷺ في حديث الإفك للمسلمين: «إِنَّ أَمَّكُمْ ضَلَّتْ قِلَادَتَهَا» فأطلق ذلك على القِلادة^(٢).

الثامنة: أجمع العلماء على أَنَّ اللَّقْطَةَ ما لم تكن تافهاً يسيراً، أو شيئاً لا بقاء له^(٣)، فإنَّها تُعرَّفُ حولاً كاملاً. وأجمعوا أَنَّ صاحبها إنَّ جاء فهو أحقُّ بها من مُلتَقِطِها إذا ثبت له أنه صاحبها. وأجمعوا أَنَّ ملتَقِطَها إنَّ أكلها بعد الحول وأراد صاحبها أن يضمَّنه فإنَّ ذلك له، وإن تصدَّق بها فصاحبها مخير بين التضمين، وبين أن ينزل على أجرها، فأَيُّ ذلك تَخَيَّرَ كان ذلك له بإجماع؛ ولا تنطلق يدُ ملتَقِطِها عليها بصدقة، ولا تُصرفُ قبل الحول. وأجمعوا أَنَّ [أَخِذَ] ضَالَّةَ الغنم [في الموضع] المخوفِ عليها له أكلها.

التاسعة: واختلف الفقهاء في الأفضل من تَرْكِها أو أخذها؛ فمن ذلك أَنَّ في الحديث دليلاً على إباحة التقاط اللَّقْطَةِ وأَخِذِ الضَّالَّةِ ما لم تكن إبلاً. وقال في الشاة: «لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ» يحضُّه على أخذها، ولم يقل في شيء: دعوه حتى يضيع

(١) التنبيه للشيرازي ص ١٣٤ .

(٢) التمهيد ١١١/٣ - ١١٢ ، والاستذكار ٣٣٣/٢٢ - ٣٣٤ ، وقول الطحاوي في شرح معاني الآثار ١٣٩/٤ ، والحديث بهذا اللفظ أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ١١١/١ . وحديث الإفك أخرجه مطولاً البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠) دون اللفظ المذكور، وينظر ما ورد من أحاديث في قصة إضاعة عائشة رضي الله عنها قِلادتها فيما سلف ٣٥٤/٦ - ٣٥٧ .

(٣) في النسخ: لها، والمثبت من التمهيد ١٠٧/٣ ، والاستذكار ٣٢٩/٢٢ ، والكلام وما سيرد بين حاصرتين منهما.

أو يأتيه ربُّه. ولو كان تركُ اللَّقْطَةِ أَفْضَلَ لِأَمْرِ به رسول الله ﷺ كما قال في ضالَّة الإبل، والله أعلم^(١).

وجملة مذهب أصحاب مالك أنه في سَعَةِ؛ إن شاء أَخَذَهَا، وإن شاء تركها؛ هذا قولُ إسماعيل بن إسحاق رحمه الله.

وقال المُرْزُئِيُّ عن الشافعي: لا أَحَبُّ لِأَحَدٍ تَرَكَ لَقْطَةً إن وجدها؛ إذا كان أميناً عليها، قال: وسواءٌ قَلِيلُ اللَّقْطَةِ وكَثِيرُهَا^(٢).

العاشرة: روى الأئمة؛ مالكٌ وغيره عن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فسأله عن اللَّقْطَةِ، فقال: «اعْرِفْ عِفَاصَهَا ووَكَاءَهَا، ثم عَرَفْهَا سَنَةً، فإن جاء صاحبُها، وإلا فشأنك بها». قال: فضالَّةُ الغنم يا رسول الله؟ قال: «لَكَ أو لِأَخِيكَ أو لِلذَّئِبِ». قال: فضالَّةُ الإبل؟ قال: «مَا لَكَ وَلَهَا؟! معها سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا، تَرُدُّ الْمَاءَ وتَأْكُلُ الشَّجَرَ حتى يَلْقَاهَا رَبُّهَا»^(٣).

وفي حديث أبيّ قال: «احْفَظْ عَدَدَهَا وَوِعَاءَهَا وَوَكَاءَهَا، فإن جاء صاحبُها، وإلا فاستمتع بها». ففي هذا الحديث زيادةُ العدد؛ خَرَّجَهُ مسلم وغيره^(٤).

وأجمع العلماء أنَّ عِفَاصَ اللَّقْطَةِ وَوَكَاءَهَا من إحدى علاماتها وأدَّلُهَا عَلَيْهَا^(٥)، فإذا أتى صاحب اللَّقْطَةِ بجميع أوصافها دُفِعَتْ له؛ قال ابن القاسم: يُجَبَّرُ عَلَى دَفْعِهَا، فإن جاء مُسْتَحَقٌّ يَسْتَحِقُّهَا بَيِّنَةٌ أَنَّهَا كَانَتْ لَهُ، لَمْ يَضْمَنْ الْمَلْتَقِطُ شَيْئاً^(٦). وهل

(١) التمهيد ١٠٨/٣، وسيأتي حديث ضالة الإبل وضالة الغنم في المسألة التالية.

(٢) التمهيد ١٠٩/٣ و ١١٠.

(٣) الموطأ ٧٥٧/٢، ومن طريق مالك أخرجه البخاري (٢٤٢٩)، ومسلم (١٧٢٢): (١)، وأخرجه بنحوه من غير طريق مالك أحمد (١٧٠٥٠). والعفاص: الوعاء الذي تكون فيه النفقة، من جلد أو خرقة أو غير ذلك. والوكاء: الخيط الذي تشد به الصرة والكيس. النهاية (عفاص) و(وكاء).

(٤) صحيح مسلم (١٧٢٣)، وهو عند أحمد (٢١١٦٦).

(٥) التمهيد ١٠٧/٣.

(٦) التمهيد ١٢٠/٣، والاستذكار ٣٣٩/٢٢.

يُخَلَّفُ مع الأوصاف أو لا؟ قولان: الأول لأشهب، والثاني لابن القاسم. ولا تلزمه بيئته عند مالك وأصحابه وأحمد بن حنبل وغيرهم^(١).

وقال أبو حنيفة والشافعي: لا تُدفع له إلا إذا أقام بيئته أنها له. وهو بخلاف نص الحديث، ولو كانت البيئته شرطاً في الدفع لما كان لذكر العفاص والوكاء والعَدَد معنى؛ فإنه يستحقها بالبيئته على كل حال، ولما جاز سكوت النبي ﷺ عن ذلك، فإنه تأخير البيان عن وقت الحاجة^(٢). والله أعلم.

الحادية عشرة: نص الحديث على الإبل والغنم وبيّن حكمهما، وسكت عما عداهما من الحيوان. وقد اختلف علماؤنا في البقر؛ هل تُلحق بالإبل أو بالغنم؟ قولان. وكذلك اختلف أئمتنا في التقاط الخيل والبغال والحمير، وظاهر قول ابن القاسم أنها تلتقط، وقال أشهب وابن كنانة: لا تلتقط^(٣). وقول ابن القاسم أصح؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «احْفَظْ على أخيك المؤمن ضالته»^(٤).

الثانية عشرة: واختلف العلماء في النفقة على الضوال؛ فقال مالك فيما ذكر عنه ابن القاسم: إن أنفق الملتقط على الدواب والإبل وغيرها فله أن يرجع على صاحبها بالنفقة، وسواء أنفق عليها بأمر السلطان أو بغير أمره، قال: وله أن يحبس بالنفقة ما أنفق عليه، ويكون أحق به كالرهن. وقال الشافعي: إذا أنفق على الضوال من أخذها فهو متطوع؛ حكاه عنه الربيع. وقال المزيني عنه: إذا أمره الحاكم بالنفقة كانت ديناً، وما ادّعى قبل منه إذا كان مثله قُضداً. وقال أبو حنيفة: إذا أنفق على اللقطة والآبق^(٥)

(١) المفهم ١٨٣/٥ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) المفهم ١٩٠/٥ .

(٤) قطعة من حديث أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ١٣٥/٤ - ١٣٦ ، والبيهقي ١٥٣/٤ . برواية: أحبس، بدل: احفظ. قال الطحاوي: ففي هذا الحديث إباحة أخذ الضوال التي قد يخاف عليها الضياع، وحبسها له (أي لصاحبها).

(٥) في (د) و(م): والإبل، وفي (ز) و(ظ) و(ف): والابن، والمثبت من مختصر اختلاف العلماء للجصاص ٣٤٩/٤ ، والتمهيد ١٢٩/٣ والكلام منه، وما سيرد بين حاصرتين منها.

بغير أمر القاضي فهو متطوِّع، وإن أنفق بأمر القاضي فذلك دَيْنٌ على صاحبها إذا جاء، وله أن يحبسها [بالنفقة] إذا حضر صاحبها، والنفقة عليها ثلاثة أيام ونحوها، حتى يأمر القاضي ببيع الشاة وما أشبهها ويقضي بالنفقة.

الثالثة عشرة: ليس في قوله ﷺ في اللَّقْطَةِ بعد التعريف: «فاسْتَمْتِعْ بِهَا»^(١) أو: «فَشَأْنُكَ بِهَا»^(٢) أو: «فَهِيَ لَكَ»^(٣) أو: «فاسْتَنْفِقْهَا»^(٤) أو: «ثُمَّ كُلْهَا»^(٥) أو: «فَهُوَ مَالُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»^(٦) على ما في «صحيح» مسلم وغيره، ما يدلُّ على التملك وسقوط الضَّمان عن الملتقط إذا جاء ربُّها، فإنَّ في حديث زيد بن خالد الجهنيِّ عن النبيِّ ﷺ: «فَإِنْ لَمْ تَعْرِفْ، فاسْتَنْفِقْهَا وَلْتَكُنْ وَدِيعَةً عِنْدَكَ، فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَأَدَّهَا إِلَيْهِ»^(٧) في رواية: «ثُمَّ كُلْهَا»، فإن جاء صاحبها فأدَّها إليه «خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ»^(٨).

وأجمع العلماء على أنَّ صاحبها متى جاء فهو أحقُّ بها، إلَّا ما ذهب إليه داود من أنَّ المَلْتَقِطَ يملك اللَّقْطَةَ بعد التعريف؛ لتلك الظواهر. ولا التفات لقوله؛ لمخالفة^(٩) الناس، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «فَأَدَّهَا إِلَيْهِ»^(١٠).

(١) سلف في المسألة العاشرة من حديث أبي ﷺ.

(٢) سلف في المسألة العاشرة من حديث زيد بن خالد الجهني ﷺ.

(٣) أخرج هذه الرواية أحمد (١٧٠٣٧)، ومسلم (١٧٢٢): (٦).

(٤) أخرجها أحمد (١٧٠٦٠)، والبخاري (٢٤٢٧)، ومسلم (١٧٢٢): (٣) و(٥).

(٥) أخرجها أحمد (٢١٦٨٦)، ومسلم (١٧٢٢): (٧)، وجميع هذه الروايات من حديث زيد بن خالد الجهني ﷺ.

(٦) أخرجه أحمد (١٧٤٨١)، وأبو داود (١٧٠٩)، والنسائي في الكبرى (٥٧٧٦)، وابن ماجه (٢٥٠٥) من حديث عياض بن حمار.

(٧) أخرجه بهذا اللفظ مسلم (١٧٢٢): (٥)، وينحوه البخاري (٢٤٢٨).

(٨) صحيح البخاري (٩١)، وصحيح مسلم (١٧٢٢): (٧)، وهو عند أحمد (٢١٦٨٦) وقد سلف تخريجه في بداية هذه المسألة، ووقع عند البخاري: استمتع بها، بدل: ثم كلها.

(٩) في (ظ): لمخالفته.

(١٠) المفهم ١٨٧/٥ - ١٨٨.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَتَابَاكَ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصَحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَتَابَاكَ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ قيل للحسن: أَيْحَسُدُ الْمُؤْمِنُ؟ قال: ما أَنَسَاكَ بَنِي يَعْقُوبَ^(١) ولهذا قيل: الأَبُ جَلَّاب، والأَخُ سَلَّاب^(٢).

فعند ذلك أجمعوا على التفريق بينه وبين ولده بضرب من الاحتيال، وقالوا ليعقوب: ﴿يَتَابَاكَ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾. وقيل: لَمَّا تَفَاوَضُوا وَافْتَرَقُوا عَلَى رَأْيِ الْمُتَكَلِّمِ الثَّانِي، عَادُوا إِلَى يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالُوا هَذَا الْقَوْلُ. وفيه دليلٌ على أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمْ يُوسُفُ فَأَبَى، عَلَى مَا يَأْتِي.

قرأ يزيدُ بْنُ الْقَعْقَاعِ وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ وَالزُّهْرِيُّ: «لَا تَأْمَنَّا» بِالْإِدْغَامِ وَبِغَيْرِ إِشْمَامٍ، وَهُوَ الْقِيَاسُ؛ لِأَنَّ سَبِيلَ مَا يُدْغَمُ أَنْ يَكُونَ سَاكِنًا.

وقرأ طلحةُ بْنُ مُصَرِّفٍ: «لَا تَأْمَنَّا» بِنَوْنَيْنِ ظَاهِرَتَيْنِ عَلَى الْأَصْلِ.

وقرأ يحيى بْنُ وَثَّابٍ وَأَبُو رَزِينٍ - وَرَوَى عَنِ الْأَعْمَشِ -: «لَا تَيْمَنَّا» بِكسْرِ التَّاءِ، وَهِيَ لُغَةٌ تَمِيمٌ؛ يَقُولُونَ: أَنْتَ تَضْرِبُ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ^(٣).

وقرأ سائر الناسِ بِالْإِدْغَامِ وَالْإِشْمَامِ، لِيَدُلَّ عَلَى حَالِ الْحَرْفِ قَبْلَ إِدْغَامِهِ^(٤).

﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصَحُونَ﴾ أَي: فِي حِفْظِهِ وَحَيْطَتِهِ حَتَّى نَرُدَّهُ إِلَيْكَ^(٥). قال مقاتل: فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَذَلِكَ أَنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ قَالُوا لِأَبِيهِمْ: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ الْآيَةَ، فَحِينَئِذٍ قَالَ أَبُوهُمْ: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ فَقَالُوا حِينَئِذٍ جَوَابًا لِقَوْلِهِ: ﴿مَا لَكَ

(١) أخرجه هناد في الزهد (١٣٩٤)، وابن حبان في روضة العقلاء ص ١٣٦.

(٢) عرائس المجالس ص ١١٤.

(٣) ٢٢٦/١ و ٢٩٧/٩.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣١٦/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٩٤/٣، ومعاني القرآن للفره ٣٨/٢، ومختصر شواذ القرآن ص ٦٢، والمححر الوجيز ٢٢٣/٣.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/١٣.

لَا قَامَتًا عَلَى يُوسُفَ ﴿١﴾ الْآيَةُ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إِلَى الصَّحْرَاءِ ﴿يَزْتَعِ وَيَلْعَبُ﴾.
 «غداً» ظرفٌ، والأصلُ عند سيبويه: غَدُوٌّ، وقد نُطِقَ به على الأصل^(٢)؛ قال
 النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ: ما بينَ الفجرِ وصلاةِ الصبح يُقال له: غُدُوَّةٌ، وكذا بُكْرَةٌ^(٣).
 «نَزْتَعِ وَيَلْعَبُ» بالنون وإسكان العين قراءةُ أهل البصرة، والمعروفُ من قراءةِ أهلِ
 مكة: «نَزْتَعِ» بالنون وكسر العين، وقراءةُ أهل الكوفة: «يَزْتَعِ وَيَلْعَبُ» بالياء وإسكانِ
 العين. وقراءةُ أهلِ المدينة بالياء وكسرِ العين^(٤). القراءةُ الأولى من قولِ العرب: رَتَعَ
 الإنسانُ والبعيرُ: إذا أَكَلَا كيف شاءا، والمعنى: نتسع في الخُضْب؛ وكلُّ مُخْصِبٍ
 رَاتِعٌ^(٥)؛ قال:

فَارْعَيْ فِزَارَةً لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ^(٦)

وقال آخر:

تَرْتَعُ مَا غَفَلْتُ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ فَلِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ^(٧)
 وقال آخر:

أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عُنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِثَّةَ الرِّتَاعَا^(٨)
 أي: الراتعة لكثرةِ المَرَعَى. وروى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ: «ترتع»: تسعى؛ قال
 النحاس: أخذه من قوله: «إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ» لَأَنَّ المعنى: نستبقُ في العَدْوِ إلى غَايَةِ

(١) زاد المسير ١٨٦/٤ - ١٨٧ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣١٧/٢ .

(٣) المحرر الوجيز ٢٢٣/٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣١٧/٢ .

(٤) تفسير الطبري ٢٤/١٣ - ٢٥ ، والتيسير ص ١٢٨ ، والسبعة ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٩٥/٣ ، والنكت والعيون ١٢/٣ - ١٣ .

(٦) عجز بيت للفرزدق، وصدرة: ومضت لِمَسْلَمَةَ الرِّكَابِ مودَّعَاً، وهو في ديوانه ٤٠٨/١ .

(٧) البيت للخنساء في ديوانها ص ٤٨ ، وسلف ٥٤/٣ .

(٨) البيت للقطامي في ديوانه ص ٣٧ ، وسلف ١٠٥/٥ .

بعينها ؛ وكذا: «يرتع» بإسكان العين، إلا أنه ليوسف وحده ﷺ. و«يرتع» بكسر العين من رعي الغنم، أي: ليتدرب بذلك ويترجّل؛ فمرة يرتع، ومرة يلعب لصغره. وقال القُتَيْبِيُّ: «نرتع» نتحارسُ ونتحافظُ، ويرعى بعضُنا بعضاً؛ من قولك: رعاكَ الله؛ أي: حفظَكَ. «ونلعب» من اللعب، وقيل لأبي عمرو بن العلاء: كيف قالوا: «ونلعب» وهم أنبياء؟ فقال: لم يكونوا يومئذٍ أنبياء^(١). وقيل: المرادُ باللعبِ المباحُ من الانبساط، لا اللعبِ المحظور الذي هو ضدُّ الحق؛ ولذلك لم ينكر يعقوبُ قولهم: «ونلعب»^(٢). ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «فَهَلَّا يَكْرَأُ ثُلَاغِبُهَا وَثُلَاغِبُكَ»^(٣). وقرأ مجاهد وقتادة: «يُرْتَع»^(٤)، على معنى يُرْتَع مطيَّته، فحذف المفعول، «وَيَلْعَبُ» بالرفع على الاستئناف؛ والمعنى: هو ممَّن يلعبُ.

﴿وَأَنَّا لَمُهَاقِفُونَ﴾ من كلِّ ما تخافُ عليه. ثم يحتملُ أنهم كانوا يخرجون ركبانا، ويحتملُ أنهم كانوا رجالة. وقد نُقِلَ أنهم حَمَلُوا يوسفَ على أكتافهم ما دام يعقوبُ يراهم، ثم لما غابوا عن عينه طرحوه؛ ليغدو معهم إضراراً به^(٥).

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِمْ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ ﴿١١﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ﴾ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِمْ﴾ في موضع رفع؛ أي: ذهابكم

(١) تفسير الطبري ١٣/٢٥، والمحرر الوجيز ٣/٢٢٤.

(٢) التكت والعيون ١٢/٣ - ١٣، وزاد المسير ٤/١٨٨.

(٣) أخرجه أحمد (١٤٣٠٦) والبخاري (٢٣٠٩)، ومسلم (٧١٥).

(٤) نسبها ابن جني في المحتسب ١/٣٣٣، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٢٤، وأبو حيان في البحر المحيط ٥/٢٨٥ لأبي رجاء، وذكر ابن عطية وأبو حيان أن قراءة مجاهد وقتادة تُرتع بضم النون وكسر التاء، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٤/١٨٧ لأنس وأبي رجاء.

(٥) تفسير البغوي ٢/٤١٣ - ٤١٤.

به^(١). أخبر عن حزنه لغييبته. ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ وذلك أنه رأى في منامه أن الذئب شدَّ على يوسف، فلذلك خافه عليه؛ قاله الكلبي.

وقيل: إنه رأى في منامه كأنه على ذروة جبل، وكأنَّ يوسفَ في بطن الوادي، فإذا عَشْرَةٌ من الذئاب قد احتوشته تريدُ أكله، فدرأ عنه واحدًا، ثم انشقت الأرض، فتَوَارَى يوسفُ فيها ثلاثة أيام، فكانت العشرة إخوته، لَمَّا تَمَالَوْا على قتله، والذي دافع عنه أخوه الأكبر يهوذا، وتَوَارَى في الأرض هو مُقَامُهُ في الجبِّ ثلاثة أيام.

وقيل: إنَّما قال ذلك؛ لخوفه منهم عليه، وأنَّه أرادهم بالذئب، فخوفه إنَّما كان من قتلهم له، فكَنَّى عنهم بالذئب مساترةً لهم، قال ابن عباس: فسَمَّاهم ذئاباً. وقيل: ما خافهم عليه، ولو خافهم لَمَّا أرسله معهم، وإنَّما خاف الذئب؛ لأنه أغلب ما يُخَافُ في الصَّحَارَى^(٢).

والذئب مأخوذٌ من تَذَاءَبِ الرِّيحِ: إذا جاءت من كلِّ وجه؛ كذا قال أحمدُ بنُ يحيى؛ قال: والذئبُ مهموزٌ؛ لأنَّه يجيء من كلِّ وجه.

وروى ورش عن نافع: «الذَّيْبُ» بغيرِ همز؛ لما كانت الهمزة ساكنةً وقبلها كسرةٌ فحَقَّقَهَا؛ صارت ياء^(٣).

﴿وَأَنْتَ عَنْهُ غَفْلُونَ﴾ أي: مشغولون بالرعي.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعةٌ نرى الذئبَ ثم لا نردُّه عنه^(٤) ﴿إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ أي: في حِفْظِنَا أَغْنَامَنَا. أي: إذا كنَّا لا نقدرُ على دفعِ الذئبِ عن أحيانا، فنحنُ أعجزُ أن ندفعه عن أَغْنَامِنَا. وقيل: «الْخَاسِرُونَ»:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣١٧/٢ - ٣١٨.

(٢) النكت والعيون ١٣/٣، والمححر الوجيز ٢٢٤/٣، وزاد المسير ١٨٨/٤ - ١٨٩، وعرائس المجالس ص ١١٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣١٨/٢، وقرأ: الذيب، بغير همز أيضاً أبو عمرو في رواية السوسي، والكسائي ووفقاً حمزة. السبعة ص ٣٤٦، والتيسير ص ١٢٨.

(٤) الوسيط ٦٠٢/٢، وزاد المسير ١٨٨/٤.

لجَاهِلُونَ بِحَقِّهِ. وَقِيلَ: لَعَاجِزُونَ^(١).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَرْجَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنْتِنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢)

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ﴾ «أَنْ» في موضع نصب^(٣)، أي: على أن يجعلوه في غَيَابَةِ الْجُبِّ.

قيل في القصة: إِنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامَ لَمَّا أَرْسَلَهُ مَعَهُمْ أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا لِيَحْفَظْتَنَّهُ، وَسَلَّمَهُ إِلَى رُوبِيلَ وَقَالَ: يَا رُوبِيلُ، إِنَّهُ صَغِيرٌ، وَتَعَلَّمَ يَا بَنِي شَفَقَتِي عَلَيْهِ؛ فَإِنْ جَاعَ فَأَطْعِمْهُ، وَإِنْ عَطَشَ فَاسْقِهِ، وَإِنْ أَعْيَا فَاخْمِلْهُ، ثُمَّ عَجَّلَ بَرْدَهُ إِلَيَّ^(٣). قَالَ: فَأَخَذُوا يَحْمِلُونَهُ عَلَى أَكْتَافِهِمْ، لَا يَضَعُهُ وَاحِدٌ إِلَّا رَفَعَهُ آخَرٌ، وَيَعْقُوبُ يُشِيعُهُمْ مِيلًا ثُمَّ رَجَعَ، فَلَمَّا انْقَطَعَ بَصَرُ أَبِيهِمْ عَنْهُمْ، رَمَاهُ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُهُ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى كَادَ يَنْكَسِرُ، فَالْتَجَأَ إِلَى آخَرٍ، فَوَجَدَ عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَشَدَّ مَمًّا عِنْدَ الْآخِرِ مِنَ الْغِيظِ وَالْعُسْفِ، فَاسْتَغَاثَ بِرُوبِيلَ وَقَالَ: أَنْتَ أَكْبَرُ إِخْوَتِي، وَالْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِ وَالَّذِي عَلَيَّ، وَأَقْرَبُ الْإِخْوَةِ إِلَيَّ، فَارْحَمْنِي وَارْحَمْ ضَعْفِي، فَلَطَمَهُ لَطْمَةً شَدِيدَةً وَقَالَ: لَا قَرَابَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَادْعُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا فَلْتُنْجِكَ مَنًّا؛ فَعَلِمَ أَنَّ حَقْدَهُمْ مِنْ أَجْلِ رُؤْيَاهُ، فَتَعَلَّقَ بِأَخِيهِ يَهُوذَا، وَقَالَ: يَا أَخِي، ارْحَمْ ضَعْفِي وَعَجْزِي وَحِدَاثَةَ سَنِي، وَارْحَمْ قَلْبَ أَبِيكَ يَعْقُوبَ، فَمَا أَسْرَعَ مَا تَنَاسَيْتُمْ وَصِيَّتَهُ، وَنَقَضْتُمْ عَهْدَهُ؛ فَارْقَ قَلْبُ يَهُوذَا فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ أَبَدًا مَا دُمْتُ حَيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ، إِنَّ قَتْلَ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخَطَايَا، فَرُدُّوا هَذَا الصَّبِيَّ إِلَى أَبِيهِ، وَنُعَاهِدُهُ أَلَّا يُحْدِثَ وَالِدَهُ بَشْيَءٍ مِمَّا جَرَى أَبَدًا، فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: وَاللَّهِ مَا تَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَكَ الْمَكَانَةُ عِنْدَ يَعْقُوبَ، وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَدْعُهُ لَنَقْتُلَنَّكَ مَعَهُ، قَالَ: فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا ذَلِكَ فَهَاهُنَا هَذَا

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٩/١٣، وتفسير الكشاف ٣٠٦/٢، وتفسير الرازي ٩٨/١٨.

(٢) تفسير الكشاف ٣٠٦/٢.

(٣) ينظر عرائس المجالس ص ١١٥.

الجُبُّ الموحشُ القفر، الذي هو مأوى الحيات والهوام، فآلفوه فيه، فإن أُصيب بشيء من ذلك فهو المراد، وقد استرحتم من دمه، وإن أنقلت على أيدي سيّارة يذهبون به إلى أرضٍ فهو المراد؛ فأجمع رأيهم على ذلك^(١)، فهو قولُ الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ﴾ وجوابُ «لَمَّا» محذوف؛ أي: فلما ذهبوا به، وأجمعوا على طرحه في الجُبِّ عَظُمَت فتنتهم^(٢). وقيل: جوابُ «لَمَّا» قولهم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ﴾ [يوسف: ١٧]. وقيل: التقدير: فلما ذهبوا به من عند أبيهم، وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجُبِّ جعلوه فيها، هذا على مذهب البصريين، وأمّا على قول الكوفيين فالجوابُ: «أوحينا»^(٣) والواو مقحمة، والواو عندهم تُزاد مع لما وحتى؛ قال الله تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَهَا وَقِيَّتْ أَبْوْئَهَا﴾ [الزمر: ٧٣] أي: فتحت، وقوله: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَقَارَ اللَّتُّورُ﴾ [هود: ٤٠] أي: فار. قال امرؤ القيس:

فَلَمَّا أَجْرَزْنَا سَاخَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى^(٤)

أي: انتحى، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا لِلجَيْنِ وَنَدَيْتَهُ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٤] أي: ناديناه.

وفي قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ دليلٌ على نبوّته في ذلك الوقت. قال الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة: أعطاه الله النبوة وهو في الجُبِّ على حجرٍ مرتفعٍ عن الماء. وقال الكلبي: أُلقي في الجُبِّ وهو ابن ثمانٍ عشرة سنة، فما كان صغيراً؛ ومن قال: كان صغيراً فلا يبعدُ في العقل أن يتنبأ الصغيرُ ويوحى إليه. وقيل: كان وحي إلهام كقوله:

(١) ينظر تفسير الطبري ٣٠/١٣، وتفسير البغوي ٤١٣/٢ - ٤١٤، والوسيط ٦٠٣/٢، وزاد المسير ١٨٩/٤.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢٢٥/٣، والكشاف ٣٠٦/٢، وتفسير الرازي ٩٩/١٨.

(٣) وقال الطبري في التفسير ٣٠/١٣: «وأجمعوا» هو الجواب.

(٤) وعجزه: بنا بطن حقف ذي ركام عتقل، والبيت في ديوانه ص ١٥. وانتحيت لفلان، أي: عرضت له. اللسان (نحي).

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّفْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، وقيل: كان مناماً، والأوّل أظهر - والله أعلم - وأنّ جبريل جاءه بالوحي^(١).

قوله تعالى: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أوحى إليه أنه سيلقاهم ويؤبّخهم على ما صنعوا. فعلى هذا يكون الوحي بعد اللقاء في الجبّ تقويةً لقلبه، وتبشيراً له بالسّلامة.

الثاني: أنه أوحى إليه بالذي يصنعون به؛ فعلى هذا يكون الوحي قبل اللقاء في الجبّ إنذاراً له. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنّك يوسف، وذلك أنّ الله تعالى أمره لمّا أفضى إليه الأمر بمصر ألاّ يخبر أباه وإخوته بمكانه. وقيل: بوحى الله تعالى بالنبوة؛ قاله ابن عباس ومجاهد^(٢). وقيل: «الهاء» ليعقوب^(٣)، أوحى الله تعالى إليه ما فعلوه بيوسف، وأنّه سيُعرفهم بأمره، وهم لا يشعرون بما أوحى الله إليه، والله أعلم.

ومما ذكر من قصته إذ ألقي في الجبّ ما ذكره السّدي وغيره، أنّ إخوته لمّا جعلوا يذلّونه في البئر، تعلّق بشفير البئر، فربطوا يديه، ونزعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه! ردّوا عليّ قميصي أتواري به في هذا الجبّ، فإنّ مثّ كان كفني، وإنّ عشت أوارى به عورتى؛ فقالوا: ادعُ الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً فلتؤنسك وتكسك؛ فقال: إني لم أر شيئاً. فدلّوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألْقَوْه إرادة أن يسقط فيموت، فكان في البئر ماء، فسقط فيه، ثم آوى إلى صخرة فقام عليها^(٤).

وقيل: إنّ شمعون هو الذي قطع الحبل إرادة أن يفتت على الصخرة، وكان جبريل تحت ساق العرش، فأوحى الله إليه أن أدرك عبدي؛ قال جبريل: فأسرعتُ

(١) ينظر تفسير الطبري ٣١/١٣ - ٣٢، والمحرر الوجيز ٣/٢٢٥، والنكت والعيون ٣/١٤، والكشاف ٣٠٧/٢، وتفسير الرازي ٩٩/١٨، وزاد المسير ٤/١٩٠ - ١٩١.

(٢) النكت والعيون ٣/١٤، وينظر زاد المسير ٤/١٩١.

(٣) المحرر الوجيز ٣/٢٢٥.

(٤) تفسير الطبري ٣٠/١٣، وزاد المسير ٤/١٨٩ - ١٩٠.

وهبطت حتى عارضته بين الرمي والوقوع، فأقعدته على الصخرة سالماً، وكان ذلك الجب مأوى الهوام، فقام على الصخرة وجعل يبكي، فنادوه، فظن أنها رحمة عليه أدركتهم، فأجابهم؛ فأرادوا أن يرضخوه بالصخرة، فمَنَعَهُمْ يَهُودًا، وكان يَهُودًا يَأْتِيهِ بالطعام، فلما وقع عرياناً نزل جبريلُ إليه؛ وكان إبراهيمُ حين أُلْقِيَ في النار عرياناً أتاه جبريلُ بقميصٍ من حريرِ الجنة، فألبسه إياه، فكان ذلك عند إبراهيم، ثم ورثه إسحاق، ثم ورثه يعقوب، فلما شَبَّ يوسفُ جعل يعقوبُ ذلك القميصَ في تعويذة، وجعله في عنقه، فكان لا يفارقه، فلما أُلْقِيَ في الجبِّ عرياناً أخرجَ جبريلُ ذلك القميصَ فألبسه إياه^(١).

قال وهب: فلما قام على الصخرة قال: يا إخوتاه، إنَّ لكل مبيتٍ وصيةً، فاسمعوا وصيتي، قالوا: وما هي؟ قال: إذا اجتمعتم كلُّكم فأنسَ بعضُكم بعضاً، فاذكروا وحشتي، وإذا أكلتم، فاذكروا جُوعي، وإذا شربتم، فاذكروا عطشي، وإذا رأيتم غريباً، فاذكروا غُربتِي، وإذا رأيتم شاباً، فاذكروا شبابي. فقال له جبريلُ: يا يوسف! كُفَّ عن هذا، واشتغل بالدعاء، فإنَّ الدعاءَ عند الله بمكان. ثم علَّمه فقال: قل: اللهمَّ يا مؤنسَ كلِّ غريب، يا صاحبَ كلِّ وحيد، يا ملجأ كلِّ خائف، يا كاشفَ كلِّ كرب، يا عالمَ كلِّ نجوى، يا منتهى كلِّ شكوى، يا حاضرَ كلِّ مَلَأ، يا حيُّ يا قيوم، أسألكَ أن تقذفَ رجاءك في قلبي، حتى لا يكونَ لي همٌّ ولا شغلٌ غيرُكَ، وأن تجعلَ لي من أمري فرجاً ومخرجاً، إنك على كلِّ شيءٍ قدير. فقالت الملائكة: إلهنا، نسمعُ صوتاً ودعاءً، الصوتُ صوتُ صبيٍّ، والدعاءُ دعاءُ نبيٍّ.

وقال الضَّحَّاكُ: نزلَ جبريلُ عليه السلام على يوسف وهو في الجبِّ فقال له: ألا أعلمك كلماتٍ إذا أنت قُلْتَهُنَّ عَجَّلَ اللهُ لك خروجَكَ من هذا الجبِّ؟ فقال: نَعَمْ! فقال له: قل: يا صانعَ كلِّ مصنوع، يا جابرَ كلِّ كَسِير، يا شاهدَ كلِّ نَجْوَى، يا حاضرَ كلِّ مَلَأ، يا مفرِّجَ كلِّ كُربَة، يا صاحبَ كلِّ غريب، يا مؤنسَ كلِّ وحيد،

(١) عرائس المجالس ص ١١٥ - ١١٦، وتفسير الكشاف ٣٠٧/٢، وتفسير الرازي ٩٩/١٨.

ايتني بالفرج والرجاء، واقذف رجاءك في قلبي حتى لا أرجو أحداً سواك. فردّها يوسف في ليلته مراراً، فأخرجه الله في صبيحة يومه ذلك من الجُبِّ^(١).

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۖ﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ آبَاهُمْ عِشَاءً﴾ أي: ليلاً، وهو ظرفٌ يكون في موضع الحال^(٢)؛ وإنّما جاؤوا عشاءً؛ ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة، ولذا قيل: لا تطلب الحاجة بالليل، فإنّ الحياء في العيين، ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار^(٣)، فروي أنّ يعقوب عليه السلام لما سمع بكاءهم قال: ما بكم؟ أجرى في الغنم شيء؟ قالوا: لا. قال: فأين يوسف؟ قالوا: ذهبنا نستبق، فأكله الذئب، فبكى وصاح وقال: أين قميصه؟ على ما يأتي بيانه إن شاء الله^(٤).

وقال السدي وابن حبان: إنّهُ لما قالوا: أكله الذئب خرّ مغشياً عليه، فأفاضوا عليه الماء، فلم يتحرك، ونادوه فلم يُجب.

قال وهب: ولقد وُضع يهوذا يده على مخارجِ نفسِ يعقوب فلم يُحسّ بنفس، ولم يتحرك له عرق، فقال لهم يهوذا: ويلٌ لنا من ديان يوم الدين! ضيعنا أخانا، وقتلنا أبانا، فلم يُفق يعقوب إلا ببرد السحر^(٥)، فافاق ورأسه في حجرِ روبيل، فقال: يا روبيل، ألم آتمنك على ولدي؟ ألم أعهد إليك عهداً؟ فقال: يا أبت! كُفّ عني بكاءك أخبرك، فكفّ يعقوب بكاءه فقال: يا أبت ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْنَعَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾.

(١) عرائس المجالس ص ١١٦، وزاد المسير ١٩٠/٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣١٨/٢.

(٣) عرائس المجالس ص ١١٧، وينظر زاد المسير ١٩١/٤.

(٤) ينظر الوسيط ٦٠٣/٢، والكشاف ٣٠٧/٢، وتفسير الرازي ١٠١/١٨.

(٥) ينظر عرائس المجالس ص ١١٧.

الثانية: قال علماؤنا: هذه الآية دليلٌ على أن بكاء المرء لا يدلُّ على صدقِ مقاله، لاحتمالِ أن يكونَ تصنعاً؛ فمن الخلقِ مَنْ يقدرُ على ذلك، ومنهم مَنْ لا يقدر. وقد قيل: إن الدمعَ المصنوعَ لا يخفى؛ كما قال حكيم:

إذا اشتبكْتَ دموعٌ في حُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى^(١)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَتَابَعَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ﴿٧﴾

فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: «نَسْتَبِقُ» نفتعل، من المسابقة. وقيل: أي: نَتَّصِلُ، وكذا في قراءة عبد الله: «إِنَّا ذَهَبْنَا نَتَّصِلُ»، وهو نوعٌ من المسابقة؛ قاله الزَّجاج^(٢). وقال الأزهرى^(٣): النَّضَالُ في السُّهَامِ، والرُّهَانُ في الخيل، والمسابقةُ تجمعُهما. قال القشيريُّ أبو نصر: «نَسْتَبِقُ» أي: في الرَّمي، أو على الفرس، أو على الأقدام. والغرضُ من المسابقة على الأقدام تدريبُ النفسِ على العَدُوِّ؛ لأنَّ الآلةَ في قتال العدوِّ، ودفعِ الذئبِ عن الأغنام^(٤). وقال السُّدِّيُّ وابنُ حيان^(٥): «نَسْتَبِقُ»: نَسْتَدُّ جرياً؛ لنرى أيُّنا أَسْبَقُ^(٦).

قال ابنُ العربي^(٧): المسابقةُ شُرْعَةٌ في الشَّرِيعَةِ، وَخَصْلَةٌ بَدِيعَةٌ، وَعَوْنٌ عَلَى

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٦٣، والبيت سلف ١٠/ ٣٣٦.

(٢) في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٩٥، وينظر النكت والعيون ٣/ ١٤، والمحزر الوجيز ٣/ ٢٢٦، وتفسير الرازي ١٨/ ١٠١.

(٣) في الزاهر ص ٥٣٦.

(٤) ينظر تفسير الرازي ١٨/ ١٠١.

(٥) في (ظ): أبو حيان.

(٦) زاد المسير ٤/ ١٩١ - ١٩٢، عن السدي.

(٧) في أحكام القرآن ٣/ ١٠٦٣ - ١٠٦٤.

الحرب؛ وقد فعلها^(١) ﷺ بنفسه وبخيله، وسابق عائشة رضي الله عنها على قدميه، فسبقها؛ فلما كبر رسول الله ﷺ سابقها فسبقته، فقال لها: «هذه بتلك»^(٢).

قلتُ: وسابق سلمة بن الأكوع رجلاً لما رجعوا من ذي قرد إلى المدينة، فسبقه سلمة. خرّجه مسلم^(٣).

الثانية: وروى مالك، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي قد أضمرت من الحفيا، وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمّر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وأن عبد الله بن عمر كان ممن سابق بها^(٤).

وهذا الحديث مع صحته في هذا الباب تضمّن ثلاثة شروط، فلا تجوز المسابقة بدونها، وهي: أن المسافة لا بد أن تكون معلومة. الثاني: أن تكون الخيل متساوية الأحوال. الثالث: ألا يسابق المضمّر مع غير المضمّر في أمده واحد وغاية واحدة. والخيل التي يجب أن تضمّر ويسابق عليها وتقام هذه السنة فيها: هي الخيل المعدة لجهاد العدو لا لقتال المسلمين في الفتن^(٥).

الثالثة: وأما المسابقة بالنّصال والإبل، فروى مسلم^(٦) عن عبد الله بن عمرو قال: سافرنا مع رسول الله ﷺ، فنزلنا منزلاً، فمئنا من يصلح خباءه، ومئنا من يتنّضل. وذكر الحديث.

(١) في النسخ الخطية وأحكام القرآن: فعله.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤١١٨)، والنسائي في الكبرى (٨٨٩٤)، وابن ماجه (١٩٧٩).

(٣) في صحيحه برقم (١٨٠٧)، وهو عند أحمد (١٦٥٣٩) وذو قرد: ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر. معجم البلدان ٣٢١/٤.

(٤) في الموطأ ٤٦٧/٢ - ٤٦٨، وهو عند البخاري (٢٨٦٩)، ومسلم (١٨٧٠). والحفيا: موضع قرب المدينة أجرى منه رسول الله ﷺ الخيل في السباق. معجم البلدان ٢٧٦/٢.

وتضمير الخيل: هو أن يُظاهر عليها بالعلف حتى تسمن، ثم لاتعلف إلا قوتاً لتخف. النهاية في غريب الحديث (خم).

(٥) التمهيد ٨١/١٤ - ٨٢، والاستذكار ٣٠٧/١٤ - ٣٠٨.

(٦) في صحيحه (١٨٤٤).

وخرَجَ النسائي^(١) عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَا سَبَقَ إِلَّا فِي نَضْلِ أَوْ خُفٍّ أَوْ حَافِرٍ». وَثَبَتَ ذِكْرُ النَّصْلِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي ذَثْبٍ، عَنْ نَافِعِ بْنِ أَبِي نَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. ذَكَرَهُ النَّسَائِيُّ؛ وَبِهِ يَقُولُ فَهَاءُ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ^(٢).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ^(٣) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةٌ تُسَمَّى الْعَضْبَاءُ لَا تُسَبِّقُ - قَالَ حُمَيْدٌ: أَوْ لَا تَكَاذُ تُسَبِّقُ - فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ، فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ، فَقَالَ: «حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَلَّا يَرْتَفَعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ».

الرابعة: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ السَّبْقَ لَا يَجُوزُ عَلَى وَجْهِ الرِّهَانِ إِلَّا فِي الْخُفِّ وَالْحَافِرِ وَالنَّصْلِ؛ قَالَ الشَّافِعِيُّ: مَا عَدَا هَذِهِ الثَّلَاثَةَ فَالسَّبْقُ فِيهَا قِمَارٌ.

وَقَدْ زَادَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ الْقَاضِي فِي حَدِيثِ الْخُفِّ وَالْحَافِرِ وَالنَّصْلِ: «أَوْ جَنَاحٍ»، وَهِيَ لَفْظَةٌ وَضَعَهَا لِلرَّشِيدِ، فَتَرَكَ الْعُلَمَاءُ حَدِيثَهُ لِذَلِكَ وَلِغَيْرِهِ مِنْ مَوْضُوعَاتِهِ، فَلَا يَكْتُبُ الْعُلَمَاءُ حَدِيثَهُ بِحَالٍ^(٤). وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: لَا سَبَقَ إِلَّا فِي الْخَيْلِ وَالرَّمِيِّ؛ لِأَنَّهُ قُوَّةٌ عَلَى أَهْلِ الْحَرْبِ؛ قَالَ: وَسَبَقُ الْخَيْلِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ سَبَقِ الرَّمِيِّ^(٥). وَظَاهَرُ الْحَدِيثِ يُسَوِّي بَيْنَ السَّبَقِ عَلَى النَّجْبِ^(٦) وَالسَّبَقِ عَلَى الْخَيْلِ. وَقَدْ مَنَعَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الرِّهَانَ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي الْخَيْلِ؛ لِأَنَّهَا الَّتِي كَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ الْمَرَاهَنَةَ عَلَيْهَا. وَرُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ أَنَّ الْمَرَاهَنَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ جَائِزٌ^(٧). وَقَدْ تُؤَوَّلُ عَلَيْهِ^(٨)؛ لِأَنَّ

(١) فِي الْكَبْرِ (٤٤١٠)، وَالْمَجْتَبَى ٦/٢٢٦.

(٢) التَّمْهِيد ١٤/٩٤.

(٣) فِي صَحِيحِهِ (٢٨٧٢).

(٤) التَّمْهِيد ١٤/٨٨ وَ ٩٤، وَيَنْظُرُ تَارِيخُ بَغْدَادِ ١٣/٤٥٥. وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ هُوَ: وَهْبُ بْنُ وَهْبٍ بَنُ كَثِيرٍ الْقَاضِي الْقُرَشِيُّ. قَالَ أَحْمَدُ: كَانَ يَضَعُ الْحَدِيثَ وَضْعًا. مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ ٤/٣٥٣ - ٣٥٤.

(٥) التَّمْهِيد ١٤/٨٤، وَالِاسْتِذْكَارُ ١٤/٣١٠.

(٦) جَمْعُ نَجِيَّةٍ، وَهِيَ مِنَ الْإِبْلِ.

(٧) فِي (م): جَائِزَةٌ.

(٨) فِي (م): قَوْلُهُ.

حمله على العموم في كل شيء يُؤدّي إلى إجازة القمار، وهو محرّم باتفاق^(١).

الخامسة: لا يجوز السبق في الخيل والإبل إلا في غاية معلومة وأمد معلوم، كما ذكرنا، وكذلك الرمي لا يجوز السبق فيه إلا بغاية معلومة ورشقي معلوم، ونوع من الإصابة مشروط خسفاً^(٢)، أو إصابة بغير شرط.

والأسباق ثلاثة: سبق يعطيه الوالي - أو الرجل غير الوالي - من ماله متطوعاً، فيجعل للسابق شيئاً معلوماً، فمن سبق أخذه. وسبق يُخرجه أحد المتسابقين دون صاحبه، فإن سبقه صاحبه أخذه، وإن سبق هو صاحبه أخذه، وحسن أن يمضيه في الوجه الذي أخرج له، ولا يرجع إلى ماله، وهذا ممّا لا خلاف فيه.

والسبق الثالث: اختلف فيه، وهو أن يُخرج كل واحد منهما شيئاً مثل ما يُخرجه صاحبه، فأيهما سبق، أحرز سبقه وسبق صاحبه. وهذا الوجه لا يجوز حتى يدخل بينهما مُحللاً لا يأمن أن يسبقهما، فإن سبق المحلل أحرز السبقين جميعاً وأخذهما وحده، وإن سبق أحد المتسابقين، أحرز سبقه وأخذ سبق صاحبه، ولا شيء للمحلل فيه، ولا شيء عليه. وإن سبق الثاني منهما الثالث كان كمن لم يسبق واحد منهما.

وقال أبو علي بن خيران من أصحاب الشافعي: وحكم الفرس المحلل أن يكون مجهولاً جريه؛ وسمي محللاً؛ لأنه يُحلل السبق للمتسابقين أوله. واتفق العلماء على أنه إن لم يكن بينهما محلل، واشترط كل واحد من المتسابقين أنه إن سبق أخذ سبقه وسبق صاحبه: أنه قمار ولا يجوز^(٣).

وفي «سنن» أبي داود^(٤)، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «مَن أدخل فرساً بين

(١) المفهم ٧٠١/٣.

(٢) خَسَق السهمُ الهدفَ خَسَقاً: إذا لم ينفذ نفاذاً شديداً. وقال ابن فارس: إذا ثبت فيه وتعلق. وقال ابن القطاع: إذا نفذ من الرميّة. المصباح المنير (خسق).

(٣) التمهيد ٨٥/١٤ - ٨٧، والاستذكار ٣١١/١٤ - ٣١٢، والمفهم ٧٠١/٣ - ٧٠٢، وإكمال المعلم ٢٨٤/٦ - ٢٨٥.

(٤) برقم (٢٥٧٩) و(٢٥٨٠)، وهو عند أحمد (١٠٥٥٧).

فَرَسَيْنِ وَهُوَ لَا يَأْمَنُ أَنْ يَسْبِقَ؛ فَلَيْسَ بِقِمَارٍ، وَمَنْ أَدْخَلَهُ وَهُوَ يَأْمَنُ أَنْ يَسْبِقَ؛ فَهُوَ قِمَارٌ.

وفي «الموطأ»^(١) عن سعيد بن المسيب قال: ليس برهان الخيل بأس إذا دخل فيها محلل، فإن سبق أخذ السبق، وإن سبق لم يكن عليه شيء.

وبهذا قال الشافعي وجمهور أهل العلم. واختلف في ذلك قول مالك، فقال مرة: لا يجب المحلل في الخيل، ولا نأخذ فيه بقول سعيد، ثم قال: لا يجوز إلا بالمحلل، وهو الأجود من قوله^(٢).

السادسة: ولا يحمل على الخيل والإبل في المسابقة إلا مُحْتَلِّمٌ، ولو ركبها أربابها كان أولى؛ وقد روي عن عمر بن الخطاب ؓ أنه قال: لا يركب الخيل في السباق إلا أربابها. وقال الشافعي: وأقلُّ السبق أن يسبق بالهادي أو بعضه، أو بالكفل أو بعضه. والسبق بين^(٣) الرماة على هذا النحو عنده، وقول محمد بن الحسن في هذا الباب نحو قول الشافعي^(٤).

السابعة: روي عن النبي ﷺ أنه سابق أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فسبق رسول الله ﷺ، وصلى أبو بكر، وثلاث عمر^(٥). ومعنى: وصلى أبو بكر. يعني أن رأس فرسه كان عند صلوي^(٦) فرس رسول الله ﷺ، والصلوان: موضع العجز.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْنَعَا﴾ أي: عند ثيابنا وأقمشتنا حارساً

(١) ٤٦٨/٢.

(٢) الاستذكار ٣١١/١٤، والمفهم ٧٠١/٣ - ٧٠٢.

(٣) في (د) و(ز) و(م): من، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في التمهيد ٨٦/١٤.

(٤) التمهيد ٧٩/١٤ - ٨٠ و ٨٦. والهادي: العنق. والكفل: العجز، أو ردفه، أو القطن. القاموس (هدي) و(كفل).

(٥) سلف ٢٥٩/١.

(٦) في (م): صلا.

لها^(١). ﴿فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ﴾ وذلك أَنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا أَبَاهُمْ يَقُولُ: «وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ» أَخَذُوا ذَلِكَ مِنْ فِيهِ، فَتَحَرَّمُوا^(٢) بِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَظْهَرَ الْمَخَافَةِ عَلَيْهِ. ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أَي: بِمَصْدُقٍ^(٣). ﴿وَلَوْ كُنَّا﴾ أَي: وَإِنْ كُنَّا؛ قَالَهُ الْمَبْرُودُ^(٤) وَابْنُ إِسْحَاقَ^(٥). ﴿صَادِقِينَ﴾ فِي قَوْلِنَا، وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ يَعْقُوبُ؛ لِمَا ظَهَرَ لَهُ مِنْهُمْ مِنْ قُوَّةِ التَّهْمَةِ وَكَثْرَةِ الْأَدْلَةِ عَلَى خِلَافِ مَا قَالُوهُ؛ عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانُهُ. وَقِيلَ: «وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ» أَي: وَلَوْ كُنَّا عِنْدَكَ مِنْ أَهْلِ الثِّقَةِ وَالصِّدْقِ، مَا صَدَّقْتَنَا، وَلَا تَتَّهَمْتَنَا فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، لَشِدَّةِ مُحِبَّتِكَ فِي يَوْسُفَ؛ قَالَ مَعْنَاهُ الطَّبْرِيُّ وَالزَّجَاجُ وَغَيْرُهُمَا^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَبِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: «بِدَمٍ كَذِبٍ» قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَ دَمٌ سَخِلَ أَوْ جَذِي ذَبَحُوهُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ دَمٌ ظُلْمِيَّةً^(٧)، أَي: جَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ مَكْذُوبٍ فِيهِ، فَوُصِفَ الدَّمُ بِالمَصْدَرِ، فَصَارَ تَقْدِيرُهُ: بِدَمٍ ذِي كَذِبٍ، مِثْلُ: ﴿وَسَلَّى الْقَرْيَةَ﴾ وَالْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ قَدْ يُسَمَّيانِ بِالمَصْدَرِ، يُقَالُ: هَذَا ضَرْبُ الأَمِيرِ، أَي: مُضْرُوبُهُ، وَمَاءٌ سَكْبٌ، أَي:

(١) ينظر النكت والعيون ١٤/٣ .

(٢) أَي: تَمَنَّعُوا. القاموس (حرم).

(٣) الكشف ٣٠٨/٢ ، وزاد المسير ١٩٢/٤ .

(٤) في الكامل ٣٦١/١ ، ونقله عنه المصنف بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٢٦/٣ .

(٥) النكت والعيون ١٥/٣ ، وزاد المسير ١٩٢/٤ .

(٦) تفسير الطبري ٣٤/١٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٩٦/٣ ، والمحرر الوجيز ٢٢٦/٣ ، وزاد المسير

١٩٢/٤ .

(٧) النكت والعيون ١٥/٣ ، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٣٥/١٣ .

مسكوب، وماء غَوْرٌ، أي: غائر، ورجلٌ عَذْلٌ، أي: عادل^(١).

وقرأ الحسن وعائشة: «بِدَمٍ كَذِبٍ»، بالذال غير المعجمة^(٢)، أي: بدم طريٍّ، يقال للدم الطري: الكذب. وحكي أنه المتغير، قاله الشعبي^(٣). والكذب أيضاً البياض الذي يخرج في أظفار الأحداث. فيجوز أن يكون شَبَّ الدَّم في القميص بالبياض الذي يخرج في الظفر من جهة اختلاف اللونين^(٤).

الثانية: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: لَمَّا أرادوا أن يجعلوا الدَّم علامةً على صدقهم؛ قرَن الله بهذه العلامة علامةً تُعارضُها، وهي سلامةُ القميص من التَّنْيِب^(٥)، إذ لا يمكن افتراسُ الذئب ليوسف وهو لا بسُّ القميص ويسلم القميص من التخريق^(٦). ولما تأمل يعقوب عليه السلام القميص، فلم يجذ فيه خرقاً ولا أثراً؛ استدلَّ بذلك على كذبهم وقال لهم: متى كان هذا الذئب حليماً^(٧) يأكل يوسف ولا يُخرِّق القميص؟! قاله ابن عباس وغيره^(٨).

روى إسرائيل، عن سِمَاك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان الدَّم دَمَ سَخْلَةٍ. وروى سفيان عن سِمَاك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لَمَّا نظر إليه قال: كذبتُم، لو كان الذئب أكله لخرق القميص^(٩).

(١) الكلام ينحوه في تفسير الرازي ١٨/١٠٢.

(٢) القراءات الشاذة ص ٦٢ - ٦٣ عن الحسن، والمحتسب ١/٣٣٥ عن الحسن وابن عباس رضي الله عنهما. وعن عائشة رضي الله عنها ذكرها أبو حيان في البحر ٥/٢٨٩.

(٣) ينظر النكت والعيون ٣/١٥.

(٤) ينظر المحتسب ١/٣٣٥.

(٥) في (ظ): التخريق.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٦٥.

(٧) في (ظ) و(م): حكيماً.

(٨) المحرر الوجيز ٣/٢٢٧. وأخرج هذا الأثر الطبري ١٣/٣٦ - ٣٧.

(٩) أخرجهما الطبري ١٣/٣٦ - ٣٨، والأثر الثاني عنده من طريق سفيان عن سَمَاك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وحكى الماوردي أن في القميص ثلاث آيات: حين جاؤوا عليه بدم كذب، وحين قُذِّ قميصه من دُبر، وحين أُلْقِيَ على وجه أبيه فارتدَّ بصيراً^(١).

قلت: وهذا مردود، فإن القميص الذي جاؤوا عليه بالدم غير القميص الذي قُذِّ، وغير القميص الذي أتاه البشير به. وقد قيل: إنَّ القميص الذي قُذِّ هو الذي أُتِيَ به فارتدَّ بصيراً، على ما يأتي بيانه آخر السورة إن شاء الله تعالى^(٢).

وروي أنهم قالوا له: بل اللصوص قتلوه. فاختلف قولهم، فاتهمهم، فقال لهم يعقوب: تزعمون أن الذئب أكله، ولو أكله لَشَقَّ قميصه قبل أن يُفْضِيَ إلى جلده، وما أرى بالقميص من شَقٍّ، وتزعمون أنَّ اللصوص قتلوه، ولو قتلوه لأخذوا قميصه، هل يريدون إلا ثيابه؟! فقالوا عند ذلك: وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين؛ عن الحسن وغيره. أي: لو كنا موصوفين بالصدق لاتهمتنا^(٣).

الثالثة: استدلل الفقهاء بهذه الآية في إعمال الأمارات في مسائل من الفقه، كالقسامة وغيرها، وأجمعوا على أن يعقوب عليه السلام استدلل على كذبهم بصحة القميص، وهكذا يجب على الناظر أن يلاحظ الأمارات والعلامات إذا تعارضت، فما ترجَّح منها قضى بجانب الترجيح، وهي قوة التهمة، ولا خلاف بالحكم بها؛ قاله ابن العربي^(٤).

قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: روي أن يعقوب لما قالوا له: «فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ» قال لهم: ألم يترك الذئب له عضواً فتأتوني به أستانس به؟! ألم يترك لي ثوباً أشمُّ فيه رائحته؟! قالوا: بلى، هذا

(١) النكت والعيون ٣/ ١٥. وذكره ابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ١٠٦٥.

(٢) الآية (٩٣).

(٣) ذكره المصنف قبل هذه الآية ونسبه للطبري والزجاج، وينظر مجمع البيان للطبرسي ١٢/ ٢٨ - ٢٩.

(٤) في أحكام القرآن ٣/ ١٠٦٥، وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٢٢٧.

قميصه ملطوخ بدمه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾. فبكى يعقوبُ عند ذلك وقال لبنيه: أروني قميصه، فأرَوْه فشمَّه وقَبَّله، ثم جعل يُقَلِّبه فلا يرى فيه شَقًّا ولا تمزيقاً، فقال: والله الذي لا إله إلا هو، ما رأيْتُ كالْيَوْمِ ذنباً أحلَمُ^(١) منه، أكل ابني واختلسه من قميصه ولم يُمَرِّقه عليه. وعَلِمَ أَنَّ الأمرَ ليس كما قالوا، وأن الذنبَ لم يأكله، فأعرض عنهم كالمُغْضَبِ باكياً حزيناً، وقال: يا معشر ولدي، ذُلُّوني على ولدي، فَإِنْ كَانَ حَيًّا رَدَدْتُهُ إِلَيَّ، وَإِنْ كَانَ مَيِّتًا كَفَّنْتُهُ وَدَفَنْتُهُ. فقيل: قالوا حينئذ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى أَبِينَا كَيْفَ يُكَذِّبُنَا فِي مَقَالَتِنَا؟! تَعَالَوْا نُخْرِجْهُ مِنَ الْجُبِّ وَنَقْطَعَهُ عَضْوًا عَضْوًا، وَنَاتِ أَبَانَا بِأَحَدِ أَعْضَائِهِ، فيصدقنا في مقالتنا ويقطع يأسه، فقال يهوذا: والله، لئن فعلتُم لأكوننَّ لكم عدوًّا ما بقيتُ، ولأخبرنَّ أباكم بسوء صنيعكم، قالوا: فإذا منعتنا من هذا فتعالوا نصطد له ذنباً، قال: فاصطادوا ذنباً ولَطَّخُوهُ بِالْدَمِ، وأوثقوه بالحبال، ثم جاؤوا به يعقوبُ وقالوا: يا أبانا، إن هذا الذنب الذي يَحُلُّ بِأَغْنَامِنَا ويفترسها، ولعلَّه الذي أفجعنا بأخي، لا نشكُّ فيه، وهذا دمه عليه، فقال يعقوب: أطلقوه، فأطلقوه، وَتَبَضَّبَصَ لَهُ الذَّنْبُ، فأقبل يدنو منه ويعقوب يقول له: أَدُنْ، أَدُنْ، حتى ألصقَ خَدَّهُ بخَدِّهِ فقال له يعقوب: أيها الذنب، لِمَ فجعتني بولدي وأورثتني حزناً طويلاً؟! ثم قال: اللَّهُمَّ أَنْطِقْهُ، فأنطقه الله تعالى: فقال: والذي اصطفاك نبياً، ما أكلتُ لحمه، ولا مَرَّقْتُ جلدَه، ولا نتفتُ شعرةً من شعراته، والله ما لي بولدك عهدٌ، وإنما أنا ذنبٌ غريبٌ أقبلتُ من نواحي مصر في طلب أخ لي فُقِدَ، فلا أدري أحيٌّ هو أم ميتٌ، فاصطادني أولادك وأوثقوني، وإنَّ لحومَ الأنبياء حُرِّمَتْ علينا وعلى جميع الوحوش، وتالله، لا أقمتُ في بلاد يكذب فيها أولادُ الأنبياء على الوحوش. فأطلقه يعقوب وقال: والله، لقد أتيتُم بالحُجَّةِ على أنفسكم، هذا ذنبٌ بهيْمٌ خرج يتبع ذِمَامَ أخيه، وأنتم ضيَّعتم أخاكم، وقد علمت

(١) في (م): أحكم.

أن الذئب بريء مما جتم به^(١).

﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ أي: زينت. ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ غير ما تصفون وتذكرون. ثم قال توطئة لنفسه: ﴿فَصَبِّرْْ جَمِيلٌ﴾ وهي:

الثانية: قال الزجاج^(٢): أي فشاني - أو الذي أعتقده - صبرٌ جميلٌ. وقال قُطْرُب: أي: فصبري صبرٌ جميلٌ. وقيل: أي: فصبرٌ جميلٌ أولى بي، فهو مبتدأ، وخبره محذوف. ويروى أن النبي ﷺ سئل عن الصبر الجميل فقال: «هو الذي لا شكوى معه»^(٣). وسيأتي له مزيد بيان آخر السورة إن شاء الله.

قال أبو حاتم: قرأ عيسى بن عمر فيما زعم سهل بن يوسف^(٤): «فصبراً جميلاً» قال: وكذا قرأ الأشهبُ العُقَيْلي، قال: وكذا في مصحف أنس وأبي صالح^(٥). قال المبرد: «فصبرٌ جميلٌ» بالرفع أولى من النصب؛ لأن المعنى: قال: ربّ عندي صبرٌ جميل، قال^(٦): وإنما النصب على المصدر، أي: فلأصبرنُ صبراً جميلاً، قال: شكّا إليّ جَمَلِي طَوَلَ السَّرَى صَبْرًا جَمِيلًا فَكَلَانَا مُبْتَلَى^(٧)

والصبرُ الجميل هو الذي لا جَزَعَ فيه ولا شكوى. وقيل: المعنى: لا أعاشركم على كآبة الوجه وغُبُوس الجبين، بل أعاشركم على ما كنت عليه معكم، وفي هذا ما يدل على أنه عفا عن مؤاخذتهم. وعن حبيب بن أبي ثابت، أن يعقوب كان قد سقط حاجباه على عينيه، فكان يرفعهما بخرقه، فقيل له: ما هذا؟ قال: طول الزمان وكثرة

(١) ينظر عرائس المجالس ص ١١٧ - ١١٨ . وهذه القصة من الإسرائيليات .

(٢) في معاني القرآن ٩٦/٣ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣١٨/٢ .

(٣) أخرجه الطبري ٤١/١٣ عن حبان بن أبي جبلة مرسلًا .

(٤) لعله سهل بن يوسف الأنماطي البصري، أبو عبد الرحمن. توفي سنة (١٩٠هـ). تهذيب الكمال ٢١٣/١٢ .

(٥) كذا في النسخ وإعراب القرآن للنحاس ٣١٨/٢ (والكلام منه): أبي صالح، ولعل الصواب أُنِّي، كما في المحرر الوجيز ٢٢٧/٣ ، والبحر المحيط ٢٨٩/٥ .

(٦) يعني أبا جعفر النحاس، وكلامه في إعراب القرآن ٣١٨/٢ ، وما قبله منه، وقراءة عيسى بن عمر في القراءات الشاذة ص ٦٣ .

(٧) سلف ٢٥٠/٣ .

الأحزان، فأوحى الله إليه: أتسكوني يا يعقوب؟ قال: يا رب، خطيئة أخطأتها فاغفر لي^(١).

﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ ابتداء وخبر ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي: على احتمال ما تصفون من الكذب.

الثالثة: قال ابن أبي رفاعه^(٢): ينبغي لأهل الرأي أن يتهموا رأيهم عند ظن يعقوب ﷺ وهو نبي، حين قال له بنوه: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا لَسَلَبًا وَتَرَكْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَآكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فأصاب هنا، ثم قالوا له: ﴿إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فلم يصب.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوُهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ أي: رُفْقَةٌ مَارَّةٌ يسيرون من الشام إلى مصر فأخطؤوا الطريق، وهاموا حتى نزلوا قريباً من الجُبِّ، وكان الجُبُّ في قَفْرَةٍ بعيدة من العُمران، إنما هو للرعاة والمُجتاز، وكان ماؤه ملحاً، فَعَذَّبَ حين ألْقَى فيه يوسف^(٣). ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ فذَكَرَ على المعنى، ولو قال: فَأَرْسَلْتُ وَارِدَهَا لكان على اللَّفْظ^(٤)، مثل «وجاءت». والواردُ الذي يَرُدُّ الماء يستقي للقوم، وكان اسمه - فيما ذكر المفسرون - مالك بن دُغر^(٥)، من العرب العاربة^(٦).

(١) أخرجه الطبري ٤٢/١٣ .

(٢) لم نعرفه، ولم نقف على قوله.

(٣) عرائس المجالس ص ١١٨ ، وتفسير البغوي ٤١٥/٢ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣١٩/٢ .

(٥) في النسخ: دغر، بالذال، وذكر الفيروز آبادي أنه تصحيف، وأن الصواب دعر، بالبدال المهملة. القاموس (دعر) و(دغر).

(٦) ينظر عرائس المجالس ص ١١٨ ، والمحور الوجيز ٢٢٨/٣ ، وتفسير البغوي ٤١٥/٢ .

﴿فَأَذَلَّ دَلْوَهُ﴾ أي: أرسله، يقال: أدلى دلوه: إذا أرسلها ليملاها، ودلاها أي: أخرجها. عن الأصمعي وغيره^(١). ودلا من ذوات الواو، يدلوا دلوًا، أي: جذب وأخرج، وكذلك أدلى: إذا أرسل، فلما ثقل رذوه إلى الياء، لأنها أخف من الواو، قاله الكوفيون. وقال الخليل وسيبويه: لمّا جاوز ثلاثة أحرف رَجَعَ إلى الياء، اتباعاً للمستقبل. وجمع دلو في أقل العدد: أدل، فإذا كثرت قلت: دُلِّي ودُلِّي؛ فقلبت الواو ياءً، لأن^(٢) الجمع بابه التغير، وليفرّق بين الواحد والجمع، ودلاء أيضاً.

فتعلّق يوسف بالحبل، فلمّا خرج إذا غلامٌ كالقمر ليلة البدر؛ أحسن ما يكون من الغلمان. قال ﷺ في حديث الإسراء من «صحيح» مسلم: «فإذا أنا بيوسف إذا هو قد أعطي شَطْرَ الحُسْنِ»^(٣). وقال كعب الأحبار: كان يوسف حسن الوجه، جعد الشعر، ضخّم العينين، مُستوي الخلق، أبيض اللون، غليظ الساعدين والعُضدين، خميص البطن، صغير الشرة، إذا ابتسم رأيت النور من ضواحه، وإذا تكلم رأيت في كلامه شعاع الشمس من ثناياه، لا يستطيع أحدٌ وصفه، وكان حُسنه كضوء النهار عند الليل، وكان يُشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله ونفخ فيه من روحه قبل أن يُصيب المعصية. وقيل: إنه ورث ذلك الجمال من جدّته سارة، وكانت قد أعطيت سُدس الحُسْنِ^(٤).

فلما رآه مالك بن دُعر قال: ﴿يَا بُشْرَايَ هَذَا غَلَامٌ﴾ هذه قراءة أهل المدينة وأهل البصرة^(٥)، إلّا ابن أبي إسحاق فإنه قرأ: «يَا بُشْرَيَّ هَذَا غَلَامٌ»^(٦) فقلب الألف ياءً، لأن هذه الياء يُكسر ما قبلها، فلمّا لم يَجُزْ كسر الألف كان قلبها عوضاً. وقرأ أهل

(١) ينظر معاني القرآن للنحاس ٤٠٥/٣.

(٢) في النسخ: إلّا أن، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٣١٩/٢، والكلام منه.

(٣) صحيح مسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وهو في مسند أحمد (١٢٥٠٥).

(٤) الوسيط ٦٠٤/٢، وينظر عرائس المجالس ص ١١١ - ١١٢.

(٥) هي قراءة نافع المدني، وأبي عمرو البصري، وابن كثير المكي، وابن عامر الشامي. السبعة ص ٣٤٧، والتيسير ص ١٢٨، والنشر ٢/٢٩٣.

(٦) القراءات الشاذة ص ٦٢، والمحتسب ١/٣٣٦.

الكوفة: «يا بُشْرَى»^(١) غير مضاف.

وفي معناه قولان: أحدهما: اسمُ الغلام، والثاني: معناه: يا أيتها البُشرى، هذا حِينُكَ وأوانُكَ. قال قتادة والسُّدِّي: لَمَّا أدلى المُدلي دلوهُ تعلَّق بها يوسف فقال: يا بُشراي^(٢) هذا غلام. قال قتادة: بَشَّر أصحابه بأنه وجد عبداً. وقال السُّدِّي: نادى رجلاً اسمه بُشْرَى.

قال النحاس^(٣): قول قتادة أولى؛ لأنه لم يأت في القرآن تسمية أحد إلا يسيراً، وإنما يأتي بالكنية كما قال عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]، وهو عُقبة بن أبي مُعيط، وبعده ﴿يَا لَيْتَنِي لَوْ أَتَّخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨]، وهو أمية ابن خَلَف. قال النحاس^(٤): والمعنى في نداء البُشرى: التبشير لمن حضر، وهو أوكذ من قولك: تبشَّرت، كما تقول: يا عجباه! أي: يا عجبُ هذا من أيامك ومن آياتك فاحضُر، وهذا مذهب سيبويه^(٥)، وكذا قال السَّهيلي^(٦). وقيل: هو كما تقول: واسروراه! وأنَّ البُشرى مصدر من الاستبشار. وهذا أصح؛ لأنه لو كان اسماً علماً لم يكن مضافاً إلى ضمير المتكلم؛ وعلى هذا يكون «بُشراي» في موضع نصب؛ لأنه نداء مضاف، ومعنى النداء هاهنا التنبيه، أي: انتبهوا لفرحتي وسروري، وعلى قول السُّدِّي يكون في موضع رفع كما تقول: يا زيدُ، هذا غلام. ويجوز أن يكون محله نصباً كقولك: يا رجلاً، وقوله: ﴿يَحْضَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠]، ولكنه لم يُنَوَّن «بُشْرَى» لأنه لا ينصرف^(٧).

(١) السبعة ص ٣٤٧، والتيسير ص ١٢٨، والنشر ٢/٢٩٣.

(٢) في (م): بشرى.

(٣) في إعراب القرآن للنحاس ٢/٣١٩، وما قبله منه، والأقوال السالفة أخرجها الطبري ١٣/٤٣ - ٤٤.

(٤) في معاني القرآن ٣/٤٠٦.

(٥) الكتاب ٢/٢١٧، وينظر ما سلف ٨/٣٥٨.

(٦) في التعريف والإعلام ص ٨٠، وما بعده منه.

(٧) ينظر الكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢/٧، وتفسير البغوي ٢/٤١٥.

﴿وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً﴾ الهاء كناية عن يوسف عليه السلام؛ فأما الواو فكناية عن إخوته. وقيل: عن التجار الذين اشترَوْهُ^(١)، وقيل: عن الوارد وأصحابه^(٢). «بِضَاعَةً» نصبٌ على الحال. قال مجاهد: أسره مالك بن دُعر وأصحابه من التجار الذين معهم في الرُفقة، وقالوا لهم: هو بضاعةٌ استبضعناها بعضُ أهل الشام، أو أهل هذا الماء إلى مصر، وإنما قالوا هذا خيفةً الشركة^(٣). وقال ابن عباس: أسره إخوة يوسف بضاعةً لَمَّا اسْتُخْرِجَ من الجُبِّ، وذلك أنهم جاؤوا فقالوا: بش ما صنعتم؛ هذا عبدٌ لنا أبق، وقالوا ليوسف بالعبرانية: إما أن تُقرَّ لنا بالعبودية فنبيعك من هؤلاء، وإما أن نأخذك فنقتلك، فقال: أنا أُرِّ لکم بالعبودية، فأقرَّ لهم فباعوه منهم^(٤).

وقيل: إن يهوذا وصَّى أخاه يوسف بلسانهم أن اعترف لإخوتك بالعبودية، فإني أخشى إن لم تفعل قتلوك، فلعل الله أن يجعل لك مخرجاً، وتنجو من القتل، فكتَّم يوسف شأنه مخافةً أن يقتله إخوته، فقال مالك: والله، ما هذه سِمة العبيد، قالوا: هو تَرَبَّى في حُجُورنا، وتخلَّق بأخلاقنا، وتأدَّب بآدابنا، فقال: ما تقول يا غلام؟ قال: صدقوا، تربَّيت في حُجُورهم، وتخلَّقت بأخلاقهم، فقال مالك: إن بعتموه مني اشتريته منكم، فباعوه منه^(٥)، فذلك:

قوله تعالى: ﴿وَشَرَّوْهُ بِشَمٍ بَحْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ ﴿١٥﴾

فيه ستُّ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَشَرَّوْهُ﴾ يقال: شَرَيْتُ بمعنى اشتريْتُ، وشَرَيْتُ بمعنى

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣١٩/٢.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٤٦/١٣ - ٤٩.

(٣) أخرجه الطبري ٤٦/١٣ - ٤٧، وينظر تفسير البغوي ٤١٥/٢.

(٤) أخرجه الطبري ٤٩/١٣ مختصراً.

(٥) عرائس الجالس ص ١١٨ - ١١٩ بنحوه.

بِعْتُ لَفَةً^(١)، قال الشاعر:

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كُنْتُ هَامَةً^(٢)

أي: بعْتُ. وقال آخر:

فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتْ الْعَيْنُ عَبْرَةً وَفِي الصَّدْرِ حُرَّازٌ مِنَ اللَّوْمِ حَامِزُ^(٣)

﴿يَشْتَبِ بِخُسٍ﴾ أي: نقص، وهو هنا مصدرٌ وُضِعَ موضع الاسم، أي: باعوه بشمنٍ مبخوس، أي: منقوص. ولم يكن قصدُ إخوته ما يستفيدونه من ثمنه، وإنما كان قصدُهم ما يستفيدونه من خُلُوِّ وجه أبيهم عنه^(٤).

وقيل: إن يهوذا رأى من بعيد أن يوسفَ أخرج من الجبِّ، فأخبر إخوته فجاءوا وباعوه من الواردة. وقيل: لا، بل عادوا بعد ثلاثٍ إلى البئر يتعرفون الخبر، فرأوا أثرَ السيارة فاتَّبَعُوهم وقالوا: هذا عبدنا أَبَقَ مَنَّا، فباعوه منهم^(٥).

وقال قتادة: «بَخُس»: ظلم. وقال الضَّحَّاك ومقاتل والسَّدي وابن عطاء: «بَخُس»: حرام^(٦).

وقال ابن العربي^(٧): ولا وجهَ له، وإنما الإشارةُ فيه إلى أنه لم يُستوفَ ثمنُه

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٧/٣.

(٢) قاله يزيد بن مُفَرِّغ الحميري، وسلف ٣/٣٩١، ويرد: اسم غلام ندم على بيعه. المحرر الوجيز ٣/٢٣٠. والهامة: من طيور الليل، كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يُدْرَك بثأره تصير هامة فتزقُّ عند قبره، تقول: اسقوني، اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت. الصحاح (هيم).

(٣) قاله الشَّماخ بن ضرار، وهو في ديوانه ص ١٩٠، وفيه: الوجد، بدل: اللوم. والحُرَّاز: ما حَزَّ في القلب. والحَمَازة: الشَّدة، وقد حَمَزَ الرجل، بالضم، فهو حميز الفؤاد وحامز. الصحاح (حزز) و(حمز).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٧/٣.

(٥) ينظر عرائس المجالس ص ١١٨ - ١١٩.

(٦) تفسير الطبري ١٣/٥٤ - ٥٥، والنكت والعيون ٣/١٨، وتفسير البغوي ٢/٤١٦.

(٧) في أحكام القرآن ٣/١٠٦٧.

بالقيمة؛ لأن إخوته إن كانوا باعوه فلم يكن قصدهم ما يستفيدونه من ثمنه، وإنما كان قصدهم ما يستفيدون من خلق وجه أبيهم عنه، وإن كان الذين باعوه الواردة، فإنهم أخفوه مقتطعاً، أو قالوا لأصحابهم: أرسل معنا بضاعة، فأروا أنهم لم يعطوا عنه ثمناً، وأن ما أخذوا فيه ربح كله.

قلت: قوله: وإنما الإشارة فيه إلى أنه لم يستوف ثمنه بالقيمة؛ يدل على أنهم لو أخذوا القيمة فيه كاملة كان ذلك جائزاً. وليس كذلك، فدل على صحة ما قاله السدي وغيره؛ لأنهم أوقعوا البيع على نفس لا يجوز بيعها، فلذلك كان لا يحل لهم ثمنه.

وقال عكرمة والشعبي: قليل^(١). وقال ابن حيّان: زئف^(٢). وعن ابن عباس وابن مسعود باعوه بعشرين درهماً، أخذ كل واحد من إخوته درهمين، وكانوا عشرة، وقاله قتادة والسدي. وقال أبو العالية ومقاتل: اثنين وعشرين درهماً، وكانوا أحد عشر، أخذ كل واحد درهمين، وقاله مجاهد. وقال عكرمة: أربعين درهماً^(٣). وما روي عن الصحابة أولى. و«بخس» من نعت «ثمن».

﴿دَرَاهِمٌ﴾ على البذل والتفسير له. ويقال: دراهيم على أنه جمع درهم، وقد يكون اسماً للجمع عند سيبويه، ويكون أيضاً عنده على أنه مد الكسرة فصارت ياء، وليس هذا مثل مد المقصور؛ لأن مد المقصور لا يجوز عند البصريين في شعر ولا غيره. وأنشد النحويون:

تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفْيِ الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِفِ^(٤)

(١) أخرجه الطبري ٥٥/١٣.

(٢) أورده البغوي ٤١٦/٢ عن ابن عباس وابن مسعود.

(٣) أخرج هذه الأقوال الطبري ٥٦/١٣ - ٥٩، وينظر النكت والعيون ١٨/٣، وتفسير البغوي ٤١٦/٢، وزاد المسير ١٩٧/٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٠/٢، والبيت للفرزدق، وهو في الكتاب ٢٨/١، والكامل للمبرد ٣٢٩/١، والخزانة ٤٢٦/٤. ويصف فيه ناقته بسرعة السير في الهاجرة، فيقول: إن يديها لشدة وقعها في الحصى ينفيانه، فيقرع بعضه بعضاً، ويُسمع له صليل كصليل الدنانير إذ انتقدها الصيرفي، فنفي رديتها عن جيدها. وخصّ الهاجرة لتعذر السير فيها. الخزانة.

﴿مَعْدُودَةٌ﴾ نعت، وهذا يدل على أن الأثمان كانت تجري عندهم عدداً لا وزناً بوزن. وقيل: هو عبارة عن قلة الثمن؛ لأنها دراهم لم تبلغ أن تُوزن لِقِلَّتِها، وذلك أنهم كانوا لا يزنون ما كان دون الأوقية، وهي أربعون درهماً^(١).

الثانية: قال القاضي ابن العربي^(٢): وأصل النقدين الوزن، قال ﷺ: «لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الفضة بالفضة، إلا وزناً بوزن، من زاد أو ازداد فقد أربى»^(٣). والزنة لا فائدة فيها إلا المقدار، فأما عينها فلا منفعة فيه، ولكن جرى فيها العد تخفيفاً عن الخلق لكثرة المعاملة، فيشق الوزن، حتى لو ضرب مثاقيل أو دراهم لجاز بيع بعضها ببعض عدداً إذا لم يكن بها نقصان ولا رُجحان، فإن نقصت عاد الأمر إلى الوزن، ولأجل ذلك كان كسرُها أو قرصُها من الفساد في الأرض حسب ما تقدّم^(٤).

الثالثة: واختلف العلماء في الدراهم والدنانير هل تتعين أم لا؟ وقد اختلفت الرواية في ذلك عن مالك؛ فذهب أشهب إلى أن ذلك لا يتعين، وهو الظاهر من قول مالك، وبه قال أبو حنيفة. وذهب ابن القاسم إلى أنها تتعين، وحكي عن الكرخي، وبه قال الشافعي. وفائدة الخلاف أننا إذا قلنا: لا تتعين؛ فإذا قال: بعتك هذه الدنانير بهذه الدراهم تعلقت الدنانير بذمة صاحبها، والدراهم بذمة صاحبها، ولو تعينت ثم تلفت لم يتعلق بذمتها شيء، وبطل العقد كبيع الأعيان من العروض وغيرها.

الرابعة: روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قضى في اللقيط أنه حرّ، وقرأ: ﴿وَشَرَوْهُ بِشَمْنٍ يُخْمِرُ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ وقد مضى القول فيه^(٥).

(١) النكت والعيون ٣/ ١٨ - ١٩، والمححر الوجيز ٣/ ٢٣٠.

(٢) في أحكام القرآن ٣/ ١٠٦٧.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٧٢٩)، ومسلم (١٥٨٧) بنحوه مطولاً من حديث عبادة بن الصامت ﷺ، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري ﷺ عند أحمد (١١٠٠٦)، والبخاري (٢١٧٦)، ومسلم (١٥٨٤)، وعن أبي بكره ﷺ عند أحمد (٢٠٣٩٥) والبخاري (٢١٧٥) ومسلم (١٥٩٠). وعن أبي هريرة ﷺ عند أحمد (٧٥٥٨)، ومسلم (١٥٨٨).

(٤) ٣/ ٣٨٧، ص ١٩٥-١٩٧ من هذا الجزء.

(٥) ص ٢٦٦ من هذا الجزء، وسلف قول الحسن ثمة.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَكَاثُوا فِيهِ مِنَ الزَّهْدِينَ﴾ قيل: المراد إخوته. وقيل: السيّارة. وقيل: الواردة، وعلى أيّ تقدير فلم يكن عندهم غَيْطاً، لا عند الإخوة؛ لأن المقصدَ زواله عن أبيه لا ماله. ولا عند السيّارة؛ لقول الإخوة: إنه عبد أبى منا؛ والزهد قِلَّةُ الرُّغْبَةِ. ولا عند الواردة؛ لأنهم خافوا اشتراك أصحابهم معهم، ورأوا أن القليل من ثمنه في الانفراد أولى^(١).

السادسة: في هذه الآية دليلٌ واضحٌ على جواز شراء الشيء الخطير بالثمن اليسير، ويكون البيع لازماً، ولهذا قال مالك: لو باع دُرَّةً ذاتَ خطرٍ عظيمٍ بدينارٍ ثم قال: لم أعلم أنها دُرَّةٌ وحسبْتُها مَحْشَلَةً^(٢) لزمه البيع، ولم يُلْتَفَتْ إلى قوله. وقيل: ﴿وَكَاثُوا فِيهِ مِنَ الزَّهْدِينَ﴾ أي: في حُسْنِهِ؛ لأن الله تعالى وإن أعطى يوسفَ شَطْرَ الحُسْنِ؛ صرف عنه دواعي نفوس القوم إليه إكراماً له. وقيل: ﴿وَكَاثُوا فِيهِ مِنَ الزَّهْدِينَ﴾ لم يعلموا منزلته عند الله تعالى^(٣). وحكى سيبويه والكسائي: زَهَدْتُ وَزَهَدْتُ؛ بكسر الهاء وفتحها^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ قيل: الاشتراء هنا بمعنى الاستبدال، إذ لم يكن ذلك عقداً، مثل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُتَنِ﴾ [البقرة: ١٦]. وقيل: إنهم ظنّوه في ظاهر الحال اشتراءً، فجرى هذا اللفظ

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٦٧.

(٢) المَحْشَلَةُ: كلمة عراقية، ليس على بنائها شيء من العربية، وهي تُتَّخَذُ من الليف والخرز، أمثال الحلي. اللسان (شخلب). ولم تقف على قول مالك المذكور.

(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٦١ عن الضحاك وابن جريج.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٠.

على ظاهر الظنّ. قال الضّحّاك: هذا الذي اشتراه ملك مصر، ولقبه العزيز. السّهيلى^(١): واسمه قطفير. وقال ابن إسحاق: إطفير بن رويحب^(٢)؛ اشتراه لامرأته راعيل؛ ذكره الماوردي^(٣). وقيل: كان اسمها زليخاء، وكان الله ألقى محبة يوسف على قلب العزيز، فأوصى به أهله، ذكره القشيري. وقد ذكر القولين في اسمها الثعلبي^(٤) وغيره.

وقال ابن عباس: إنما اشتراه قطفير وزير ملك مصر، وهو الريّان بن الوليد. وقيل: الوليد بن الريّان، وهو رجل من العمالة^(٥). وقيل: هو فرعون موسى^(٦)، لقول موسى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [غافر: ٣٤]، وأنه عاش أربع مئة سنة. وقيل: فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف، على ما يأتي في «غافر» بيانه^(٧).

وكان هذا العزيز الذي اشترى يوسف على خزائن الملك، واشترى يوسف من مالك بن دُغر بعشرين ديناراً، وزاده حُلّة ونعلين^(٨). وقيل: اشتراه من أهل الرّفقة. وقيل: تزايدوا في ثمنه فبلغ أضعاف وزنه مسكاً وعنبراً وحريراً وورقاً وذهباً ولآلئ وجواهر لا يعلم قيمتها إلا الله، فابتاعه قطفير من مالك بهذا الثمن، قاله وهب بن منبه^(٩).

(١) التعريف والإعلام ص ٨٠.

(٢) في تفسير الطبري ٦١/١٣، والوسيط للواحيدي ٦٠٥/٢: رويحب.

(٣) في النكت والعيون ١٩/٣، وأخرجه الطبري ٦١/١٣ - ٦٢.

(٤) ذكر الثعلبي في عرائس المجالس ص ١٢٠ أن اسمها راعيل، أو بكا بنت فيوش. وذكر الاسمين اللذين أوردهما المصنف رحمه الله ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٣١/٣، والبغوي في تفسيره ٤١٦/٢.

(٥) تفسير الطبري ٦١/١٣، والنكت والعيون ١٩/٣.

(٦) المحرر الوجيز ٢٣٠/٣، قال ابن عطية: وهذا ضعيف.

(٧) في تفسير الآية (٣٤)، وينظر تفسير الرازي ١٠٨/١٨.

(٨) ينظر النكت والعيون ١٩/٣.

(٩) عرائس المجالس ص ١٢٠، وتفسير البغوي ٤١٦/٢.

وقال وهب أيضاً وغيره: ولما اشترى مالك بن دُعر يوسف من إخوته كتب بينهم وبينه كتاباً: هذا ما اشترى مالك بن دُعر من بني يعقوب، وهم فلان وفلان مملوكاً لهم بعشرين درهماً، وقد شرطوا له أنه أبقي، وأنه لا ينقلب به إلا مقيداً مسلسلًا، وأعطاهم على ذلك عهد الله. قال: فودَّعهم يوسف عند ذلك، وجعل يقول: حَفِظْكُمْ الله وإن ضيَّعتموني، نَصْرَكُم الله وإن خَذَلْتُموني، رَحِمَكُم الله وإن لم ترحموني. قالوا: فألقت الأغنام ما في بطونها دماً غَيِيطاً لشدة هذا التوديع، وحملوه على قَتَبٍ بغير غطاء ولا وطاء، مقيداً مكبلاً مُسلسلاً، فمرَّ على مقبرة آل كنعان، فرأى قبر أُمِّه، وقد كان وُكِّلَ به أسودُ يحرسه، فَعَقَلَ الأسود، فألقى يوسف نفسه على قبر أُمِّه، فجعل يتمرَّغ ويعتنق القبر ويضطرب ويقول: يا أماه، ارفعي رأسك تَرَيِ ولدك مكبلاً مقيداً مُسلسلاً مغلولاً، فرَّقوا بيني وبين والدي، فأسألي الله أن يجمع بيننا في مستقرِّ رحمته، إنه أرحمُ الراحمين، فتفقَّده الأسودُ على البعير فلم يره، فقفا أثره، فإذا هو ببياضٍ على قبر، فتأمله، فإذا هو إياه، فركضه برجله في التراب ومرَّغه وضربه ضرباً وجيعاً، فقال له: لا تفعل، والله ما هربت ولا أَبَقْتُ، وإنما مررتُ بقبر أُمِّي فأحييتُ أنْ أودَّعها، ولن أرجع إلى ما تكرهون، فقال الأسود: والله إنك لعبد سوء، تدعو أباك مرةً وأُمَّك أخرى! فهلاً كان هذا عند مواليك، فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إن كانت لي عندك خطيئةٌ أخلقت بها وجهي، فأسألك بحق آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن تغفرَ لي وترحمني. فضجَّت الملائكةُ في السماء، ونزل جبريلُ فقال له: يا يوسف، غَضَّ صوتك، فلقد أبكيت ملائكةَ السماء، أفتريدُ أن أَقْلِبَ الأرض فأجعلَ عاليها سافلها؟ قال: تثبَّت يا جبريل، فإنَّ الله حليمٌ لا يعجل، فضرب الأرضَ بجناحه فأظلمت، وارتفع الغبار، وكَسَفَت الشمس، وبقيت القافلة لا يعرفُ بعضها بعضاً، فقال رئيسُ القافلة: مَنْ أحدثَ منكم حدثاً؟ فإني أسافر منذ كيت وكيت ما أصابني قطُّ مثلُ هذا، فقال الأسود: أنا لطمتُ ذلك الغلامَ العبرانيّ، فرفع يده إلى السماء وتكلَّم بكلامٍ لا أعرفه، ولا أشكُّ أنه دعا علينا، فقال له: ما أردتُ

إلا هلاكنا! آيتنا به، فأتاه به، فقال له: يا غلام، لقد لطمك هذا العبد^(١)، فجاءنا ما رأيت، فإن كنت تقتصّ فاقصّ ممن شئت، وإن كنت تعفو فهو الظن بك، قال: قد عفوت رجاء أن يعفو الله عني، فانجلت الغبرة، وظهرت الشمس، وأضاء مشارق الأرض ومغاربها، وجعل التاجر يزوره بالغداة والعشي ويكرمه، حتى وصل إلى مصر، فاغتسل في نيلها، وأذهب الله عنه كآبة السفر، وردّ عليه جماله، ودخل به البلد نهاراً، فسطع نوره على الجدران، وأوقفوه للبيع^(٢)، فاشتراه قبطير وزير الملك؛ قاله ابن عباس على ما تقدّم^(٣).

وقيل: إن هذا الملك لم يمُت حتى آمن وأتبع يوسف على دينه، ثم مات الملك ويوسف يومئذ على خزائن الأرض، فملك بعده قابوس وكان كافراً، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى^(٤).

﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾ أي: منزله ومقامه بطيب المَطْعَم واللباس الحَسَن، وهو مأخوذ من ثوى بالمكان، أي: أقام به^(٥)، وقد تقدّم في «آل عمران»^(٦) وغيره.

﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَّا﴾ أي: يكفيّنّا بعض المهمات إذا بلغ. ﴿أَوْ نَنْخِذْهُ وَلَدًا﴾. قال ابن عباس: كان حَضُوراً لا يُولَد له، وكذا قال ابن إسحاق: كان قبطير لا يأتي النساء ولا يُولد له^(٧). فإن قيل: كيف قال: «أَوْ نَنْخِذْهُ وَلَدًا» وهو ملكه، والولدية مع

(١) قوله: هذا العبد، من (ظ).

(٢) الخبر من الإسرائيليات، وينظر عرائس المجالس للثعلبي ص ١١٩ - ١٢٠، والوسيط للواحدى ٦٠٥/٢.

(٣) ص ٢٩٩ من هذا الجزء.

(٤) تفسير الرازي ١٠٨/١٨.

(٥) تفسير الرازي ١٠٩/١٨.

(٦) ٣٥٧/٥.

(٧) قول ابن عباس ؑ ذكره الواحدى في الوسيط ٦٠٥/٢، والرازي في تفسيره ١٠٩/١٨ دون نسبة. وقول ابن إسحاق أخرجه الطبري ٦٣/١٣.

العَبْدِيَّة^(١) تتناقض؟ قيل له: يُعْتَقَهُ ثُمَّ يَتَّخِذُهُ وَلِذَا بِالتَّبْنِيِّ، وكان التَّبْنِيُّ في الأُمَم معلوماً عندهم، وكذلك كان في أول الإسلام، على ما يأتي بيانه في «الأحزاب»^(٢) إن شاء الله تعالى.

وقال عبد الله بن مسعود: أحسنُ الناسُ فِرَاسَةً ثلاثة، العزيزُ حينَ تفرَّسَ في يوسف، فقال: ﴿عَسَى أَنْ يَفْعَمَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾، وبنْتُ شُعَيْبٍ حينَ قالت لأبيها في موسى: ﴿أَسْتَجِرُّهُ لِيَكْ خَيْرٌ مِنِ اسْتَجَرَّتْ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصاص: ٢٦]، وأبو بكر حين استخلفَ عمر^(٣).

قال ابن العربي^(٤): عجباً للمفسرين في اتِّفَاقهم على جلب هذا الخبر! والفِرَاسَةُ هي علم غيب^(٥)، على ما يأتي بيانه في سورة الحجر^(٦)، وليس كذلك فيما نقلوه؛ لأن الصَّدِيق إنما وُلِّيَ عمرَ بالتجربة في الأعمال والمواظبة على الصُّحبة وطولها، والاطِّلاع على ما شاهد منه من العلم والمِنَّة، وليس ذلك من طريق الفِرَاسَةِ، وأما بنتُ شُعَيْبٍ؛ فكانت معها العلامةُ البينة على ما يأتي بيانه في «القصاص»^(٧). وأما أمرُ العزيز فيمكن أن يُجعلَ فِرَاسَةً؛ لأنه لم يكن معه علامةٌ ظاهرة. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ الكاف في موضع نصب، أي: وكما أنقذناه من إخوته ومن الجُبِّ؛ فكذلك مكَّنَّا له، أي: عطفنا عليه قلبَ الملك الذي اشتراه حتى تمكَّن من الأمر والنهي في البلد الذي الملكُ مستولٍ عليه^(٨).

(١) في (ظ): والوالدية مع العبودية.

(٢) في تفسير الآيتين (٤) و(٣٧).

(٣) أخرجه الطبري ٦٤/١٣.

(٤) في أحكام القرآن ١٠٦٨/٣، وقول ابن مسعود رحمه السالف فيه.

(٥) في (م): غريب، وفي أحكام القرآن لابن العربي: غريبٌ حدّه.

(٦) في تفسير الآية (٧٥).

(٧) في تفسير الآية (٢٦).

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٠/٢.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُمُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي: فعلنا ذلك تصديقاً لقول يعقوب: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦]. وقيل: المعنى مكثاه لِنُوحِي إليه بكلام منّا، ونعلّمه تأويله وتفسيره، وتأويل الرؤيا، وتمّ الكلام^(١).

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ الهاء راجعة إلى الله تعالى، أي: لا يغلبُ الله شيء، بل هو الغالبُ على أمر نفسه فيما يُريده أن يقول له: كُنْ، فَيَكُونُ. وقيل: ترجع إلى يوسف، أي: الله غالبٌ على أمر يوسف يُدبره ويحوطه ولا يَكِلُهُ إلى غيره، حتى لا يَصِلَ إليه كَيْدُ كائد^(٢).

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يَطَّلِعُونَ على غَيْبِهِ. وقيل: المراد بالأكثر الجميع؛ لأن أحداً لا يعلم الغيب. وقيل: هو مُجرى على ظاهره، إذ قد يُطْلَعُ من يُريد على بعض غَيْبِهِ. وقيل: المعنى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله غالبٌ على أمره، وهم المشركون ومن لا يؤمن بالقَدَر^(٣).

وقالت الحكماء في هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ حيث أمره يعقوبُ ألا يقصّ رؤياه على إخوته، فغلب أمرُ الله حتى قَصَّ، ثم أراد إخوته قتله، فغلب أمرُ الله حتى صار ملكاً وسجدوا بين يديه، ثم أراد الإخوة أن يَخْلُوَ لهم وجهُ أبيهم، فغلب أمرُ الله حتى ضاق عليهم قلبُ أبيهم وافتكروه بعد سبعين سنة أو ثمانين سنة، فقال: ﴿يَتَأَسَّفُ عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، ثم تدبّروا أن يكونوا من بعده قوماً صالحين، أي: تائبين، فغلب أمرُ الله حتى نسوا الذنبَ وأصرّوا عليه حتى أقروا بين يدي يوسف في آخر الأمر بعد سبعين سنة، وقالوا لأبيهم: إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ، ثم أرادوا أن يخذعوا أباهم بالبكاء والقميص، فغلب أمرُ الله، فلم ينخدع، وقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ [يوسف: ٨٣]، ثم احتالوا في أن تزولَ محبته من قلب أبيهم، فغلب أمرُ الله

(١) المصدر السابق.

(٢) الكلام ينحوه في تفسير البغوي ٤١٧/٢، وينظر النكت والعيون ٢٠/٣.

(٣) ينظر الوسيط للواحدى ٦٠٦/٢.

فازدادت المحبة والشوق في قلبه، ثم دَبَّرَت امرأة العزيز أنها إن ابتردته بالكلام غلبته، فغلب أمرُ الله حتى قال العزيز: «اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ» [يوسف: ٢٩]، ثم دَبَّرَ يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقى، فغلب أمرُ الله فَنَسِيَ السَاقِي، وَلَبِثَ يَوْسُفُ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ «أَشُدُّهُ» عند سيبويه جمع، واحده شِدَّة. وقال الكسائي: واحده شُدٌّ، كما قال الشاعر:

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا خُضِبَ الْبَنَانُ^(٢) وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلِمِ^(٣)
وزعم أبو عبيدة^(٤) أنه لا واحد له من لفظه عند العرب، ومعناه استكمال القوة، ثم يكون النقصان بعد. وقال مجاهد وقتادة: الْأَشُدُّ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً. وقال ربيعة وزيد بن أسلم ومالك بن أنس: الْأَشُدُّ بِلَوْغِ الْحُلُمِ^(٥)، وقد مضى ما للعلماء في هذا في «النساء» و«الأنعام» مستوفى^(٦).

﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قيل: جعلناه المُستولِي على الحُكْم، فكان يحكم في سلطان الملك، أي: وآتيناه عِلْمًا بِالْحُكْمِ^(٧). وقال مجاهد: العقل والفهم والنبوة^(٨).

(١) الكلام بنحوه في زاد المسير ١٩٩/٤.

(٢) في (م): اللَّبَان، وهي رواية كما في الخزانة ٤٩٢/٩، واللَّبَان: الصدر.

(٣) قائله عترة العبيسي، وهو في ديوانه ص ٢٧، وفيه: مَدَّ النَّهَارَ، بدل: شَدَّ النَّهَارَ - وهما روايتان كما في الخزانة - وقد أورد البيت بلفظ المصنف النحاس في إعراب القرآن ٣٢١/٢، والكلام منه، والعظم: صيغ أحمر. اللسان (عظم).

(٤) في (د) و(ز) و(ظ) و(م): أبو عبيد، والمثبت من (ف) وإعراب القرآن للنحاس، وقول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٣٠٥/١.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٢١/٢، والأقوال السالفة أخرجها الطبري ٦٧/١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢١١٨/٧ - ٢١١٩.

(٦) ٦٠/٦ - ٦١ (النساء) و ١١١/٩ - ١١٢ (الأنعام).

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٣٢١/٢.

(٨) أخرج الطبري ٦٨/١٣ وابن أبي حاتم في تفسيره ٢١١٩/٧، بلفظ: العقل والعلم قبل النبوة.

وقيل: الحُكْمُ النبوة^(١)، والعِلْمُ علم الدين، وقيل: علم الرؤيا^(٢)، ومن قال: أوتي النبوة صبيّاً قال: لما بلغ أشدّه زُدناه فهماً وعلماً.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني المؤمنين. وقيل: الصابرين على النوائب كما صبر يوسف، قاله الضحاك^(٣). وقال الطبري^(٤): هذا وإن كان مخرجه ظاهراً على كل مُحْسِنٍ؛ فالمراد به محمد ﷺ، يقول الله تعالى: كما فعلتُ هذا بيوسف بعد أن قاسى ما قاسى ثم أعطيتُه ما أعطيتُه، كذلك أنجيك من مُشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة، وأمكّن لك في الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِوَيْهَمٍ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّي كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ وهي امرأة العزيز، طلبت منه أن يواقعها. وأصل المراودة الإرادة والطلب برفق ولين. والرُّود والرِّياد طلب الكلاء؛ وقيل: هي من رويد؛ يقال: فلان يمشي رويداً، أي: برفق؛ فالمرادة: الرفق في الطلب؛ يقال في الرجل: راودها عن نفسها، وفي المرأة: راودته عن نفسه. والرُّود: التأنّي؛ يقال: أرودني: أمهلني.

﴿وَوَلَّغَتْ الْأَبْوَابَ﴾ غلّقت للتكثير، ولا يقال: غلّقت الباب، وأغلّقت يقع للكثير والقليل، كما قال الفرزدق في أبي عمرو بن العلاء:

ما زلتُ أغلّقتُ أبواباً وأفتحُها حتى أتيتُ أبا عمرو بن عَمَّارٍ^(٥)

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٢٠/٧ عن السدي.

(٢) ينظر النكت والعيون ٢١/٣ ، وزاد المسير ٢٠١/٤ .

(٣) أورده ابن الجوزي في زاد المسير ٢٠١/٤ دون نسبة.

(٤) في تفسيره ٦٩/١٣ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٢١/٢ ، والبيت في أدب الكاتب ص ٤٦١ ، والبيان والتبيين ٣٢١/١ وهو =

يقال: إنها كانت سبعة أبواب غلَّقَتْها ثم دعتَه إلى نفسها ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ أي: هَلُمَّ وَأَقْبِلْ وَتَعَالَ، ولا مصدرَ له ولا تصريح^(١).

قال النحاس^(٢): فيها سبعُ قراءات، فمن أجل ما فيها وأصحَّه إسناداً ما رواه الأعمش عن أبي وإيل قال: سمعتُ عبدَ الله بن مسعود يقرأ: «هَيْتَ لَكَ» قال: فقلت: إنَّ قوماً يقرؤونها: «هَيْتُ لك»، فقال: «إنَّما أقرأ كما علَّمتُ»^(٣).

قال أبو جعفر^(٤): وبعضهم يقول: عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ، ولا يبعُدُ ذلك؛ لأنَّ قوله: «إنَّما أقرأ كما علَّمتُ، يدلُّ على أنه مرفوع. وهذه القراءة بفتح التاء والهاء هي الصحيحة من قراءة ابن عباس وسعيد بن جبيرة والحسن ومجاهد وعكرمة. وبها قرأ أبو عمرو بن العلاء وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي»^(٥).

قال عبد الله بن مسعود: لا تَنْطَعُوا^(٦) في القرآن؛ فإنما هو مثلُ قول أحدكم: هَلُمَّ وَتَعَالَ^(٧).

وقرأ ابن أبي إسحاق النَّحْوِيُّ: «وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ»؛ بفتح الهاء وكسر التاء. وقرأ

= فيهما برواية: ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها. وقد يأتي غلَّقَ مع المفرد، فيقال: غلَّقْتُ الباب، وذلك إذا أغلقت باباً واحداً مراراً، أو أحكمت إغلاق باب. مفردات الراغب (غلَق).

(١) الوسيط ٦٠٦/٢ - ٦٠٧ .

(٢) في إعراب القرآن ٣٢٢/٢ .

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٠٤) و(٤٠٠٥)، وقد قيد صاحب بذل المجهود ٣٣٢/١٦ «هيت» الثانية في إحدى الروايتين بكسر الهاء وسكون الياء وضم التاء، والرواية الثانية مثلها ولكن بهمزة بدل الياء، أي: «هَيْتُ». وقد أخرجه مختصراً البخاري (٤٦٩٢).

(٤) في إعراب القرآن ٣٢٢/٢ .

(٥) السبعة ص ٣٤٧، والتيسير ص ١٢٨ عن أبي عمرو وحمزة وعاصم والكسائي.

(٦) في (د) و(م): تقطعوا.

(٧) معاني القرآن للنحاس ٢١٠/٣، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٣٢٠/١، وابن أبي شيبة ٤٨٨/١٠، والطبري ٧٧/١٣. قال ابن الأثير في النهاية (نطع): أراد النهي عن الملاحظة في القراءات المختلفة، وأنَّ مرجعها إلى وجه واحد من الصواب، كما أن هلم بمعنى تعال.

أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ وابن كثير: «هَيْتُ لَكَ»؛ بفتح الهاء وضمّ التاء^(١)؛ قال طَرَفَة:

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داعٍ من العَشيرة هَيْتُ^(٢)
فهذه ثلاث قراءاتٍ الهاءُ فيهنَّ مفتوحة.

وقرأ أبو جعفر وشيبةٌ ونافعٌ: «وَقَالَتْ هَيْتُ لَكَ» بكسر الهاء وفتح التاء^(٣).

وقرأ يحيى بن وثّاب: «وَقَالَتْ هَيْتُ لَكَ» بكسر الهاء وبعدها ياءٌ ساكنة والتاء مضمومة. وروى عن عليّ بن أبي طالب ؑ وابن عباس ومجاهد وعكرمة: «وَقَالَتْ هَيْتُ لَكَ» بكسر الهاء وبعدها همزة ساكنة والتاء مضمومة^(٤).

وعن ابن عامر وأهل الشام: «وَقَالَتْ هَيْتُ» بكسر الهاء وبالهمزة وفتح التاء^(٥).

قال أبو جعفر^(٦): «هَيْتُ لَكَ» بفتح التاء لالتقاء الساكنين؛ لأنه صوتٌ نحو: مَهْ وصَهْ، يجب ألا يُعْرَبَ، والفتح خفيف^(٧)؛ لأنَّ قبلَ التاء ياءٌ مثل: أَيْنَ وكيف. ومَنْ كَسَرَ التاء فإنَّما كَسَرها لأنَّ الأصل الكسر؛ لأنَّ الساكن إذا حُرِّك حُرِّك إلى الكسر، ومَنْ ضَمَّ فَلِأَنَّ فيه معنى الغاية، أي: قالت: دعائي لك، فلما حُذفت الإضافة بُني على الضم، مثل: حيثُ وبعْدُ.

وقراءة أهل المدينة فيها قولان: أحدهما: أن يكون الفتح لالتقاء الساكنين كما

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢٢، وقراءة ابن كثير في السبعة ص ٣٤٧، والتيسير ص ١٢٨، وقراءة ابن أبي إسحاق في المحتسب ١/٣٣٧.

(٢) ديوان طرفة ص ١٤٣.

(٣) السبعة ص ٣٤٧، والتيسير ص ١٢٨، والنشر ٢/٢٩٣ عن نافع وأبي جعفر وابن ذكوان راوي ابن عامر.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢١، وقراءة علي وابن عباس - ؑ - في المحتسب ١/٣٣٧.

(٥) السبعة ص ٣٤٧، والتيسير ص ١٢٨ وهي من رواية هشام عن ابن عامر.

(٦) هو النحاس، وكلامه في إعراب القرآن ٢/٣٢٢، وما قبله منه.

(٧) إلى هذا الموضع كلام النحاس، وما بعده من معاني القرآن للزجاج ٣/١٠٠.

مرّاً. والآخر: أن يكون فعلاً من: هَاءٌ يَهِيءُ، مثل: جاء يجيء. فيكون المعنى في «هَيْتَ» أي: حَسُنْتَ هَيْثُكَ [وخفف الهمزة]، ويكون «لَكَ» من كلام آخر، كما تقول: لك أعني^(١).

وَمَنْ هَمَزَ وَضُمَّ التاء فهو فَعْلٌ بمعنى: تَهَيَّأْتُ لك، وكذلك مَنْ قرأ: «هَيْتُ لَكَ». وأنكر أبو عمرو هذه القراءة؛ قال أبو عبيدة مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى^(٢): سئل أبو عمرو عن قراءة مَنْ قرأ بكسر الهاء وضُمَّ التاء مهموزاً، فقال أبو عمرو: باطل، جَعَلَهَا مِنْ تَهَيَّأْتُ، اذهب فاستغْرِضِ الْعَرَبَ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْيَمَنِ؛ هل تعرف أحداً يقول هذا؟ وقال الكسائي أيضاً: لم تُحَكَّ «هَيْتُ» عن العرب. قال عكرمة: «هَيْتُ لَكَ» أي: تَهَيَّأْتُ لك وَتَزَيَّنْتُ وَتَحَسَّنْتُ^(٣)، وهي قراءةٌ غَيْرُ مَرْضِيَّةٍ؛ لَأَنَّهَا لَمْ تُسْمَعْ فِي الْعَرَبِيَّةِ.

قال النحاس^(٤): وهي جيّدة عند البصريين؛ لأنه يقال: هَاءُ الرَّجُلِ يَهَاءُ وَيَهِيءُ هَيْئَةً، فهَاءٌ يَهِيءُ مِثْلُ جَاءٌ يَجِيءُ، وهَيْتُ مِثْلُ: جِئْتُ.

وَكَسَرُ الْهَاءِ فِي «هَيْتَ» لَغَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْثِرُونَ كَسَرَ الْهَاءِ عَلَى فَتْحِهَا.

قال الزجاج^(٥): أَجُودُ الْقَرَاءَاتِ: «هَيْتَ» بفتح الهاء والتاء. قال طرفة:

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داعٍ من العشيرة هَيْتُ^(٦)

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٢/٢ - ٣٢٣، وما سلف بين حاصرتين منه. وكذلك القول في «هَيْتَ» التي بالهمز وفتح التاء. الدر المصون ٤٦٤/٦ - ٤٦٥.

(٢) في مجاز القرآن ٣٠٦/١ - ٣٠٧.

(٣) قول عكرمة وقول الكسائي أخرجهما الطبري ٧٥/١٣ و ٧٦.

(٤) في معاني القرآن ٤١٠/٣.

(٥) في معاني القرآن ١٠٠/٣.

(٦) سلف هذا البيت قريباً، ووقع بعده في (م): بفتح الهاء والتاء. ولكن ذكر هذا البيت في هذا الموضع وهم من المصنف رحمه الله، فقد ذكر الزجاج في هذا الموضع البيتين اللذين سيردان بعده في عليّ، ثم قال: وحكى قطرب أنه أنشد بعض أهل الحجاز لطرفة...، شاهداً على قرأته «هَيْتَ» بضم التاء، ويدل على ذلك أنه قرن به بيتاً آخر من نفس القصيدة والتي هي بضم التاء في القافية.

وقال الشاعر في علي بن أبي طالب عليه السلام:

أبلغ أمير المؤمنين ين أخا العراق إذا أتيتنا
أن العراق وأهلَهُ سلم إليك فهيت هيتاً^(١)

قال ابن عباس والحسن: «هيت» كلمة بالسريانية؛ تدعوه إلى نفسها^(٢). وقال
الشدي: معناها بالقبطية: هلم لك^(٣).

قال أبو عبيد: كان الكسائي يقول: هي لغة لأهل حوران وقعت إلى أهل
الحجاز، معناه: تعال. قال أبو عبيد: فسألت شيخاً عالماً من حوران، فذكر أنها
لغتهم^(٤). وبه قال عكرمة^(٥).

وقال مجاهد وغيره: هي لغة عربية تدعوه بها إلى نفسها، وهي كلمة حث وإقبال
على الأشياء^(٦).

قال الجوهري^(٧): يقال: هوَّت به وهَيْتَ به: إذا صاح به ودعاه. قال:

قد رابني أن الكري أسكتنا لو كان مغنياً بها لهيتاً^(٨)

(١) مجاز القرآن ٣٠٥/١ ومعاني القرآن للزجاج ١٠٠/٣، وتفسير الطبري ٧٠/١٣، والحجة للفراسي ٤١٧/٤، والصحاح (هيت)، ونسبه الطبري في التاريخ ٥٦٤/٤ لرجل من أهل العراق، وروايته في المصادر: عُتق، بدل: سلم. ومعنى عُتق، أي: أقبلوا إليك بجماعتهم، وقيل: هم مائلون إليك ومتظرون. اللسان (عتق)، والبيتان فيه.

(٢) النكت والعيون ٢٣/٣، وزاد المسير ٢٠٣/٤، وأخرجه الطبري ٧٢/١٣، جميعهم عن الحسن، ولم
نقف عليه عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري ٧٢/١٣.

(٤) أخرجه الطبري ٧٤/١٣.

(٥) علقه البخاري قبل الحديث (٤٦٩٢)، ووصله الطبري ٧٢/١٣ من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٦) تفسير البغوي ٤١٧/٢، وأخرجه الطبري ٧٣/١٣.

(٧) في الصحاح (هيت).

(٨) الحجة للفراسي ٤١٨/٤، والصحاح (هيت)، والفاثق ٣١٥/٢. ونسبه الفرسي لبعض البغداديين.

أي: صاح. وقال آخر:

يَخْدُو بِهَا كُلُّ فِتْنَى هَيَّاتٍ^(١)

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أي: أعوذ بالله وأستجير به مما دعوتني إليه، وهو مصدر، أي: أعوذ بالله معاذاً، فيُحذف المفعول^(٢) وينتصب المصدر بالفعل المحذوف، ويضاف المصدر إلى اسم الله كما يضاف المصدر إلى المفعول، كما تقول: مررتُ بزيد مرورَ عمرو، أي: كمروري بعمرو.

﴿إِنَّهُمْ رَبِّي﴾ يعني زوجها، أي: هو سيدي، أكرمني فلا أخونه؛ قاله مجاهد وابن إسحاق والسدي^(٣). وقال الزجاج: أي إنَّ الله ربِّي تَوَلَّاني بِلُطْفِهِ؛ فلا أركب ما حرَّمه^(٤). ﴿إِنَّهُمْ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾.

وفي الخبر أنها قالت له: يا يوسف، ما أَحَسَنَ صورةَ وَجْهِكَ! قال: في الرَّجَمِ صَوْرَتِي رَبِّي. قالت: يا يوسف، ما أَحَسَنَ شَعْرَكَ! قال: هو أَوْلُ شيءٍ يَبْلَى مِنِّي في قَبْرِي. قالت: يا يوسف، ما أَحَسَنَ عَيْنَيْكَ! قال: بهما أنظر إلى رَبِّي. قالت: يا يوسف، ارفع بصرَكَ فانظر في وَجْهِي، قال: إِنِّي أَخَافُ الْعَمَى في آخِرَتِي. قالت: يا يوسف، أدنو منك وتباعدُ مِنِّي؟! قال: أريد بذلك القربَ من رَبِّي. قالت: يا يوسف، الْقَيْطُونَ فرشتُهُ لك فادخل معي، قال: الْقَيْطُونَ لا يَسْتَرْنِي من رَبِّي. قالت: يا يوسف، فراش الحرير قد فرشتُهُ لك، قم فاقض حاجتي، قال: إِذَا يَذْهَبُ مِنَ الْجَنَّةِ نَصِيبِي. إلى غير ذلك من كلامها وهو يُراجِعها إلى أَنَّ هَمَّ بِهَا^(٥).

(١) هو في الصحاح (هيت)، وأساس البلاغة (هيت).

(٢) في (ظ): فيحذف الفعل.

(٣) النكت والعيون ٢٣/٣، وأخرج قولهم الطبري ٧٨/١٣ - ٧٩. قال البغوي ٤١٨/٢: هذا قول أكثر المفسرين.

(٤) كذا ذكر المصنف وكذلك نقل الماوردي في النكت والعيون ٢٣/٣ عن الزجاج، والذي في معاني القرآن للزجاج ١٠١/٣: ﴿إِنَّهُمْ رَبِّي﴾ أي: إن العزيز صاحبي... فيكون هذا القول كالذي قبله.

(٥) نواذر الأصول ص ٢٤٩، والوسيط ٦٠٧/٢، وأخرجه الطبري ٨٠/١٣ مختصراً عن السدي.

وقد ذكر بعضهم: ما زال النساء يَمْلَنَ إلى يوسف مَيْلَ شهوةٍ حتى نبأه الله، فألقى عليه هيئة النبوة، فشغلت هيئته كلَّ مَنْ رآه عن حُسْنِهِ.

واختلف العلماء في همِّه، ولا خلاف أنَّ همَّها كان المعصية، وأمَّا يوسف فهمُّ بها ﴿لَوْلَا أَنْ رَمَا بُرْهَانٌ رَبِّيَّ﴾ ولكن لما رأى البرهان ما همُّ؛ وهذا لوجوب العصمة للأنبياء؛ قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوَّ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ فإذا في الكلام تقديم وتأخير، أي: لولا أنَّ رأى برهان ربِّه همُّ بها^(١).

قال أبو حاتم: كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة، فلما أتيتُ على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْءُ وَهَمَّ بِهَا﴾ الآية، قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير. كأنه أراد: ولقد همتَّ به، ولولا أنَّ رأى برهان ربِّه لهمُّ بها [أي: لم يهَمُّ بها]^(٢).

وقال أحمد بن يحيى: أي: همَّتْ زليخاء بالمعصية وكانت مُصِرَّةً، وهمَّ يوسف ولم يواقع ما همُّ به؛ فبينَ الهمَّين فرق^(٣)، ذكر هذين القولين الهرويُّ في كتابه. قال جميل:

هَمَمْتُ بِهِمْ مِنْ بُشِينَةٍ لَوْ بَدَا شَفِيتُ غَلِيلَاتِ الْهَوَى مِنْ فُؤَادِيَا^(٤)
آخر:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عِثْمَانَ تَبْكِي حَلَالُهُ^(٥)

= والقيطون: المخدع بلغة أهل مصر. الصحاح (قطن). وقوله آخر الخبر: همُّ بها، لا يلتفت إليه، لأن الله تعالى قال: ﴿وهمَّ بها لولا أنَّ رأى برهان ربِّه﴾. فامتنع الهمُّ لوجود البرهان، كما سيرد.

(١) إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر الأنباري ٧٢١/٢، والأضداد له ص ٤١٢، والمكتفى في الوقف والابتداء للداني ص ٣٢٥، وتفسير البغوي ٤١٨/٢. قال ابن الأنباري: فالوقف في هذا المذهب على: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْءُ﴾.

(٢) القطع والاشتاف للنحاس ٣٣١/١، وما بين حاصرتين منه.

(٣) تهذيب اللغة ٣٨٢/٥، والوسيط ٦٠٨/٢، وأحمد بن يحيى هو ثعلب.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٢٤/٣.

(٥) قائله ضابئ بن الحارث البُرْجُمِي، كما في الأضداد لأبي بكر الأنباري ص ٤١١، وطبقات فحول الشعراء ١٧٤/١، والخزانة ٣٢٣/٩. وكان قد هم بقتل عثمان ؓ، فأعلم بذلك، فضربه وحبسه وفي ذلك قال الأبيات التي منها هذا البيت الخزانة ٣٢٦/٩.

فهذا كله حديثٌ نفسٍ من غير عزم.

وقيل: همَّ بها: تمنى زواجيتها^(١).

وقيل: همَّ بها، أي: بضربها ودفعها عن نفسه، والبرهانُ كُفُّه عن الضرب؛ إذ لو ضَرَبَهَا لأَوْهَمَ أنه قَصَدَهَا بالحرام، فامتنعت، فضَرَبَهَا^(٢).

وقيل: إنَّ همَّ يوسفَ كان معصيةً، وأنه جلس منها مجلسَ الرجل من امرأته. وإلى هذا القول ذهب معظمُ المفسرين وعامتهم، فيما ذكر القشيريُّ أبو نصر، وابنُ الأنباريُّ والنحاسُ والماورديُّ وغيرهم^(٣)؛ قال ابن عباس: حلَّ الهمَّيان وجلس منها مجلسُ الخاتن، وعنه: استلقت على قفاها، وقعد بين رجلها ينزع ثيابه. وقال سعيد ابن جبير: أطلق تَكَّةَ سراويله. وقال مجاهد: حلَّ السراويل حتى بلغ الأليتين، وجلس منها مجلسَ الرجل من امرأته^(٤).

قال ابن عباس: ولمَّا قال: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قال له جبريل: ولا حينَ همَّمتَ بها يا يوسف؟ فقال عند ذلك: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾^(٥). قالوا: والانكفافُ

(١) ذكره الثعلبي في عرائس المجالس ص ١٢٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الأضداد لابن الأنباري ص ٤١١.

(٣) الأضداد ص ٤١٢، ومعاني القرآن للنحاس ٤١١/٣، والنكت والعيون ٢٥/٣.

(٤) أخرج هذه الأقوال الطبري ٨٢/١٣ - ٨٥ وكلها من الإسرائيليات المكذوبة. قال أبو حيان في البحر ٢٩٥/٥: طَوَّلَ المفسرون في تفسير هذين الهمَّين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق، والذي اختاره أن يوسف لم يقع منه هم البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان، كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله... وأما أقوال السلف فتعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك؛ لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضاً، مع كونها قاذحة في بعض فساق المسلمين فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة، والذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب؛ لأنهم قدَّروا جواب «لولا» محذوفاً ولا يدل عليه دليل... إلى آخر كلامه. وذكر الألوسي في روح المعاني ٢١٥/١٢ عن الطيبي قوله: وجلَّ هذه الروايات بل كلها مأخوذ من مسألة أهل الكتاب.

(٥) أخرجه الحارث (٧١٦) (بغية الباحث)، والطبري ٢١٠/١٣، والبيهقي في الشعب (٧٢٩٠). قال الحارث: لا يصح، والأنبياء معصومون قبل البعثة وبعدها. اهـ. ثم إن سياق الآية يردُّ الخبر فإن قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾... ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾... مما حكاه الله تعالى عن امرأة العزيز وليس هو من كلام يوسف، إذ لم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك. ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره.

في مثل هذه الحالة دالٌّ على الإخلاص، وأعظمُ للشواب.

قلت: وهذا كان سببَ ثناء الله تعالى على ذي الكفل، حَسَبَ ما يأتي بيانه في (ص) إن شاء الله تعالى^(١).

وجوابُ «لولا» على هذا محذوف، أي: لولا أن رأى برهان ربِّه لأمضى ما همَّ به^(٢)، ومثله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥] وجوابه: لم تتنافسوا.

قال ابن عطية^(٣): روي هذا القول عن ابن عباس وجماعة من السلف، وقالوا: الحكمةُ في ذلك أن يكون مثلاً للمذنبين ليروا أن توبتهم ترجع [بهم] إلى عفو الله تعالى، كما رجعت بمن^(٤) هو خيرٌ منهم، ولم يُؤَيِّقهُ القُرْبُ من الذنب، وهذا كلُّه على أن همَّ يوسف بلغ فيما روت هذه الفرقةُ إلى أن جلس بين رجلَي زليخاء، وأخذ في حلِّ ثيابه وتكته ونحو ذلك، وهي قد استلقت له. حكاه الطبري^(٥).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: وابنُ عباس ومن دونه لا يختلفون في أنه همَّ بها، وهم أعلمُ بالله ويتأويل كتابه، وأشدُّ تعظيماً للأنبياء من أن يتكلموا فيهم بغير علم. وقال الحسن: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يذكر معاصي الأنبياء ليعيِّرهم بها، ولكنه ذكَّرها لكيلا تياسوا من التوبة^(٦).

قال العزَّنويُّ: مع أن لزلة الأنبياء حكماً: زيادةَ الوجَل، وشدةَ الحياء بالخجل، والتخلِّي عن عُجْبِ العمل، والتلذُّذُ بنعمة العفو بعد الأمل، وكونهم أئمةَ رجاء أهل الزلل.

(١) لم يذكر المصنف في قصته شيئاً في (ص)، وذكرها في تفسير سورة الأنبياء، الآية (٨٥).

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٠١/٣.

(٣) في المحرر الوجيز ٢٣٣/٣ - ٢٣٤، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٤) في (ظ) و(ف): من، وفي باقي النسخ: ممن، والمثبت من المحرر الوجيز.

(٥) ينظر تفسير الطبري ٨٠/١٣ - ٨٦.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٤١٣/٣ - ٤١٤، وكلام أبي عبيد، يمكن أن يسلم به؛ فيما لو صحت تلك الروايات، وهيئات هيئات!

قال القُشَيْرِيُّ أبو نصر: وقال قوم: جرى من يوسف هَمٌّ، وكان ذلك الهَمُّ حركةً طَنِيعٍ من غير تصميمٍ للْعَقْدِ على الفعل، وما كان من هذا الْقَبِيلِ لا يُوَاخِذُ^(١) به العبد، وقد يخطر بقلب المرء وهو صائمٌ شربَ الماء البارد، وتناولَ الطعام اللذيذ، فإذا لم يأكل ولم يشرب، ولم يصمَّ عَزَمَهُ على الأكل والشرب، لا يُوَاخِذُ بما هَجَسَ في النفس، والبرهانُ صَرَفَهُ عن هذا الهَمِّ حتى لم يَصِرْ عَزْماً مصمماً.

قلت: هذا قولٌ حسن. وممَّن قال به الحسن.

قال ابن عطية^(٢): الذي أقول به في هذه الآية: إِنَّ كُونَ يوسف نبياً في وقتِ هذه النازلة لم يصحَّ، ولا تظاهرت به روايةٌ، وإذا كان كذلك، فهو مؤمَّنٌ قد أُوتِيَ حُكْماً وعِلْماً، ويجوز عليه الهَمُّ الذي هو إرادةُ الشيء دون مُوَاقَعَتِهِ، وأن يستصحب الخاطرَ الرديء على ما في ذلك من الخطيئة، وإن فرضناه نبياً في ذلك الوقت، فلا يجوز عليه عندي إلَّا الهَمُّ الذي هو خاطر، ولا يصحُّ عليه شيءٌ مما ذُكِرَ من حلِّ تَكْتِهٍ ونحوه؛ لأنَّ العصمة مع النبوة. وما روي من أنَّه قيل له: تكونُ في ديوان الأنبياء وتَفْعَلُ فَعْلَ السفهاء؟^(٣) فإنما معناه العِدَّةُ بالنبوة فيما بعد.

قلت: ما ذكره من التفصيل صحيح، لكنَّ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ يدلُّ على أنه كان نبياً على ما ذكرناه، وهو قولُ جماعة من العلماء، وإذا كان نبياً فلم يَتَّقِ إلَّا أن يكون الهَمُّ الذي هَمَّ به ما يَخْطُرُ في النفس ولا يَثْبُتُ في الصدر، وهو الذي رفع الله فيه المؤاخذه عن الخلق؛ إذ لا قدرة للمكلَّف على دَفْعِهِ، ويكون قوله: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ قَنِيئٍ﴾ - إن كان من قول يوسف - أي: مِن هذا الهَمِّ، أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة^(٤) النفس لما زَكِّيَ به قبلُ وبرئ؛ وقد أخبر الله تعالى

(١) في (م): يؤخذ.

(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٤.

(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٨٩ - ٩٠ عن قتادة، وأخرجه الثعلبي في العرائس ص ١٢٢ عن ابن عباس مطولاً، وسيذكره المصنف قريباً في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾.

(٤) في النسخ: لمخالفة، والمثبت من الشفا للقاضي عياض ٢/ ٣٧٥، والكلام منه.

عن حال يوسف من حين بلوغه فقال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢] على ما تقدّم بيانه، وخَبَّرَ الله تعالى صِدْقُ، وَوَضَفَهُ صحيح، وكلامه حق، فقد عمل يوسف بما علّمه الله من تحريم الزنى ومقدماته، وخيانة السيد والجار والأجنبي في أهله، فما تعرّض لامرأة العزيز، ولا أجاب إلى المُرَاوِدة، بل أدبر عنها وفرّ منها؛ حكمةً خُصَّ بها، وعملاً بمقتضى ما علّمه الله^(١).

وفي «صحيح» مسلم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكة: ربّ ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة، وهو أَبْصَرُ به، فقال: ارقُبوه، فإنّ عَمَلَهَا فاكتبوها له بِمِثْلِهَا، وإنّ تَرَكَهَا فاكتبوها له حَسَنَةً؛ إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّأِي»^(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام مُخْبِرًا عن ربّه: «إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ حَسَنَةً»^(٣) فَإِنْ كَانَ مَا يَهْمُّ بِهِ الْعَبْدُ مِنَ السَّيِّئَةِ يُكْتَبُ لَهُ بِتَرَكَهَا حَسَنَةً؛ فَلَا ذَنْبَ. وفي الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لَأَمْتِي عَمَّا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلِّمْ بِهِ» وقد تقدّم^(٤).

قال ابن العربي^(٥): كان بمدينة السلام إمامٌ من أئمة الصوفية - وأيُّ إمام - يُعرف بابن عطاء، تكلم يوماً على يوسف وأخباره حتى ذكر تَبَرُّثَهُ مما نُسب إليه من مكروه،

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٧٠. وقال أيضاً: وهذا يطمس وجوه الجهلة من الناس، والْعَقْلَةُ من العلماء في نسبتهم إليه ما لا يليق به، وأقل ما اقتحموا من ذلك أنه هتك السراويل، وهم بالفتك فيما رأوه من تأويل، وحاش لله ما علمت عليه من سوء، بل أبرّته مما برّاه الله منه... فما لهؤلاء المفسرين لا يكادون يفقهون حديثاً، ويقولون: فعل وفعل، والله إنما قال: همّ بها. اهـ وقد استفاد الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره ١٨/ ١١٥ - ١٢٠ في الكلام على هذه المسألة، وفي إثبات العصمة ليوسف عليه السلام مما نسب إليه، وذكر أن أصحاب هذه المقالة ما ذكروا آية يحتج بها، ولا حديثاً صحيحاً يعول عليه في تصحيح مقالاتهم.

(٢) صحيح مسلم (١٢٩)، وهو عند أحمد (٨٢١٩). قوله: «من جرّأي» أي: من أجلي. المفهم ١/ ٣٤٢.

(٣) أخرجه مطولاً أحمد (٧٢٩٦)، والبخاري (٧٥٠١) من حديث أبي هريرة ؓ. وأخرجه مسلم (١٣١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ٤٨٧/٤.

(٥) في أحكام القرآن ٣/ ١٠٧٠ - ١٠٧١.

فقام رجلٌ من آخر مجلسه - وهو مشحونٌ بالخلقة من كل طائفة - فقال: يا شيخ، يا سيدنا، فإذا يوسفُ همٌّ وما تمَّ؟ قال: نعم، لأنَّ العناية مِن نَمِّ. فانظر إلى حلاوة العالم والمتعلِّم، وانظر إلى فِطنة العامِّي في سؤاله، وجوابِ العالم في اختصاره واستيفائه؛ ولذلك قال علماء الصوفية: إِنَّ فائدة قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ؕ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ إِنَّمَا أعطاه ذلك إِبَّانَ غَلَبَةِ الشهوة لتكون له سبباً للعصمة.

قلت: وإذا تَقَرَّرَتْ عصمته وبراءته ببناءِ الله تعالى عليه، فلا يصحُّ ما قال مُضْعَب ابن عثمان: إِنَّ سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجهاً، فاشتاقته امرأة، فسَامَتْهُ نَفْسُهَا، فامتنع عليها وذكَرَهَا، فقالت: إن لم تفعل لأشْهَرَنَّكَ. فخرج وتركها، فرأى في منامه يوسفَ الصِّدِّيقَ عليه السلام جالساً فقال: أنت يوسف؟ فقال: أنا يوسف الذي هممتُ، وأنت سليمانُ الذي لم تَهَمْ^(١). فَإِنَّ هذا يقتضي أن تكون درجةُ الولاية أرفع من درجة النبوة، وهو مُحَال؛ ولو قَدَّرنا يوسفَ غيرَ نبيٍّ فدرجته الولاية، فيكون محفوظاً كهو، ولو غُلِّقَتْ على سليمان الأبوابُ، وروجع في المقال والخطاب، والكلام والجواب، مع طول الصُّحبة، لَخِيفَ عليه الفتنةُ وعظيمُ المحنة، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّمَا بِرُءُونَا رَبِّي﴾ «أن» في موضعِ رفع؛ أي: لولا رؤيةَ برهاني رَبِّي، والجوابُ محذوفٌ لِعِلْمِ السامع^(٢)، أي: لكان ما كان. وهذا البرهانُ غيرُ مذكور في القرآن؛ فروي عن علي بن أبي طالب ؓ أَنَّ زليخاء قامت إلى صنمٍ مكلَّلٍ بالدُرِّ والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب، فقال: ما تصنعين؟ قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني في هذه الصورة، فقال يوسف: أنا أُولَى أن أستحي من الله^(٣).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ١٩٠ - ١٩١، والبيهقي في الشعب (٧١١١) و(٧٢٨٠)، وإسناده منقطع كما ذكر الذهبي في السير ٤/ ٤٤٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٣.

(٣) أخرجه عن علي ؓ أبو نعيم في الحلية ٣/ ١٨١. وأخرجه الثعلبي في العرائس ص ١٢٣ عن علي بن الحسين، وكذا ذكره البخوي في التفسير ٢/ ٤٢٠ - ٤٢١، عن علي بن الحسين.

وهذا أحسن ما قيل فيه ؛ لأنَّ فيه إقامة الدليل.

وقيل : رأى مكتوباً في سقف البيت ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّكُمْ كَانُمْ فَحِشَةً وَسَاءَ سَيْلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]^(١).

وقال ابن عباس: بَدَتْ كَفٌّ مكتوبٌ عليها: ﴿وَلَا عَلَىكُمْ لِحُفُوظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠]^(٢).

وقال قوم: تذكَّرَ عهدَ الله وميثاقه.

وقيل: نودي يا يوسف! أنت مكتوبٌ في ديوان الأنبياء، وتعملُ عملَ السفهاء؟!^(٣)

وقيل: رأى صورةَ يعقوبَ على الجدران^(٤) عاصِياً على أُنملته يتوعَّده، فسكن، وخرجت شهوته من أنامله. قاله قَتَادَةُ ومجاهد والحسن والضَّحَّاك وأبو صالح وسعيد ابن جُبَيْر^(٥).

وروى الأعمش عن مجاهد قال: حلَّ سراويله، فتمَثَّلَ له يعقوبُ فقال له: يا يوسف! فولَّى هارباً. وروى سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جُبَيْر قال: مَثَّلَ له يعقوبُ، فضرب صدره، فخرجت شهوته من أنامله^(٦). قال مجاهد: فولد لكلِّ واحدٍ من أولاد يعقوبَ اثنا عشر ذكراً، إلَّا يوسفَ لم يولد له إلَّا غلامان، ونقص بتلك

(١) أخرجه الطبري ٩٨/١٣ عن محمد بن كعب القرظي.

(٢) أخرجه مطولاً الثعلبي في العرائس ص ١٢٢ ، والواحدي في الوسيط ٦٠٨/٢ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) سلف ص ٣١٤ من هذا الجزء عن ابن عباس وقَتَادَة.

(٤) في (ز) و(ظ): الجدار.

(٥) أخرج قولهم الطبري ٩٠/١٣ - ٩٧ .

(٦) ذكر الخبرين النحاس في معاني القرآن ٤١٢/٣ ، وخبر سعيد بن جُبَيْر أخرجه الطبري ٩١/١٣ و ٩٢ . قال أبو حيان في البحر ٢٩٥/٥ : والبرهان الذي رآه يوسف هو ما آتاه الله من العلم الدال على تحریم ما حرمه الله.

الشهوة ولده^(١).

وقيل غير هذا. وبالجمله: فذلك البرهانُ آيةٌ من آيات الله، أراها الله يوسفَ حتى قويَ إيمانه، وامتنع عن المعصية.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ الكاف من «كَذَلِكَ» يجوز أن تكون رفعاً، بأن يكون خبر ابتداء محذوف، التقدير: [أمرُ] البراهين كذلك، و[يجوز أن] يكون نعتاً لمصدر محذوف؛ أي: أريناه البراهين رؤيةً كذلك^(٢).

والسوء: الشَّهوة، والفحشاء: المباشرة. وقيل: السوء: الشناء القبيح، والفحشاء: الزنى. وقيل: السوء: خيانهُ صاحبه، والفحشاء: ركوبُ الفاحشة. وقيل: السوء: عقوبةُ الملك العزيز^(٣).

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بكسر اللام، وتأويلها: الذين أخلصوا طاعةَ الله. وقرأ الباقون بفتح اللام، وتأويلها: الذين أخلصهم الله لرسالته، وقد كان يوسف ﷺ بهاتين الصفتين؛ لأنه كان مخلصاً في طاعة الله تعالى، مُسْتَخْلَصاً لرسالة الله تعالى^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبْقَا الْبَابَ وَفَدَّتْ قَيْصَمُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٥)

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبْقَا الْبَابَ وَفَدَّتْ قَيْصَمُ مِنْ دُبُرٍ﴾.

فيه مسألتان:

(١) النكت والعيون ٢٦/٣.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٣٨٥/١، وبنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٣٢٣/٢، وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٣) تنظر هذه الأقوال في معاني القرآن للزجاج ١٠٢/٣ ومعاني القرآن للنحاس ٤١٦/٣، والنكت والعيون ٢٦/٣.

(٤) النكت والعيون ٢٦/٣، والقراءتان في السبعة ص ٣٤٨، والتيسير ص ١٢٨.

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ قال العلماء: وهذا من اختصار القرآن المعجز الذي يجتمع فيه المعاني؛ وذلك أنه لما رأى برهان ربّه؛ هرب منها، فتعاديا؛ هي لتردّه إلى نفسها، وهو ليهرب عنها، فأدرسته قبل أن يخرج، فقدت قميصه من دُبُر - أي: من خلفه - قبضت في أعلى قميصه فتخرق القميص عند طوقه، ونزل التّخریق إلى أسفل القميص^(١). والاستباق: طلبُ السّبق إلى الشيء، ومنه السّباق. والقُد: القطع، وأكثر ما يستعمل فيما كان طولاً؛ قال النابغة:

تَقْدُ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتُوْقِدُ بِالصُّفَاحِ نَارَ الْحُبَاحِبِ^(٢)

والقَط: بالطاء يُستعمل فيما كان عَرْضاً^(٣).

وقال المفضل بن حرب: قرأت في مصحف: «فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ عُطَّ مِنْ دُبُرٍ»^(٤) أي: شقّ. قال يعقوب^(٥): العَط: الشَّق في الجلد الصحيح والثوب الصحيح.

وحذفت الألف من «استَبَقَا» في اللفظ؛ لسكونها وسكون اللام بعدها، كما يقال: جاءني عبد الله؛ في التثنية، ومن العرب من يقول: جاءني عبد الله؛ بإثبات الألف بغير همز، يجمع بين ساكنين؛ لأنّ الثاني مُدْغَم، والأوّل حرف مدّ ولين. ومنهم من يقول: عبد الله بإثبات الألف والهمز، كما تقول في الوقف^(٦).

الثانية: في الآية دليل على القياس والاعتبار، والعمل بالعرف والعادة؛ لما ذكر

(١) المحرر الوجيز ٢٣٥/٣.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ١١، وسلف ص ٢١٨ من هذا الجزء برواية: تَجْدُ السَّلُوقِيَّ...

(٣) المحرر الوجيز ٢٣٥/٣.

(٤) ذكرها الزمخشري في أساس البلاغة (عطط)، والصّغاني في العباب الزاخر (عطط) عن المفضل، وذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٣٦/٣ دون نسبة. قال الصغاني: لم أعلم أحداً من أهل الشّواذّ قرأ بها. اهـ. ولم نقف على المفضل بن حرب.

(٥) هو ابن السكيت، وكلامه في تهذيب الألفاظ ١٠٤/١ مختصر بلفظ: العط: الشق، وينظر تهذيب اللغة ٨٦/١.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢٣ - ٣٢٤.

من قد القميص مُقْبِلًا ومُذْبِرًا، وهذا أمرٌ انفرد به المالكية في كتبهم، وذلك أنَّ القميص إذا جُبِدَ من خلف، تمرَّق من تلك الجهة، وإذا جُبِدَ من قدام، تمرَّق من تلك الجهة، وهذا هو الأغلب^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَْا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ أي: وجدا العزيزَ عند الباب، وعُني بالسيد الزوج، والقبْطُ يسمُّون الزوجَ سيِّداً^(٢). يقال: أَلْفَاهُ وصادفه ووارطه ووالطه ولاطه، كلُّه بمعنى واحد. فلَمَّا رأت زوجها طلبت وجهاً للحيلة وكادت، فـ ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ أي: زنى ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تقول: يُضْرَب ضرباً وجيعاً.

وما جَزَاءُ ابتداء، وخبره: «أَنْ يُسَجَّنَ». «أَوْ عَذَابٌ» عطف على موضع «أَنْ يُسَجَّنَ»؛ لأنَّ المعنى: إِلَّا السجْنُ. ويجوز: أو عذاباً أليماً، بمعنى: أو يعذَّب عذاباً أليماً؛ قاله الكسائي^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَبِيضُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ ٢٥ ﴿وَإِنْ كَانَ قَبِيضُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٢٦ ﴿فَلَمَّا رَأَى قَبِيضُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ ٢٧ ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ٢٨

قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾.

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قال العلماء: لَمَّا برأت نفسها، ولم تكن صادقةً في حبه - لأنَّ من شأن

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٧١ و ١٠٧٣.

(٢) النكت والعيون ٣/ ٢٧.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٤، وقرأ: «أو عذاباً أليماً» زيد بن علي، كما في البحر ٥/ ٢٩٧.

المحبّ إثّارَ المحبوب - قال: ﴿هِيَ زَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ نطق يوسفُ بالحقّ في مقابلةٍ بَهْتِها وكذبها عليه. قال نوفّ الشاميّ وغيره: كان يوسف عليه السلام لم يَبْنِ عن^(١) كشف القضية، فلما بَغَتْ غضب فقال الحق^(٢).

الثانية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ لأنّهما لَمَّا تَعَارَضا في القول، احتاج الملك إلى شاهدٍ ليعلم الصادق من الكاذب، فشهد شاهدٌ من أهلها، أي: حَكَمَ حاكمٌ من أهلها؛ لأنّه حُكِّمَ منه، وليس بشهادة^(٣).
وقد اختلف في هذا الشاهد على أقوال أربعة:

الأول: أنّه طفلٌ في المهد تكلم. قال السُّهيلي: وهو الصحيح؛ للحديث الوارد فيه عن النبي ﷺ؛ وهو قوله: «لم يتكلّم في المهد إلا ثلاثة» وذكر فيهم شاهدُ يوسف^(٤). وقال القُشيريّ أبو نصر: قيل: كان صبياً في المهد في الدار وهو ابن خالتها. وروى سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنّه قال: «تكلم أربعة وهم صغار» فذكر منهم شاهدُ يوسف^(٥)، فهذا قول.

الثاني: أنّ الشاهد قدّ القميص؛ رواه ابن أبي نَجِيج عن مجاهد^(٦). وهو مجازٌ صحيح من جهة اللغة؛ فإنّ لسان الحال أبلغ من لسان المقال. وقد تضيف العرب الكلامَ إلى الجمادات، وتُخبر عنها بما هي عليه من الصفات، وذلك كثيرٌ في أشعارها وكلامها، ومن أحلاه قولُ بعضهم: قال الحائط للوتد: لِمَ تَشَقُّنِي؟ قال له: سَلْ مَنْ يَدُقُّنِي. إلّا أن قول الله تعالى بعدُ: ﴿مِّنْ أَهْلِهَا﴾ يُبَيِّنُ أن يكون القميص^(٧).

(١) في (د) والمحرر الوجيز ٢٣٦/٣ (والكلام منه): على.

(٢) المحرر الوجيز ٢٣٦/٣، وأخرجه الطبري ١٠٤/١٣ بنحوه.

(٣) النكت والعيون ٢٧/٣ - ٢٨.

(٤) التعريف والإعلام ص ٨٠ - ٨١، والحديث سلف ١٣٩/٥.

(٥) أخرجه أحمد (٢٨٢٢)، والبزار (٥٤ - كشف)، والطبري ١٠٦/١٣، والحاكم ٤٩٦/٢ - ٤٩٧ مرفوعاً، وأخرجه أيضاً أحمد (٢٨٢١) موقوفاً.

(٦) أخرجه الطبري ١١١/١٣.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٧٢/٣، ووقع فيه: ومن أجله، بدل: ومن أحلاه.

الثالث: أنه خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تعالى ليس بإنسي ولا بجني. قاله مجاهدٌ أيضاً^(١). وهذا يرُدُّه قوله تعالى: ﴿يَنْ أٰهْلَهَا﴾.

الرابع: أنه رجلٌ حكيم ذو عقل، كان الوزير يستشيرُه في أموره، وكان من جملة أهل المرأة، وكان مع زوجها فقال: قد سمعتُ الاستِبدارَ^(٢) والعَجَلَبَة من وراء الباب، وشَقَّ القميص، فلا يُدري أيُّكما كان قَدَّامَ صاحبه؛ فإن كان شَقَّ القميص من قَدَّامه فأنَّتِ صادقة، وإن كان من خلفه فهو صادق، فنظروا إلى القميص فإذا هو مشقوقٌ من خلف. هذا قول الحسن وعكرمة وقتادة والضَّحَّاك ومجاهد أيضاً والسدي. قال السدي: كان ابنُ عمها. وروي عن ابن عباس، وهو الصحيح في الباب. والله أعلم.

وروي عن ابن عباس - رواه عنه إسرائيل، عن سيماك، عن عكرمة - قال: كان رجلاً ذا لحية. وقال سفيان، عن جابر، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس أنه قال: كان من خاصَّة الملك. وقال عكرمة: لم يكن بصبي، ولكن كان رجلاً حكيماً. وروي سفيان عن منصور، عن مجاهد قال: كان رجلاً^(٣).

قال أبو جعفر النحاس^(٤): والأشبهُ بالمعنى - والله أعلم - أن يكون رجلاً عاقلاً حكيماً شاوره الملك، فجاء بهذه الدلالة، ولو كان طفلاً لكانت شهادته ليوسف ﷺ تُغني عن أن يأتيَ بدليل من العادة؛ لأنَّ كلام الطفل آيةٌ معجزة، فكانت أوضح من الاستدلال بالعادة، وليس هذا بمخالفٍ للحديث: «تكلَّم أربعةٌ وهم صغار» منهم صاحب يوسف. يكون المعنى: صغيراً ليس بشيخ، وفي هذا دليلٌ آخر، وهو أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما روى الحديث عن النبي ﷺ، وقد تواترت الروايةُ عنه أنَّ صاحب يوسف ليس بصبي.

(١) النكت والعيون ٢٨/٣، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢١٢٨/٧ (١١٥٠٦). قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هذا قول غريب.

(٢) في (ظ): الاستباق، ووقع في الوسيط ٦٠٩/٢، وزاد المسير ٢١١/٤: الاشتداد.

(٣) أخرج جميع ما سلف من أخبار في القول الرابع الطبري ١٠٧/١٣ - ١١٠.

(٤) في إعراب القرآن ٢/٣٢٤.

قلت: قد رُوي عن ابن عباس وأبي هريرة وابن جُبَيْر وهلال بن يَسَاف والضَّحَّاك أنه كان صبيًّا في المهد^(١). إلَّا أنه لو كان صبيًّا تكلم، لكان الدليلُ نفسَ كلامه، دون أن يحتاج إلى استدلالٍ بالقميص، وكان يكون ذلك خرقَ عادة، ونوعَ معجزة. والله أعلم. وسيأتي مَنْ تكلم في المهد من الصبيان في سورة البروج^(٢) إن شاء الله.

الثالثة: إذا تَنَزَّلْنَا على أن يكون الشاهد طفلًا صغيراً، فلا يكون فيه دلالةٌ على العمل بالأمارات كما ذكرنا، وإذا كان رجلاً، فيصحُّ أن يكون حجةً بالحُكم بالعلامة في اللَّقْطَة وكثير من المواضع، حتى قال مالك في اللصوص: إذا وُجِدَتْ معهم أمتعة، فجاء قوم فادَّعَوْها وليست لهم بيِّنة، فإنَّ السلطان يَتَلَوَّمُ لهم في ذلك، فإن لم يأت غيرُهم دفعها إليهم^(٣). وقال محمد في متاع البيت إذا اختلفت فيه المرأة والرجل: إنَّ ما كان للرجال فهو للرجل، وما كان للنساء فهو للمرأة، وما كان للرجل والمرأة فهو للرجل^(٤). وكان شُرَيْح وإياس بنُ معاوية يعملان على العلامات في الحكومات، وأصل ذلك هذه الآية^(٥). والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ قُبُلٍ﴾ «كان» في موضع جزمٍ بالشرط، وفيه من النَّحو ما يُشكِّل؛ لأنَّ حروف الشرط تَرُدُّ الماضي إلى المستقبل، وليس هذا في «كان»؛ فقال المبرِّد محمد بنُ يزيد: هذا لقوَّة «كان»، وأنه يعبرُ بها عن جميع الأفعال. وقال الزَّجَّاج^(٦): المعنى: إن يكن، أي: إن يُعلَم، والعلم لم يقع، وكذا الكون؛ لأنَّه يؤدِّي عن العلم. «قَدْ مِّنْ قُبُلٍ» فخبَّر عن «كان» بالفعل الماضي، كما قال زهير:

(١) المحرر الوجيز ٢٣٦/٣، وأخرج قولهم الطبري ١٣/١٠٥ - ١٠٧.

(٢) عند تفسير الآيات (٤ - ٧) منها.

(٣) أحكام القرآن للكي الطبري ٢٣١/٣. والتلوُّم: الانتظار والتمكُّث. الصحاح (لوم).

(٤) أحكام القرآن للجصاص ١٧١/٣، ومحمد هو ابن الحسن الشيباني.

(٥) أحكام القرآن للكي الطبري ٢٣١/٣.

(٦) في معاني القرآن ١٠٤/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٣٢٤ وما قبله منه.

وكان طوى كُشْحاً على مُسْتَكِنَةٍ فلا هو أبداها ولم يَتَقَدَّم^(١)
 وقرأ يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق: «مِنْ قُبُلٍ» بضم القاف والباء واللام، وكذا
 «دُبُرٍ»^(٢)؛ قال الزجاج^(٣): يجعلهما غائتين كَقَبْلٍ وَبَعْدُ، كأنه قال: مِنْ قُبُلِهِ وَمِنْ دُبُرِهِ،
 فلما حذف المضاف إليه - وهو مراد - صار المضاف غاية نفسه بعد أن كان المضاف
 إليه غاية له.

ويجوز: «مِنْ قُبُلٍ» و«مِنْ دُبُرٍ» بفتح الراء واللام تشبيهاً بما لا ينصرف؛ لأنه
 معرفة ومزال عن بابه^(٤).

وروى محبوب عن أبي عمرو: «مِنْ قُبُلٍ» و«مِنْ دُبُرٍ» مخفَّفان مجروران^(٥).
 قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصُهُمْ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُمْ مِنْ كَذِبِكُمْ﴾ قيل: قال لها
 ذلك العزيز عند قولها: «مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً»^(٦). وقيل: قاله لها الشاهد.
 والكيد: المكر والحيلة. وقد تقدَّم في «الأنفال»^(٧). ﴿إِنَّ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ﴾ وإنَّما قال:
 «عَظِيمٌ» لِعَظَمِ فَتْنَتِهِمْ وَاحْتِيَالِهِمْ فِي التَّخْلُصِ مِنْ وَرَطَّتِهِمْ.

وقال مقاتل عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ
 كَيْدَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ
 ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] وقال: ﴿إِنَّ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ﴾»^(٨).

(١) ديوان زهير ص ٢٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٥/٢ (والكلام منه)، والخزانة ١٤/٣، و ٣/٤. قال
 البغدادى: يقال: طوى كُشْحه على فعلة: إذا أضمها في نفسه. والمستكنة: المسترة، أي: أضم على
 غُدرة مسترة. والكشع: الجنب، وقيل: الخاصة.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٥/٢، والقراءات الشاذة ص ٦٣، والمحاسب ٣٣٨/١.

(٣) في معاني القرآن ١٠٣/٣، وذكره أيضاً النحاس في إعراب القرآن ٣٢٥/٢.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٠٣/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٥/٢.

(٥) ذكرها عن أبي عمرو ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٣٦/٣، وهي في القراءات الشاذة ص ٦٣ عن
 الحسن.

(٦) كذا قال المصنف رحمه الله، وقد ذكر الزجاج في معاني القرآن ١٠٣/٣ أن المعنى: إن قولك: ما
 جزاء من أراد بأهلك سوءاً... من كيدكن.

(٧) ٤٧٩/٩.

(٨) لم نقف عليه. وإسناده في غاية الضعف، مقاتل - وهو ابن سليمان - كذبه وهجره ورُمي بالتجسيم، =

قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ القائلُ هذا هو الشاهد. و«يوسف» نداءٌ مفرد، أي: يا يوسف. فحذف. «أَعْرِضْ عَنْ هَذَا» أي: لا تذكُرْه لأحدٍ واحتُمه. ثم أقبل عليها فقال: وأنتِ استغفري لذنبكِ يقول: استغفري زوجك من ذنبك؛ لا يعاقبك.

﴿إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ولم يقل: من الخاطئات؛ لأنه قصَدَ الإخبار عن المذكَر والمؤنث، فغلب المذكَر، والمعنى: من الناس الخاطئين، أو من القوم الخاطئين، مثل: ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣] ﴿وَكَاثَ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التحریم: ١٢]^(١).

وقيل: إنَّ القائلَ ليوسف: أعرض، ولها: استغفري، زوجها الملك؛ وفيه قولان: أحدهما: أنه لم يكن غُيُوراً؛ فلذلك كان ساكتاً. وعدمُ الغيرة في كثير من أهل مصرَ موجود. الثاني: أنَّ الله تعالى سلبه الغيرة، وكان فيه لطفٌ بيوسف حتى كُفي بإدْرته وحلْم عنها^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَسُوهُ فِي الْمَدِينَةِ أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ تَرْوِدُ فَتَنْهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣٧﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُنَّ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْصَّاعِرِينَ﴾ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَسُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ ويقال: «نُسوة» بضم النون، وهي قراءة

= كما ذكر الحافظ ابن حجر في التقریب، ثم إن يحيى بن أبي كثير لا يروي عن الصحابة.

(١) تفسير البغوي ٤٢٢/٢.

(٢) في (د) و(ز) و(م): وعفا عنها، والمثبت من (ظ) و(ف)، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٢٩/٣، والكلام منه عدا قوله: وعدم الغيرة في كثير من أهل مصر موجود، وما كان ينبغي للمصنف رحمه الله أن يقول هذا!

الأعمش والمفضل والسلمي، والجمع الكثير: نساء^(١). ويجوز: وقالت نسوة، وقال نسوة، مثل: قالت الأعراب وقال الأعراب.

وذلك أن القصة انتشرت في أهل مصر، فتحدث النساء. قيل: امرأة ساقى العزيز، وامرأة خبازه، وامرأة صاحب دوابه، وامرأة صاحب سجنه. وقيل: امرأة الحاجب. عن ابن عباس وغيره^(٢).

﴿ثُرُودٌ فَلَنَهَا عَنْ نَفْسَيْهِ﴾ الفتى في كلام العرب: الشاب، والمرأة فتاة. ﴿شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قيل: شَغَفَهَا: غَلَبَهَا^(٣). وقيل: دخل حُبُّه في شغافها. عن مجاهد^(٤) وغيره. وروى عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: دخل تحت شغافها^(٥). وقال الحسن: الشَّغاف^(٦): باطن القلب. السُّدِّيُّ وأبو عبيدة^(٧): شَغَافُ القلب: غِلافُه؛ وهو جلدة عليه. وقيل: هو وَسَطُ القلب^(٨). والمعنى في هذه الأقوال متقارب، والمعنى: وصل حُبُّه إلى شغافها، فغلب عليه^(٩)؛ قال النابغة: وقد حال همٌّ دون ذلك داخلٌ دخولَ الشَّغافِ تبتغيه الأصابع^(١٠)

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٥/٢، دون ذكر القراءة، وذكرها العكبري في الإملاء (على هامش الفتوحات الإلهية) ٣٣٠/٣ دون نسبة.

(٢) ينظر عرائس المجالس ص ١٢٣ - ١٢٤، وتفسير أبي الليث ١٥٩/٢، وتفسير البغوي ٤٢٢/٢، وزاد المسير ٢١٤/٤، وتفسير الرازي ١٢٦/١٨.

(٣) أخرج الطبري ١١٦/١٣ هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الطبري ١١٦/١٣.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٤١٨/٣، وأخرجه الطبري ١١٥/١٣ من طريق عمرو عن عكرمة قوله.

(٦) في النسخ: الشغف، والمثبت من النكت والعيون ٣٠/٣، ومفردات الراغب (شغف)، وفيهما قول الحسن.

(٧) في (د) و(م): وأبو عبيد. وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٣٠٨/١، وذكره عن السدي الماوردي في النكت والعيون ٣٠/٣.

(٨) مفردات الراغب (شغف).

(٩) في معاني القرآن للنحاس ٤١٩/٣ (والكلام منه): فغلب على قلبها.

(١٠) معاني القرآن للنحاس ٤١٩/٣، وللزجاج ١٠٥/٣، والبيت في ديوان النابغة الذبياني ص ٧٩ =

وقد قيل: إِنَّ الشَّغاف داء. وأنشد الأصمعي للراجز:

يتبعها وهي له شَغَاف^(١)

وقرأ جعفر^(٢) بن محمد وابن محيصن والحسن: «شَعَفَهَا» بالعين غير معجمة^(٣).

قال ابن الأعرابي: معناه أحرق حبه قلبها. قال: وعلى الأول العمل^(٤).

قال الجوهري^(٥): وشَعَفَه الحبُّ: أحرق قلبه. وقال أبو زيد: أَمَرَضَهُ. وقد شُعِفَ

بكذا فهو مشعوف. وقرأ الحسن: «قَدْ شَعَفَهَا» قال: بَطَنَهَا حبًّا.

قال النحاس^(٦): معناه عند أكثر أهل اللغة: قد ذهب بها كلُّ مذهب؛ لأنَّ شِعَافَ

الجبال أعاليها، وقد شُغِفَ بذلك شَغْفًا بإسكان الغين^(٧): إذا أولع به، إلا أن أبا

عبيد^(٨) أنشد بيت امرئ القيس:

أَيَقْتَلَنِي^(٩) وقد شَعَفْتُ فؤَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهُتُوَّةُ الرَّجُلُ الطَّالِي^(١٠)

= برواية: شاغلٌ مكان، بدل: داخل دخول. وذكره البغدادي في الخزانة ٤٥٦/٢ وقال: تبغيه الأصابع: أي تلمسه أصابع المتطبِّين؛ هل انحدر نحو الطحال فيُتوقع على صاحبه الموت؟.

(١) معاني القرآن للنحاس ٤١٩/٣.

(٢) في (ف) و(م): أبو جعفر، وهو خطأ.

(٣) المحتسب ٣٣٩/١.

(٤) ياقوتة الصراط لغلام ثعلب ص ٢٧٤ دون نسبة.

(٥) في الصحاح (شعف).

(٦) في معاني القرآن ٤١٩/٣ - ٤٢٠.

(٧) في (ز) و(ف) ومطبوع معاني القرآن: شعف بذلك شعفاً بإسكان العين، والمثبت من باقي النسخ وهو موافق لما في اللسان وتاج العروس (شغف).

(٨) في النسخ عدا (د): أبا عبيدة، والمثبت من (د) ومعاني القرآن.

(٩) في (م): لتقتلني، وفي (د) و(ز): ليقتلني، وفي (ظ): فتقتلني، والمثبت من (ف) والمصادر على ما يأتي.

(١٠) أمالي القالي ٢٠٥/١، ومعاني القرآن للنحاس ٤٢٠/٣، وهو في الديوان برواية: شغفت... كما شغف، بالمعجمة، وقال شارح الديوان: ويروى: شَعَفْتُ، بالعين غير المعجمة، والمعنى: بلغت الغاية حتى غَلَبْتُهَا على فؤادها، كما يبلغ القطران من الناقة المهنوءة، وهي المَطْلِيَّةُ بالقطران، وهي تستلذه حتى تكاد يغشى عليها.

قال: فشبهت لوعة الحب وجواه بذلك. ورؤي عن الشَّعْبِيِّ أنه قال: الشَّغْفُ بالغين المعجمة حُبٌّ، والشَّغْفُ بالغين غير المعجمة جنونٌ^(١).

قال النحاس^(٢): وحكي: «قد شَغَفَهَا» بكسر الغين، ولا يُعرف في كلام العرب إلا «شَغَفَهَا» بفتح الغين، وكذا «شَعَفَهَا»، أي: تركها مشعوفة.

وقال سعيد بن أبي عروبة عن الحسن: الشَّغَاف حجاب القلب^(٣)، والشَّعَاف سويداء القلب، فلو وصل الحبُّ إلى الشَّعَاف لماتت. وقال الحسن: ويقال: إنَّ الشَّغَاف الجلدَةُ اللاصقة بالقلب التي لا ترى، وهي الجلدَةُ البيضاء^(٤)، فلصق حُبُّه بقلبها كلُّصوق الجلدَةِ بالقلب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في هذا الفعل. وقال قتادة: «فَتَاهَا» وهو فتى زوجها؛ لأنَّ يوسف كان عندهم في حكم المماليك، وكان ينفذ أمرها فيه. وقال مقاتلٌ، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي قال: إنَّ امرأة العزيز استوهبت زوجها يوسف، فوهبه لها وقال: ما تصنعين به؟ قالت: أتأخذه ولدًا، قال: هو لك، فربَّته حتى أَيْفَعَ وفي نفسها منه ما في نفسها، فكانت تنكشف له وتزيِّن وتدعوه من وجه اللطف، فعصمه الله^(٥).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي: بغيتهنَّ إياها، واحتيالهنَّ في ذمها. وقيل: إنها أطلعتهنَّ واستكتمتهنَّ^(٦) فأفشَيْنَ سرَّها، فسَمِّيَ ذلك مكرًا.

(١) النكت والعيون ٣/٣١، وأخرجه الطبري ١١٦/١٣ - ١١٧.

(٢) في إعراب القرآن ٢/٣٢٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٢١٣١/٧ (١١٥٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ولم نقف عليه عن الحسن، فقد سلف قول الحسن: الشغاف باطن القلب.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/٣٠ عن السدي وسفيان بنحوه، ولم نقف عليه عن الحسن.

(٥) لم نقف عليه.

(٦) في (م): استأمنتهم، وفي (د): استمكتهم، والمثبت من باقي النسخ، وهو موافق لما في معاني القرآن للنحاس ٣/٤٢٠، والكلام منه.

وقوله: ﴿أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ﴾ في الكلام حذف، أي: أرسلت إليهن تدعوهن إلى وليمة لتوقعهن فيما وقعت فيه^(١)؛ فقال مجاهد عن ابن عباس: إن امرأة العزيز قالت لزوجها: إني أريد أن أتخذ طعاماً فأدعو هؤلاء النسوة. فقال لها: افعلي. فاتخذت طعاماً، ثم نجّدت لهنّ البيوت - نجّدت، أي: زيّنت، والنّجد: ما يُنجد به البيت من المتاع، أي: يُزيّن، والجمع: نُجود؛ عن أبي عبيد، والتّنجيد: التزيين^(٢) - وأرسلت إليهنّ أن يحضرن طعامها، ولا تتخلّف منكنّ امرأة ممن سمّيت.

قال وهب بن مُنبّه: إنهنّ كنّ أربعين امرأة^(٣)، فجنن على كرهٍ منهنّ، وقد قال فيهنّ أميّة بن أبي الصّلت:

حتّى إذا جئنّها قسراً ومهّدت لهنّ أنضاداً وكباباً^(٤)
ويُروى: أنماطاً.

قال وهب: فجنن وأخذنّ مجالسهنّ. ﴿وَأَعْتَدَتْ لَكُنَّ مَثَكَا﴾ أي: هيأت لهنّ مجالس يتكئنّ عليها. قال ابن جُبَيْر: في كلّ مجلس جأّم فيه غسل وأُترجّ وسكّين حادّ. وقرأ مجاهد وسعيد بن جُبَيْر: «مُتْكَأ» مخفّفاً غير مهموز^(٥)، والمُتْك هو الأترجّ بلغة القبط. وكذلك فسره مجاهد؛ روى سفيان، عن منصور، عن مجاهد قال: المُتْكَا مثقلاً: الطعام، والمُتْك مخفّفاً: الأترجّ^(٦)؛ وقال الشاعر:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٥.

(٢) الصحاح (نجد).

(٣) ذكره البغوي ٢/ ٤٢٣.

(٤) كذا في النسخ، ولم نقف عليه. وأنضاداً جمع نُضد، وهو ما تُفيد من متاع، أو خياره. ونَضَدْتُ المتاع ونَضَدْتُهُ: ضمنت بعضه إلى بعض متبقياً أو مكروماً. ينظر أساس البلاغة والقاموس (نضد).

(٥) عرائس المجالس ص ١٢٤ عن مجاهد، وذكرها ابن جني في المحتسب ١/ ٣٣٩ عن ابن عباس وابن عمر وقتادة وغيرهم.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٢٠ - ٤٢١، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٢٧. والأترج: من فصيلة الحمضيات، يسمى بالشام الكباد، واحدته أترجة. معجم متن اللغة (ترج).

نَشْرَبُ الْإِنَّمِ بِالصُّوَاعِ جَهَاراً وَتَرَى الْمُتَّكَ بَيْنَنَا مُسْتَعَاراً^(١)
وقد تقول أَرُذُّ شُنُوءَةً: الأترجة: المُتَّكَ.

قال الجوهري: المُتَّكَ: ما تُبْقِيهِ الخاتنة، وأصل المُتَّكَ: الزُّمَارُود. والمُتَّكَاء من النساء: التي لم تُخَفِّض. قال الفراء: حدثني شيخ من ثقات أهل البصرة أَنَّ المُتَّكَ مخفَّفًا: الزُّمَارُود. وقال بعضهم: إنه الأترج. حكاه الأخفش^(٢). ابن زيد: أترجًا وعسلًا يؤكل به^(٣)؛ قال الشاعر:

فَظَلِلْنَا^(٤) بِنِعْمَةٍ وَأَتَّكْنَا وَشَرَبْنَا الْحَلَالَ مِنْ قُلِيلِهِ^(٥)
أي: أكلنا.

النحاس: قوله تعالى: «وَأَعْتَدْتُ» من العَتَاد، وهو كلُّ ما جعلته عُدَّةً لشيء. «مُتَّكًا» أصح ما قيل فيه، ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: مجلسًا. وأمَّا قول جماعة من أهل التفسير إنه الطعام، فيجوز على تقدير: طعامَ متكًا، مثل: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ ودلَّ على هذا الحذف: «وَأَتَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا»؛ لأنَّ حضور النساء معهنَّ سكاكينُ إنما هو لطعامٍ يُقَطَّع بالسكاكين. كذا قال في كتاب «إعراب القرآن»^(٦) له.

(١) سلف ٢١١/٩.

(٢) الصحاح (متك)، وقول الفراء في معاني القرآن له ٤٢/٢. قوله: الزُّمَارُود، هو طعام من البيض واللحم، معرب. اللسان (ورد). وقوله: لم تخفض، الخفض: ختان الجارية. اللسان (خفض).

(٣) أخرجه الطبري ١٢٩/١٣.

(٤) في (م): فظلنا.

(٥) قائله جميل بثينة، وهو في ديوانه ص ١٨٩، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٤٥٧/١، والخزانة ٢١/١٠. قوله: الحلال، ذكر البغدادى عن الشيرازي أنه قال: هو النبيذ، وسماء حلالاً على وجه الخلاعة. قال البغدادى: وَلَا يَخْفَى أَنَّ حَمَلَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ أَنْسَبُ؛ لأن قائله مؤمن، وكان في عرفة في موسم الحج. والقلل جمع قلة، وهو إناء للعرب كالجرة.

(٦) ٣٢٦/٢.

وقال في كتاب «معاني القرآن»^(١): وروى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «الْمَتَّكَأُ»: الطعام. وقيل: «المتكأ»: كلُّ ما اتَّكَيْ عليه عند طعامٍ أو شرابٍ أو حديث، وهذا هو المعروف عند أهل اللغة، إِلَّا أَنَّ الروايات قد صحت بذلك. وحكى الْقُتَيْبِيُّ^(٢) أَنَّهُ يُقَالُ: اتَّكَأْنَا عِنْدَ فُلَانٍ، أَي: أَكَلْنَا.

والأصل في «متكأ»: موتكأ، ومثله: مُتَزَنٌ وَمُتَّعِدٌ؛ لَأَنَّهُ مِنْ وَزَنْتُ وَوَعَدْتُ وَوَكَّأْتُ، ويقال: اتَّكَأَ يَتَّكِي اتِّكَاءً^(٣).

﴿كُلِّ وَجِدَةٍ مِّنْهُمْ سَكِينًا﴾ مفعولان. وحكى الكسائي والفراء أَنَّ السَّكِينِ يَذْكَرُ وَيؤنثُ؛ وأنشد الفراء:

فَعَيْتُ فِي السَّنَامِ عَدَاةً قُرٌّ بِسَكِينٍ مُّوْتَقَّةٍ النَّصَابِ^(٤)
الجوهري: والغالبُ عليه التذكير؛ وقال:

يُرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا فذلك سَكِينٌ عَلَى الْحَلْقِ حَاقِظُ^(٥)
الأصمعي لا يَعْرِفُ فِي السَّكِينِ إِلَّا التذكير^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّهِنَّ﴾ بضمّ التاء لالتقاء الساكنين؛ لأنّ الكسرة تَثْقُلُ إِذَا كَانَ بَعْدَهَا ضَمَّةٌ، وَكُسِرُ^(٧) التاء عَلَى الْأَصْلِ^(٨).

(١) ٤٢١/٣.

(٢) في تفسير الغريب ص ٢١٦، وتأويل المشكل ص ١٣٨.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢.

(٤) المذكر والمؤنث للفراء ص ٢٧، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢ (والكلام منه)، والمذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري ٣٨٨/١، ومجالس العلماء للزجاجي ص ١٠١، والمخصص لابن سيده ١٦/١٧، واللسان (عيث) و(سكن)، وقال ابن منظور: عَيْثُ فِي السَّنَامِ بِالسَّكِينِ: أَثَرٌ.

(٥) الصحاح (سكن)، والبيت لأبي ذؤيب، وهو في ديوان الهذليين ١٥١/١. وقال شارح الديوان. ويروى: عَلَى الْحَلْقِ حَالِقٌ.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢، وينظر المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري ٣٨٩/١.

(٧) في (م): وَكُسِرَتْ.

(٨) قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة بكسر التاء، والباقون من السبعة بضمها. السبعة ص ٣٤٨ والتيسير ص ٧٨.

قيل: إنها قالت له: لا تقطعن ولا تأكلن حتى أعلمكن، ثم قالت لخادمها: إذا قلت لك: ادع لي إيلا، فادع يوسف. وإيل: صنم كانوا يعبدونه. وكان يوسف عليه السلام يعمل في الطين، وقد شدّ مئزره وحسّر عن ذراعيه، فقالت للخادم: ادع لي إيلا، أي: ادع لي الرب، وإيل بالعبرانية: الرب. قال: فعجبت النسوة وقلن: كيف يجيء؟! فصعدت الخادم فدعت يوسف، فلما انحدر قالت له: اقطن ما معكن. ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُ﴾ بالمُدَى، حتى بلغت السكاكين إلى العظم؛ قاله وهب ابن مُنبّه.

سعيد بن جبیر: لم يخرج عليهنّ حتى زينتّه، فخرج عليهم فجأة فدهشن فيه، وتحيرن لحسن وجهه وزينته وما عليه، فجعلن يقطنن أيديهنّ، ويحسبن أنهن يقطنن الأثرج.

واختلف في معنى: «أَكْبَرْتُهُ»؛ فروى جوبير، عن الضحاك، عن ابن عباس: أَعْظَمْتُهُ وَهَبْتُهُ^(١).

وعنه أيضاً: أَمْنَيْنِ وَأَمْذَيْنِ مِنَ الدَّهْشِ؛ وقال الشاعر:

إذا ما رأين الفحل من فوق قارة صَهَلْنَ وَأَكْبَرْنَ المنى المدققاً^(٢)

وقال ابن سمعان عن عدّة من أصحابه أنهم قالوا: أَمْذَيْنِ عشقاً.

وهب بن مُنبّه: عشقته حتى مات منهنّ عشرة في ذلك المجلس دهشاً وحيرة ووجداً بيوسف^(٣).

(١) أخرجه الطبري ١٣١/١٣ - ١٣٢ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢١٣٥/٧ (١١٥٥٣) من طريق أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٣٩/٣: هذا قول الجمهور.

(٢) أخرج الشعر والقول قبله أبو الشيخ عن الكميت، كما في الدر المنثور ١٦/٤، ولم نقف عليه عن ابن عباس. والقارة: الجبيل الصغير المنقطع عن الجبال، أو الصخرة العظيمة. القاموس (قار).

(٣) عرائس المجالس ص ١٢٤.

وقيل: معناه: حِضْن من الدَّهَش؛ قاله قتادة ومقاتل والسُّدي^(١). قال الشاعر:
 نأتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا نَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارًا^(٢)
 وأنكر ذلك أبو عبيدة^(٣) وغيره، وقالوا: ليس ذلك في كلام العرب، ولكنه يجوز
 أن يكنَّ حِضْن من شِدَّةِ إعْظَامِهِنَّ له، وقد تفرغ المرأة، فَتَسْقُط ولدها أو تَحِيض.
 قال الزجاج^(٤): يقال: أَكْبَرَنه، ولا يقال: حِضْنه، فليس الإكبار بمعنى الحيض.
 وأجاب الأزهري^(٥) فقال: يجوز أَكْبَرَتْ بمعنى حاضت؛ لأنَّ المرأة إذا حاضت
 في الابتداء خرجت من حَيْز الصَّغَر إلى الكِبَر، قال: والهَاءُ في «أَكْبَرْنَهُ» يجوز أن
 تكون هاء الوقف لا هاء الكناية.

وهذا مزِيْف؛ لأن هاء الوقف تسقط في الوصل، وأمثلة منه قول ابن الأنباري:
 إِنَّ الهَاءَ كَنَاءَةٌ عَنْ مَصْدَرِ الْفِعْلِ، أَي: أَكْبَرْنَ إِكْبَارًا، بمعنى حِضْن حَيْضًا. وعلى قول
 ابن عباس الأول تعود الهاء إلى يوسف؛ أي: أعظمَن يوسف وأَجْلَلْنَه.

قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ قال مجاهد: قَطَّعْنَهَا حَتَّى أَلْقَيْنَهَا^(٦). وقيل:
 خَدَّشْنَهَا. وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد قال: حَزًّا بِالسَّكِينِ؛ قال النحاس^(٧): يريد

(١) لم نقف عليه عنهم، وأخرجه الطبري ١٣/١٣١، وابن أبي حاتم ٧/٢١٣٥ (١١٥٥١) و(١١٥٥٢) من طريق عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن جده ابن عباس. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٣٩: هذا قول ضعيف من معناه منكور، وليس عبد الصمد من رواية العلم رحمه الله. اهـ وينظر تهذيب اللغة ١٠/٢١٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/١٠٦، وتفسير الطبري ١٣/١٣٢، والمحرر الوجيز ٣/٢٣٩. قال الطبري: لا أحسب له أصلاً؛ لأنه ليس بالمعروف عند الرواة. وقال ابن عطية: البيت مصنوع مختلف.

(٣) في مجاز القرآن ١/٣٠٩.

(٤) في معاني القرآن ٣/١٠٦.

(٥) في تهذيب اللغة ١٠/٢١١ - ٢١٢.

(٦) المحرر الوجيز ٣/٢٣٩ وأخرجه الطبري ١٣/١٣٥. قال ابن عطية: فظاهرُ هذا أنه بانت الأيدي، وذلك ضعيف من معناه.

(٧) في معاني القرآن ٣/٤٢٢، وما قبله منه، وأخرج قول مجاهد الطبري ١٣/١٣٣.

مجاهد أنه ليس قطعاً تبيين منه اليد، إنما هو خدشٌ وحرٌّ، وذلك معروفٌ في اللغة أن يقال إذا خدش الإنسان يد صاحبه: قطع يده.

وقال عكرمة: «أَيْدِيَهُنَّ»: أكمأهنَّ، وفيه بُعْد. وقيل: أناملهنَّ، أي: ما وجدن ألماً في القطع والجرح، أي: لشغلِ قلوبهنَّ بيوسف.

والتقطيع يشير إلى الكثرة، فيمكن أن ترجع الكثرة إلى أن كلَّ واحدةٍ^(١) جرحت يدها في مواضع، ويمكن أن يرجع إلى عددهنَّ.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ أي: معاذ الله. وروى الأصمعي عن نافع أنه قرأ كما قرأ أبو عمرو بن العلاء: ﴿وَقُلْنَ حَاشَا لِلَّهِ﴾ بإثبات الألف وهو الأصل^(٢)، ومَنْ حَذَفَهَا جعل اللام في (الله) عوضاً منها. وفيها أربع لغات، يقال: حَاشَاكَ، وحَاشَا لَكَ، وحَاشَ لَكَ، وحَاشَا لَكَ. ويقال: حَاشَا زَيْدٍ وحَاشَا زَيْدًا؛ قال النحاس^(٣): وسمعت علي بن سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: النَّضْبُ أَوْلَى؛ لأنه قد صحَّ أنها فعلٌ؛ لقولهم: حَاشَ لزيد، والحرف لا يُحذف منه^(٤)، وقد قال النابغة:

وَلَا أَحَاشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مَنْ أَحَدٍ^(٥)

وقال بعضهم: حَاشَ حرفٌ، وأحاشي فعل. ويدلُّ على كون حاشا فعلاً وقوْعُ حرف الجرِّ بعدها^(٦). وحكى أبو زيد عن أعرابيٍّ: اللهم اغفر لي ولِمَنْ يَسْمَعُ، حاشا

(١) في (م): أن يرجع الكثرة إلى واحدة، وفي (د) و(ز) و(ظ): إلى كل واحدة، والمثبت من (ف).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢، وقراءة أبي عمرو في السبعة ص ٣٤٨، والتيسير ص ١٢٨، ورواية الأصمعي عن نافع أخرجه ابن مجاهد في السبعة ص ٣٤٨، وليست هي المشهورة عنه.

(٣) في إعراب القرآن ٣٢٦/٢، وما قبله منه.

(٤) يعني حذف الألف من «حاشا»، والحذف إنما يكون في الفعل. أسرار العربية لأبي البركات الأنباري ص ١٩١.

(٥) وصدده: ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه، وهو في ديوان النابغة ص ٣٣، والخزانة ٤٠٣/٣. قال البغدادي: قوله: ولا أحاشي، أي: لا أستثني أحداً ممن يفعل الخير. والشاهد فيه: تصرف الفعل حاشا، والتصرف من خصائص الأفعال. أسرار العربية ص ١٩١.

(٦) ينظر أسرار العربية ص ١٩٠ - ١٩٢. وقال أبو البركات: وحرف الجر إنما يتعلق بالفعل؛ لأن الحرف لا يتعلق بالحرف.

الشيطانَ وأبا الأصبح، فنَصَبَ بها^(١).

وقرأ الحسن: «وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ بِإِسْكَانِ الشَّيْنِ، وعنه أيضاً: «حَاشَ إِلَهِ». ابن مسعود وأبيي: «حَاشَى^(٢) إِلَهُ» بغير لام، ومنه قول الشاعر:

حَاشَا أَبِي ثُوْبَانَ إِنَّ بِهِ ضَنْئًا عَنِ الْمَلْحَاةِ وَالشُّثْمِ^(٣)

قال الزَّجَّاج: وأصلُ الْكَلِمَةِ من الحاشية، والحَشَا بمعنى الناحية، تقول: كنت في حَشَا فلانٍ، أي: في ناحيته، فقولك: حاشا لزيد، أي: تَنَحَّى زيدٌ من هذا وتَبَاعَدَ عنه، والاستثناء إخراجٌ وتنحيةٌ عن جملة المذكورين^(٤).

وقال أبو علي: هو «فاعِلٌ» من المحاشاة؛ أي: حاشا يوسفُ وصار في حاشيةٍ وناحيةٍ مما قُرِفَ به^(٥)، أو مِن أن يكون بشراً؛ فحاشا وحاشٍ في الاستثناء حرفٌ جرٌّ عند سيبويه^(٦)، وعلى ما قال المبرِّد وأبو علي فعل.

قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ قال الخليل وسيبويه: «ما» بمنزلة ليس؛ تقول: ليس زيدٌ قائماً، و﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ و﴿مَا هُكَ أَتْمَهْتِهَتْ﴾ [المجادلة: ٢]. وقال الكوفيون: لَمَّا

(١) المحتسب ٣٤٢/١، وشرح المفصل ٨٥/٢، والمغني ص ١٦٥.

(٢) في (د) و(ز) و(م): حاش، وكذلك وقعت في القراءات الشاذة ص ٦٣، والمثبت موافق لما في المحتسب ٣٤١/١، والمحذر الوجيز ٢٣٩/٣، والبحر ٣٠٣/٥، والدر المصون ٤٨٦/٦. وينظر ما سلف من القراءات في هذه المصادر.

(٣) مجاز القرآن ٣١٠/١، والحجة للفراسي ٤٢٢/٤، والمحتسب ٣٤١/١، والمحذر الوجيز ٢٤٠/٣. وهو في المفضليات ص ٣٦٧، والأصمعيات ص ٢١٨، منسوب للجميع الأسدي برواية:

حاشا أبا ثوباناً إنَّ أبا عمرو بن عبد الله إنَّ به ضَنْئًا عَنِ الْمَلْحَاةِ وَالشُّثْمِ

(٤) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ١٠٧/٣.

(٥) بنحوه في الحجة للفراسي ٤٢٢/٤ - ٤٢٣، وينظر مشكل إعراب القرآن ٣٨٦/١، وتقدير الكلام على ما ذكر في هذين المصدرين: «حاش لله» أي: بُعد يوسف عن هذا الذي رمي به لله، أي: لخوفه الله ومراقبته له. وسيذكر المصنف نحوه عن أبي نصر القشيري.

(٦) الكتاب ٣٤٩/٢.

حذفت الباء نصبت، وشرحُ هذا - فيما قاله أحمد بن يحيى - أنك إذا قلت: ما زيدٌ بمنطلق، فموضعُ الباء موضعُ نصب، وهكذا سائرُ حروف الخفض، فلما حذفت الباء نصبت لتدلَّ على محلِّها، قال: وهذا قولُ الفراء، قال: ولم تعمل «ما» شيئاً، فالزعمُ البصريون أن يقولوا: زيدُ القمر؛ لأنَّ المعنى: كالقمر. فردَّ أحمد بن يحيى بأن قال: الباء أَدْخِلُ في حروف الخفض من الكاف؛ لأنَّ الكاف تكون اسماً.

قال النحاس^(١): لا يصحُّ إلا قولُ البصريين، وهذا القول يتناقض؛ لأنَّ الفراء أجاز نصّاً: ما بمنطلي زيد، وأنشد:

أَمَّا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كُنْتَ حُرًّا وَمَا بِالْحُرِّ أَنْتَ وَلَا الْعَتِيقِ^(٢)

وَمَنَعَ نَصّاً النصب، ولا نعلم بين النحويين اختلافاً أنه جائز: ما فيك براغب زيد، وما إليك بقاصد عمر، ثم يحذفون الباء ويرفعون. وحكى البصريون والكوفيون: ما زيدٌ منطلق بالرفع، وحكى البصريون أنها لغة تميم، وأنشدوا:

أَتِيماً تَجْعَلُونَ إِلَيَّ زِدًّا وَمَا تَنِيْمٌ لِذِي حَسَبٍ نَدِيدٌ^(٣)

النَّدُ والنَّدِيدُ والنَّدِيدَةُ: المِثْلُ والنَّظِيرُ^(٤). وحكى الكسائي أنها لغة تهامة ونجد. وزعم الفراء أنَّ الرفع أقوى الوجهين. قال أبو إسحاق: وهذا غلط؛ كتابُ الله عزَّ وجلَّ ولغةُ رسول الله ﷺ أقوى وأولى^(٥).

قلت: وفي مصحف حفصة رضي الله عنها: «مَا هَذَا بِبَشِيرٍ» ذكره العُزْنَوِيُّ.

(١) في إعراب القرآن ٣٢٧/٢ - ٣٢٨، وينظر قول سيبويه في الكتاب ٥٧/١ - ٦٩ و ١٢٢، وقول الفراء في معاني القرآن له ٤٢/٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٤٤/٢، والخزانة ١٤١/٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢، والبيت لجبر، وهو في ديوانه ٣٣١/١، والخزانة ٢٧/٣، ورواية الديوان: أتيماً، بدل: أتيماً.

(٤) الصحاح (ندد).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢، وكلام الفراء في معاني القرآن له ٤٢/٢، وكلام أبي إسحاق وهو الزجاج في معاني القرآن له ١٠٨/٣.

قال القُشَيْرِيُّ أبو نصر: وذكرت النِّسوة أَنَّ يوسفَ أَحْسَنَ من صورة البشر، بل هو في صورة مَلَك، وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] والجمع بين الآيتين أَنَّ قولهنَّ: ﴿حَسَّ لِلَّهِ﴾ تبرئة ليوسف^(١) عما رمت به امرأة العزيز من المراودة، أي: بَعْدَ يوسف عن هذا، وقولهنَّ: (لله) أي: لخوفه، أي براءة لله من هذا، أي: قد نجا يوسف من ذلك، فليس هذا من الصورة في شيء، والمعنى: أنه في التبرئة عن المعاصي كالملائكة؛ فعلى هذا لا تناقض.

وقيل: المرادُ تنزيهه عن مُشابهة البشر في الصورة؛ لفرط جماله، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ تأكيدٌ لهذا المعنى، فعلى هذا المعنى قالت النسوة ذلك ظناً منهِنَّ أَنَّ صورةَ المَلَك أحسن، وما بلغهنَّ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، فإنه من كتابنا. وقد ظنَّ بعضُ الضَّعَفَةِ أَنَّ هذا القول لو كان ظناً باطلاً منهِنَّ، لَوَجَبَ على الله أن يردَّ عليهنَّ، ويبيِّن كذبهنَّ، وهذا باطل؛ إذ لا وجوبَ على الله تعالى، وليس كلُّ ما يخبر به الله سبحانه من كُفْرِ الكافرين وكذب الكاذبين يجب عليه أن يَقْرُنَ به الردُّ عليه، وأيضاً أهلُ العرف قد يقولون في القبيح: كأنه شيطان، وفي الحسن: كأنه مَلَك، أي: لم يَرِ مثله؛ لأنَّ الناس لا يَرَوْنَ الملائكة، فهو بناءٌ على ظنٍّ في أَنَّ صورة المَلَك أحسن، أو على الإخبار بطهارة أخلاقه وبُعده عن التُّهَم.

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ﴾ أي: ما هذا إلا مَلَك، وقال الشاعر:

فَلَسْتُ لِإِنْسِي وَلَكِنْ لِمَلَأِكِ تَنْزَلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(٢)

وروي عن الحسن: «ما هذا بِشَرِيٌّ»؛ بكسر الباء والشين، أي: ما هذا عبداً مُشْتَرِيٌّ، أي: ما ينبغي لِمَثَلِ هذا أن يُباع، فوضع المصدر موضعَ اسم المفعول، كما قال: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ [المائدة: ٩٦] أي: مَصِيدُهُ، وشبَّهه كثير. ويجوز أن يكون المعنى: ما هذا بَشْمَن، أي: مثله لا يَشْمَن ولا يَقُوم، فيراد بالشراء على هذا:

(١) في (ظ): أن قوله حاش لله تنزيهه ليوسف.

(٢) سلف ٣٩٣/١.

الثَّمَنُ المشتَرى به، كقولك: ما هذا بألف، إذا نفيت قولَ القائل: هذا بألف. فالباءُ على هذا متعلِّقةٌ بمحذوفٍ هو الخبر^(١)، كأنه قال: ما هذا مقدراً بشراء.

وقراءة العامة أشبه؛ لأنَّ بعده: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ مبالغةٌ في تفضيله في جنس الملائكة تعظيماً لشأنه، ولأنَّ مثلَ «بِشْرَى» يُكتب في المصحف بالياء^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ لَمَّا رأت اِفْتِتَانَهُنَّ بيوسف أظهرت عُذْرَ نفسها بقولها: «لُمْتُنَنِي فِيهِ» أي: في حبه.

و«ذلك» بمعنى «هذا»، وهو اختيارُ الطَّبْرِيِّ^(٣). وقيل: الهاءُ للْحُبِّ، و«ذلك» على بابهِ^(٤)، والمعنى: ذلكنَّ الحُبُّ الذي لُمْتُنَنِي فيه، أي: حُبُّ هذا هو ذلك الحُبِّ. واللومُ: الوصفُ بالقبيح. ثم أقرَّت وقالت: ﴿وَلَقَدْ زَوَدْتُهُمْ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ﴾ أي: امتنع.

وسمَّيت العَصْمَةُ عَصْمَةً لأنها تمنع من ارتكاب المعصية. وقيل: «استعصم» أي: استعصى^(٥)، والمعنى واحد.

﴿وَلَكِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا مَأْمُرُهُ لِئَسْجَنَ﴾ عاودته المراودةً بمحضَرٍ منهنَّ، وهتكَّتْ جِلْبَابَ الحياءِ، ووعدتْ بالسجن إن لم يفعل، وإنما فعلت هذا حين لم تخشَ لَوْماً ولا مقالاً، خلافَ أوَّلِ أمرها إذ كان ذلك بينه وبينها.

﴿وَلِيَكُونَا مِنَ الضَّعِيفِينَ﴾ أي: الأذلاء. وخطَّ المصحف: «وليكونا» بالألف، وتقرأ بنون مخفَّفةٍ للتأكيد، ونونُ التأكيد تثقُلُ وتخفَّفُ، والوقفُ على قوله: «لِيَسْجَنَ» بالنون لأنها مثقَّلة، وعلى «ليكونا» بالألف لأنها مخفَّفة، وهي تشبه نون الإعراب في

(١) المحتسب ٣٤٢/١.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٤٢٣/٣، وينظر النكت والعيون ٣٣/٣.

(٣) في تفسيره ١٤١/١٣.

(٤) المحرر الوجيز ٢٤١/٣، وقوله: على بابهِ، أي: في الإشارة إلى غائب، كما ذكر ابن عطية.

(٥) أخرجه الطبري ١٤٢/١٣ عن قتادة. ووقع في (ظ): استعف، بدل: استعصى.

قولك: رأيت رجلاً، وزيداً، وعمراً، ومثله قوله: ﴿لَتَسْفُتُنَّ يَا آلَ كَافِرِينَ﴾ [العلق: ١٥] ونحوها، الوقف^(١) عليها بالالف، كقول الأعشى:

وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهُ فَاعْبُدَا^(٢)

أراد: فاعبدا^(٣)، فلما وقف عليه كان الوقف بالالف.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْكَاهِلِينَ ۖ﴾ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ فَصَرَفَ عَنْهُمْ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُمْ هُمُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ أي: دخول السجن، فحذف المضاف؛ قاله الزَّجَّاج والنَّحَّاس^(٤). «أَحَبُّ إِلَيَّ» أي: أسهل عليّ وأهون من الوقوع في المعصية، لا أن أدخل السجن مما يُحِبُّ على التحقيق.

وحكى أن يوسف عليه السلام لما قال: ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ أوحى الله إليه: «يا يوسف! أنت حبست نفسك حيث قلت: السجن أحبُّ إليّ، ولو قلت: العافية أحبُّ إليّ، لعُوفيت»^(٥).

وحكى أبو حاتم أن عثمان بن عفان ؓ قرأ: «السِّجْنُ» بفتح السين، وحكى أن ذلك قراءة ابن أبي إسحاق وعبد الرحمن الأعرج ويعقوب، وهو مصدر: سَجَنَهُ سَجْنًا^(٦).

(١) في (ظ): والوقف. والمثبت من باقي النسخ. وتفسير الطبري ١٣/١٤٢ - ١٤٣، والكلام منه.

(٢) تفسير الطبري ١٣/١٤٣، وصدده عنده: وصل على حين العشيات والضحي، وهو في الديوان ص ١٨٧ برواية:

وَذَا النُّصْبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْسَكُنَّهُ وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ...

(٣) في تفسير الطبري: فاعبَدَنَّ.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/١٠٨، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢٨.

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة ١/٧٩.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢٨، وقراءة يعقوب في النشر ٢/٢٩٥، وهو من العشرة.

﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ أي: كيد النسوان. وقيل: كيد النسوة اللاتي رأينه؛ فإنهنَّ أَمَرْنَ بمطاعة امرأة العزيز، وقلن له: هي مظلومة، وقد ظلمتها. وقيل: طلبت كل واحدة أن تخلو به للنصيحة في امرأة العزيز، والقصد بذلك أن تعذله في حقها، وتأمره بمساعدتها، فلعله يُجيب، فصارت كل واحدة تخلو به على حدة فتقول له: يا يوسف، اقض لي حاجتي فأنا خير لك من سيدتك. تدعوه كل واحدة لنفسها وتراوده، فقال: يا رب كانت واحدة فصِرَن جماعة.

وقيل: كيد امرأة العزيز فيما دعت إليه من الفاحشة، وكَتَتْ عنها بخطاب الجمع؛ إمَّا تعظيماً لشأنها^(١) في الخطاب، وإمَّا ليعدل عن التصريح إلى التعريض. والكيد: الاحتيال والاجتهاد؛ ولهذا سُميت الحرب كيداً؛ لاحتيال الناس فيها؛ قال عمر بن لَجَأ:

نَرَاءتْ كَيْ تَكِيدُكَ أُمُّ بَشَرٍ وَكَيْدُ بَالْتَبْرِجِ مَا تَكِيدُ^(٢)
﴿أَضْبُ إِلَيْنَّ﴾ جواب الشرط، أي: أَمِلْ إِلَيْنْهُنَّ؛ من صبا يصبو: إذا مال واشتاق، صُبُّوا وَصَبُوهُ^(٣)؛ قال:

إِلَى هُنْدٍ صَبَا قَلْبِي وَهِنْذٍ مِثْلُهَا يُضِي^(٤)

أي: إن لم تَلْطَفْ بي في اجتناب المعصية وقعت فيها^(٥). ﴿وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: ممن يرتكب الإثم ويستحقُّ الذمَّ، أو ممن يعمل عملَ الجُهَال؛ ودلَّ هذا على أنَّ

(١) في (د) و(ز) و(م): لتعظيم شأنها، والمثبت من (ظ) و(ف)، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٣/٣٤، والكلام منه.

(٢) الموشى لأبي الطيب الوشاء ص ١١٢ برواية: ... أم عمرو وكيدك...، ومنتهى الطلب ٢٩٩/٧ برواية:

بدت فتبرجت لك أم بدر وكيداً بالتبرج...

(٣) تفسير البغوي ٢/٤٢٤.

(٤) قائله يزيد بن ضبة، كما في مجاز القرآن ١/٣١١، والأغاني ٧/١٠٢، وهو في تفسير الطبري ١٤٥/١٣ دون نسبة.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢٨.

أحداً لا يمتنع عن معصية الله إلا بعون الله؛ ودلاً أيضاً على قُبْح الجهل والذم لصاحبه.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ لَمَّا قَالَ: ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾؛ تعرّض للدعاء، وكأنه قال: اللهم اصرف عني كيدهن؛ فاستجاب له دعاءه، ولطف به، وعصمه عن الوقوع في الزنى. «كَيْدَهُنَّ» قيل: لأنهنّ جمعٌ قد راودنه عن نفسه. وقيل: يعني كيد النساء. وقيل: يعني كيد امرأة العزيز، على ما ذكر في الآية قبل، والعموم أولى.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُجُنُتُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٢٥)

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ﴾ أي: ظهر للعزيز وأهل مشورته ﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ أي: علامات براءة يوسف - من قَدْ القميص من دُبُر، وشهادة الشاهد، وحرّ الأيدي، وقلة صبرهنّ عن لقاء يوسف - أن يسجنوه كتماناً للقصة ألا تشيع في العامة، وللحيلولة بينه وبينها. وقيل: هي البركات التي كانت تنفتح عليهم ما دام يوسف فيهم. والأول أصح.

قال مقاتل عن مجاهد عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ قال: [قَدْ] القميص من الآيات، وشهادة الشاهد من الآيات، وقطعُ الأيدي من الآيات، وإعظامُ النساء إياه من الآيات^(١).

وقيل: ألجأها الخجلُ من الناس، والوجلُّ من اليأس، إلى أن رضيت بالحجاب مكانَ خَوْفِ الذهاب، لتشتفي إذا مُنعت من نظره؛ قال:

وما صَبَابَةٌ مشتاقٍ عليّ أَمَلٍ مِنْ اللُّقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بِلَا أَمَلٍ^(٢)

(١) زاد المسير ٢٢١/٤، وما سلف بين حاصرتين منه، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢١٣٩/٧ (١١٥٨٢) من طريق عكرمة عن ابن عباس بلفظ: من الآيات: قد القميص، وأثر السكين.

(٢) البيت للمتنبي، وهو في ديوانه ص ٣٣٦.

أو كادته رجاء أن يَمَلَّ حَبْسَهُ فيبذل نفسه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ جُنَّتُهُ﴾ «يَسْجُنَّتُهُ» في موضع الفاعل، أي: ظهر لهم أن يسجنوه. هذا قول سيبويه. قال المبرد: وهذا غلط؛ لا يكون الفاعل جملةً، ولكن الفاعل ما دلَّ عليه «بَدَأَ»، وهو مصدر، أي: بدا لهم بَدَاءً؛ فحذف [الفاعل] لأنَّ الفعل يدلُّ عليه، كما قال الشاعر:

وَحُقَّ لِمَنْ أَبُو مُوسَى أَبُوهُ يُوقِّفُهُ الَّذِي نَصَبَ الْجِبَالَ^(١)
أي: وحقَّ الحقُّ، فحذف.

وقيل: المعنى: ثم بدا لهم رأيٌ لم يكونوا يعرفونه، وحذف هذا لأنَّ في الكلام دليلاً عليه، وحذف أيضاً القول، أي: قالوا: لَيْسَ جُنَّتُهُ^(٢). واللامُ جوابٌ ليمينٍ مضمرة. قاله الفراء^(٣)، وهو فعل مذكَّر لا فعل مؤنَّث، ولو كان فعلاً مؤنَّثاً لكان: لَيْسَ جُنَّتُهُ، ويدلُّ على هذا قوله: ﴿لَهُمْ﴾ ولم يقل: لهنَّ، فكأنَّه أخبر عن النسوة وأعوانهنَّ، فغلب المذكَّر. قاله أبو علي.

وقال السُّدِّي: كان سببُ حَبْسِ يوسف أن امرأة العزيز شَكَّتْ إليه أنه شَهَرُها ونَشَر خبرها^(٤)، فالضمير على هذا في «لَهُمْ» للملك.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿حَقَّقَ حِينَ﴾ أي: إلى مدَّةٍ غير معلومة. قاله كثير من المفسِّرين^(٥). وقال ابن عباس: إلى انقطاع ما شاع في المدينة^(٦). وقال سعيد بن

(١) البيت لذي الرمة، وهو في ديوانه ١٥٤٦/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٩/٢، والكلام وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٩/٢.

(٣) في معاني القرآن ٤٤/٢.

(٤) أخرجه الطبري ١٥٠/١٣.

(٥) النكت والعيون ٣٥/٣.

(٦) ذكره الرازي ١٣٣/١٨، وأورده الواحدي في الوسيط ٦١٢/٢، والبغوي ٤٢٥/٢ عن عطاء.

جُبَيْر: إلى ستة أشهر^(١). وحكى الكيّا أنه عَنَى ثلاثةَ عَشَرَ شهراً^(٢). عِكْرمة: سبع سنين^(٣). الكلبيّ: خمس سنين^(٤). مقاتل: [اثنى عشرة سنة]^(٥). وقد مضى في «البقرة»^(٦) القول في الحين وما يرتبط به من الأحكام. وقال وهب: أقام في السجن اثنى عشرة سنة^(٧). و«حتى» بمعنى إلى، كقوله: ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥].

وجعل الله الحبسَ تطهيراً ليوسف ﷺ من همّه بالمرأة. وكأنَّ العزيز - وإن عرف براءة يوسف - أطاع المرأة في سجن يوسف. قال ابن عباس: عَثِرَ يوسفُ ثلاثَ عشرات، حينَ همَّ بها فسُجِنَ، وحين قال للفتى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فلبث في السجن بضْعَ سنين، وحين قال لإخوته: ﴿إِنَّا لَنَسْرِقُونَ﴾ فقالوا: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلٍ﴾^(٨).

الرابعة: أكره يوسف عليه السلام على الفاحشة بالسجن، وأقام [فيه] خمسة أعوام، وما رضي بذلك لعظيم منزلته وشريف قدره، ولو أكره رجلٌ بالسجن على الزنى ما جاز له [ذلك] إجماعاً. فإن أكره بالضرب، فقد اختلف فيه العلماء؛ والصحيح أنه إذا كان فادحاً فإنه يسقط عنه إثمُ الزنى وحده. وقد قال بعض علمائنا: إنه لا يسقط عنه الحد، وهو ضعيف؛ فإنَّ الله تعالى لا يجمع على عبده العذابين،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢١٤١/٧ (١١٥٩١) وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/٣٤.

(٢) كذا في النسخ، والذي في أحكام القرآن للكميا ٣/٢٣٧: ثلاث عشرة سنة.

(٣) في (د) و(ز) و(م): تسع سنين، والمثبت من باقي النسخ والمصادر، وقد أخرجه الطبري ١٣/١٥١،

وابن أبي حاتم ٢١٤١/٧ (١١٥٩٢)، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/٣٤.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/١٦١، وتفسير البغوي ٢/٤٢٥.

(٥) قوله: اثنى عشرة سنة، سقط من النسخ الخطية، والمثبت من الوسيط ٢/٦١٣، وتفسير الرازي ١٨/١٣٣.

(٦) ٤٧٨/١ - ٤٨٠.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/٣٢٣ بلفظ: لبث يوسف في السجن سبع سنين، وكذا ذكر الجصاص في أحكام القرآن ٣/١٧٣.

(٨) أخرجه الطبري ١٣/١٤٩. والحاكم ٢/٣٤٦. وقال الذهبي في تلخيصه: وهو خبر منكر.

ولا يُصِرُّهُ بين بلاءين؛ فإنه من أعظم الحرج في الدين^(١)، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وسيأتي بيان هذا في «النحل» إن شاء الله^(٢). وصبر يوسف [على السجن]، واستعاذ به من الكيد^(٣)، فاستجاب له على ما تقدّم.

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأْتُهَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْقَايَاهُ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ﴾ «فتيان» تثنية فتى، وهو من ذوات البياء، وقولهم: الفتوة، شاذ^(٤). قال وهب وغيره: حُمل يوسف إلى السجن مقيداً على حمار، وطيف به: هذا جزاء من يعصي سيده^(٥)، وهو يقول: هذا أيسر من مُقَطَّعات النيران، وسراويل القطران، وشراب الحميم، وأكل الزقوم.

فلما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قوماً قد انقطع رجاؤهم، واشتدّ بلاؤهم، فجعل يقول لهم: اصبروا وأبشروا تؤجروا، فقالوا له: يا فتى، ما أحسن حديثك!

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٧٤، وما سلف بين حاصرتين منه، إلا أنه وقع فيه. وأقام فيه سبعة أعوام، بدل: خمسة أعوام.

(٢) عند تفسير الآية (١٠٦) منها.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٧٤، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٨، ووقع في (م): الفتو، بدل: الفتوة. والفتو - على فُعول - جمع فتى. قال سيويه: أبدلوا الواو في الجمع والمصدر بدلاً شاذاً. الصحاح (فتا).

(٥) ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٢ عن ابن عباس نحوه، إلا أن فيه: ونودي عليه في أسواق مصر: إن يوسف العبراني أراد سيده، فهذا جزاؤه أن يسجن.

لقد بورك لنا في جوارك، مَنْ أنت يا فتى؟ قال: أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب، ابن ذبيح الله إسحاق، ابن خليل الله إبراهيم^(١).

وقال ابن عباس: لَمَّا قَالَتِ الْمَرْأَةُ لِرَوْحِهَا: إِنَّ هَذَا الْعَبْدَ الْعِبْرَانِيَّ قَدْ فَضَحَنِي، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تَسْجُنَهُ، فَسَجَنَهُ فِي السَّجْنِ، فَكَانَ يُعْزِي فِيهِ الْحَزِينَ، وَيَعُودُ فِيهِ الْمَرِيضُ، وَيَدَاوِي فِيهِ الْجَرِيحَ، وَيَصْلِي اللَّيْلَ كُلَّهُ، وَيَبْكِي حَتَّى تَبْكِي مَعَهُ جُذْرُ الْبُيُوتِ وَسَقْفُهَا وَالْأَبْوَابُ، وَظَهَرَ بِهِ السَّجْنُ، وَاسْتَأْنَسَ بِهِ أَهْلُ السَّجْنِ، فَكَانَ إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنَ السَّجْنِ رَجَعَ حَتَّى يَجْلِسَ فِي السَّجْنِ مَعَ يُوسُفَ، وَأَحْبَهُ صَاحِبُ السَّجْنِ فَوَسَّعَ عَلَيْهِ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا يُوسُفُ! لَقَدْ أَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أَحَبَّ شَيْئًا حُبَّكَ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حُبِّكَ! قَالَ: وَلِمَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَحْبَبَنِي أَبِي فَفَعَلَ بِي إِخْوَتِي مَا فَعَلُوهُ، وَأَحْبَبْتَنِي سَيِّدَتِي فَنَزَلَ بِي مَا تَرَى. فَكَانَ فِي حَبْسِهِ حَتَّى غَضِبَ الْمَلِكُ عَلَى خَبَازِهِ وَصَاحِبِ شِرَابِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ عُمِّرَ فِيهِمْ فَمَلَّوهُ، فَدَسُّوا إِلَى خَبَازِهِ وَصَاحِبِ شِرَابِهِ أَنْ يَسْمُوهُ جَمِيعًا، فَأَجَابَ الْخَبَازُ وَأَبَى صَاحِبُ الشَّرَابِ، فَاِنْطَلَقَ صَاحِبُ الشَّرَابِ فَأَخْبَرَ الْمَلِكَ بِذَلِكَ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِحَبْسِهِمَا، فَاسْتَأْنَسَا بِيُوسُفَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَّانٌ﴾.

وقد قيل: إِنَّ الْخَبَازَ وَضَعَ السَّمَّ فِي الطَّعَامِ، فَلَمَّا حَضَرَ الطَّعَامَ قَالَ السَّاقِي: أَيُّهَا الْمَلِكُ! لَا تَأْكُلْ فَإِنَّ الطَّعَامَ مَسْمُومٌ. وَقَالَ الْخَبَازُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَشْرَبْ! فَإِنَّ الشَّرَابَ مَسْمُومٌ، فَقَالَ الْمَلِكُ لِلْسَّاقِي: اشْرَبْ. فَشَرِبَ فَلَمْ يَضُرَّهُ، وَقَالَ لِلْخَبَازِ: كُلْ. فَأَبَى، فَجَرَّبَ الطَّعَامَ عَلَى حَيَوَانَ فَتَفَقَّ مَكَانَهُ، فَحَبَسَهُمَا سَنَةً، وَبَقِيَ فِي السَّجْنِ تِلْكَ الْمُدَّةَ مَعَ يُوسُفَ^(٢).

واسم الساقى منجاء، والآخر مجلث؛ ذكره الثعلبى عن كعب. وقال النقاش:

(١) أخرجه الطبري ١٥٧/١٣ - ١٥٨ عن قتادة مطولاً، وفي هذا الخبر نظر، فالذبيح هو إسماعيل على الصحيح.

(٢) ينظر عرائس المجالس ص ١٢٤ - ١٢٦، وتفسير البغوي ٤٢٥/٢، والمحرم الوجيز ٢٤٣/٣، وزاد المسير ٢٢٢/٤.

اسم أحدهما شرهم، والآخر سرهم؛ الأول بالشين المعجمة، والآخر بالسين المهملة. وقال الطبري: الذي رأى أنه يعصر خمراً هو نبو، قال السهيلي: وذكر اسم الآخر ولم أقيده^(١).

وقال «فتيان» لأنهما كانا عبيدين، والعبد يسمّى فتى، صغيراً كان أو كبيراً؛ ذكره الماوردي^(٢).

وقال القشيري: ولعلّ الفتى كان اسماً للعبد في عرفهم؛ ولهذا قال: ﴿تَرْوُدُ فَتَنًا مِّنْ نَّفْسِهِ﴾. ويحتمل أن يكون الفتى اسماً للخادم وإن لم يكن مملوكاً، ويمكن أن يكون حبسهما مع حبس يوسف أو بعده أو قبله، غير أنهما دخلا معه البيت الذي كان فيه.

﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنباً. كان يوسف قال لأهل السجن: إني أعبر الأحلام، فقال أحد الفتين لصاحبه: تعال حتى نجرب هذا العبد العبراني، فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئاً. قاله ابن مسعود^(٣).

وحكى الطبري^(٤): أنهما سألاه عن علمه، فقال: إني أعبر الرؤيا، فسألاه عن رؤياهما. قال ابن عباس ومجاهد: كانت رؤيا صديق رأياها وسألاه عنها؛ ولذلك صدّق تأويلها^(٥). وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً»^(٦).

(١) التعريف والإعلام ص ٨١، وعنه نقل المصنف قول الطبري والنقاش. وقول الطبري في تفسيره ١٥١/١٣ - ١٥٢؛ أخرجه عن ابن إسحاق، وذكر فيه أن اسم الآخر: مجلث.

(٢) في النكت والعيون ٣٦/٣.

(٣) أخرجه الطبري ١٥٣/١٣ و ١٦٧ - ١٦٨.

(٤) في تفسيره ١٥٢/١٣ - ١٥٣، ونقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٣٦/٣.

(٥) النكت والعيون ٣٦/٣، إلا أنه وقع فيه: ابن إسحاق، بدل: ابن عباس، وكذلك أخرجه الطبري ١٥٣/١٣ - ١٥٤ عن مجاهد وابن إسحاق.

(٦) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٧٦٤٢)، ومسلم (٢٢٦٣) عن أبي هريرة ؓ.

وقيل: إِنَّهَا كَانَتْ رُؤْيَا كَذِبٍ سَأَلَاهُ عَنْهَا تَجْرِيئاً، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ وَالسُّدِّيِّ^(١).

وقيل: إِنَّ الْمَصْلُوبَ مِنْهُمَا كَانَ كَاذِباً، وَالْآخَرُ صَادِقاً. قَالَ أَبُو مِجْلَزٍ^(٢).

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَحَلَّمَ كَاذِباً؛ كُتِفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ [وَلَنْ يَعْقِدَ بَيْنَهُمَا]». قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٣).

وَعَنْ عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَذَبَ فِي حُلْمِهِ؛ كُتِفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَقْدَ شَعِيرَةٍ». قَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ^(٤).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا رَأَى رُؤْيَاهُمَا أَصْبَحَا مَكْرُوبَيْنِ، فَقَالَ لَهُمَا يَوْسُفُ: مَا لِي أَرَاكُمَا مَكْرُوبَيْنِ؟ قَالَا: يَا سَيِّدُنَا، إِنَّا رَأَيْنَا مَا كَرِهْنَا، قَالَ: فَقُصِّصَا عَلَيَّ، فَقُصِّصَا عَلَيْهِ، قَالَا: نَبَّئْنَا بِتَأْوِيلِ مَا رَأَيْنَا. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ رُؤْيَا مَنْامٍ^(٥).

﴿إِنَّا نَزَّلْنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فَإِحْسَانُهُ أَنَّهُ كَانَ يَعُودُ الْمَرْضَى وَيُدَاوِيهِمْ، وَيُعْزِي الْحَزَانَى^(٦). قَالَ الضَّحَّاكُ: كَانَ إِذَا مَرَضَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ السِّجْنِ قَامَ بِهِ، وَإِذَا ضَاقَ وَسَّعَ لَهُ، وَإِذَا احتَاجَ جَمَعَ لَهُ، وَسَأَلَ لَهُ^(٧).

وقيل: «مِنَ الْمُحْسِنِينَ» أَيُّ: الْعَالَمِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعِلْمَ؛ قَالَه الْفَرَّاءُ^(٨).

(١) أَخْرَجَهُ عَنِ السُّدِّيِّ الطَّبْرِيُّ ١٣/١٥٣، وَسَلَفَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ.

(٢) النُّكْتُ وَالْعِيُونُ ٣/٣٦.

(٣) سَنَنَ التِّرْمِذِيُّ (٢٢٨٣)، وَمَا سَلَفَ بَيْنَ حَاضِرَتَيْنِ مِنْهُ، وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً أَحْمَدُ (١٨٦٦)، وَابْنُ خَرِّازٍ (٧٠٤٢). وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٠٥٤٩) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) سَنَنَ التِّرْمِذِيُّ (٢٢٨١)، وَهُوَ عِنْدَ أَحْمَدَ (٥٦٨).

(٥) ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي زَادِ الْمَسِيرِ ٤/٢٢٣ مِنْ طَرِيقِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٦) ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ ٤/٢٢٣ مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٧) عُرَائِسُ الْمَجَالِسِ ص ١٢٥ - ١٢٦، وَفِيهِ: وَسَأَلَهُ رَبَّهُ، بَدَلُ: وَسَأَلَ لَهُ، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ١٣/١٥٦ - ١٥٧.

(٨) فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ ٢/٤٥.

وقال ابن إسحاق: مِنَ الْمُحْسِنِينَ لَنَا إِنْ فَسَّرْتَهُ^(١)، كما تقول: افعل كذا وأنت مُحْسِنٌ.

قال: فما رأيكما؟ قال الخباز: رأيت كأنني اختَبِرْتُ في ثلاثة تنانير، وجعلته في ثلاث سِلَالٍ، فوضعتُه على رأسي، فجاء الطير فأكل منه. وقال الآخر: رأيت كأنني أخذت ثلاثة عناقيد من عنبٍ أبيض، فعصرتُهن في ثلاث أوانٍ، ثم صفَّيته فسقيتُ الملك كعادتي فيما مضى^(٢)، فذلك قوله: ﴿إِنِّي أُرِيكَ أَغَصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنباً، بلغة عُمان؛ قاله الضَّحَّاك^(٣). وقرأ ابن مسعود: «إِنِّي أَرَانِي أَغَصِرُ عِنْبًا»^(٤). وقال الأصمعي: أخبرني المعتمر بن سليمان أنه لقي أعرايياً ومعه عنبٌ فقال له: ما معك؟ قال: خمر. وقيل: معنى «أَغَصِرُ خَمْرًا» أي: عنبٌ خمرٍ، فحذف المضاف^(٥). ويقال: خَمْرَةٌ وَخَمْرٌ وَخُمُورٌ، مثل تمرَةٍ وَتَمْرٍ وَتُمُورٌ^(٦).

﴿قَالَ﴾ لهما يوسف: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْقَايَهُ﴾ يعني لا يجيئكما غداً طعامٌ من منزلكما ﴿إِلَّا بَنَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ لتعلما أنني أعلم تأويل رؤياكما، فقالا: افعل! فقال لهما: يجيئكما كذا وكذا، فكان على ما قال، وكان هذا من علم الغيب خُصَّ به يوسف. وبيَّن أنَّ الله خَصَّه بهذا العلم؛ لأنه ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله، يعني دين الملك.

ومعنى الكلام عندي: العلم بتأويل رؤياكما، والعلم بما يأتیکما من طعامكما، والعلم بدين الله، فاسمعوا أولاً ما يتعلَّق بالدين لتَهْتَدُوا، ولهذا لم يعبر لهما حتى دعاهما إلى الإسلام، فقال: ﴿يَصْدِكِي آلِ سَجْنٍ ءَازْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ

(١) أخرجه الطبري ١٣/١٥٨، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/٣٧.

(٢) عرائس المجالس ص ١٢٥، وتفسير البغوي ٢/٤٢٥، وزاد المسير ٤/٢٢٣.

(٣) أخرجه الطبري ١٣/١٥٥.

(٤) المحتسب ١/٣٤٣.

(٥) الوسيط ٢/٦١٣، وخبر الأصمعي عن المعتمر ذكره أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٤٣.

(٦) الصحاح (خمر).

أَلْفَهَارُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿١﴾ الآية كلها، على ما يأتي.

وقيل: علم أن أحدهما مقتول، فدعاهما إلى الإسلام لیسعدا به.

وقيل: إن يوسف كره أن يعبر لهما ما سألاه؛ لِمَا عَلِمَهُ مِنَ الْمَكْرُوهِ عَلَى أَحَدِهِمَا، فَأَعْرَضَ عَنْ سَوَّالِهِمَا، وَأَخَذَ فِي غَيْرِهِ فَقَالَ: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ﴾ ﴿١﴾ فِي النَّوْمِ ﴿إِلَّا نَبَأْتُكُمَا﴾ بتفسيره في اليقظة؛ قاله السُّدِّيُّ ^(١). فقالا له: هذا من فِعْلِ الْعَرَّافِينَ وَالْكَهَنَةِ! فقال لهما يوسف عليه السلام: ما أنا بكاهن، وإنما ذلك مما عَلَّمْنِيهِ رَبِّي ^(٢)، إني لا أخبركما به تكهنًا وتنجيماً، بل هو بوحي من الله عزَّ وجلَّ.

وقال ابن جُرَيْج: كان الملك إذا أراد قتل إنسان صنع له طعاماً معروفاً، فأرسل به إليه، فالمعنى: لا يأتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ فِي اليقظة، فعلى هذا: «تُرْزَقَانِيهِ»، أي: يجري عليكما من جهة الملك أو غيره ^(٣). ويحتمل: يرزقكما الله. قال الحسن: كان يخبرهما بما غاب، كعيسى عليه السلام ^(٤). وقيل: إنما دعاهما بذلك إلى الإسلام، وجعل المعجزة التي يستدلَّان بها إخبارهما بالغيوب.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرِئِيهِمْ وَاِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ﴾ لأنهم أنبياء على الحقِّ ﴿مَا كَانَ﴾ أي: ما ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ «مِنْ» للتأكيد، كقولك: ما جاءني من أحد. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ إشارة إلى عصمته من الزنى ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ أي: على المؤمنين الذين عصمهم الله من الشرك.

وقيل: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ إذ جعلنا أنبياء، ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ إذ جعلنا الرسل إليهم. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ على نعمه بالتوحيد ^(٥) والإيمان.

(١) بنحوه في المحرر الوجيز ٢٤٤/٣.

(٢) عرائس المجالس ص ١٢٦، وتفسير البغوي ٤٢٦/٢.

(٣) تفسير الطبري ١٦١/١٣ - ١٦٢.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣٧/٣.

(٥) في (م): على نعمة التوحيد.

قوله تعالى: ﴿يَصْدِجِي السِّجْنِ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَصْدِجِي السِّجْنِ﴾ أي: يا ساكني السجن، وذكر الصُّحبة لطول مقامهما فيه، كقولك: أصحاب الجنة، وأصحاب النار^(١). ﴿أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ أي: في الصغر والكبر والتوسط، أو متفرقون في العدد. ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ وقيل: الخطاب لهما ولأهل السجن، وكان بين أيديهم أصنامٌ يعبدونها من دون الله تعالى، فقال ذلك إلزاماً للحجة، أي: آلهة شتى لا تضر ولا تنفع «خيرٌ أم الله الواحدُ القَهَّارُ» الذي قهر كل شيء، نظيره: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]. وقيل: أشار بالتفرق إلى أنه لو تعدد الإله، لتفرقوا في الإرادة ولعلَّ بعضهم على بعض، ويبيِّن أنها إذا تفرقت لم تكن آلهة.

قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ﴾ بيِّن عجز الأصنام وضعفها، فقال: «مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ» أي: من دون الله، إلا ذوات أسماء لا معاني لها. ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ من تلقاء أنفسكم. وقيل: عنى بالأسماء المسميات، أي: ما تعبدون إلا أصناماً ليس لها من الإلهية شيء إلا الاسم؛ لأنها جمادات.

وقال: «مَا تَعْبُدُونَ» وقد ابتدأ بخطاب الاثنين؛ لأنه قصّد جميع من هو على مثل حالهما من الشرك^(٢).

﴿إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ﴾ فحذف المفعول الثاني للدلالة، والمعنى: سَمَّيْتُمُوهَا آلهة من عند أنفسكم. ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ذلك في كتاب. قال سعيد بن جبير:

(١) تفسير البغوي ٤٢٧/٢، والمحرم الوجيز ٢٤٥/٣.

(٢) تفسير البغوي ٤٢٧/٢.

﴿مِنْ سُلَاطِنٍ﴾ أي: من حجة^(١). ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ الذي هو خالق الكل ﴿أَمَرَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾. ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾. أي: القويم. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.
قوله تعالى: ﴿يَصْنَعِي السَّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ أي: قال للسَّاقِي: إنك تُرُدُّ على عملك الذي كنت عليه مِنْ سَقَى الملك بعد ثلاثة أيام، وقال للآخر: وأما أنت فتُدْعَى إلى ثلاثة أيام، فتصلب فتأكل الطير من رأسك، قال: والله ما رأيت شيئاً؛ قال: رأيت أُر لم ترَ ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾^(٢).

وحكى أهل اللغة أنَّ سَقَى وأسقى لغتان بمعنى واحد، كما قال الشاعر:
سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نُمَيْرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هَلَالِ^(٣)
قال النحاس^(٤): الذي عليه أكثر أهل اللغة أنَّ معنى سقاه: ناوله فشرب، أو صبَّ الماء في حلقه. ومعنى أسقاه: جعل له سُقياً؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءَ فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧].

الثانية: قال علماؤنا^(٥): إن قيل: مَنْ كَذَبَ في رؤياه ففسرها العايرُ له، أيلزمه حُكْمُهَا؟ قلنا: لا يلزمه، وإنما كان ذلك في يوسف لأنه نبي، وتعبير النبي حُكْم، وقد قال: إنه يكون كذا وكذا، فأوجَدَ الله تعالى ما أَخْبَرَ كما قال، تحقيقاً لنبوته.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٠/٢.

(٢) أخرج هذا الكلام بنحوه الطبري ١٦٧/١٣ - ١٦٩ عن عبد الله بن مسعود ؓ وغيره.

(٣) قائله ليبد، وقد سلف البيت ١٣٥/٢.

(٤) في إعراب القرآن ٣٣٠/٢، وما قبله منه.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٧٥/٣.

فإن قيل: فقد روى عبد الرزاق^(١)، عن مَعْمَرٍ، عن قَتَادَةَ قال: جاء رجل إلى عمر ابن الخطاب فقال: إني رأيتُ كأنِّي أَعْشَبْتُ، ثم أجدبْتُ، ثم أَعْشَبْتُ، ثم أجدبْتُ، فقال له عمر: أنت رجلٌ تؤمن ثم تكفر، ثم تؤمن ثم تكفر، ثم تموت كافراً؛ فقال الرجل: ما رأيت شيئاً! فقال له عمر: قد قُضِيَ لك ما قُضِيَ لصاحب يوسف.

قلنا: ليست لأحدٍ بعد عمر؛ لأن عمر كان محدثاً، وكان إذا ظنَّ ظناً كان، وإذا تكلم به وقع، على ما ورد في أخباره، وهي كثيرة؛ منها: أنه دخل عليه رجلٌ، فقال له: أظنُّك كاهناً، فكان كما ظنَّ. خرَّجه البخاري^(٢).

ومنها: أنه سأل رجلاً عن اسمه، فقال له فيه أسماء النار كلها^(٣)، فقال له: أدرك أهلك فقد احترقوا، فكان كما قال. خرَّجه «الموطأ»^(٤). وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة الحجر^(٥) إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ ٤١

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ «ظن» هنا بمعنى أيقن، في قول أكثر المفسرين. وفُسِّرَه قَتَادَةُ على الظن الذي هو خلاف اليقين؛ قال: إنما ظنَّ يوسفُ نجاته؛ لأنَّ العابرَ يظنُّ ظناً، وربُّك يخلق ما يشاء. والأول أصحُّ، وأشبهُ بحال

(١) في مصنفه (٢٠٣٦٢).

(٢) في صحيحه (٣٨٦٦) مطولاً.

(٣) في أحكام القرآن: فقال له أسماء فيها النار كلها.

(٤) ٩٧٣/٢ عن يحيى بن سعيد عن عمر، وهو منقطع، وأخرجه عبد الرزاق (١٩٨٦٤) عن معمر، عن رجل، عن ابن المسيب. وعزاه ابن حجر في الإصابة ١٢٨/٢ لعبد الرزاق ولكنه قال: عن الزهري، عن ابن المسيب. وأخرجه أبو القاسم بن بشران من طريق موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما كما في الإصابة ١٢٨/٢.

(٥) عند تفسير الآية (٧٥) منها.

الأنبياء، وأنَّ ما قاله للفتَّين في تعبير الرؤيا كان عن وحي، وإنما يكون ظناً في حكم الناس، وأما في حقَّ الأنبياء فإنَّ حكمهم حقَّ كيفما وقع^(١).

الثانية: قوله تعالى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: سيِّدك، وذلك معروف في اللغة أن يقال للسيد: رب؛ قال الأعشى:

رَبِّي كَرِيمٌ لَا يَكْذُرُ نَعْمَةً وَإِذَا تُنْشِدُ بِالْمَهَارِقِ أَنْشِدَا^(٢)
أي: اذكر ما رأيته، وما أنا عليه من عبارة الرؤيا للملك، وأخبره أنني مظلومٌ محبوسٌ بلا ذنب.

وفي «صحيح» مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَقْلُ أَحَدُكُمْ: اسْقِ رَبِّكَ، أَطْعَمْ رَبِّكَ، وَضَيَّ رَبِّكَ، وَلَا يَقْلُ أَحَدُكُمْ: رَبِّي، وَلْيَقْلُ: سيِّدي، مولاي، وَلَا يَقْلُ أَحَدُكُمْ: عِبْدِي أُمْتِي، وَلْيَقْلُ: فتَايَ فتاتي غلامي»^(٣).

وفي القرآن: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ﴿إِنَّا رَبُّكَ﴾ [يوسف: ٥٠] ﴿إِنَّمَا رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣] أي: صاحبي، يعني العزيز. ويقال لكلِّ مَنْ قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد رَبَّه رَبُّهُ، فهو رَبٌّ له^(٤).

قال العلماء: قوله عليه الصلاة والسلام: «لَا يَقْلُ أَحَدُكُمْ» «ولْيَقْلُ» من باب الإرشاد إلى إطلاق اسم الأوَّلَى، لا أنَّ إطلاق ذلك الاسم محرَّم؛ ولأنَّه قد جاء عنه عليه الصلاة والسلام: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّهَا»^(٥) أي: مالِكها وسيِّدها، وهذا موافقٌ

(١) ينظر تفسير الطبري ١٣/ ١٧١، والمحور الوجيز ٣/ ٢٤٦ - ٢٤٧، وقول قتادة أخرجه الطبري ١٣/ ١٧١.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٢٨، والبيت في ديوان الأعشى ص ٢٧٩ برواية: ينشد. ووقع في (ظ) و(م): في المهارق، وكذا ذكره ابن قتيبة في المعاني الكبير ١/ ٥٤٧ وقال: في بمعنى الباء، وقال في شرحه: لا يكثرُ نعمة بالمتن، وإذا ناشدوه بالمهارق - وهي كتب الأنبياء - أنشدهم، أي: أجابهم.

(٣) صحيح مسلم (٢٢٤٩): (١٥)، وأخرجه أحمد (٨١٩٧) والبخاري (٢٥٥٢)، وسلف ٥/ ١٨٨ مختصراً.

(٤) ينظر تهذيب اللغة ١٥/ ١٧٧، وإكمال المعلم ٧/ ١٨٨.

(٥) قطعة من حديث جبريل الطويل، أخرجه أحمد (٩٥٠١)، والبخاري (٥٠)، ومسلم (٩): (٥) عن أبي هريرة ربه، وسلف ١/ ٢١١ برواية: ربه.

للقرآن في إطلاق ذلك اللفظ، فكان محلُّ النَّهي في هذا الباب ألاَّ نَتَّخِذَ هذه الأسماء عادةً فترك الأولى والأحسن.

وقد قيل: إنَّ قول الرجل: عبدي وأمتي، يجمع معنيين:

أحدهما: أنَّ العبودية بالحقيقة إنما هي لله تعالى، ففي قول الواحد من الناس لمملوكه: عبدي وأمتي، تعظيمٌ عليه، وإضافةٌ له إلى نفسه بما أضافه الله تعالى به إلى نفسه؛ وذلك غيرُ جائز.

والثاني: أنَّ المملوك يدخله من ذلك شيءٌ في استصغاره بتلك التسمية، فيَحْمِلُهُ ذلك على سوء الطاعة.

وقال ابن شعبان في «الزاهي»: لا يقل السيد: عبدي وأمتي، ولا يقل المملوك: ربِّي ولا ربَّتِي^(١). وهذا محمولٌ على ما ذكرناه.

وقيل: إنما قال النبي ﷺ: «لا يقل العبدُ: ربِّي، وليقل: سيِّدي»؛ لأنَّ الربَّ من أسماء الله تعالى المستعملة بالاتفاق، واختلف في السيِّد؛ هل هو من أسماء الله تعالى أم لا؟ فإذا قلنا: ليس من أسماء الله، فالفرق واضح؛ إذ لا التباس ولا إشكال [يلزم من إطلاقه]. وإذا قلنا: إنه من أسمائه، فليس في الشُّهرة والاستعمال كلفظ الربِّ، فيحصل الفرق^(٢).

وقال ابن العربي^(٣): يحتمل أن يكون ذلك جائزاً في شرع يوسف عليه السلام.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَأَنسَلْهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ الضمير في «فَأَنسَأَهُ» فيه

(١) إكمال المعلم ١٨٧/٧ ، وقال القاضي عياض بعد أن ذكر قول ابن شعبان: وذكر حديثاً في ذلك، وهو نحو مما في كتاب مسلم. اهـ وابن شعبان هو محمد بن القاسم بن شعبان العمَّاري المصري، أبو إسحاق، شيخ المالكية، من ولد عمار بن ياسر، ويعرف بابن القُرْطِي نسبة إلى بيع القرط. توفي سنة (٣٥٥هـ). السير ٧٨/١٦.

(٢) المفهم ٥٥٤/٥ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) في أحكام القرآن ١٠٧٧/٣.

قولان:

أحدهما: أنه عائدٌ إلى يوسف عليه السلام، أي: أنساه الشيطان ذِكْرَ الله عزَّ وجلَّ؛ وذلك أنه لما قال يوسف لساقى الملك - حين علم أنه سينجو ويعود إلى حالته الأولى مع الملك -: «اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ» نسي في ذلك الوقت أن يشكو إلى الله ويستغيث به، وَجَنَحَ إلى الاعتصام بمخلوق^(١)؛ فعوقب باللَّبْث.

قال عبد العزيز بنُ عُمرير الكِنْدِي^(٢): دخل جبريل على يوسف النبي عليه السلام في السجن، فعرفه يوسف، فقال: يا أخا المنذرين! ما لي أراك بين الخاطئين؟! فقال جبريل عليه السلام: يا طاهرَ الطَّاهِرِينَ^(٣)! يُقرئك السلامَ ربُّ العالمين ويقول: أَمَا اسْتَحْيَيْتَ إِذْ اسْتَغْنَيْتَ بِالْأَدْمِيِّينَ؟! وَعَزَّيْتُ لَأَلْبَثَنَّكَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سَنِينَ؛ فقال: يا جبريل! أهو عني راضٍ؟ قال: نعم! قال: لا أبالي الساعة^(٤).

ورُوي أنَّ جبريل عليه السلام جاءه فعائبه عن الله تعالى في ذلك وطوَّلَ سَجْنَهُ، وقال له: يا يوسف! مَنْ خَلَّصَكَ مِنَ الْقَتْلِ مِنْ أَيْدِي إِخْوَتِكَ؟! قال: الله تعالى، قال: فمن أخرجك من الجُبِّ؟ قال: الله تعالى، قال: فمن عَصَمَكَ مِنَ الْفَاحِشَةِ؟ قال: الله تعالى، قال: فمن صَرَفَ عَنْكَ كَيْدَ النِّسَاءِ؟ قال: الله تعالى، قال: فكيف وَثَّقْتَ بِمَخْلُوقٍ وَتَرَكْتَ رَبَّكَ فَلَمْ تَسْأَلْهُ؟! قال: يا ربِّ، كلمةٌ زَلَّتْ مِنِّي، أَسْأَلُكَ يَا إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَالشَّيْخِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنْ تَرْحَمَنِي؛ فقال له جبريل: فَإِنَّ عَقُوبَتَكَ أَنْ تَلْبَثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سَنِينَ^(٥).

(١) المحرر الوجيز ٢٤٧/٣.

(٢) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٢٣٤/٤ في الطبقة السادسة من أهل الشام، وقال: أصله من خُراسان، لكنه سكن دمشق.

(٣) في (م): ابن الطاهرين.

(٤) تفسير أبي الليث ١٦٣/٢، وذكره الثعلبي في عرائس المجالس ص ١٢٧، والواحدي في الوسيط ٦١٤/٢ دون نسبة. وذكره البغوي ٤٢٨/٢ عن الحسن.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٢١٤٩/٧ - ٢١٥٠ (١١٦٤٢) عن أنس رضي الله عنه بنحوه، وذكره بنحوه أيضاً مختصراً الثعلبي في عرائس المجالس ص ١٢٧.

وروى أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رَجِمَ الله يوسف، لولا الكلمة التي قال: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ما لبث في السجن بضْعَ سنين»^(١).

وقال ابن عباس: عوقب يوسف بطول الحبس بضْعَ سنين لَمَّا قال للذي نجا منهما: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، ولو ذَكَرَ يوسفُ رَبَّهُ لَخُلِّصَهُ^(٢).

وروى إسماعيل بن إبراهيم، عن يونس، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا كلمة يوسف - يعني قوله: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ - ما لبث في السجن ما لبث» قال: ثم يبكي الحسن ويقول: نحن نَنْزِلُ بنا الأمرُ فنشكو إلى الناس^(٣).

وقيل: إِنَّ الهاء تعود على النَّاجي، فهو النَّاسي، أي: أنسى الشيطانُ السَّاقِيَ أن يذكرَ يوسفَ لربه، أي: لسيِّده. وفيه حذف، أي: أنساه الشيطانُ ذِكْرَهُ لربه^(٤). وقد رَجَّح بعض العلماء هذا القولَ فقال: لولا أَنَّ الشيطانَ أنسى يوسفَ ذِكْرَ الله لَمَّا استحقَّ العقابَ باللبث في السجن؛ إذ النَّاسي غيرُ مؤاخَذ.

وأجاب أهل القول الأول: بأنَّ النسيان قد يكون بمعنى التَّرك، فلمَّا تركَ ذِكْرَ الله ودعاه الشيطان إلى ذلك عوقب.

ردَّ عليهم أهل القول الثاني بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]، فدلَّ على أَنَّ النَّاسِيَ هو السَّاقِيَ لا يوسفُ، مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِيَ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فكيف يصحُّ أن يضاف نسيانه إلى الشيطان، وليس له على الأنبياء سلطنة؟!

قيل: أمَّا النسيان فلا عصمةً للأنبياء عنه إلا في وجهٍ واحد، وهو الخبرُ عن الله

(١) أخرجه ابن حبان (٦٢٠٦)، وابن أبي حاتم ٢١٤٨/٧ (١١٦٣٤).

(٢) النكت والعيون ٤٠/٣، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢١٥٠/٧ (١١٦٤٣) دون قوله: ولو ذكر يوسف ربه لخُلِّصه.

(٣) أخرجه أحمد في الزهد ص ١٠٣، والطبري ١٧٣/١٣.

(٤) تفسير البغوي ٤٢٨/٢.

تعالى فيما يبلغونه، فإنهم معصومون فيه، وإذا وقع منهم النسيان حيث يجوز وقوعه؛ فإنه يُنسب إلى الشيطان إطلاقاً، وذلك إنما يكون فيما أخبر الله عنهم [أو يخبرون به عن أنفسهم]، ولا يجوز لنا نحن ذلك فيهم^(١)؛ قال ﷺ: «نَسِيَ آدَمُ، فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ». وقال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أُنْسَى كَمَا تَنْسُونَ». وقد تقدّم^(٢).

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِي السَّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ البِضْعُ: قطعة من الدهر مختلف فيها؛ قال يعقوب عن أبي زيد: يقال: بَضِعَ وبِضِعَ، بفتح الباء وكسرها^(٣)، قال أكثرهم: ولا يقال: بضع ومئة، وإنما هو إلى التسعين^(٤).

وقال الهَرَوِيُّ: العرب تستعمل البِضْع فيما بين الثلاث إلى التسع. والبِضْعُ والبِضْعَةُ واحد، ومعناها: القطعة من العدد.

وحكى عن أبي عبيدة أنه قال^(٥): البضع ما دون نصف العقد. يريد ما بين الواحد إلى أربعة، وهذا ليس بشيء.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق ﷺ: «وكم البِضْعُ؟» فقال: ما بين الثلاث إلى السبع، فقال: «أذهب فزايِدْ في الخَطَرِ»^(٦).

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٧٦ - ١٠٧٧، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) تقدم الحديث الأول ١/ ٢٩٣ - ٢٩٤، والحديث الثاني ٨/ ٤٢١.

(٣) بنحوه في إصلاح المنطق ص ٣٦، وتهذيب اللغة ١/ ٤٨٨.

(٤) هو في تفسير الطبري بنحوه ١٣/ ١٧٧.

(٥) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: وحكى أبو عبيدة أنه قال، وينظر تهذيب اللغة ١/ ٤٨٨، والمحرم الوجيز ٣/ ٢٤٧.

(٦) الخَطَرُ: الذي يوضع في النضال والرهان، فمن سبق أخذه. تهذيب اللغة ٧/ ٢٢٤. وقال ذلك رسول الله ﷺ لأبي بكر ﷺ عند مراهنته المشركين في غَلَبِ الروم لفارس. وقد أخرجه الطبري ١٨/ ٤٥٥ - ٤٥٦ من حديث ابن مسعود ﷺ بلفظ: «أذهب فزايدهم وازدد ستين» وأخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير عند تفسير أول آيات سورة الروم من حديث البراء بن عازب ﷺ بلفظ: «تعرض لهم وأعظم الخطر...». وأخرجه بنحوه أحمد (٢٤٩٥)، والترمذي (٣١٩١) و(٣١٩٣)، والنسائي في الكبرى (١١٣٢٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الترمذي: حسن غريب. وأخرجه بنحوه =

وعلى هذا أكثرُ المفسرين، أنَّ البضع سبع؛ حكاه الثعلبي^(١). قال الماوردي: وهو قولُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقُطِرُب.

وقال مجاهد: من ثلاثٍ إلى تسع. وقاله الأصمعي. ابن عباس: من ثلاث إلى عشرة^(٢). وحكى الزَّجاج أنه ما بين الثلاث إلى الخمس. قال الفرَّاء: والبضع لا يُذكر إلا مع العشرة والعشرين إلى التسعين، ولا يذكر بعد المئة^(٣).

وفي المدة التي لبث فيها يوسفُ مسجوناً ثلاثةَ أقاويل:

أحدها: سبع سنين؛ قاله ابنُ جُرَيج وقتادةُ وهبُ بنُ مُتَبَّه؛ قال وهب: أقام أيوبُ في البلاء سبعَ سنين، وأقام يوسف في السجن سبع سنين.

الثاني: اثنتا عشرة سنة؛ قاله ابن عباس.

الثالث: أربع عشرة سنة؛ قاله الضحَّاك^(٤).

وقال مقاتل، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: مكث يوسف في السجن خمساً وبِضْعاً. واشتقاقه من بضعُ الشيء، أي: قطعته، فهو قطعةٌ من العدد، فعاقب الله يوسفَ بأن حُبِسَ سبعَ سنين، أو تسع سنين بعد الخمس التي مضت، فالبضعُ مدَّةُ العقوبة، لا مدَّةُ الحبس كله^(٥).

= أيضاً الترمذي (٣١٩٤) من حديث يَزَار بن مُكْرَم الأسلمي، وقال: صحيح حسن غريب. ولم يقع في أيٍّ من هذه الروايات أن البضع من الثلاث إلى السبع، وإنما وقع في بعضها أنه من الثلاث إلى التسع، وفي بعضها أنه مادون العشر. وكذا استدل به ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٤٧/٣ على أن البضع من الثلاث إلى التسع.

(١) في عرائس المجالس ص ١٢٧، وكذلك حكى الواحدي في الوسيط ٦١٤/٢، والبغوي ٤٢٨/٢.

(٢) النكت والعيون ٤٠/٣، وقول مجاهد أخرجه الطبري ١٧٦/١٣، وأخرج عن ابن عباس أن البضع ما دون العشرة، وكذا ذكره عنه البغوي ٤٢٨/٢.

(٣) النكت والعيون ٤٠/٣، وكلام الزجاج في معانيه ١١٢/٣، وقد رجح فيه قول مجاهد والأصمعي.

(٤) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٤٠/٣ - ٤١، عدا قول وهب بن منبه، وسيأتي تخريج خبره.

(٥) ذكر الثعلبي في عرائس المجالس ص ١٢٧ نحوه عن الكلبي.

قال وهب بن منبه: حُجِس يوسف في السجن سبع سنين، ومكث أيوب في البلاء سبع سنين، وعُذِبُ بُخْتَنَصْرُ بالمسخ سبع سنين^(١).

وقال عبد الله بن راشد البصري^(٢) عن سعيد بن أبي عروبة: إِنَّ البضع ما بين الخمس إلى الاثني عشرة سنة.

الخامسة: في هذه الآية دليل على جواز التعلُّق بالأسباب وإن كان اليقين حاصلًا، فإنَّ الأمور بيد مُسَبِّهَا، ولكنَّه جعلها سلسلة، ورَكَّبَ بعضها على بعض، فتحرَّيكها سُنَّةٌ، والتعويلُ على المتهمي يقين. والذي يدلُّ على جواز ذلك نسبة ما جرى من النسيان إلى الشيطان، كما جرى لموسى في لقيا الحَصِرِ؛ وهذا يَبَيِّنُ فتأملوه^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ لَمَّا دَنَا فَرَجُ يوسف عليه السلام، رأى الملك رؤياه، فنزل جبريل، فسَلَّمَ على يوسف، وبَشَّرَه بالفرج وقال: إِنَّ الله مُخْرِجُكَ مِنْ سَجْنِكَ، وَمُمْكِنٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يَذِلُّ لَكَ مَلُوكُهَا، وَيُطِيعُكَ جِبَابِرُهَا، وَمُعْطِيكَ الْكَلِمَةَ الْعُلْيَا عَلَى إِخْوَتِكَ، وذلك بسبب رؤيا رآها الملك، وهي كَيْتٌ وَكِيتٌ، وتَأْوِيلُهَا كَذَا وَكَذَا. فما لبث في السجن أكثر مما رأى الملك الرؤيا حتى خرج، فجعل الله الرؤيا أَوَّلًا ليوسف بلاءً وَشَدَّةً، وجَعَلَهَا آخِرًا بشري ورحمة.

وذلك أَنَّ الملك الأكبر الرِّيَّانَ بْنَ الْوَلِيدِ رأى في نومه كأنما خرج من نهرٍ يابسٍ سبعُ بقراتٍ سِمَانٍ، في أَثَرِهِنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ - أي: مهزِيلٌ - وقد أَقْبَلَتِ الْعِجَافُ عَلَى

(١) أخرجه عبد الرزاق ٣٢٣/١، والطبري ١٣/١٧٥، ووقع عند عبد الرزاق: وعذب بختنصر حَوْلَ في السباع سبع سنين، وعند الطبري مثله إلا أنه قال: يجول، بدل: حَوْلَ.

(٢) لم نقف على ترجمته.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٧٧.

السَّمان، فأخذن بآذانهنَّ فأكلنَّهنَّ، إلَّا القرنين، ورأى سبعَ سنبلاتٍ خُضِرٍ قد أُقبلَ عليهن سبعُ يابساتٍ، فأكلنَّهنَّ حتى أتين عليهنَّ، فلم يبقَ منهنَّ شيءٌ وهنَّ يابسات، وكذلك البقرُ كنَّ عِجافاً، فلم يزد فيهنَّ شيءٌ من أَكْلِهِنَّ السَّمان، فهالته الرؤيا، فأرسل إلى الناس وأهل العلم منهم والبَصِرِ بالكهانة والنَّجامة والعرافة والسَّحر، وأشرافِ قومه، فقال: «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ»، فقصَّ عليهم، فقال القوم: أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ^(١).

قال ابن جريج: قال لي عطاء: إنَّ أضغاث الأحلام: الكاذبة المخطئة من الرؤيا. وقال جُوَيْر، عن الضَّحَّاك، عن ابن عباس قال: إن الرؤيا: منها حق، ومنها أضغاث أحلام، يعني بها الكاذبة^(٢).

وقال الهَرَوِيُّ: قوله تعالى: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أي: أخلاط أحلام^(٣). والضَّغْثُ في اللغة: الحُزْمَةُ من الشيء، كالْبَقْلِ والكَلأ وما أشبههما، أي: قالوا: ليست رؤياك بيّنة، والأحلام: الرؤيا المختلطة^(٤).

وقال مجاهد: أضغاث الرؤيا: أهاويلُها. وقال أبو عبيدة: الأضغاث: ما لا تأويلَ له من الرؤيا^(٥).

قوله تعالى: ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ حذفت الهاء من «سبع» فرقاً بين المذكَر والمؤنث. «سِمَانٍ» مِن نَعَتِ البقرات، ويجوز في غير القرآن: سبعَ بقراتٍ سِمَاناً،

(١) بنحوه في عرائس المجالس ص ١٢٧، والوسيط ٦١٥/٢، وتفسير البغوي ٤٢٨/٢.

(٢) لم نقف عليه عن ابن عباس، وأخرج الطبري ١٨٠/١٣، من طريق جوير وغيره نحوه عن الضحَّاك قوله.

(٣) ذكر الماوردي في النكت والعيون ٤١/٣ هذا القول عن معمر وقتادة.

(٤) ينظر معاني القرآن للنحاس ٤٣١/٣، وتهذيب اللغة ٤/٨ - ٦.

(٥) النكت والعيون ٤٢/٣، وقول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٣١٢/١. وقول مجاهد أخرجه الطبري

نعتُ للسهب، وكذا خُضرًا؛ قال الفرّاء: ومثله: ﴿سَبَّحَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣] (١).
وقد مضى في سورة البقرة اشتقاقها ومعناها (٢).

وقال علي بن أبي طالب ؑ: المعز والبقر إذا دخلت المدينة، فإن كانت سماناً فهي سني رخاء، وإن كانت عجافاً كانت شداداً، وإن كانت المدينة مدينة بحر وإبان سفر، قدمت سفن على عددها وحالها، وإلا كانت فتناً مترادفة، كأنها وجوه البقر - كما في الخبر: «يُشَبِّهُ بَعْضُهَا بَعْضًا» (٣). وفي خبر آخر في الفتن: «كَأَنَّهَا صَيَاصِيُ البقر» (٤) يريد: لتشابها - إلا أن تكون صُفراً كلها، فإنها أمراض تدخل على الناس، وإن كانت مختلفة الألوان، شنيعة القرون، وكان الناس ينفرون منها، أو كان النار والدخان يخرج من أفواهها، فإنه عسكر أو غارة، أو عدو يضرب عليهم وينزل بساحتهم (٥).

وقد تدل البقرة على الزوجة والخادم والغلة والسنة؛ لما يكون فيها من الولد والغلة والنبات.

﴿يَا كُلهُنَّ سَبَّحَ عِبَاقًا﴾ من عَجَف يَعَجِف؛ على وزن: عَظَمَ يَعْظُم، وروي: عَجِفَ يَعَجِف؛ على وزن: حَمِدَ يَحْمَد.

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ﴾ جَمْعُ الرُّؤْيَا: رُؤْي، أي: أخبروني بحُكْم هذه الرؤيا. ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ العبارة مشتقة من عبور النهر، فمعنى عَبَرْتُ النهر: بلغت شاطئه، فعابِرُ الرؤيا يَعْبُرُ بما يؤول إليه أمرها. واللام في «الرؤيا»

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٣١/٢، وكلام الفرّاء في معاني القرآن له ٤٧/٢.

(٢) ١٧٨/٢.

(٣) قطعة من حديث حذيفة ؑ أخرجه أحمد (٢٣٣٢٨) بلفظ: «فتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً، تأتيكم مشبهة كوجوه البقر». وقد سلف بنحوه ١٨٨/٢.

(٤) أخرجه أحمد (١٧٠٠٤) من حديث عبد الله بن حوالة ؑ. وصياصي البقر: قرونها. اللسان (صيص).

(٥) ذكر هذا الكلام في كتاب تفسير الأحلام المنسوب لابن سيرين ص ٢١٤ دون نسبة.

للتَّيِّبِينَ، أي: إن كنتم تَعْبُرُونَ، ثم يَبَيِّنُ فقال: للرؤيا؛ قاله الزَّجَّاجُ^(١).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٣﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾ قال الفَرَّاءُ: ويجوز: أضغاث أحلام^(٢)؛

قال النحاس: النصبُ بعيد؛ لأنَّ المعنى: لم ترَ شيئاً له تأويلٌ، إنما هي أضغاث أحلام^(٣)، أي: أخلاط. وواحد الأضغاث ضِغْثٌ، يقال لكلِّ مختلِطٍ من بَقْلِ أو حشيشٍ أو غيرهما: ضِغْثٌ^(٤)؛ قال الشاعر:

كضِغْثٍ حُلِمَ غُرٌّ مِنْهُ حَالِمَةٌ^(٥)

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: بتأويل الأحلام

المختلطة^(٦). نَفَّوْا عن أنفسهم علمَ ما لا تأويلَ له، لا أَنَّهُمْ نَفَّوْا عن أنفسهم علمَ التأويل.

وقيل: نَفَّوْا عن أنفسهم علمَ التعبير. والأضغاثُ على هذا: الجماعاتُ من الرؤيا

التي منها صحيحةٌ ومنها باطلة، ولهذا قال الساقى: «أَنَا أُبَيِّنُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ»، فعَلِمَ أَنَّ القومَ عجزوا عن التأويل، لا أَنَّهُمْ ادَّعَوْا أَلَّا تأويلَ لها.

وقيل: إنهم لم يقصِدوا تفسيراً، وإنما أرادوا مَحْوَهَا من صدر المَلِكِ حتى لا

تَشْغَلَ باله^(٧)، وعلى هذا أيضاً فعندهم علم.

(١) في معاني القرآن ١١٢/٣. قال الزمخشري في الكشاف ٣٢٣/٢: وَعَبَّرَ الرُّوْيَا - بالتخفيف - هو الذي اعتمده الأئمة.

(٢) يعني في اللغة، لا في القراءة، أي: رأيت أضغاث أحلام. معاني القرآن للفراه ٤٧/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣٣١/٣.

(٣) إعراب القرآن ٣٣١/٢.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٤٣١/٣.

(٥) ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٣٥/١، والماوردي في النكت والعيون ٤٢/٣.

(٦) معاني القرآن للزجاج ١١٣/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣٣١/٣.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٧٨/٣.

و«الأحلام» جمع حُلْم، والحُلْم بالضم: ما يراه النائم؛ تقول منه: حَلِمَ بالفتح واختَلِمَ، وتقول: حَلَمْتُ بكذا وحَلَمْتُهُ، قال:

فحَلَمْتُهَا وبنورُفَيْدَةٍ دونَهَا لا يَبْعَدَنَّ خَيَالُهَا المحلوم^(١)
وأصله: الأناة، ومنه الحِلْم ضد الطَّيْش؛ فقليل لِمَا يُرى في النوم: حُلْم؛ لأنَّ النوم حالةٌ أناةٌ وسكونٌ ودعة^(٢).

الثانية: في الآية دليلٌ على بُطْلان قولٍ مَنْ يقول: إن الرؤيا على أوَّل ما تُعْبَر^(٣)؛ لأنَّ القوم قالوا: «أَضْعَاثُ أَحْلَامٍ» ولم تقع كذلك؛ فإن يوسف فسَّرها على سِنِّي الجَذْب والخِصْب، فكان كما عبَّر، وفيها دليلٌ على فساد [الرواية] أنَّ الرؤيا على رجلٍ طائر، فإذا عُبِّرَتْ وقعت^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾^(٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يَسْمَانِ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُبُلُكٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَأْكُلْنَ لَعَلِّي أُزْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَمَّا هُمْ يَظُنُّونَ^(٦) ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا﴾ يعني ساقِي الملك. ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد

(١) الصحاح (حلم)، والبيت للأخطل، وهو في ديوانه ص ٨٨. ورفيدة: أبو حي من العرب يقال لهم: الرفيدات. اللسان (رفد).

(٢) النكت والميون ٤٢/٣.

(٣) أخرج ابن ماجه (٣٩١٥) عن أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «... والرؤيا لأول عابره». قال الحافظ في الفتح ٤٣٢/١٢: وهو حديث ضعيف فيه يزيد الرقاشي، ولكن له شاهد أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه بسند حسن وصححه الحاكم عن أبي رزين العقيلي...، وينظر هذا الشاهد في التعليق الذي سيأتي.

(٤) أحكام القرآن للكميا ٢٣٢/٤، ونقله الكيا عن أحكام القرآن للجصاص ١٧٣/٣، وما سلف بين حاصرتين منهما: وقوله: الرؤيا على رجل طائر... هو حديث مرفوع أخرجه أحمد (١٦١٨٢) وأبو داود (٥٠٢٠) والترمذي (٢٢٧٩) وابن ماجه (٣٩١٤) من حديث أبي رزين العقيلي ؓ. قال الترمذي: حديث حسن صحيح. قال السندي في شرح سنن ابن ماجه ٤٥١/٢: قوله: «رجل طائر» بكسر الراء، كأنها معلقة بطائر، قيل: هذا مثل، والمراد أنها لا يستقر قرارها ما لم تعبّر.

حين؛ عن ابن عباس وغيره^(١)، ومنه ﴿إِنَّ أُمَّتَهُ مَعْدُودَةٌ﴾ [هود: ٨] وأصله: الجملة من الحين.

وقال ابن درستويه^(٢): والأمة لا تكون الحين إلا على حذف مضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، كأنه قال - والله أعلم - : واذكر بعد حين أمة، أو بعد زمن أمة، وما أشبه ذلك، والأمة: الجماعة الكثيرة من الناس.

قال الأخفش: هو في اللفظ واحد، وفي المعنى جمع. وكل جنس من الحيوان أمة؛ وفي الحديث: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها»^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ﴾ أي: تذكر حاجة يوسف، وهي قوله: «أذكرني عند ربك». وقرأ ابن عباس فيما روى عфан، عن همام، عن قتادة، عن عكرمة، عنه: «واذكر بعد أمة؛ النحاس»^(٤): والمعروف من قراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك^(٥): «واذكر بعد أمة»، بفتح الهمزة وتخفيف الميم، أي: بعد نسيان؛ قال الشاعر:

أَمِهْتُ وَكُنْتُ لَا أُنْسِي حَدِيثًا كَذَاكَ الدَّهْرُ يُودِي بِالْعُقُولِ^(٦)
وعن شبيل بن عذرة الضَّبْعِي^(٧): «بعد أمة» بفتح الألف وإسكان الميم وهاء

(١) أخرجه الطبري ١٨١/١٣ - ١٨٤.

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان، أبو محمد الفارسي النحوي، تلميذ المبرد، وكان ناصراً لنحو البصريين، توفي سنة (٣٤٧هـ). السير ٥٣١/١٥.

(٣) الصحاح (أمم). والحديث أخرجه أحمد (١٦٧٨٨) وأبو داود (٢٨٤٥) والترمذي (١٤٨٦) والنسائي ١٨٥/٧ وابن ماجه (٣٢٠٥) من حديث عبد الله بن مغفل المزني. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤) في معاني القرآن ٤٣٢/٣، وما قبله منه، وذكر القراءة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٤، وابن جني في المحتسب ٣٤٤/١.

(٥) قوله: والضحاك، ليس في معاني القرآن، وأخرج القراءة عنه وعن ابن عباس وعكرمة وغيرهم الطبري ١٨٤/١٣ - ١٨٦.

(٦) الصحاح (أمه).

(٧) اضطرب الاسم في النسخ الخطية، والمثبت من (م) وهو الصواب، قال الحافظ في التقریب: شبيل - بالتصغير - بن عذرة بفتح المهملة بعدها زاي ساكنة ثم راه، أبو عمرو البصري النحوي، وقال في التهذيب ١٥٢/٢: روى عن أنس وغيره، وقال ابن حبان: كان من أفاضل أهل البصرة وقرأتهم. اهـ والقراءة - التي ستأتي - ذكرها عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٤٩/٣. وأخرجها الطبري ١٨٦/١٣ عن مجاهد.

خالصة. وهو مثل الأمه، وهما لغتان، ومعناها: النسيان. ويقال: أمة يأمه أمها: إذا نسي؛ فعلى هذا: «وَأَذْكُرْ بَعْدَ أَمَةٍ»؛ ذكره النحاس^(١). ورجلٌ أمة^(٢): ذاهبُ العقل.

قال الجوهري: وأما ما في حديث الزهري: «أمة» بمعنى: أقرّ واعترف، فهي لغةٌ غيرُ مشهورة^(٣).

وقرأ الأشهب العُقَيْلِيُّ: «بَعْدَ إِمَّةٍ»، أي: بعد نعمة، أي: بعد أن أنعم الله عليه بالنَّجاة^(٤).

ثم قيل: نسي الفتى يوسف؛ لقضاء الله تعالى في بقائه في السجن مدة. وقيل: ما نسي، ولكنه خاف أن يذكّر الملك الذنب الذي بسببه حُبس هو والخباز، فقوله: «وَأَذْكُرْ» أي: ذكّر وأخبر.

قال النحاس^(٥): أصل اذْكُرْ: اذتكر، والذالُ قربةُ المَخْرَج من التاء، ولم يَجْزِ إدغامُها فيها؛ لأنَّ الذالَ مجهورةً، والتاء مهموسةٌ، فلو أدغموا ذهب الجهر، فأبدلوا من موضع التاء حرفاً مجهوراً، وهو الدال، وكان أولى من الطاء؛ لأنَّ الطاء مُطَبَّقة، فصار: اذْذُكُرْ، فأدغموا الذال في الدال [فصار: اذْكُرْ. وحكى الخليل وسيبويه أنَّ من العرب مَنْ يقول: اذْكُرْ، فيدغم الدال في الذال] لرخاوة الذال^(٦) ولينها.

ثم قال: «أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ» أي: أنا أخبركم. وقرأ الحسن: «أنا آتيكم

(١) في إعراب القرآن ٣٣١/٢، وقال السمين في الدر المصون ٥٠٨/٦: يقال: أمة يأمه أمها وأمنها بفتح الميم وسكونها.

(٢) بعدها في (د) و(ف): ووامه، وفي (ز): وأمة، وفي (ظ): وأمة، والمثبت من (م). وجاء في تهذيب اللغة ٤٧٥/٦ عن الفراء: أمة الرجل فهو مأموه، وهو الذي ليس له عقل.

(٣) الصحاح (أمة). وحديث الزهري هو: من امتحن في حدٍّ فأية ثم تبرأ، فليست عليه عقوبة: غريب الحديث لأبي عبيد ٤٧٧/٤.

(٤) المحتسب ٣٤٤/١، وهي أيضاً في القراءات الشاذة ص ٦٤.

(٥) في إعراب القرآن ٣٣١/٢، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٦) في النسخ: الدال، والمثبت من إعراب القرآن، وهو الصواب لأن الدال من الحروف الشديدة.

بتأويله»، وقال: كيف يَنْبُتُهم العَلَج؟! قال النحاس^(١): ومعنى: «أَنْبَتُكُمْ» صحيح حسن، أي: أنا أخبركم إذا سألتُ.

﴿فَارْسِلُون﴾ خَاطَبَ الْمَلِكَ وَلَكِنْ بِلَفْظِ التَّعْظِيمِ، أَوْ خَاطَبَ الْمَلِكَ وَأَهْلَ مَجْلِسِهِ. ﴿يُوسُفُ﴾ نَدَاءٌ مَفْرَدٌ، وَكَذَا ﴿الصِّدِّيقُ﴾ أَي: الْكَثِيرُ الصَّدَقِ^(٢). ﴿أَفْتِنَا﴾ أَي: فَارْسِلُوهُ، فَجَاءَ إِلَى يُوسُفَ فَقَالَ: أَيُّهَا الصِّدِّيقُ، وَسَأَلَهُ عَنْ رُؤْيَا الْمَلِكِ. ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ أَي: إِلَى الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ. ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ التَّعْبِيرُ، أَوْ «لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ» مَكَانَكَ مِنَ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ فَتَخْرُجَ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِالنَّاسِ الْمَلِكَ وَحْدَهُ تَعْظِيماً لَهُ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٤٧﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ لَمَّا أَعْلَمَهُ بِالرُّؤْيَا جَعَلَ يَفْسِّرُهَا لَهُ، فَقَالَ: السَّبْعُ مِنَ الْبَقَرَاتِ السَّمَانِ وَالسُّنْبُلَاتِ الْخَضِرِ سَبْعُ سِنِينَ مُخْصِبَاتٍ، وَأَمَّا الْبَقَرَاتُ الْعِجَافُ وَالسُّنْبُلَاتُ الْيَابِسَاتُ فَسَبْعُ سِنِينَ مُجْدِبَاتٍ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ أَي: مُتَوَالِيَةً مُتَتَابِعَةً، وَهُوَ مُصَدَّرٌ عَلَى غَيْرِ الْمَصْدَرِ^(٣)؛ لِأَنَّ مَعْنَى «تَزْرَعُونَ»: تَدَأِبُونَ^(٤) كَعَادَتِكُمْ فِي الزَّرَاعَةِ سَبْعَ سِنِينَ. وَقِيلَ: هُوَ حَالٌ، أَي: دَائِبِينَ. وَقِيلَ: صِفَةٌ لِسَبْعِ سِنِينَ، أَي: دَائِبَةٌ.

وحكى أبو حاتم عن يعقوب: «دَأْبًا» بتحريك الهمزة، وكذا روى حفص عن

(١) في معاني القرآن ٣/ ٤٣٣، وما قبله منه، والقراءة ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٣١.

(٣) في (د) و(ز): الصدر.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٣٣. وهذا القول ذكره السمين في الدر المصون ٦/ ٥١٠ عن المبرد، وأنه من باب. قعدت القرفصاء. قال السمين: وفيه نظر؛ لأنه ليس نوعاً خاصاً به، بخلاف القرفصاء مع القعود. وذكر عن سيويه: أنه منصوب بفعل مقدّر، تقديره: تدأبون.

عاصم، وهما لغتان، وفيه قولان: قولُ أبي حاتم: أنه من دَبِب. قال النحاس^(١): ولا يعرف أهل اللغة إلا ذأَب. والقول الآخر: أنه حُرْك لأنَّ فيه حرفاً من حروف الحَلَق؛ قاله الفراء، قال^(٢): وكذلك كلُّ حرفٍ فُتِح أوَّلُه وسكَّن ثانيه، فتثقيله جائزٌ إذا كان ثانيه همزةً، أو هاء، أو عيناً، أو غيناً، أو حاء، أو خاء، وأصله العادة؛ قال:

كدأبك من أُمِّ الحَوِيرِث قَبْلَها

وقد مضى في «آل عمران» القول فيه^(٣).

﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ قيل: لثلاث يتسوس، وليكونَ أبقى؛ وهكذا الأمرُ في ديار مصر. ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾ أي: استخرجوا ما تحتاجون إليه بقَدْر الحاجة؛ وهذا القولُ منه أمر، والأوّلُ خبر. ويَحْتَمِلُ أن يكون الأوّلُ أيضاً أمراً وإن كان الأظهرُ منه الخبر؛ فيكون معنى: «تَزَرَّعُونَ»، أي: ازرعوا^(٤).

الثانية: هذه الآية أصلٌ في القول بالمصالح الشرعية؛ التي هي: حِفْظُ الأديان، والنفوس، والعقول، والأنساب، والأموال، فكلُّ ما تَضَمَّنَ تحصيلَ شيءٍ من هذه الأمور فهو مصلحة، وكلُّ ما يُفَوِّت شيئاً منها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة، ولا خلاف أن مقصود الشرائع إرشادُ الناس إلى مصالحهم الدنيويّة؛ ليحصلَ لهم التمكنُ من معرفة الله تعالى وعبادته الموصِلَتَيْنِ إلى السعادة الأُخْرَوِيّة، ومراعاة ذلك فضلٌ من الله عزَّ وجلَّ ورحمةٌ رَحِمَ بها عباده، من غير وجوبٍ عليه ولا استحقاق؛ هذا مذهبُ كَافَّةِ المحقِّقين من أهل السُنَّة أجمعين؛ وبسطه في أصول الفقه.

(١) في إعراب القرآن ٣٣٢/٢، وما قبله منه. وينظر تفسير البغوي ٤٢٩/٢، وقراءة حفص في السبعة ص ٣٤٩، والتيسير ص ١٢٩.

(٢) في معاني القرآن ٤٧/٢.

(٣) ٣٥/٥، وسلف البيت قَم، وهو لامرئ القيس، وعجزه: وجارتها أم الرباب بمأسل، وهو في ديوانه ص ٩ برواية: كديك، بدل: كدأبك.

(٤) الكشف ٣٢٥/٢، وقال السمين في الدر المصون ٥٠٩/٦: ولا مدخل لأمره لهم بالزراعة؛ لأنهم يزرعون على عادتهم، أمرهم أو لم يأمرهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهِنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ (٤٨)

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ يعني السنين المُجْدِبَات. ﴿يَأْكُلْنَ﴾ مجاز، والمعنى: يأكل أهلهن. ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهِنَّ﴾ أي: ما أَدَخَرْتُمْ لِأَجْلِهِنَّ^(١)؛ ونحوه قول القائل:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم^(٢)
والنهار لا يسهو، والليل لا ينام؛ وإنما يُسهى في النهار، ويُنام في الليل.

وحكى زيد بن أسلم عن أبيه: أن يوسف كان يضع طعام اثنين، فيقرّبه إلى رجلٍ واحدٍ، فيأكل بعضه، حتى إذا كان يوم قربه له فأكله كله، فقال يوسف: هذا أول يوم من السبع الشداد^(٣).

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ نصب على الاستثناء. ﴿ثُمَّ تَحْصِنُونَ﴾ أي: مما تحبسون لتزرعوا^(٤)؛ لأن في استبقاء البذر تحصين الأقوات. وقال أبو عبيدة: تُحْرِزون^(٥). وقال قتادة: «تُحْصِنُونَ»: تدخرون^(٦). والمعنى واحد، وهو يدلُّ على جواز احتكار الطعام إلى وقت الحاجة.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٢/٢.

(٢) نسبة ابن رشيقي في العمدة ٣٧/١، والعاملي في الكشكول ٣٨٢/٢ لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى. وجاء في الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص ٣٣١، وصفة الصفوة لابن الجوزي ١٢٤/٢-١٢٥ أن عمر كان يتمثل به. وهو في تفسير الطبري ١٩٠/١٣ - ١٩١ دون نسبة.

(٣) النكت والعيون ٤٤/٣.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٢/٢.

(٥) مجاز القرآن ٣١٣/١، وأخرجه الطبري ١٩٢/١٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه الطبري ١٩١/١٣ - ١٩٢.

الثانية: هذه الآية أصلٌ في صحّة رؤيا الكافر، وأنها تُخَرِّج على حَسَب ما رأى، لا سِيَّما إذا تعلّقت بمؤمن، فكيف إذا كانت آيةً لنبيٍّ، ومعجزةً لرسول، وتصديقاً لمصطفى للتبليغ، وحبّةً للواسطة بين الله جلّ جلاله وبين عباده^(١)؟

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾ هذا خبرٌ من يوسف عليه السلام عمّا لم يكن في رؤيا الملك، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله؛ قال قتادة: زاده الله عِلْمَ سَنَةٍ لم يسألوه عنها^(٢)، إظهاراً لفضله، وإعلاماً بمكانه من العلم ومعرفة.

﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ من الإغاثة أو الغوث؛ غَوَّثَ الرجل، قال: واغوثاه، والاسم: الغَوْتُ والغَوَاثُ والغَوَاثُ، واستغاثني فلانٌ فأغثته، والاسم: الغِيَاثُ؛ صارت الواو ياءً لكسرة ما قبلها. والغيث: المطر، وقد غاث الغيث الأرض، أي: أصابها؛ و غاث الله البلادَ يَغِيثُها غَيْثاً، وَغِيثَ الأرضُ تُغَاثُ غَيْثاً، فهي أرضٌ مَغِيْثَةٌ ومَغِيوْثَةٌ^(٣). فمعنى: «يُغَاثُ النَّاسُ»: يُمَطَّرُونَ.

﴿وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ قال ابن عباس: يعصرون الأعناب والدُّهْن؛ ذكره البخاري^(٤).

وروى حجاجٌ عن ابن جُرَيْج قال: [قال ابن عباس:] يعصرون العنب خمرأً، والسَّمِسِمَ دُهْناً، والزيتون زيتاً^(٥).

وقيل: أراد حلبَ الألبان لكثرتها^(٦)؛ ويدلُّ ذلك على كثرة النبات.

وقيل: «يَعْرِضُونَ» أي: يَنْجُونَ، وهو من العُضْرَةِ، وهي المَنْجاة؛ قاله

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٧٧.

(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ١٩٣، وما بعده من كلام ابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ١٠٧٨.

(٣) الصحاح (غوث) و(غيث).

(٤) قبل الحديث (٦٩٩٢)، ووصله الطبري ١٣/ ١٩٤.

(٥) أخرجه الطبري ١٣/ ١٩٤، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٦) أخرجه الطبري ١٣/ ١٩٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: فيه يحلبون.

أبو عبيدة^(١). والعَصْر بالتحريك: المَلَجُ والمَنْجاة، وكذلك العُضْرَة؛ قال أبو زُبَيْد^(٢):

صَادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُعَاثٍ وَلَقَدْ كَانَ عُضْرَةَ الْمَنْجُودِ
وَالْمَنْجُود: الْفَزَعُ^(٣). واعتصرتُ بفلان وتَعَصَّرْتُ، أي: التجأت إليه. قال أبو
الغوث: «يُعَصِّرُونَ»: يَسْتَغِلُّونَ؛ وهو من عَصَرَ العنب. واعتصرت ماله، أي:
استخرجته من يده^(٤).

وقرأ عيسى: «تُعَصِّرُونَ» بضمّ التاء وفتح الصاد^(٥)، ومعناه: تُمَطِّرُونَ؛ من قول
الله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّابًا﴾ [النبا: ١٤]، وكذلك معنى «تُعَصِّرُونَ» بضمّ التاء
وكسر الصاد، فيمنّ قرأه كذلك^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلْمَلِكِ أَتُؤْتِي يَدِي فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَيْكَ فَسَأَلَهُ
مَا بَالُ الْيَسْمُوتِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ
رَوَدُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَسَّ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ
الْعَزِيزِ الْفَنَّ حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُنْفِقِينَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلْمَلِكِ أَتُؤْتِي يَدِي﴾ أي: فذهب الرسول فأخبر الملك، فقال:

(١) في (د) و(م): قال أبو عبيدة، والمثبت من باقي النسخ، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٣١٣/١،
ونقله المصنف عنه بواسطة الجوهري في الصحاح (عصر) وما بعده منه. وقد ردّه الطبري ٢٠٥/١٣
وقال: يكفي من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين.

(٢) حرمله بن منذر الطائي، ويقال: المنذر بن حرمله. كان نصرانياً واختلف في إسلامه. وهو أحد
المعمرين، يقال عاش مئة وخمسين سنة. الإصابة ١٥٤/١١. والبيت في تفسير الطبري ١٩٧/١٣،
وأمالى اليزيدي ص ٨، والصحاح (عصر)، والاقتضاب ص ٣٩٠.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٤٣٥/٣.

(٤) الصحاح (عصر)، وأبو الغوث الأعرابي ممن سمع منهم الجوهري، وقد ورد ذكره في الصحاح في غير
موضع.

(٥) ذكرها أبو حيان في البحر ٣١٦/٥، وذكر عن عيسى أيضاً أنه قرأ: «يُعَصِّرُونَ» بضم الياء وفتح الصاد،
وكذلك ذكرها عنه ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٤، وابن جني في المحاسب ٣٤٤/١.

(٦) لم نقف على هذه القراءة.

اثتوني به ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ أي: يأمره بالخروج، قال: ﴿أَتَجِئُ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَسْأَلُهُ مَا بَالَ النَّسْوَةِ﴾ أي: حال النسوة ﴿الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾. فأبى أن يخرج إلا أن تصح براءته عند الملك مما قُذِفَ به، وأنه حُبِسَ بلا جُرم^(١).

وروى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ». قال: «وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثْتُ، ثُمَّ جَاءَنِي الرَّسُولُ، أَجَبْتُ»، ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَسْأَلُهُ مَا بَالَ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾؛ قال: «وَرَحِمَهُ اللَّهُ عَلَىٰ لَوِطٍ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ إِذْ قَالَ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ فَمَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ نَبِيًّا إِلَّا فِي ذُرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ»^(٢).

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَرْحُمُ اللَّهُ لَوِطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثْتُ يَوْسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ، وَنَحْنُ أَحَقُّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لَهُ: ﴿أَوَلَمْ تَوْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لَيْطَمِئَنَّا قُلُوبُ﴾» [البقرة: ٢٦٠]^(٣).
وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «يرحم الله أخي يوسف، لقد كان صابراً حليماً، ولو لبثت في السجن ما لبثته؛ أجبت الداعي ولم ألتمس العذر»^(٤). وروي نحوه هذا الحديث من طريق عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالِك، في كتاب التفسير من «صحيح» البخاري، وليس لابن القاسم في الديوان غيره^(٥). وفي رواية الطبري^(٦):

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٣٢، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٧٩.

(٢) سنن الترمذي (٣١١٦)، وهو عند أحمد (٨٣٩١). وقد سلفت القطعة الأخيرة منه ص ١٨١ من هذا الجزء. والعبارة الأولى أخرجها أحمد (٨٣٩١) من حديث أبي هريرة ؓ، وأخرجها أيضاً (٥٧١٢)، والبخاري (٣٣٩٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح البخاري (٤٦٩٤)، وهو عند أحمد (٨٣٢٨ - ٨٣٢٩)، ومسلم (١٥١). وسلف ٣١٠/٤.

(٤) أخرج نحوه أحمد (٨٥٥٤)، والطبري ١٣/ ٢٠٠ - ٢٠١، والحاكم ٢/ ٣٤٦. من حديث أبي هريرة ؓ. وكلام المصنف في المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٢.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٢، والحديث المشار إليه عند البخاري هو حديث أبي هريرة السالف.

(٦) في تفسيره ١٣/ ٢٠٠.

«يرحم الله يوسفَ، لو كنت أنا المحبوسَ ثم أرسل إليَّ، لخرجتُ سريعاً، إن كان لحليماً ذا أناة».

وقال ﷺ: «لقد عجبْتُ من يوسف وصبرِهِ وكرمه، واللَّهُ يغفر له حين سئل عن البقرات، لو كنت مكانه لَمَا أخبرْتُهم حتى أَشْتَرِطَ أن يُخْرِجُونِي، ولقد عجبْتُ منه حين أتاه الرسولُ، ولو كنتُ مكانه لبادَرْتُهم الباب»^(١).

قال ابن عطية^(٢): كان هذا الفعلُ من يوسف عليه السلام أناةً وصبراً، وطلباً لبراءة الساحة، وذلك أنه - فيما روي - خشي أن يخرج وينالَ من الملك مرتبةً، ويسكت عن أمرِ ذنبه صفحاً، فيراه الناس بتلك العين أبداً ويقولون: هذا الذي راود امرأة مولاه، فأراد يوسف عليه السلام أن يبيِّن براءته، ويحقِّق منزلته^(٣) من العِفَّة والخير، وحينئذٍ يخرج للإحطاء والمنزلة؛ فلهذا قال للرسول: ارجع إلى ربِّك وقل له: ما بالُ النسوة؟ ومقصدُ يوسف عليه السلام إنما كان: وقل له: يستقصي عن ذنبي، وينظر في أمري، هل سُجنت بحقٍّ أو بظلم. ونكَّب عن [ذكر] امرأة العزيز حُسْنَ عِشْرَةٍ، ورعايةً لِذِمَامِ الملك العزيز له.

فإن قيل: كيف مدَّح النبي ﷺ يوسف بالصبر والأناة وترك المبادرة إلى الخروج، ثم هو يذهب بنفسه عن حالةٍ قد مدح بها غيره؟

فالوجه في ذلك: أنَّ النبي ﷺ إنَّما أخذ لنفسه وجهاً آخرَ من الرأي، له جهةٌ أيضاً من الجودة، يقول: لو كنتُ أنا لبادرت بالخروج، ثم حاولت بيانَ عذري بعد ذلك. وذلك أنَّ هذه القصصَ والنوازل [إنما] هي معرَّضةٌ لأنَّ يقتديَ الناسُ بها إلى يوم القيامة، فأراد رسول الله ﷺ حَمَلَ الناس على الأخْزَمِ من الأمور؛ وذلك أنَّ

(١) أخرجه الطبري ١٣/٢٠٢، والطبراني (١١٦٤٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، والكلام في أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٧٩.

(٢) في المحرر الوجيز ٣/٢٥٢. وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٣) في المحرر الوجيز: أن تبين براءته، وتحقق منزلته.

الْمُتَعَمِّقُ^(١) في مثل هذه النازلة، التاركَ فرصةَ الخروجِ من مثلِ ذلك السجن، ربما نَجَّجَ له [من ذلك] البقاءَ في سجنه، وانصرفت نفسُ مُخْرِجِه عنه، وإن كان يوسف عليه السلام أَمِنَ من ذلك بعلمه من الله؛ فغيرُهُ من الناس لا يأمن ذلك، فالحالةُ التي ذهب النبي ﷺ بنفسه إليها حالةُ حزمٍ [ومدح]، وما فَعَلَهُ يوسفُ عليه السلام صَبْرٌ عَظِيمٌ وَجَلْدٌ.

قوله تعالى: ﴿فَسَأَلَهُ مَا بَأَلُ الْيَسْوَةِ﴾ ذَكَرَ النِّسَاءَ جَمْلَةً لِيَدْخُلَ فِيهِنَّ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ، مَدْخُلَ الْعَمُومِ بِالتَّلْوِيجِ، حَتَّى لَا يَقَعَ عَلَيْهَا تَصْرِيحٌ؛ وَذَلِكَ حُسْنُ عِشْرَةٍ وَأَدَبٌ، وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ، أَي: فَاسْأَلْهُ أَنْ يَتَعَرَّفَ مَا بَأَلُ النِّسْوَةِ.

قال ابن عباس: فأرسل الملك إلى النسوة وإلى امرأة العزيز - وكان قد مات العزيز - فدعاهنَّ قَدْ ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ أَي: مَا شَأْنُكُنَّ ﴿إِذْ رَاوَدَتْهُنَّ يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ﴾. وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ كَلَّمَتْ يُوسُفَ فِي حَقِّ نَفْسِهَا، عَلَى مَا تَقَدَّمَ^(٢)، أَوْ أَرَادَ قَوْلَ كُلِّ وَاحِدَةٍ: قَدْ ظَلَمْتَ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ، فَكَانَ ذَلِكَ مَرَاوِدَةً مِنْهُنَّ. ﴿قُلْتُ حَسْبُ اللَّهِ﴾ أَي: مُعَاذَ اللَّهِ ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْكَ مِنْ سُوءٍ﴾ أَي: زَنَى. ﴿قَالَتْ أَمَرَأْتُ الْغَزِيرِ الْفَنِّ حَصَصَ الْحَقُّ﴾ لَمَّا رَأَتْ إِقْرَارَهُنَّ بِبِرَاءَةِ يُوسُفَ، وَخَافَتْ أَنْ يَشْهَدَنَّ عَلَيْهَا إِنْ أَنْكَرَتْ، أَقَرَّتْ هِيَ أَيْضاً، وَكَانَ ذَلِكَ لُطْفاً مِنَ اللَّهِ بِيُوسُفَ.

و«حَصَصَ الْحَقُّ» أَي: تَبَيَّنَ وَظَهَرَ، وَأَصْلُهُ: حَصَصَ، فَقِيلَ: حَصَصَ حَصَصَ، كَمَا قَالَ: كُبِّبُوا، فِي كُبُّوَا، وَكَفَّكَ فِي كَفَّفَ؛ قَالَ الزَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ^(٣).

وَأَصْلُ الْحَصِّ: اسْتِنْصَالُ الشَّيْءِ؛ يُقَالُ: حَصَّ شَعْرَهُ: إِذَا اسْتَأْصَلَهُ جَزْأً^(٤)؛ قَالَ

(١) فِي النِّسْوَةِ: وَذَلِكَ أَنْ تَرَكَ الْحَزْمَ فِي مِثْلِ، وَالْمَثْبُتُ مِنَ الْمَحْرُورِ الْوَجِيزِ، وَيَعْنِي بِالْمُتَعَمِّقِ: الْمُبَالِغُ فِي الْأَمْرِ الْمُتَشَدَّدِ فِيهِ.

(٢) ص ٣٤٠ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ.

(٣) ذَكَرَهُ عَنِ الزَّجَّاجِ الْمَاورِدِي فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ ٤٧/٣، وَقَالَ أَيْضاً النُّحَاسُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ ٨٩/٥، وَالطَّبْرِي ٢٠٦/١٣.

(٤) تَفْسِيرُ الطَّبْرِي ٢٠٦/١٣.

أبو قيس بن الأُسَلْت^(١):

قد حَصَّت البيضة رأسي فما أَطَعُمُ نوماً غيرَ تَهْجَاعِ
وسَنَّة حَصَّاء، أي: جرداء لا خيرَ فيها؛ قال جرير:
يا أوي إليكم بلا مَنْ ولا جَحَدٍ مَنْ ساقه السَّنَةُ الحَصَّاءُ والذَّيْبُ
كأنه أراد أن يقول: والضَّبْعُ، وهي السنة المُجْدِبَةُ؛ فوضع الذئب موضعه لأجل
القافية^(٢)؛ فمعنى «حَصَّصَ الْحَقُّ»، أي: انقطع عن الباطل بظهوره وثباته؛ قال:
أَلَا مُبْلِغٌ عَنِّي خِدَاشاً فَإِنَّهُ كَذُوبٌ إِذَا مَا حَصَّصَ الْحَقُّ ظَالِمٌ^(٣)
وقيل: هو مشتقٌّ من الحِصَّة؛ فالمعنى: بانت حِصَّةُ الْحَقِّ من حِصَّةِ الْبَاطِلِ^(٤).
وأصله^(٥) مأخوذٌ من قولهم: حَصَّ شَعْرَهُ: إِذَا اسْتَأْصَلَ قِطْعَةً [فظهرت مواضعه]،
ومنه: الحِصَّةُ من الأرض: إِذَا قُطِعَتْ مِنْهَا. والحِصْحَصُ بالكسر: التراب
والحجارة؛ ذكره الجوهري^(٦).

﴿أَنَا رَوْدَتُهُ عَن نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وهذا القولُ منها - وإن لم يكن سأل عنه -
إظهاراً لتوبتها، وتحقيقاً لصدق يوسف وكرامته؛ لأنَّ إقرار المُقِرِّ على نفسه أقوى من
الشهادة عليه، فجمع الله تعالى ليوسف لإظهار صدقه الشهادة والإقرار، حتى لا
يخامر نفساً ظناً، ولا يخالطها شكٌ^(٧).

(١) الأوسي، مختلف في اسمه، فقيل: صيفي، وقيل: الحارث، وقيل: عبد الله، وقيل صِرْمة. واختلف
في إسلامه. الإصابة ٣٠٩/١١. والبيت في المفضليات ص ٢٨٤، والكمال ٢٣٥/١، والصحاح
(حصص)، والخزانة ٤١١/٣.

(٢) الصحاح (حصص)، والبيت في ديوان جرير ٣٤٩/١ (بشرح ابن حبيب).

(٣) النكت والعيون ٤٧/٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١١٥/٣، وزاد المسير ٢٣٧/٤.

(٥) وقع قبلها في النسخ قوله: وقال مجاهد وقتادة، وهو وهم، والكلام في النكت والعيون ٤٧/٣، وما
سيرد بين حاصرتين منه.

(٦) في الصحاح (حصص).

(٧) النكت والعيون ٤٧/٣.

وَشُدَّدَتِ النُّونَ فِي «حَطْبُكُنَّ» وَ«رَاوَدْتُنَّ» لَأَنَّهُا بِمَنْزِلَةِ الْمِيمِ وَالْوَاوِ فِي الْمَذْكَرِ^(١).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ٥١﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ اختلف فيمن قاله، فقيل: هو من قول امرأة العزيز، وهو متصل بقولها: ﴿أَلَنْ حَصَصَ الْحَقُّ﴾^(٢) أي: أقررت بالصدق ليعلم أنني لم أخنه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي^(٣): بالكذب عليه، ولم أذكره بسوء وهو غائب، بل صدقت وحدثت عن الخيانة، ثم قالت: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ بل أنا راودته، وعلى هذا هي كانت مُقَرَّةً بالصانع، ولهذا قالت: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقيل: هو من قول يوسف، أي: قال يوسف: ذلك الأمر الذي فعلته من ردِّ الرسول ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾. قاله الحسن وقتادة وغيرهما^(٤).

ومعنى «بالغيب»: وهو غائب. وإنما قال يوسف ذلك بحضرة المَلِكِ، وقال: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ على الغائب؛ توقيراً للملك. وقيل: قاله إذ عاد إليه الرسول وهو في السجن بعد، قال ابن عباس: جاء الرسول إلى يوسف عليه السلام بالخبر وجبريل معه يحدثه، فقال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ أي: لم أخن سيدي بالغيب؛ فقال له جبريل عليه السلام: يا يوسف، ولا حين حللت الإزار، وجلست مجلس الرجل من المرأة؟! فقال يوسف: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ الآية^(٥). وقال السدي: إنما قالت له امرأة العزيز: ولا حين حللت سراويلك يا يوسف؟! فقال

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٣٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٤.

(٣) قوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾، أي، من (م).

(٤) تفسير الطبري ١٣/ ٢٠٧ - ٢٠٨، والنكت العيون ٣/ ٤٧.

(٥) سلف في الصفحة ٣١٢ من هذا الجزء، وينظر ما ذكرنا ثمة من ردود العلماء على هذا الخبر وما شابهه من الأخبار التي تنافي عصمة الأنبياء.

يوسف: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾^(١).

وقيل: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ من قول العزيز، أي: ذلك ليعلم يوسف أنني لم أخنه بالغيب، وأنني لم أغفل عن مُجازاته على أمانته^(٢). ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْغَالِينَ﴾ معناه: أن الله لا يهدي الخائنين بكيدهم^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ قيل: هو من قول المرأة. وقال القشيري: فالظاهر أن قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ من قول يوسف.

قلت: إذا احتمل أن يكون من قول المرأة؛ فالقول به أولى حتى نبُري يوسف من حلّ الإزار والسراويل، وإذا قدّرناه من قول يوسف؛ فيكون مما خطر بقلبه، على ما قدّمناه من القول المختار في قوله: ﴿وَهُمْ يَهَا﴾ [الآية: ٢٤].

قال أبو بكر الأنباري^(٤): من الناس من يقول: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ من كلام امرأة العزيز، لأنه متصل بقولها: ﴿أَنَا زَوْدْتُهُ عَنْ نَفْسِيهِ وَإِنَّمَا لَيْنَ الصَّدِيقِينَ﴾ وهذا مذهب الذين ينفون الهمّ عن يوسف عليه السلام، فمن بنى على قولهم قال: من قوله: ﴿قَالَتْ أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ كلام متصل ببعضه ببعض، ولا يكون فيه وقف تامّ على حقيقة، ولسنا نختار هذا القول ولا نذهب إليه.

وقال الحسن: لما قال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ كره نبيّ الله أن يكون قد زكّي نفسه فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾^(٥) لأن تزكية النفس مذمومة، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، وقد بيّناه في «النساء»^(٦).

(١) النكت والعيون ٤٨/٣، وتفسير البغوي ٤٣١/٢.

(٢) زاد المسير ٢٤٠/٤.

(٣) النكت والعيون ٤٧/٣.

(٤) في إيضاح الوقف والابتداء ٧٢٤/٢ - ٧٢٥.

(٥) زاد المسير ٢٤١/٤.

(٦) ٤٠٧/٦ وما بعدها.

وقيل: هو من قول العزيز، أي: وما أبرئ نفسي من سوء الظن بيوسف^(١).

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ أي: مُشْتِهِيَةٌ لَهُ. ﴿إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي﴾ في موضع نصب بالاستثناء^(٢)، و«ما» بمعنى مَنْ، أي: إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبِّي فعصمه، و«ما» بمعنى مِنْ كثير، قال الله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]. وهو استثناء منقطع؛ لأنه استثناء المرحوم بالعصمة مِنَ النفس الأماراة بالسوء^(٣). وفي الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تقولون في صاحبٍ لكم؛ إن أنتم أكرمتموه وأطعمتموه وكسوتموه أفضى بكم إلى شرٍّ غاية، وإن أهتموه وأعريتوه وأجعتوه أفضى بكم إلى خير غاية» قالوا: يا رسول الله، هذا شرُّ صاحب في الأرض. قال: «فوالذي نفسي بيده، إنها لنفوسكم التي بين جنوبكم»^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيهِ يَدَ اسْتَخْلَافَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيهِ يَدَ اسْتَخْلَافَهُ لِنَفْسِي﴾ لَمَّا ثَبِتَ لِلْمَلِكِ بَرَاءَتُهُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ، وَتَحَقَّقَ فِي الْقِصَّةِ أَمَانَتُهُ، وَفَهِمَ أَيْضاً صَبْرَهُ وَجَلْدَهُ؛ عَظُمَتْ مَنَزَلَتُهُ عِنْدَهُ، وَتَيَقَّنَ حَسَنَ خِلَالِهِ قَالَ: «أَتُؤْتِيهِ بِهِ اسْتَخْلَافَهُ لِنَفْسِي». فانظر إلى قول الملك أولاً - حين تحقق علمه -: ﴿أَتُؤْتِيهِ يَدَ﴾ [يوسف: ٥٠] فقط، فلما فعل يوسف ما فعل ثانياً قال: ﴿أَتُؤْتِيهِ يَدَ اسْتَخْلَافَهُ لِنَفْسِي﴾^(٥).

ورُوي عن وهب بن مُنبه قال: لما دُعي يوسف وقف بالباب، فقال: حسبي ربي من خلقه، عزَّ جاره، وجلَّ ثناؤه، ولا إله غيره. ثم دخل، فلَمَّا نظر إليه الملك نزل

(١) زاد المسير ٢٤١/٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٣/٢.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٢٥٤/٣، وتفسير البغوي ٤٣١/٢، وتفسير الرازي ١٥٧/١٨.

(٤) لم نقف عليه، والله أعلم بصحته.

(٥) المحرر الوجيز ٢٥٥/٣.

عن سريره فخر له ساجداً، ثم أقعده الملك معه على سريره فقال: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾. ﴿قَالَ﴾ له يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ﴾ للخزائن ﴿عَلَيْمٌ﴾ بوجوه تصرفاتها^(١). وقيل: حافظ للحساب، عليم بالأسن^(٢).

وفي الخبر: «يرحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته، ولكن أخر ذلك سنة»^(٣).

وقيل: إنما تأخر تملكه إلى سنة؛ لأنه لم يقل: إن شاء الله^(٤).

وقد قيل في هذه القصة: إن يوسف عليه السلام لما دخل على الملك قال: اللهم إني أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بك من شره وشر غيره، ثم سلم على الملك بالعربية، فقال: ما هذا اللسان؟! قال: هذا لسان عمي إسماعيل، ثم دعا له بالعبرانية، فقال: ما هذا اللسان؟! قال: لسان آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً، فكلما كلم يوسف^(٥) بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان، فأعجب الملك أمره، وكان يوسف إذ ذاك ابن ثلاثين سنة، ثم أجلسه على سريره وقال: أحب أن أسمع منك رؤياي، قال يوسف: نعم أيها الملك، رأيت سبع بقرات سمان شهباً غراً حسناً^(٦)، كشف لك عنهن الثيل، فطلعن عليك من شاطئه تشخب أخلافها لبناً، فبينما أنت تنظر إليهن وتتعجب من حسنهن إذ نضب الثيل، فغار ماؤه،

(١) عرائس المجالس ص ١٢٨ - ١٢٩، وتفسير البغوي ٤٣١/٢ - ٤٣٢.

(٢) تفسير الطبري ٢١٩/١٣، وزاد المسير ٢٤٣/٤.

(٣) أخرجه الثعلبي في عرائس المجالس ص ١٢٩ - ١٣٠ من طريق إسحاق بن بشر، عن جوير، عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، ومن طريق الثعلبي أخرجه الواحدي في الوسيط ٦١٨/٢، قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص ٩٠: وهذا إسناد ساقط.

(٤) ينظر زاد المسير ٢٤٣/٤ - ٢٤٤.

(٥) في (م): فكلما تكلم الملك، والمثبت موافق لعرائس المجالس ص ١٢٩، وهذه القصة بطولها فيه وفي تفسير البغوي ٤٣١/٢ - ٤٣٢، وهي التي تكلم في إسنادها الحافظ ابن حجر كما سلف.

(٦) كذا في النسخ: شهباً غراً حسناً، وفي عرائس المجالس وتفسير البغوي: شهب غراً حسان.

وبدا أسه، فخرج من حَمَتِهِ وَوَحَلَهُ سَبْعُ بَقَرَاتٍ عِجَافٍ شُعْبٍ غُبِرٍ مُقْلَصَاتِ الْبُطُونِ، ليس لهنَّ ضُرُوعٌ ولا أَخْلَافٌ، لهنَّ أَنْيَابٌ وَأَضْرَاسٌ، وَأَكْفٌ كَأَكْفِ الْكِلَابِ، وَخِرَاطِيمٌ كَخِرَاطِيمِ السَّيَّاحِ، فَاخْتَلَطْنَ بِالسَّمَانِ، فَافْتَرَسْنَهُنَّ افْتِرَاسَ السَّيَّاحِ، فَأَكَلْنَ لِحُومَهُنَّ، وَمَزَّقْنَ جُلُودَهُنَّ، وَحَطَّمْنَ عِظَامَهُنَّ، وَمَشَّشْنَ^(١) مُخَّهِنَّ، فَبَيْنَا أَنْتَ تَنْظُرُ وَتَتَعَجَّبُ كَيْفَ غَلَبْنَهُنَّ وَهَنَّ مَهَازِيلَ، ثُمَّ لَمْ يَظْهَرْ فِيهِنَّ^(٢) سِمَنٌ وَلَا زِيَادَةٌ بَعْدَ أَكْلِهِنَّ! إِذَا بِسَبْعِ سَنَابِلٍ خُضِرِ طَرِيَّاتٍ نَاعِمَاتٍ مِمْتَلَأَاتٍ حَبًّا وَمَاءً، وَإِلَى جَانِبِهِنَّ سَبْعُ يَابَسَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ مَاءٌ وَلَا خُضْرَةٌ فِي مَنِيَّتٍ وَاحِدَةٍ، عَرُوقُهُنَّ فِي الثَّرَى وَالْمَاءِ، فَبَيْنَا أَنْتَ تَقُولُ فِي نَفْسِكَ: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟! هَؤُلَاءِ خُضِرٌ مُثْمِرَاتٌ، وَهَؤُلَاءِ سُودٌ يَابَسَاتٌ، وَالْمَنِيَّةُ وَاحِدَةٌ، وَأَصُولُهُنَّ فِي الْمَاءِ، إِذْ هَبَّتْ رِيحٌ فَذَرَّتِ الْأَوْرَاقَ مِنَ الْيَابَسَاتِ السُّودِ عَلَى الْخُضْرِ الْمُثْمِرَاتِ، فَاشْعَلَتْ فِيهِنَّ النَّارَ، فَأَحْرَقَتْهُنَّ، فَصِرْنَ سُودًا مُغْبِرَاتٍ، فَانْتَبَهَتْ مَذْعُورًا أَيُّهَا الْمَلِكُ، فَقَالَ الْمَلِكُ: وَاللَّهِ، مَا شَأْنُ هَذِهِ الرُّؤْيَا وَإِنْ كَانَتْ عَجَبًا بِأَعْجَبَ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْكَ! فَمَا تَرَى فِي رُؤْيَايَ أَيُّهَا الصَّدِيقُ؟ فَقَالَ يَوْسُفُ: أَرَى أَنْ تَجْمَعَ الطَّعَامَ، وَتَزْرَعَ زَرْعًا كَثِيرًا فِي هَذِهِ السَّنِينَ الْمُخْصِيَةِ، فَإِنَّكَ لَوْ زَرَعْتَ عَلَى حَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ لَنْبَتَ، وَأَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ النَّمَاءَ وَالْبَرَكَهَ، ثُمَّ تَرَفَعَ الزَّرْعُ بِقَصْبِهِ وَسَنْبِلِهِ، وَتَبَنَّى لَهُ الْمَخَازِنَ الْعِظَامَ، فَيَكُونُ الْقَصْبُ وَالسَّنْبِلُ عَلَقًا لِلدَّوَابِّ، وَحَبُّهُ لِلنَّاسِ، وَتَأْمُرُ النَّاسَ فَيَرْفَعُونَ مِنْ طَعَامِهِمْ إِلَى أَهْرَآئِكَ^(٣) الْخُمْسَ، فَيَكْفِيكَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي جَمَعْتَهُ لِأَهْلِ مِصْرَ وَمَنْ حَوْلَهَا، وَيَأْتِيكَ الْخَلْقُ مِنَ النُّوَاحِي يَمْتَارُونَ مِنْكَ، وَيَجْتَمِعُ عِنْدَكَ مِنَ الْكُنُوزِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ، فَقَالَ الْمَلِكُ: وَمَنْ لِي بِتَدْبِيرِ هَذِهِ الْأُمُورِ؟ وَلَوْ جَمَعْتُ أَهْلَ مِصْرَ جَمِيعًا مَا أَطَاقُوا، وَلَمْ يَكُونُوا فِيهِ أَمْنَاءً، فَقَالَ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أَي: عَلَى خَزَائِنِ أَرْضِكَ، وَهِيَ جَمْعُ خِزَانَةٍ،

(١) التمشيش: استخراج المُخِّ. القاموس المحيط (مشش).

(٢) فِي (ز) وَ(ف) وَ(م): مِنْهُنَّ.

(٣) الْأَهْرَاءُ، جَمْعُ: مُزَيٍّ، وَهُوَ بَيْتٌ كَبِيرٌ يُجْمَعُ فِيهِ طَعَامُ السُّلْطَانِ. القاموس المحيط (هرو).

ودخلت الألف واللام عوضاً من الإضافة، كقول النابغة:

لهم شِيْمَةٌ لم يُعْطِهَا اللهُ غَيْرَهُمْ مِنْ الْجُودِ وَالْأَخْلَامِ غَيْرُ كَوَاذِبٍ^(١)

قوله تعالى: ﴿أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ جزم لأنه جواب الأمر^(٢)؛ وهذا يدل على أن

قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ جَرَى فِي السَّجْنِ. وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ جَرَى عِنْدَ الْمَلِكِ،

ثم قال في مجلس آخر: ﴿أَتَتُونِي بِهِ﴾ تأكيداً ﴿أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ أي: أجعله خالصاً

لنفسي، أفوض إليه أمر مملكتي، فذهبوا فجاءوا به، ودلّ على هذا: ﴿قَلَمَّا كَلَمْتُهُ﴾

أي: كلّم الملك يوسف، وسأله عن الرؤيا فأجاب يوسف، ف ﴿قَالَ﴾ الملك: ﴿إِنَّكَ

الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: متمكّن نافذ القول، «أَمِينٌ» لا تخاف غدراً^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكَ﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ قال سعيد بن منصور:

سمعت مالك بن أنس يقول: مصرُ خَزَانَةُ الْأَرْضِ، أما سمعت إلى قوله: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى

خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾^(٤) أي: على حفظها، فحذف المضاف. ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ لما وُلِّيت

﴿عَلَيْمٌ﴾ بأمره^(٥). وفي التفسير: إني حاسب كاتب، وأنه أول من كتب في

القراطيس^(٦). وقيل: «حَفِيظٌ» لتقدير الأقوات، «عَلِيمٌ» بيسني المجاعات^(٧). قال

(١) ديوان النابغة ص ١٢، وفيه: عواذب، بدل: كواذب، وسلف البيت ١٧١/٤ وقوله: الأحلام: جمع

حِلْم، وهو الأناة والعقل. اللسان (حلم).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٣/٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) لم نقف عليه عند سعيد بن منصور، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٥٦/٣ عن مالك.

(٥) الوسيط ٦١٨/٢.

(٦) ذكره العسكري في الأواطل ٢٠٢/٢.

(٧) عرائس المجالس ص ١٢٩.

جُوَبر، عن الضَّحَّاك، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «رَجِمَ اللَّهُ أَخِي يَوْسُفَ لَوْ لَمْ يَقُلْ: اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ، لاسْتَعْمَلَهُ مِنْ سَاعَتِهِ، وَلَكِنْ أَخَّرَ ذَلِكَ عَنْهُ سَنَةً»^(١).

قال ابن عباس: لَمَّا انصرفت^(٢) السَّنة من يوم سأل الإمارة؛ دعاه المَلِكُ، فتَوَجَّهَ ورَدَّاهُ بسيفه، ووضع له سريراً من ذهب، مُكَلَّلًا بالدُّرِّ والياقوت، وضرب عليه حُلَّةً من إِسْتَبْرَق، وكان طولُ السرير ثلاثين ذراعاً وعرضُه عشرة أذرع، عليه ثلاثون فراشاً وستون مِرْفَقَةً^(٣)، ثم أمره أن يخرج، فخرج متَوَجَّأً، لونه كالثلج، ووجهه كالقمر، يرى الناظرُ وجهَه في^(٤) صفاء لون وجهه، فجلس على السرير، ودانت له الملوك، ودخل الملكُ بيته مع نسائه، وفَوَّضَ إليه أمرَ مصر، وعزل قطفيرَ عما كان عليه، وجعل يوسفَ مكانه^(٥).

قال ابن زيد: كان لفرعون ملكٍ مصر خزائنُ كثيرةٌ غير الطعام، فسَلَّمَ سلطانه كُلَّهُ إليه^(٦)، وهلك قطفير تلك الليالي، فزَوَّجَ الملكُ يوسفَ راعيلَ امرأة العزيز، فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريدِينَ؟! فقالت: أيها الصديق، لا تُلْمَنِي، فَإِنِّي كنت امرأةً حسناء ناعمة كما ترى، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنتُ كما جعلَكَ اللَّهُ مِنَ الْحُسْنِ، فَعَلَّبَنِي نَفْسِي. فوجدَهَا يوسفُ عذراءً، فأصابها، فولدت له رجلين: إِفْرَائِيمَ بن يوسف، ومنشا بن يوسف^(٧).

(١) سلف ص ٣٧٨ من هذا الجزء. وسلف ذكر قول الحافظ ابن حجر فيه: إن إسناده ساقط.

(٢) في (م): انصرفت.

(٣) المرفقة: المخدَّة. القاموس المحيط (رفق).

(٤) في (د) و(ف) و(م): من.

(٥) عرائس المجالس ص ١٣٠، وتفسير البغوي ٤٣٢/٢ - ٤٣٣.

(٦) أخرجه الطبري ٢١٨/١٣.

(٧) عرائس المجالس ص ١٣٠، وتفسير البغوي ٤٣٣/٢.

وقال وَهَبْ بَنٍ مُنْبًى: إنما كان تزويجه زليخاء امرأة العزيز بين دخلتي الإخوة، وذلك أن زليخاء مات زوجها ويوسف في السجن، وذهب مالهَا وَعَمِيَ بصرُها بكاءً على يوسف، فصارت تَتَكَفَّفُ الناسَ، فمنهم مَنْ يرحمها ومنهم مَنْ لا يرحمها، وكان يوسف يركب في كلِّ أسبوع مرةً في موكب زُهاء مئة ألف من عظماء قومه، ف قيل لها: لو تعرَّضتِ له لعله كان يُسَعِّفك بشيء، ثم قيل لها: لا تفعلِي، فربما ذكر بعض ما كان منك من المُراودة والسجن فَيُسَيِّءُ إليك، فقالت: أنا أعلم بِخُلُقِ حبيبي منكم. ثم تركته حتى إذا ركب في موكبه؛ قامت فنادت بأعلى صوتها: سبحان مَنْ جعل الملوك عبيداً بمعصيتهم، وجعل العبيدَ ملوكاً بطاعتهم، فقال يوسف: ما هذه؟ فأتوا بها، فقالت: أنا التي كنتُ أَخْدُمُكَ على صدور قديمي^(١)، وَأَرْجُلُ جُمَّتِكَ بيدي، وتربيتُ في بيتي، وأكرمتُ مثواكَ، لكن فرطَ ما فرطَ من جهلي وعُتُوِي، فذقتُ وبالَ أمري، فذهبَ مالي، وتضعُضَ ركني، وطالَ ذلِّي، وَعَمِيَ بصري، وبعد ما كنت مغبوبةً أهل مصر؛ صِرتَ مرحومتهم، أَتَكْفُفُ الناسَ، فمنهم من يرحمني، ومنهم من لا يرحمني، وهذا جزاء المفسدين. فبكى يوسف بكاءً شديداً، ثم قال لها: هل بقيتَ تجدِين مما كان في نفسك من حبكِ لي شيئاً؟ فقالت: واللَّهِ لنظرةً إلى وجهك أحبُّ إليَّ من الدنيا بحذافيرها، لكن ناولني صدرَ سوطك. فناولها فوضعتَه على صدرها، فوجدَ للسوط في يده اضطراباً وارتعاشاً من خَفَقانِ قلبها، فبكى ثم مضى إلى منزله، فأرسل إليها رسولاً: إن كنتِ أَيْمًا تزوجناكَ، وإن كنتِ ذاتِ بعلٍ أغنياناكَ، فقالت للرسول: أعوذ بالله من أن يستهزئ بي الملك، لم يُرْذَنِي أَيَّامَ شبابي وغناي ومالي وعزِّي، أفيريذني اليوم وأنا عجوز عمياء فقيرة؟! فأعلمه الرسولُ بمقاتلتها، فلما ركب في الأسبوع الثاني تعرَّضت له، فقال لها: ألم يُبلغك الرسولُ؟ فقالت: قد أخبرتك أن نظرةً واحدةً إلى وجهك أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها. فأمر بها، فأصلح من شأنها وهَيَّئَتْ، ثم زُفَّتْ إليه، فقام يوسف يَصَلِّي ويَدْعُو اللهَ، وقامت وراءه،

(١) في (ظ): كنت أقدمك على صدور قومي، وفي (ز) و(ف): أنا الذي كنت أقدمك على صدور قومي.

فسأل الله تعالى أن يعيدَ إليها شبابها وجمالها وبصرها، فردَّ الله عليها شبابها وجمالها وبصرها حتى عادت أحسنَ ما كانت يوم راودته، إكراماً ليوسف عليه السلام لما عَفَّ عن محارم الله، فأصابها، فإذا هي عذراء^(١)، فسألها، فقالت: يا نبيَّ الله، إن زوجي كان عِيناً لا يأتي النساء، وكنت أنت من الحُسن والجمال بما لا يُوصف، قال: فعاشا في خَفْضِ عيشٍ، في كل يوم يُجدد الله لهما خيراً، وولدت له ولدين: إفرائيم ومنشا^(٢).

وفيما روي أن الله تعالى ألقى في قلب يوسف من محبتها أضعافَ ما كان في قلبها، فقال لها: ما شأنك لا تُحبيني كما كنتِ في أول مرة؟ فقالت: لما ذقتُ محبةَ الله تعالى شغلني ذلك عن كل شيء^(٣).

الثانية: قال بعضُ أهل العلم: في هذه الآية ما يُبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر والسلطان الكافر، بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فعلٍ لا يُعارضه فيه^(٤)، فيصلح منه ما شاء؛ وأما إن كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره، فلا يجوز ذلك.

وقال قوم: إن هذا كان ليوسف خاصةً، وهذا اليوم غيرُ جائز. والأول أولى إذا كان على الشرط الذي ذكرناه. والله أعلم.

قال الماوردي^(٥): فإن كان المُوَلِّي ظالماً فقد اختلف الناس في جواز الولاية من

(١) قال العلامة الألوسي في تفسيره ٥/١٣: وشاع عند القُصاص أنها عادت شابةً بكرةً إكراماً له عليه السلام.. وهذا مما لا أصل له، وخبر تزوجها أيضاً مما لا يُعول عليه عند المحدثين.

(٢) ذكر هذه القصة ابن الجوزي في المنتظم ٣١٥/١ بنحوها، وذكر في آخرها أنها ولدت اثني عشر ولداً. وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٥٦/٣ قسماً منها، ثم قال: وروي في نحو هذا من القصص ما لا يوقف على صحته ويطول الكلام بسوقه.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) في (ز) و(ظ) و(ف): في فصل لا يعارض فيه، وفي المحرر الوجيز ٢٥٦/٣ (والكلام منه): في فصل ما لا يعارض فيه، والمثبت من (د) و(م).

(٥) في النكت والعيون ٥٠/٣، وما بين حاصرتين الآتي منه.

قَبْلَهُ عَلَى قَوْلَيْنِ :

أحدهما : جوازها إذا عمل بالحق فيما تقلده ؛ لأن يوسف وُلِّي من قِبَل فرعون ،
ولأن الاعتبار في حقه بفعله ؛ لا بفعل غيره .

الثاني : أنه لا يجوز ذلك ؛ لما فيه من تولي الظالمين بالمعونة لهم ، وتركيتهم
بتنفيذ^(١) أعمالهم ، فأجاب من ذهب إلى هذا المذهب عن ولاية يوسف من قِبَل
فرعون بجوابين :

أحدهما : أن فرعون يوسف كان صالحاً ، وإنما الطاغى فرعون موسى .

الثاني : أنه نظر [له] في أملاكه دون أعماله ، فزال عنه التبعة فيه .

قال الماوردي^(٢) : والأصح من إطلاق هذين القولين أن يفضل ما يتولاه من جهة
الظالم على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما يجوز لأهله فعله من غير اجتهاد في تنفيذه ؛ كالصدقات والزكوات ،
فيجوز توليهم من جهة الظالم ، لأن النص على مستحقه قد أغنى عن الاجتهاد فيه ،
وجواز تفرد أربابه به قد أغنى عن التقليد .

والقسم الثاني : ما لا يجوز أن يتفردوا به ، ويلزم الاجتهاد في مضره ، كأموال
القيء ، فلا يجوز توليهم من جهة الظالم ؛ لأنه يتصرف بغير حق ، ويجتهد فيما لا
يستحق .

والقسم الثالث : ما يجوز أن يتولاه أهله^(٣) ، وللاجتهاد فيه مدخل ، كالقضايا
والأحكام ، فعقد التقليد [فيه] محلل ، فإن كان النظر تنفيذاً للحكم بين متراضيين ،
وتوسطاً بين مجبورين ؛ جاز ، وإن كان إلزاماً إجباراً لم يجز .

(١) في (م) : بتقلده .

(٢) في النكت والعيون ٥١/٣ .

(٣) في (م) : لأهله ، ووقع في (ف) : ما لا يجوز أن يتولاه لأهله .

الثالثة: ودلت الآية أيضاً على جواز أن يخطب الإنسان عملاً يكون له أهلاً^(١)، فإن قيل: فقد روى مسلم، عن عبد الرحمن بن سُمرة، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكُلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها»^(٢).

وعن أبي بُردة، قال: قال أبو موسى: أقبلتُ إلى النبي ﷺ ومعني رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يميني، والآخر عن يساري، فكلاهما سأل العمل، والنبي ﷺ يستاك، فقال: «ما تقول يا أبا موسى - أو يا عبد الله بن قيس - قال: قلت: والذي بعثك بالحق، ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرتُ أنهما يطلبان العمل، قال: وكأني أنظر إلى سواكه تحت شفتيه وقد قلصت، فقال: «لن، أو: لا نستعملُ على عملنا من أراد» وذكر الحديث، خرَّجه مسلمٌ أيضاً وغيره^(٣).

فالجواب: أولاً: أنَّ يوسف عليه السلام إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم، فرأى أنَّ ذلك فرضٌ متعينٌ عليه، فإنه لم يكن هناك غيره، وهكذا الحكمُ اليوم؛ لو عَلِمَ إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة، ولم يكن هناك مَنْ يصلح ولا يقوم مقامه؛ لتعين ذلك عليه، ووجب أن يتولَّاهَا ويسألَ ذلك، ويخبر بصفاته التي يستحقُّها به من العلم والكفاية وغير ذلك، كما قال يوسف عليه السلام، فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها، وعَلِمَ بذلك فالأولى ألا يطلب؛ لقوله عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن: «لا تسأل الإمارة». وأيضاً، فإنَّ في سؤالها والحرصِ عليها مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها دليلٌ على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه، ومَنْ كان هكذا يُوشك أن تغلبَ عليه نفسه فيهلك، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «وَكُلَّ إِلَيْهَا»، ومَنْ أباهَا لعلمه بآفاتها، ولخوفه من التقصير في حقوقها [و] قرَّ منها، ثم إن

(١) النكت والعيون ٥٠/٣.

(٢) صحيح مسلم (١٦٥٢)، وهو عند أحمد (٢٠٦١٨)، والبخاري (٦٦٢٢).

(٣) صحيح مسلم ١٤٥٦/٣ (١٧٣٣): (١٥)، وهو عند أحمد (١٩٦٦٦)، والبخاري (٢٢٦١).

ابتلي بها، فيرجى له التخلص منها، وهو معنى قوله: «أَعَيْنَ عَلَيْهَا»^(١).

الثاني: أنه لم يقل: إني حبيب كريم، وإن كان كما قال النبي ﷺ: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»^(٢) ولا قال: إني جميل مليح، إنما قال: ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلَيْهِ﴾، فسألها بالحفظ والعلم، لا بالنسب والجمال.

الثالث: إنما قال ذلك عند من لا يعرفه فأراد تعريف نفسه، وصار ذلك مستثنى من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

الرابع: أنه رأى ذلك فرضاً متعيناً عليه؛ لأنه لم يكن هنالك غيره^(٣)، وهو الأظهر، والله أعلم.

الرابعة: ودلت الآية أيضاً على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل، قال الماوردي^(٤): «ليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات، ولكنه مخصوص بما اقترن بوصله، أو تعلق بظاهر من مكسب، وممنوع منه فيما سواه؛ لما فيه من تزكية ومראה، ولو تنزه»^(٥) الفاضل عنه لكان أليق بفضله، فإن يوسف دعت الضرورة إليه لما سبق من حاله، ولما يرجو من الظفر بأهله.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا نُجْزِيَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ أي: ومثل

(١) المفهم ١٦/٤، وما بين حاصرتين منه.

(٢) سلف ص ٣٧١ من هذا الجزء.

(٣) القول الثاني والثالث والرابع من أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٨٠.

(٤) في النكت والعيون ٣/ ٥٢، والقول الرابع الذي قبله منه.

(٥) في النسخ: ميزه، والمثبت من النكت والعيون.

هذا الإنعام الذي أنعمنا عليه في تقريبه إلى قلب الملك، وإنجائه من السجن؛ مَكَّنَّا له في الأرض، أي: أقدرناه على ما يُريد^(١).

وقال الكيّا الطبري، قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ دليلٌ على إجازة الحيلة في التوصل إلى المباح، وما فيه الغبطة والصلاح، واستخراج الحقوق، ومثله قوله تعالى: ﴿وَحُذِّذْ بِيَدِكَ ضِغْنًا فَانْزِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ﴾ [ص: ٤٤]، وحديث أبي سعيد الخدري في عامل خبير، والذي أدّاه من الثمر إلى رسول الله ﷺ، وما قاله^(٢).

قلت: وهذا مردودٌ على ما يأتي^(٣). يقال: مَكَّنَّاهُ ومَكَّنَّا له، قال الله تعالى: ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمُ﴾ [الأنعام: ٦].

قال الطبري^(٤): استخلف الملك الأكبر الوليد بن الرئان يوسف على عمل إطفير وعزله، قال مجاهد: وأسلم على يديه^(٥). قال ابن عباس: ملّكه بعد سنة ونصف^(٦). وروى مقاتل أن النبي ﷺ قال: «لو أن يوسف قال: إني حفيظٌ عليهم إن شاء الله لمُلِّك في وقته ذلك»^(٧).

(١) الوسيط للواحد ٦١٩/٢.

(٢) أحكام القرآن للكيّا الطبري ٢٣٣/٣، لكن الذي فيه أن قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنَّا لِيُوسُفَ﴾ [الآية: ٧٦] هي دليل إجازة الحيلة في التوصل إلى المباح.. وسيأتي ص ٤١٧ من هذا الجزء. وحديث عامل خبير أخرجه البخاري (٢٢٠١) و(٢٢٠٢)، ومسلم (١٥٩٣) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، ولفظه: أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خبير، فجاءه بثمر جنيب، فقال رسول الله ﷺ: «أَكُلْ ثمر خبير هكذا؟» قال: لا والله يا رسول الله، إنا لناخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة، فقال رسول الله ﷺ: «لا تفعل، بع الجَمْعُ بالدرهم، ثم ابتع بالدرهم جَنِيئاً». وهو ينحوه عند أحمد (١١٤١٢). والجَنِيْب: نوع جيد معروف من أنواع التمر، والجَمْع: نوع مختلط من أنواع متفرقة ليس مرغوباً فيه. النهاية (جنب) و(جمع).

(٣) ص ٤١٦-٤١٧ من هذا الجزء.

(٤) في تفسيره ٢٢٠/١٣، ونقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والميون ٥٢/٣، والأقوال التي بعده منه.

(٥) أخرجه الطبري ٢٢٢/١٣.

(٦) زاد المسير ٢٤٤/٤.

(٧) لم نقف عليه، وهو هكذا مرسل، وقد سلف نحوه ص ٣٧٨ من هذا الجزء، وهو ضعيف أيضاً.

ثم مات إطفير فزوجه الوليدُ بزوجة إطفير راعيل، فدخل بها يوسف، فوجدها عذراء، وولدت له ولدين: إفرائيم ومنشا ابني يوسف. ومن زعم أنها زليخاء قال: لم يتزوجها يوسف، وإنما لما رآته في موكبه بكت، ثم قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك عبيداً بالمعصية، والحمد لله الذي جعل العبيد بالطاعة ملوكاً، فضمها إليه، فكانت من عياله حتى ماتت عنده، ولم يتزوجها، ذكره الماوردي، وهو خلاف ما تقدّم عن وهب^(١)، وذكره الثعلبي، قاله أعلم.

ولما فوّض الملك أمر مصر إلى يوسف تلطف بالناس، وجعل يدعّوهم إلى الإسلام حتى آمنوا به، وأقام فيهم العدل، فأحبّه الرجال والنساء.

قال وهب والسدي وابن عباس وغيرهم: ثم دخلت السنين المخصبة، فأمر يوسف بإصلاح المزارع، وأمرهم أن يتوسّعوا في الزراعة، فلما أدركت الغلة؛ أمر بها فجُمعت، ثم بنى لها الأهراء، فجمعت فيها في تلك السنة غلة ضاقت عنها المخازن لكثرتها، ثم جمع عليه غلة كل سنة كذلك، حتى إذا انقضت السبع المخصبة وجاءت السنين المجذبة نزل جبريل وقال: يا أهل مصر، جوعوا، فإن الله سلط عليكم الجوع سبع سنين.

وقال بعض أهل الحكمة: للجوع والقحط علامتان: إحداهما: أن النفس تحب الطعام أكثر من العادة، ويسرع إليها الجوع خلافاً لما كانت عليه قبل ذلك، وتأخذ من الطعام فوق الكفاية. والثانية: أن يفقد الطعام فلا يوجد رأساً ويعزّز إلى الغاية.

فاجتمعت هاتان العلامتان في عهد يوسف، فانتبه الرجال والنساء والصبيان ينادون: الجوع الجوع، ويأكلون ولا يشبعون، وانتبه الملك، ينادي: الجوع الجوع، قال: فدعا له يوسف فأبراه الله من ذلك، ثم أصبح فنادى يوسف في أرض مصر كلّها: معاشر الناس، لا يزرع أحدٌ زرعاً فيضيع البذر ولا يطلع شيء. وجاءت تلك السنين بهول عظيم لا يُوصف.

(١) النكت والعيون ٥٢/٣، وسلفت القصة مطولة ص ٣٨٢-٣٨٣ من هذا الجزء، وينظر ما نقلناه عن الألوسي ثمة.

قال ابن عباس: لَمَّا كان ابتداء القحط، بينا الملك في جوف الليل أصابه الجوعُ في نصف الليل، فهتف الملك: يا يوسف، الجوع الجوع، فقال يوسف: هذا أو أن القحط، فلَمَّا دخلت أوَّل سنة من سني القحط؛ هَلَكَ فيها كلُّ شيءٍ أعدَّوه في السنين المُخصَّبة، فجعل أهلُ مصر يبتاعون الطعامَ من يوسف، فباعهم أوَّل سنة بالنقود، حتى لم يبقَ بمصر دينار ولا درهم إلا قَبَضَهُ، وباعهم في السنة الثانية بالحُلِيِّ والجواهر، حتى لم يبقَ في أيدي الناس منها شيء، وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب، حتى احتوى عليها أجمع، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء، حتى احتوى على الكلِّ، وباعهم في السنة الخامسة بالعقار والضِّياع، حتى ملكها كلُّها، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم ونسائهم فاسترقَّهم جميعاً، وباعهم في السنة السابعة برقابهم، حتى لم يبقَ^(١) بمصر حرٌّ ولا عبدٌ إلا صار عبداً له، فقال الناسُ: واللَّهِ، ما رأينا مَلِكاً أَجَلٌ ولا أعظمَ من هذا، فقال يوسف لملك مصر: كيف رأيتَ صنَعَ ربي فيما خَوَّلني، والآن كلُّ هذا لك، فما ترى فيه؟ فقال: فَوَضْتُ إِيكَ الأَمْرَ، فافعل ما شئتَ، وإنما نحن لك تبعٌ، وما أنا بالذي يَسْتَنكِفُ عن عبادتك وطاعتك، ولا أنا إلا من بعض ممالكك، وخَوَّلَ مِن خَوَّلِكَ، فقال يوسف عليه السلام: فَإِنِّي لم أعتَقهم من الجوع لأستعبدَهم، ولم أَجْزهم من البلاء لأكونَ عليهم بلاءً، وإني أَشْهَدُ اللّهَ وأشهدك أَنِّي أعتَقْتُ أهلَ مصر عن آخرهم، ورددتُ عليهم أموالهم وأملاكهم، ورددتُ عليك مُلْكَكَ بشرط أن تَسْتَنَّ بستي.

ويُروى أن يوسف عليه السلام كان لا يشبُّعُ من طعامٍ في تلك السنين، فقليل له: أَتَجوع ويبيدُكَ خزائنُ الأرض؟! فقال: إني أخاف إن شَبِعْتُ أن أنسى الجائعَ. وأمر يوسف طَبَّاحُ المَلِكِ أن يجعلَ غَداءه نصفَ النهار، حتى يذوقَ المَلِكُ طعمَ الجوع، فلا ينسى الجائعين، فَمِنْ ثَمَّ جعلَ الملوكُ غَداءهم نصفَ النهار^(٢).

(١) بعدها في (م): في السنة السابعة.

(٢) عرائس المجالس ص ١٣٠ - ١٣١، وتفسير البغوي ٤٣٣/٢ - ٤٣٤.

قوله تعالى: ﴿فَصِيبٌ بِرَحْمَتِنَا مَن شَاءَ﴾ أي: بإحساننا، والرحمة النعمة والإحسان^(١). ﴿وَلَا تُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: ثوابهم. وقال ابن عباس ووهب: يعني الصابرين^(٢)؛ لصبره في الجُبِّ، وفي الرِّقِّ، وفي السِّجْنِ، وصبره عن محارم الله عمّا دعت إليه المرأة.

وقال الماوردي^(٣): واختلف فيما أوتيّه يوسف من هذه الحال على قولين: أحدهما: أنه ثوابٌ من الله تعالى على ما ابتلاه. الثاني: أنه أنعم^(٤) عليه بذلك تفضلاً منه عليه، وثوابه باقي على حاله في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ﴾ أي: ما نُعطيه في الآخرة خيرٌ وأكثرُ مما أعطيناه في الدنيا، لأن أجر الآخرة دائمٌ، وأجر الدنيا ينقطع^(٥)، وظاهر الآية العموم في كل مؤمن متّقٍ، وأنشدوا:

أما في رسولِ اللهِ يوسفَ أسوةً لمثلكَ محبوساً على الظلم والإفك
أقامَ جميلَ الصّبرِ في الحبسِ بُرْهَةً فآلَ به الصّبرُ الجميلُ إلى المُلْكِ^(٦)
وكتب بعضهم إلى صديقٍ له:

وراءَ مَضِيقِ الخوفِ مُتَّسِعُ الأَمْنِ وأولَ مَفْرُوحٍ به آخرُ الحَزَنِ
فلا تياسُنْ^(٧) فاللهُ مَلِكُ يوسفَا خزائنه بعد الخلاصِ من السِّجَنِ^(٨)
وأنشد بعضهم:

(١) الرحمة صفة من صفات الله عز وجل ثابتة له، وأما إحسانه ونعمته فهي صفة أخرى له سبحانه وتعالى.

(٢) تفسير البغوي ٤٣٣/٢.

(٣) في النكت والعيون ٥٣/٣.

(٤) في (م): أنعم الله.

(٥) النكت والعيون ٥٣/٣.

(٦) البيتان للبحري، وهما في ديوانه ١٥٦٤/٣، وفيه: السجن، بدل الحبس.

(٧) في (د): فلا تبتس.

(٨) البيتان في عرائس المجالس ص ١٣٠ دون نسبة، ونسبهما الصفدي في الوافي بالوفيات ٤٧/١٥ لزيد ابن محمد بن زيد العلوي.

إِذَا الْحَادِثَاتُ بَلَغْنَ النُّهَى وَكَادَتْ تَذُوبُ لَهُنَّ الْمُهَجُ
وَحُلَّ الْبَلَاءُ وَقَلَّ الْعَزَاءُ فعند التَّنَاهِي يكونُ الْفَرَجُ^(١)
والشعر في هذا المعنى كثيرٌ.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ أي: جاؤوا إلى مصر لما أصابهم القحط ليمتاروا. وهذا من اختصار القرآن المعجز^(٢).

قال ابن عباس وغيره: لما أصاب الناس القحط والشدة، ونزل ذلك بأرض كنعان بعث يعقوب عليه السلام ولده للميرة، وذاع أمر يوسف عليه السلام في الآفاق، ليلينه وقربه ورحمته ورأفته وعدله وسيرته^(٣)، وكان يوسف عليه السلام حين نزلت الشدة بالناس يجلس للناس عند البيع بنفسه، فيعطيه من الطعام على عدد رؤوسهم، لكل رأس وسقاً.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ يوسف ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ لأنهم خلّفوه صبيّاً، ولم يتوهّموا أنه بعد العبودية يبلغ إلى تلك الحال من المملكة^(٤)، مع طول المدة، وهي أربعون سنة. وقيل: أنكروهم لأنهم اعتقدوا أنه ملك كافر: وقيل: رأوه لابس حرير، وفي عنقه طوق ذهب، وعلى رأسه تاج، وقد تزينا بزّي فرعون مصر، ويوسف رآهم على ما كان عهدهم في الملبس والحلية. ويحتمل أنهم رأوه وراء ستر فلم يعرفوه^(٥). وقيل: أنكروهم لأمر خارق امتحاناً امتحن الله به يعقوب.

(١) ذكرهما أبو علي التنوخي في الفرج بعد الشدة ٢٣/٥ دون نسبة، وابن عبد البر في بهجة المجالس ١٨٠/١ ونسبهما لمتصور الفقيه، وعندهما: المدى، بدل: النهى، وعند التنوخي: وجّل، بدل: وحلّ، وعند ابن عبد البر: الوفاء، بدل: العزاء.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٣٣.

(٣) زاد المسير ٤/٢٤٦.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٣٣ - ٣٣٤.

(٥) الأقوال السالفة في عرائس المجالس ص ١٣١، وتفسير البغوي ٢/٤٣٤، وتفسير الرازي ١٨/١٦٦.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْجٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْآلَا تَرَوْنَ أَتِي أَوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا نَقْرَبُوهٗ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرْزِقُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ يقال: جَهَّزْتُ الْقَوْمَ تَجْهِيْزًا، أي: تكلَّفت لهم بِجَهَازِهِم للسفر، وَجَهَازُ الْعُرُوسِ ما يُحْتَاجُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْإِهْدَاءِ إِلَى الزَّوْجِ، وَجَوْزُ بَعْضِ الْكُوفِيِّينَ الْجِهَازُ بِكَسْرِ الْجِيمِ^(١)، وَالْجِهَازُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الطَّعَامُ الَّذِي امْتَارُوهُ مِنْ عِنْدِهِ^(٢). قَالَ السُّدِّيُّ: وَكَانَ مَعَ أَخُوهُ يُوسُفَ أَحَدَ عَشَرَ بَعِيرًا، وَهُمْ عَشْرَةٌ، فَقَالُوا لِيُوسُفَ: إِنَّ لَنَا أَخًا تَخَلَّفَ عَنَّا، وَبَعِيرُهُ مَعَنَا، فَسَأَلَهُمْ: لِمَ تَخَلَّفَ؟ فَقَالُوا: لِحُبِّ أَبِيهِ إِيَّاهُ، وَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ أَخٌ أَكْبَرُ مِنْهُ، فَخَرَجَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ فَهَلَكَ؛ فَقَالَ لَهُمْ: أَرَدْتُ أَنْ أَرَى أَخَاكُمْ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُمْ، لِأَعْلَمَ وَجْهَ مُحِبِّهِ أَبِيكُمْ إِيَّاهُ، وَأَعْلَمَ صَدَقَكُمْ، وَيُرَوِّى أَنَّهُمْ تَرَكَوا عِنْدَهُ شَمْعُونَ رَهِيْنَةً، حَتَّى يَأْتُوا بِأَخِيهِ بَنِيَامِينَ^(٣).

وقال ابن عباس: قَالَ يُوسُفَ لِلتُّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُمْ: لَعَنْتُكُمْ مُخَالَفَةً لِلغَيْتِنَا، وَزِيْكُمْ مُخَالَفَةً لِرِئَيْنَا، فَلَعَلَّكُمْ جَوَاسِيْسُ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ، مَا نَحْنُ بِجَوَاسِيْسٍ، بَلْ نَحْنُ بَنُو أَبٍ وَاحِدٍ، فَهُوَ شَيْخٌ صَدِيقٌ. قَالَ: فَكَمْ عِدَّتْكُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا اثْنِي عَشَرَ، فَذَهَبَ أَخٌ لَنَا إِلَى الْبَرِّيَّةِ، فَهَلَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَيْنَ الْآخَرُ؟ قَالُوا: عِنْدَ أَيْبِنَا. قَالَ: فَمَنْ يَعْلَمُ صَدَقَكُمْ؟ قَالُوا: لَا يَعْرِفُنَا هَاهُنَا أَحَدٌ، وَقَدْ عَرَفْنَاكَ أَنْسَابَنَا، فَبِأَيِّ شَيْءٍ تَسْكُنُ نَفْسُكَ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ يُوسُفَ: ﴿أَتُنُونِي بِأَنْجٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ﴾ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَأَنَا أَرْضَى بِذَلِكَ ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَتِي أَوْفِي الْكَيْلَ﴾ أَي: أَتَمُّهُ وَلَا أَبْخَسُهُ، وَأَزِيدُكُمْ حِمْلَ بَعِيرٍ لِأَخِيكُمْ ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ تَوَعَّدَهُمْ أَلَّا يَبِيعَهُمُ الطَّعَامَ إِنْ لَمْ يَأْتُوا بِهِ^(٤).

(١) تهذيب اللغة ٦/٣٥ - ٣٦.

(٢) المحرر الوجيز ٣/٢٥٨.

(٣) أخرجه الطبري ١٣/٢٢٣ - ٢٢٤ بنحوه.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٢/٤٣٤ - ٤٣٥، وزاد المسير ٤/٢٤٦ - ٢٤٧.

قوله تعالى: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيلِ﴾ يَحْتَمِلُ وجهين: أحدهما: أنه رَخَّصَ لهم في السعر، فصار زيادةً في الكيل.

والثاني: أنه كَالَ لهم بمكيالٍ وافٍ.

﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: يعني^(١) خير المضيفين؛ لأنه أحسن ضيافتهم، قاله مجاهد. الثاني: وهو مُحْتَمِلٌ، أي: خير مَنْ نَزَلَتْ عليه من المأمونين. وهو على التأويل الأول مأخوذاً من النُّزُل، وهو الطعام، وعلى الثاني من المنزل، وهو الدار^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ أي: فلا أبيعكم شيئاً فيما بعد؛ لأنه قد وفَّاهم كيلهم في هذه الحال. ﴿وَلَا تَقْرُبُونِ﴾ أي: لا أنزلكم عندي منزلةً القريب، ولم يُرْذَ أن^(٣) يبعدوا منه ولا يعودوا إليه؛ لأنه على العود حَثُّهم.

قال السُّدِّيُّ: وطلب منهم رهينةً حتى يرجعوا، فارتهن شمعون عنده. قال الكلبي: إنما اختار شمعون منهم؛ لأنه كان يومَ الجُبِّ أجملهم قولاً، وأحسنهم رأياً^(٤).

و«تَقْرُبُونِ» في موضع جزمٍ بالنهي، فلذلك حُذِفَتْ منه النون، وحُذِفَتْ الياء؛ لأنه رأسُ آيةٍ، ولو كان خبيراً لكان «تقربون» بفتح النون^(٥).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَتَرُوهُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ أي: سنطلبه منه، ونسأله أن يرسله معنا. ﴿وَلِنَّا لَفَعْلُونُ﴾ أي: لَصَامُونِ المَجِيء به^(٦)، ومُحْتَالُونِ في ذلك.

(١) في (م): أنه.

(٢) النكت والعيون ٥٤/٣، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٢٥/١٣.

(٣) في (د) و(ز) و(م): أنهم، وفي (ظ): أنه، وثمة سقط في هذا الموضع في (ف)، والمثبت من النكت والعيون ٥٥/٣، والكلام منه.

(٤) النكت والعيون ٥٥/٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٤/٢.

(٦) الوسيط ٦٢٠/٢.

مسألة: إن قيل: كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه؟ قيل له: عن هذا أربعة أجوبة:

أحدها: يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاءً ليعقوب؛ ليعظم له الثواب، فاتبع أمره فيه.

الثاني: يجوز أن يكون أراد بذلك أن يُنبّه يعقوب على حال يوسف عليهما السلام.

الثالث: لتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه.

الرابع: ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته، لميل كان منه إليه. والأول أظهر^(١)، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا يَمَنِّكُمْ فِي رِحَالِكُمْ لَعَلَّكُمْ يَعرِفُونَهَا إِذَا أَنتَقَلَبُوا إِلَيْنَا أَهْلُهُمْ لَعَلَّكُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتَاتِهِ﴾ هذه قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم^(٢)، وهو اختيار أبي حاتم والنحاس وغيرهما، وقرأ سائر الكوفيين: «لِفَتَاتِهِ» وهو اختيار أبي عبيد، وقال: هو في مصحف عبد الله كذلك^(٣).

قال الثعلبي: وهما لغتان جيدتان، مثل الصبيان والصبية^(٤). قال النحاس^(٥): «لِفَتَاتِهِ» مخالف للسواد الأعظم؛ لأنه في السواد لا ألف فيه ولا نون، ولا يُترك السواد المُجمّع عليه لهذا الإسناد المنقطع؛ وأيضاً فإن «فتية» أشبه من فتیان؛ لأن

(١) النكت والعيون ٥٥/٣، وزاد المسير ٢٤٨/٤ - ٢٤٩.

(٢) ووافقه ابن كثير المكي وابن عامر الشامي، وقراءة عاصم في رواية أبي بكر. السبعة ص ٣٤٩، والتيسير ص ١٢٩.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٤/٢ دون قوله: وهو اختيار أبي حاتم.

(٤) وهو قول البغوي في تفسيره ٤٣٥/٢.

(٥) في إعراب القرآن ٣٣٤/٢.

«فتية» عند العرب لأقل العدد، والقليل بأن يجعلوا البضاعة في الرحال أشبه.
وكان هؤلاء الفتية يُسوون جَهازهم، ولهذا أمكنهم جعل بضاعتهم في رحالهم.
ويجوز أن يكونوا أحراراً، وكانوا أعواناً له.

وبضاعتهم أثماناً ما اشترَوْه من الطعام. وقيل: كانت دراهم ودنانير. وقال ابن عباس: النُّعال والأدم ومتاعُ المسافر^(١)، ويسمى رَحْلاً. قال ابن الأنباري^(٢): يقال للوعاء: رَحْل، وللبيت: رَحْل.

وقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْفِقُونَ﴾ لجواز ألا تسلم في الطريق. وقيل: إنما فعل ذلك ليرجعوا إذا وجدوا ذلك؛ لعلمه أنهم لا يقبلون الطعام إلا بثمنه. قيل: ليستعينوا بذلك على الرجوع لشراء الطعام. وقيل: استقبح أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن الطعام. وقيل: ليرَوْا فضله، ويرغبوا في الرجوع إليه^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا مِّنْ مِّنَّا الْكِتْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَحْمَلْ وَنَحْمِلْهُمَا وَلَئِنَّا لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَالْتَهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَزْهَمُ الرَّجِيعِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا مِّنْ مِّنَّا الْكِتْلُ﴾ لأنه قال لهم: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُم عِنْدِي﴾^(٤) وأخبروه بما كان من أمرهم وإكرامهم^(٥)، وأن شمعون مُرتَهَنٌ حتى يعلم صدق قولهم. ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَحْمَلْ﴾ أي: قالوا

(١) الوسيط للواحد ٦٢٠/٢، وتفسير البغوي ٤٣٥/٢.

(٢) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٨١/١٣.

(٣) الكلام ينحوه في النكت والعيون ٥٦/٣، والمحور الوجيز ٢٥٩/٣، وزاد المسير ٢٤٩/٤ - ٢٥٠.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٤/٢.

(٥) بعدما في (د) و(ز) و(م): إياه.

عند ذلك: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلْ﴾ والأصل: نكتال، فحذفت الضمة من اللام للجزم، وحذفت الألف لالتقاء الساكنين.

وقراءة أهل الحرمين وأبي عمرو وعاصم: «نَكْتَلُ» بالنون^(١)، وقرأ سائر الكوفيين: «يَكْتَلُ» بالياء، والأول اختيار أبي عبيد، ليكونوا كلهم داخلين فيمن يكتال. وزعم أنه إذا كان بالياء كان للأخ وحده. قال النحاس^(٢): وهذا لا يلزم؛ لأنه لا يخلو الكلام من أحد جهتين: أن يكون المعنى: فأرسل أخانا يكتل معنا؛ فيكون للجميع، أو يكون التقدير على غير التقديم والتأخير، فيكون في الكلام دليل على الجميع، لقوله: ﴿إِن لَّر تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمَّ عِنْدِي﴾. ﴿وَأِنَّا لَمُ لَحَافِظُونَ﴾ من أن يناله سوء.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قد فرطتم في يوسف فكيف آمنكم على أخيه؟!.

﴿قَالَ لَهُ خَيْرٌ حِفْظًا﴾ نصب على البيان، وهذه قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم^(٣). وقرأ سائر الكوفيين: «حَافِظًا» على الحال. وقال الزجاج: على البيان^(٤)؛ وفي هذا دليل على أنه أجابهم إلى إرساله معهم، ومعنى الآية: حفظ الله له خير من حفظكم إيَّاه.

قال كعب الأحبار: لما قال يعقوب: «قَالَ لَهُ خَيْرٌ حَافِظًا» قال الله تعالى: وعزتي وجلالي لأرذنَّ عليك ابنيك كليهما بعدما توكلت علي^(٥).

(١) وافقهم ابن عامر الشامي. السبعة ص ٣٤٩ - ٣٥٠، والتيسير ص ١٢٩.

(٢) في إعراب القرآن ٢/ ٣٣٤ - ٣٣٥، وما قبله منه.

(٣) ووافقهم ابن كثير المكي وابن عامر الشامي، وقراءة عاصم في رواية أبي بكر. السبعة ص ٣٥٠، والتيسير ص ١٢٩.

(٤) في معاني القرآن للزجاج ١١٨/٣، وقد ذكر الزجاج أن «حافظًا» منصوب على الحال، ثم قال: ويجوز أن يكون منصوباً على البيان. وقد نقل المصنف قول الزجاج بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٣٣٥.

(٥) الوسيط للواحد ٢/ ٦٢١، وتفسير البغوي ٢/ ٤٣٧.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ﴾ الآية ليس فيها معنى يُشكَل. ﴿مَا نَبَغِي﴾ «ما استفهام في موضع نصب، والمعنى: أي شيء نطلب وراء هذا؟! وفي لنا الكيل. ورد علينا الثمن؛ أرادوا بذلك أن يُطيّبوا نفس أبيهم.

وقيل: هي نافية، أي: لا نَبغي منك دراهم ولا بضاعة، بل تكفينا بضاعتنا هذه التي رُدَّت إلينا^(١).

وروي عن علقمة: «رِدَّتْ إِلَيْنَا» بكسر الراء؛ لأن الأصل رُدِدَتْ، فلما أَدغم قلبت حركة الدال على الراء^(٢). وقوله: ﴿وَنَبِيْرُ أَهْلِنَا﴾ أي: نَجْلِبُ لهم الطعام، قال الشاعر:

بَعَثْتُكَ مَائِراً فَمَكَنْتَ حَوْلَا مَتَى يَأْتِي غِيَاثُكَ مَن تُغِيْثُ^(٣)
وقرأ السلمي بضم النون^(٤)، أي: نُعينهم على الميرة. ﴿وَنَزْدَاؤُ كَيْلَ بَعِيْرٍ ذَاكَ كَيْلُ سَيْرٍ﴾، أي: جِئنا بغير لبنيامين.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾
فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿تُؤْتُونِ﴾ أي: تُعطيني ﴿مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عهداً يوثق

(١) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٤٣٦/٢، والمححر الوجيز ٢٦٠/٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٥/٢، وقراءة علقمة في المحتسب ٣٤٥/١.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٢٣٣/١٣، والماوردي في النكت والعيون ٥٨/٣، وابن عطية في المححر الوجيز ٢٦٠/٣ دون نسبة. وذكره العسكري في جمهرة الأمثال ٢٥٠/١، والزمخشري في المستقصى في أمثال العرب ٢٣/١ ونسبها لعائشة بنت سعد بن أبي وقاص، وعندهما: بعثتك قابساً.. وهو الصواب فيما ذكره ابن منظور في اللسان (غوث).

(٤) المححر الوجيز ٢٦٠/٣.

به^(١)؛ قال السُّدِّيّ: حَلَفُوا بِاللّهِ لِيَرُدُّنَّهُ إِلَيْهِ وَلَا يُسْلِمُونَهُ^(٢)، واللامُ في ﴿لَتَأْتِيَ﴾ لامُ القسم^(٣).

﴿إِلَّا أَنْ يَخَاطَ بِكُمْ﴾ قال مجاهد: إِلَّا أَنْ تَهْلِكُوا أَوْ تَمُوتُوا. وقال قتادة: إِلَّا أَنْ تُغْلَبُوا عَلَيْهِ^(٤). قال الزجاج: وهو في موضع نصب^(٥). ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتُهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ أي: حافظٌ للحليف. وقيل: حفيظٌ للعهد، قائمٌ بالتدبير والعدل.

الثانية: هذه الآية أصلٌ في جواز الحَمَالَةِ^(٦) بالعين والوثيقة بالنفس، وقد اختلف العلماء في ذلك؛ فقال مالكٌ وجميعُ أصحابه وأكثرُ العلماء: هي جائزة إذا كان المتحمّل به مالاً. وقد ضَعَّفَ الشافعيُّ الحَمَالَةَ بالوجه في المال، وله قولٌ كقول مالك^(٧). وقال عثمان البَتيّ: إذا تكفّل بنفسٍ في قصاصٍ أو جراحٍ؛ فإنه إن لم يَجِبْ به لزمه الديةُ وأزُشُّ الجراح، وكانت له في مال الجاني، إذ لا قصاصَ على الكفيل^(٨)، فهذه ثلاثة أقوال في الحَمَالَةِ بالوجه. والصوابُ تَفْرِقَةُ مالِكٍ في ذلك، وأنها تكون في المال، ولا تكون في حدٍّ أو تعزير، على ما يأتي بيانه^(٩).

(١) تفسير الطبري ١٣/٢٣٥، وزاد المسير ٤/٢٥٣.

(٢) ذكره الماوردي في التكت والعيون ٣/٥٨ بلفظ: حَلَفَهُم بِاللّهِ.

(٣) يعني: اللام الواقعة في جواب القسم، قال السمين في الدر المصون ٦/٥٢١: هذا جواب للقسم المضمّر في قوله: «موتقاً»؛ لأنه في معنى: حتى تحلفوا لي لتأتيني به.

(٤) قولاً مجاهد وقاتدة أخرجهما الطبري ١٣/٢٣٥ و ٢٣٦، وقول مجاهد في تفسيره ١/٣١٧.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/١١٩، وقال الزجاج: والمعنى: لتأتيني به إلا لإحاطة بكم، وهذا يسمى مفعولاً له. وينظر الدر المصون ٦/٥٢١.

(٦) الحَمَالَةُ: الكَفَالَةُ. الزاهر للأزهري ص ٣٣٠، وقال ابن عبد البر في الاستذكار ٢٢/٢٧٥: الكَفَالَةُ والحَمَالَةُ: هما لفظتان معناهما الضمان. وقال الجوهري في الصحاح (حمل): الحَمَالَةُ: ما تتحمّله عن القوم من الدية أو الغرامة.

(٧) الإشراف ١/١٢٥، وقال الأزهري في الزاهر ص ٣٣١: وأراد الشافعي رحمه الله بكفالة الوجه: الكفالة بالبدن. وقال الكاساني في بدائع الصنائع ٧/٣٩٩: إذا أضاف الكفالة إلى جزء جامع كالرأس والوجه والرقبة ونحوها، جازت؛ لأن هذه الأشياء يعبر بها عن جملة البدن.

(٨) الاستذكار ٢٢/٢٧٧.

(٩) ص ٤٠٩-٤١١ من هذا الجزء، وينظر الإشراف ١/١٢٤-١٢٥.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَبْنَئِ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَمْتُمْ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٧﴾﴾

فيه سبع مسائل:

الأولى: لما عزموا على الخروج خَشِيَ عليهم العين، فأمرهم ألا يدخلوا مصرَ من بابٍ واحد، وكانت مصرُ لها أربعة أبواب، وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحدَ عَشَرَ رجلاً لرجلٍ^(١) واحد، وكانوا أهلَ جَمَالٍ وكمالٍ وبَسْطَةٍ؛ قاله ابن عباس والضَّحَّاك وقتادة وغيرهم^(٢).

الثانية: وإذا كان هذا معنى الآية؛ فيكون فيها دليلٌ على التحرُّز من العين، والعينُ حقٌّ، وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ لَتُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَالْجَمَلَ الْقَدْرَ»^(٣). وفي تعوذه عليه الصلاة والسلام: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»^(٤) ما يدلُّ على ذلك.

وروى مالك، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حُنَيْف، أنه سمع أباہ يقول: اغتسل أبي سهلُ بنُ حُنَيْفٍ بالخرَّار، فنزع جُبَّةً كانت عليه، وعامر بنُ ربيعة ينظر، قال: وكان سهلٌ رجلاً أبيضَ حَسَنَ الجِلْدِ، قال: فقال له عامر بن ربيعة: ما رأيت كالיום، ولا جلدَ عذراء! فَوَعَكَ سَهْلٌ مَكَانَهُ واشتدَّ وَغْكُهُ، فَأَتَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

(١) في (ظ): كرجل.

(٢) أخرجه قولهم الطبري ٢٣٧/١٣ - ٢٣٨.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩٠/٧، والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٥٧)، والخطيب في تاريخ بغداد ٢٤٤/٩ من حديث جابر ر.

(٤) أخرجه أحمد (٢١١٢)، والبخاري (٣٣٧١) من حديث ابن عباس ر، ولفظه عند البخاري: كان رسول الله ﷺ يعمُودُ الحسن والحسين ويقول: «إِنْ أَبَاكُمَا كَانَ يعمُودُ بِهَا إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ»: أعوذ بكلمات الله...، وقوله: «وهامة» هي واحدة الهوام ذوات السموم، وقيل: المراد كل نسمة تهتم بسوء. الفتح ٤١٠/٦. وقوله: «لامّة» أي: ذات لمم، واللمم طرف من الجنون يلم بالإنسان. النهاية (لمم).

فأخبر أن سهلاً وُعِكَ، وأنه غيرُ رائجٍ معك يا رسول الله، فأتاه رسول الله ﷺ، فأخبره سهلاً بالذي كان من شأن عامر، فقال رسول الله ﷺ: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ أَلَا بَرَّكَتٌ؟! إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، تَوَضَّأَ لَهُ». فتوضَّأَ له عامر، فراح سهلاً مع رسول الله ﷺ ليس به بأس^(١). في رواية: «اغْتَسِلَ لَهُ»، فغَسَلَ عامر^(٢) وجهه ويديه ومِرْقَئَيْهِ وركبتيه وأطرافَ رجلَيْهِ وداخِلَ إزارِهِ في قدح، ثم صَبَّ عليه، فراح سهلاً مع الناس^(٣) ليس به بأس^(٤).

وركب سعد بن أبي وقَّاص يوماً، فنظرت إليه امرأةٌ فقالت: إِنَّ أَمِيرَكُمْ هَذَا لَيَعْلَمُ أَنَّهُ أَهْضَمُ الْكَشْحَيْنِ، فرجع إلى منزله فسقط، فبلغه ما قالت المرأة، فأرسل إليها فَعَسَلَتْ لَهُ^(٥).

ففي هذين الحديثين أَنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، وَأَنَّهَا تَقْتُلُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ^(٦). وهذا قول علماء الأئمة، ومذهب أهل السنة، وقد أنكرته طوائف من المبتدعة، وهم محجوجون بالسنة وإجماع علماء هذه الأمة، وبما يشاهد من ذلك في الوجود، فكم من رجل أدخلته العينُ القبرَ، وكم من جَمَلٍ ظَهَرَ أَدخلته القَدْرُ، لَكِنَّ ذَلِكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]^(٧).

قال الأصمعي: رأيت رجلاً عَيُوناً سمع بقرّة تُحَلَب، فأعجبه شُخْبُهَا فقال: أَيُّتَهُنَّ هَذِهِ؟ فقالوا: الْفَلَانِيَّةُ، لبقرّة أخرى يُورُونَ عنها، فَهَلَكْنَا جَمِيعاً، الْمُورَى بِهَا

(١) الموطأ ٩٣٨/٢، وأخرجه أيضاً ابن ماجه (٣٥٠٩)، والنسائي في الكبرى (٧٥٧٠). والخرار: ماء بالمدينة. معجم البلدان ٣٥٠/٢.

(٢) في (م): اغتسل فغسل له عامر، والمثبت من النسخ الخطية والمصادر.

(٣) في (م): فراح سهلاً مع رسول الله ﷺ، والمثبت من النسخ الخطية والمصادر.

(٤) الموطأ ٩٣٩/٢، وهو عند أحمد (١٥٩٨٠)، والنسائي في الكبرى (٧٥٧٢).

(٥) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ١١٣/٢، وذكره ابن عبد البر في التمهيد ٢٤١/٦. وأهضم الكشحين، أي: دقيق الخصرين. النهاية (كشع).

(٦) التمهيد ٢٣٧/٦.

(٧) المفهم ٥٦٥/٥.

والمورى عنها. قال الأصمعي: وسمعتة يقول: إذا رأيت الشيء يُعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني^(١).

الثالثة: واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يُبرِّك؛ فإنه إذا دعا بالبركة صُرف المحذور لا محالة، ألا ترى قوله عليه الصلاة والسلام لعامر: «ألا برّكت؟!». فدلّ على أن العين لا تُضُر ولا تعدو إذا برّك العائن، وأنها إنما تعدو إذا لم يُبرِّك. والتبريك أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين! اللهم بارك فيه^(٢).

الرابعة: العائن إذا أصاب بعينه ولم يُبرِّك فإنه يؤمر بالاغتسال، ويُجبر على ذلك إن أباه؛ لأن الأمر على الوجوب، لا سيما هذا؛ فإنه قد يُخاف على المعين الهلاك، ولا ينبغي لأحد أن يمنع أخاه ما ينتفع به أخوه ولا يضره هو، ولا سيما إذا كان بسببه، وكان الجاني عليه^(٣).

الخامسة: من عُرف بالإصابة بالعين مُنع من مداخلة الناس دفعاً لضربه، وقد قال بعض العلماء: يأمره الإمام بلزوم بيته، وإن كان فقيراً رزقه ما يقوم به، ويكفّ أذاه عن الناس^(٤). وقد قيل: إنه يُنفى. وحديث مالك الذي ذكرناه يرّد هذه الأقوال، فإنه عليه الصلاة والسلام لم يأمر في عامر بحبس ولا بنفي، بل قد يكون الرجل الصالح عائنًا، وأنه لا يُقدح فيه ولا يُفسق به^(٥)، ومن قال: يُحبس ويُؤمر بلزوم بيته. فذلك احتياط ودفع ضرر، والله أعلم.

السادسة: روى مالك عن حميد بن قيس المكي أنه قال: دُخل على رسول الله ﷺ بابني جعفر بن أبي طالب، فقال لحاضنتيهما: «ما لي أراهما ضارعتين؟» فقالت حاضنتهما: يا رسول الله! إنه تُسرّع إليهما العين، ولم يمنعا أن نُسرق لهما إلا أنا

(١) التمهيد ٧٠/١٣، والشخب: صوت اللين عند الحلب. معجم متن اللغة (شخب).

(٢) التمهيد ٦/٢٤٠ - ٢٤١.

(٣) التمهيد ٦/٢٤١.

(٤) المفهم ٥/٥٦٨.

(٥) ينظر التمهيد ١٣/٦٩.

لا ندري ما يُوافقك من ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «اسْتَرْقُوا لهما، فإنه لو سَبَقَ شيءُ القَدَرِ سَبَقَتْهُ العين»^(١). وهذا الحديث منقطعٌ، ولكنه محفوظٌ لأسماء بنتِ عُميس الخثعمية عن النبي ﷺ من وجوه ثابتة متصلةٌ صحاح^(٢)، وفيه أنَّ الرُقَى مما يُستدفع به البلاء، وأنَّ العين تؤثر في الإنسان وتضرعه - أي: تُضعفه وتُنجله - وذلك بقضاء الله تعالى وقدره^(٣). ويقال: إنَّ العين أسرعُ إلى الصغار منها إلى الكبار، والله أعلم.

السابعة: أمر ﷺ في حديث أبي أمامة العائني بالاغتسال للمعين، وأمرهنا بالاسترقاء؛ قال علماؤنا: إنما يُسترقى من العين إذا لم يُعرف العائني، وأمّا إذا عُرف الذي أصابه بعينه فإنه يؤمر بالوضوء، على حديث أبي أمامة^(٤)، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: من شيءٍ أخذته عليكم^(٥)، أي: لا ينفع الحذر مع القدر. ﴿إِنَّ الْحَكْمَ﴾ أي: الأمر والقضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدتُ ووثقتُ ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ آبَاؤُهُمْ مَّا كَانَتْ يُغْنِي عَنْهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِمَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا آلُيَرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ آبَاؤُهُمْ﴾ أي: من أبواب شتى ﴿مَّا

(١) الموطأ ٩٣٩/٢ - ٩٤٠. قوله: «ضارعين»، أي: ضعيفين ضئيلين تاجلين. وحاضنتهما قد تكون أمهما أسماء بنت عُميس، وجائز أن تكون حاضنتهما غيرها. ينظر التمهيد ٢٦٦/٢ - ٢٦٧، والاستذكار ١٥/٢٧.

(٢) التمهيد ٢٦٦/٢، وأخرجه من حديث أسماء بنت عُميس أحمد (٢٧٤٧٠)، والترمذي (٢٠٥٩)، وابن ماجه (٣٥١٠). وأخرجه أحمد (١٤٥٧٣)، ومسلم (٢١٩٨) من حديث جابر.

(٣) التمهيد ٢٦٩/٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) النكت و العيون ٥٩/٣، وقال الماوردي: فأشار عليهم في الأول، وفوض إلى الله في الآخر.

كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴿١﴾ إِنْ أَرَادَ إِيقَاعَ مَكْرِهِ بِهِمْ ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ استثناءً ليس من الأول^(١) ﴿فِي نَفْسٍ يَعْقُوبُ قَضَاهُ﴾ أي: خاطر خطر بقلبه، وهو وصيته أن يتفرقوا، قال مجاهد: خشية العين^(٢)، وقد تقدّم القول فيه.

وقيل: لئلا يرى الملك عددهم وقوتهم، فيبطش بهم حسداً أو حذراً؛ قاله بعض المتأخرين^(٣)، واختاره النحاس^(٤)، وقال: ولا معنى للعين هاهنا.

ودلت هذه الآية على أن المسلم يجب عليه أن يحذر أخاه ممّا يخاف عليه، ويرشده إلى ما فيه طريق السلامة والنجاة، فإنّ الدين النصيحة، والمسلم أخو المسلم. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ﴾ يعني يعقوب ﴿لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ أي: بأمر دينه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون ما يعلم يعقوب عليه السلام من أمر دينه. وقيل: ﴿لَذُو عِلْمٍ﴾ أي: عمل^(٥)، فإنّ العلم أوّل أسباب العمل، فسُمّي بما هو بسببه.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَخِي﴾ قال قتادة: ضمّه إليه، وأنزله معه^(٦). وقيل: أمر أن ينزل كلّ اثنين في منزل، فبقي أخوه منفرداً، فضمّه إليه وقال: أشفقت عليه من الوحدة، وقال له سراً من إخوته: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: لا تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٧).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِي﴾ لمّا عرف بنيامين أنه يوسف قال له: لا تردّني إليهم. فقال: قد علمت اغتنام يعقوب بي، فيزداد غمّه!

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٦/٢.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣٩/١٣، وهو تفسير مجاهد ٣١٨/١.

(٣) النكت والعيون ٥٩/٣.

(٤) في إعراب القرآن ٣٣٦/٢.

(٥) أخرج هذا القول الطبري ٢٤٠/١٣ - ٢٤١ عن قتادة وسفيان.

(٦) النكت والعيون ٦٠/٣، وأخرجه الطبري ٢٤٢/١٣.

(٧) أخرجه الطبري ٢٤١/١٣ - ٢٤٢ عن السدي وابن إسحاق مطولاً.

فأبى بنيامين الخروج، فقال يوسف: لا يمكن حبسك إلا بعد أن أنسبك إلى ما لا يَجْمُلُ بك. فقال: لا أبالي! ^(١) فدسّ الصاع في رَحْلِهِ؛ إِمَّا بنفسه من حيث لم يَطْلُع عليه أحد، أو أمر بعض خواصّه بذلك. والتَّجْهِيْزُ: التسريح ^(٢) وتنجيْزُ الأمر، ومنه: جَهَّزَ على الجريح، أي: قتله ^(٣) ونجز أمره. والسَّقَايَةُ والصُّوَاغُ شيءٌ واحد: إِنْاءٌ له رأسان في وسطه مَقْبِضٌ، كان الملك يشرب منه من الرأس الواحد، ويُكَالُ الطعامُ بالرأس الآخر؛ قاله النقاش عن ابن عباس ^(٤)، وكلُّ شيء يُشْرَبُ به فهو صُواع ^(٥)، وأنشد:

نَشْرَبُ الخمرَ بالصُّوَاغِ جِهَارًا ^(٦)

واختلف في جنسه؛ فروى شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: صُواع ^(٧) الملك: شيءٌ من فضة يشبه المَكْوَك، من [ذهبٍ و] فضة مرصعٌ بالجوهر، يُجعل على الرأس، وكان للعباس واحدٌ في الجاهلية ^(٨). وسأله نافع بن الأزرق: ما الصُّوَاغُ؟ قال: الإِنْاء؛ قال فيه الأعشى:

لَه دَرَمَكُ فِي رَأْسِهِ وَمَشَارِبُ وَقِدْرٌ وَطَبَّاخٌ وَصَاغٌ وَدَيْسَقُ ^(٩)

(١) تفسير البغوي ٤٣٨/٢، وعرائس المجالس ص ١٣٤ عن كعب.

(٢) في (ظ): التسرع.

(٣) وأجهز كذلك. مجمل اللغة ٢٠١/١، واللسان (جهز).

(٤) ينظر تفسير الطبري ٢٤٥/١٣ - ٢٤٦، والمححر الوجيز ٢٦٣/٣ - ٢٦٤.

(٥) ذكره الماوردي في التكت والعيون ٦١/٣ عن ابن عباس. ووقع في (ظ): وكل إِنْاء يشرب به...

(٦) سلف ٢١١/٩ برواية: نشرب الإثم.

(٧) قبلها في (د) و(م): كان.

(٨) معاني القرآن للنحاس ٤٤٤/٣، وما سلف بين حاصرتين منه، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٤٩/١٣ - ٢٥١.

(٩) أخرجه ابن الأنباري في الوقف والابتداء ٨٦/١ مطولاً، وهو في ديوان الأعشى ص ٢٦٧ مجموع بيتين في وصف حصن بناه - على قول الشاعر - سليمان عليه السلام، قال شارح الديوان: المعنى: في أعلاه غرف الشراب فرشت بالطنافس، وخدم وطباخ وأقداح وخوان. اهـ والديسق: خِوان من فضة. اللسان (دسق).

وقال عكرمة: كان من فضة. وقال عبد الرحمن بن زيد: كان من ذهب، وبه كَالُ طعامهم مبالغة في إكرامهم^(١). وقيل: إنما كان يُكَال به لعزّة الطعام^(٢).

والصاع يُذَكَّر ويؤنث، فَمَنْ أَنَّثه قال: أَضْوَع، مثل أَذْوَر، وَمَنْ ذَكَّره قال: أَضْوَاع، مثل أثواب^(٣).

وقال مجاهد وأبو صالح: الصاعُ: الطَّرْجَهَالَة بلغة حِمير^(٤).

وفيه قراءات: «صَوَاع» قراءة العامة، و«صُوع» بالغين المعجمة، وهي قراءة يحيى ابن يعمر^(٥)؛ قال: وكان إِنْاءً صِينَع^(٦) من ذهب. «وَصَوَع» بالعين غير المعجمة قراءة أبي رجاء^(٧). «وَصُوع» بصادٍ مضمومة وواوٍ ساكنة وعينٍ غيرٍ معجمة قراءة أبي^(٨). «وصِيَاع» بياء بين الصاد والألف، قراءة سعيد بن جبير^(٩). «وصاع» بألف بين الصاد والعين، وهي قراءة أبي هريرة^(١٠).

(١) النكت والعيون ٦١/٣، وخبر عكرمة وابن زيد أخرجهما الطبري ٢٤٦/١٣، ٢٥٠.

(٢) المحرر الوجيز ٢٦٤/٣.

(٣) في (د): أبواب، وكذا في تهذيب اللغة ٨٢/٣، والكلام منه.

(٤) أخرجه عن مجاهد ابن الأنباري في كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان كما في الإتيان للسيوطي ٤١٨/١. قال الجوهري في الصحاح (طرجهل): الطرجهالة: كالفتنجانة، معروفة.

(٥) القراءات الشاذة ص ٦٤، والمحتسب ٣٤٦/١، إلا أن ابن جني قيدها بفتح الصاد، ولم يقيدها ابن خالويه، وذكرها الطبري ٢٤٩/١٣ وقال: كأنه وجَّهه إلى أنه مصدر من قولهم: صاغ يصوغ صَوْغًا. وقال أبو حيان في البحر ٣٣٠/٥: وقرأ الحسن وابن جبير: «صَوَاع» بالغين المعجمة على وزن: غَرَاب، وقرأ يحيى بن يعمر كذلك إلا أنه يحذف الألف ويسكِّن الواو. وينظر الدر المصون ٥٢٧/٦.

(٦) في (د) و(م): أصيغ.

(٧) وهي بفتح الصاد كما قيدها ابن جني في المحتسب ٣٤٦/١، وهي في القراءات الشاذة ص ٦٤.

(٨) ذكرها ابن جني في المحتسب ٣٤٦/١، وأبو حيان في البحر ٣٣٠/٥ عن عبد الله بن عون بن أبي أرطبان.

(٩) أخرجه عنه ابن الأنباري كما في الدر المشور ٢٧/٤.

(١٠) القراءات الشاذة ص ٦٤، والمحتسب ٣٤٦/١.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ﴾ أي: نادى منادٍ وأغْلَمَ، و«أَذَّنَ» للتكثير، فكأنه نادى مراراً: «أَتَتْهَا الْعِيرُ». والعير: ما امتيرَ عليه من الحمير والإبل والبغال^(١). قال مجاهد: كان عِيرُهُمْ حَمِيرًا^(٢). قال أبو عبيدة: العيرُ: الإبل المَرْحُولَةُ المركوبة^(٣). والمعنى: يا أصحاب العير. كقوله: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾^(٤) [يوسف: ٨٢]، و: يا خيلَ الله اركبي، أي: يا أصحاب خيلِ الله، وسيأتي.

وهنا اعتراضان: الأول: إن قيل: كيف رضي بنيامين بالقعود طَوْعاً، وفيه عقوبُ الأب بزيادة الحزن، ووافقه على ذلك يوسف؟ وكيف نَسَبَ يوسفُ السرقةَ إلى إخوته وهم بَرَاء، وهو الثاني.

فالجواب عن الأول: أنَّ الحزن كان قد غَلَبَ على يعقوبَ بحيث لا يؤثر فيه فَقْدُ بنيامين كلِّ التأثير، أو لا تراه لَمَّا فَقَدَهُ قال: «يا أسفاً على يوسف»، ولم يعرِّج على بنيامين؟ ولعل يوسفَ إنما وافقه على القعود بوُخْي، فلا اعتراض.

وأما نسبةُ يوسفَ السرقةَ إلى إخوته؛ فالجواب: أنَّ القوم كانوا قد سَرَقوه من أبيه فَأَلْقَوْه فِي الْجُبِّ، ثم باعوه، فاستحقُّوا هذا الاسمَ بذلك الفعل، فصَدَقَ إطلاقُ ذلك عليهم.

جوابُ آخر: وهو أنه أراد: أَيْتَهَا الْعِيرُ حَالُكُمْ حَالُ السَّرَّاقِ، والمعنى: إنَّ شيئاً لغيركم صار عندكم من غير رضا الملك ولا عِلْمِهِ.

جوابُ آخر: وهو أنَّ ذلك كان حيلةً لاجتماعِ شَمْلِهِ بِأَخِيهِ، وَفَضْلِهِ عَنْهُمْ إِلَيْهِ^(٥)، وهذا بناء على أنَّ بنيامين لم يعلم بدسِّ الصاع في رَحْلِهِ، ولا أخبره بنفسه.

(١) تهذيب اللغة ١٦٧/٣.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤٨/١٣.

(٣) زاد المسير ٢٥٧/٤.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٢٠/٣.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٢/٣ - ١٠٨٣.

وقد قيل: إن معنى الكلام الاستفهام، أي: أو أنكم لسارقون^(١)؟ كقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ [الشعراء: ٢٢] أي: أو تلك نعمة تمنها علي؟ والغرض ألا يُعزى إلى يوسف ﷺ الكذب.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ ﴿٧٢﴾
فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ البعير هنا الجملُ في قول أكثر المفسرين^(٢). وقيل: إنه الحمار، وهي لغة لبعض العرب؛ قاله مجاهد واختاره^(٣). وقال مجاهد: الزعيم هو المؤذن الذي قال: «أَيَّتَهَا الْعِيرُ»^(٤). والزعيم والكفيل والحميل والضمين والقبيل سواء، والزعيم: الرئيس.
قال امرؤ القيس^(٥):

وإني زعيمٌ إن رجعتُ مملَكاً يسير تَرى مِنْهُ الْفُرَانِقَ أَزَوْرًا^(٦)
وقالت ليلي الأَخِيلِيَّةُ تَرثي أخاها^(٧):

(١) ينظر مجمع البيان ٩٥/١٣ .

(٢) النكت والعيون ٦٢/٣ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٥٢/١٣ - ٢٥٣ ، وهو في تفسير مجاهد ٣١٨/١ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٥٣/١٣ ، وهو في تفسير مجاهد ٣١٨/١ .

(٥) قوله: امرؤ القيس، من (ظ).

(٦) ديوان امرئ القيس ص ٦٦ . والفُرَانِق: الأسد، أو سُبُع يصيح بين يديه وهو شبيه بابن آوى وهو معرَّبُ «بروانك». معجم متن اللغة (فرنق). وأزور: مائل، أو الذي يُقبل على شيء إذا اشتد السير. القاموس (زور).

(٧) كذا ذكر المصنف، والذي ذكره أبو إسحاق الوطواط في غرر الخصائص الواضحة ص ٢٣ أنها قالت هذه الأبيات في توبة الحميري. وهو الصواب، وقصة توبة بن الحمير مع ليلي الأَخِيلِيَّة مشهورة. ينظر الأغاني ٢٠٣/١١ - ٢٥٠ .

وَمُخَرِّقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ وسط البيوت من الحياءِ سَقِيمًا^(١)
 حَتَّى إِذَا رُفِعَ اللَّوَاءُ رَأَيْتَهُ يومَ الْهَيَاجِ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيمًا^(٢)
 الثانية: إن قيل: كيف ضَمِنَ جَمَلَ البعير وهو مجهول، وضمان المجهول لا يصح؟ قيل له: جَمَلَ البعير كان معيَّنًا معلومًا عندهم كالوَسْق، فصَحَّ ضمانه^(٣). غير أنه كان بَدَل مالٍ للشارق، ولا يَحِلُّ للشارِق ذلك، فلعله كان يصحُّ في شَرْعِهِمْ. أو كان هذا جِعَالَةً وبَدَل مالٍ لمن^(٤) يَفْتَش ويطلب.

الثالثة: قال بعض العلماء: في هذه الآية دليلان: أحدهما: جوازُ الجُعْل، وقد أجاز للضرورة؛ فإنه يجوز فيه من الجهالة ما لا يجوز في غيره^(٥). فإذا قال الرجل: مَنْ فَعَلَ كَذَا فَلَهُ كَذَا، صحَّ. وشأنُ الجُعْل أن يكون أحدُ الطرفين معلومًا، والآخر مجهولًا للضرورة إليه، بخلاف الإجارة؛ فإنه يتقدَّر فيها العَوَضُ والمُعَوَّضُ من الجهتين^(٦). وهو من العقود الجائزة التي يجوز لأحدهما فسخه، إلَّا أنَّ المَجْعُول له يجوز أن يفسخه قبل الشروع وبعده إذا رَضِيَ بإسقاط حقِّه، وليس للجاعل أن يفسخه إذا شَرَعَ المَجْعُول له في العمل^(٧). ولا يُشترط في عقد الجُعْل حضور المتعاقدين كسائر العقود؛ لقوله: «وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ جِمْلُ بَعِيرٍ». وبهذا كلُّه قال الشافعي^(٨).

(١) في النسخ: يوم اللقاء، والمثبت من المصادر على ما يأتي.

(٢) الشعر والشعراء ٧٠٤/٢، وأمالِي القالي ٢٤٨/١، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٦٠٩/٤، وذكر القالي عن الأصمعي أنه كان يرويها لحميد بن ثور، وهما في ديوان حميد ص ١٣١. ووقع في هذه المصادر: تحت اللواء، بدل: يوم الهياج. والخميس يعني الجيش. تهذيب اللغة ١٩٣/٧.

(٣) النكت والعيون ٦٢/٣.

(٤) بعدها في (م): كان.

(٥) ينظر النكت والعيون ٦٣/٣.

(٦) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٤/٣ - ١٠٨٥.

(٧) ينظر المستقى ١١١/٥.

(٨) المذهب ٤١٨/١ - ٤١٩، إلَّا أن الشيرازي ذكر أنه يجوز فسْخُ الجاعلِ العقدَ بعد الشروع في العمل، ويلزمه أجره المثل لما عُمل.

الرابعة: متى قال الإنسان: مَنْ جاء بعبيدي الآبِقِ فله دينارٌ، لزمه ما جَعَلَه فيه إذا جاء به، فلو جاء به من غير ضمانٍ، لزمه إذا جاء به على طلب الأجرة، وذلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَنْ جاء بِآبِقٍ فله أربعونَ درهماً»^(١) ولم يَفْصِلْ بين مَنْ جاء به مِنْ عَقْدِ ضَمَانٍ أو غيرِ عقد. قال ابن خُوَيزِمَتَدَاد: ولهذا قال أصحابنا: إِنَّ مَنْ فَعَلَ بِالإنسان ما يجب عليه أن يفعله بنفسه من مصالحه لزمه ذلك، وكان له أَجْرٌ مثله إِنْ كان ممن يفعل ذلك بالأجر^(٢).

قلت: وخالفنا في هذا كله الشافعي^(٣).

الخامسة: الدليل الثاني: جوازُ الكفالة على الرجل؛ لأنَّ المؤدَّن الضامنَ هو غيرُ يوسف عليه السلام، قال علماؤنا: إذا قال الرجل: تحمَّلتُ، أو تكفَّلتُ، أو ضمنتُ، أو أنا حميلٌ لك، أو زعيم، أو كفيل، أو ضامن، أو قبيل، أو هو لك عندي، أو عليّ، أو إليّ، أو قبلي، فذلك كله حَمَالَةٌ لازمة^(٤).

وقد اختلف الفقهاء فيمن تكفَّل بالنفس أو بالوجه؛ هل يلزمه ضمان المال أم لا؟ فقال الكوفيون: مَنْ تكفَّل بنفسِ رجلٍ لم يلزمه الحقُّ الذي على المطلوب إن مات، وهو أحدُ قولي الشافعي في المشهور عنه. وقال مالك والليث والأوزاعي: إذا تكفَّل بنفسه وعليه مالٌ، فإنَّه إِنْ لم يأت به غَرِمَ المال، وَيَرْجِعُ به على المطلوب، فإن اشترط ضمانَ نفسه أو وجهه وقال: لا أضمن المالَ، فلا شيء عليه من المال.

والحجة لمن أوجب غَرَمَ المال: أَنَّ الكفيل قد علم أَنَّ المضمونَ وَجْهَهُ لا يُطلب

(١) لم نقف عليه مرفوعاً، وأخرجه محمد بن الحسن في الحجة ٧٣٤/٢ - ٧٤١، والبيهقي ٢٠٠/٦ عن ابن مسعود ؓ موقوفاً. وأخرجه ابن أبي شيبة كما في نصب الراية ٤٧٠/٣ عن عمر ؓ موقوفاً أيضاً. وينظر المحلى ٢٠٨/٨.

(٢) ينظر عقد الجواهر الثمينة ٥/٣.

(٣) ينظر المذهب ٤١٩/١، والتنبيه ص ١٢٦.

(٤) عقد الجواهر الثمينة ٦٥٧/٢.

بدم، وإنما يُطلب بمال، فإذا ضمنه له ولم يأت به فكأنه فوّته عليه، وعزّه^(١) منه؛ فلذلك لزمه المال. واحتجّ الطّحاويّ للكوفيين فقال: أمّا ضمانُ المال بموت المكفول به فلا معنى له؛ لأنه إنما تكفّلَ بالنفس ولم يتكفّلَ بالمال، فمحالٌ أن يلزمه ما لم يتكفّل به^(٢).

السادسة: واختلف العلماء إذا تكفّل رجلٌ عن رجلٍ بمال؛ هل للطالب أن يأخذ من شاء منهما؟ فقال الثوريّ والكوفيّون والأوزاعيّ والشافعيّ وأحمد وإسحاق: يأخذ من شاء منهما^(٣) حتى يستوفي حقّه، وهذا كان قول مالك، ثم رجع عنه فقال: لا يؤخذ الكفيلُ إلّا أن يُفليسَ الغريمُ أو يغيب؛ لأنّ التّبديّةَ بالذي عليه الحقُّ أولى، إلّا أن يكون مُعَدَمًا؛ فإنه يؤخذ من الحميل؛ لأنه معذور في أخذه في هذه الحالة. وهذا قولٌ حسن. والقياس: أن للرجل مطالبة أيّ الرجلين شاء.

وقال ابن أبي ليلى: إذا ضمن الرجلُ عن صاحبه مالاً تحوّلَ على الكفيل، وبرئَ صاحبُ الأصل، إلّا أن يشترط المكفولُ له عليهما أن يأخذ أيّهما شاء. واحتجّ ببراءة الميت من الدّين بضمان أبي قتادة، وينحوه قال أبو ثور^(٤).

السابعة: الزعامة لا تكون إلّا في الحقوق التي تجوز النيابة فيها، مما يتعلّق بالذمّة من الأموال، وكان ثابتاً مستقرّاً، فلا تصحّ الحَمالةُ بالكتابة؛ لأنّها ليست بدينٍ ثابتٍ مستقرٍّ؛ لأنّ العبد إن عجز؛ رَقَّ وانفسخت الكتابة، وأمّا كلُّ حقٍّ لا يقوم به أحدٌ

(١) في (د) و(ظ): وغره.

(٢) مختصر اختلاف العلماء للجصاص ٢٥٣/٤ - ٢٥٥، واختلاف الفقهاء للطبري ص ٢٠٨ - ٢١١.

(٣) قوله: منهما، من (ظ).

(٤) ينظر مختصر اختلاف العلماء للجصاص ٢٥٥/٤ - ٢٥٨، والإشراف لابن المنذر ١١٨/١ - ١١٩، والاستذكار ٢٢/٢٧٥ - ٢٧٦. والحديث أخرجه أحمد (١٦٥١٠)، والبخاري (٢٢٩٥) عن سلمة بن الأكوع ؓ أن النبي ﷺ أتى بجنازة ليصلي عليها... فقال: «هل عليه من دين؟» قالوا: نعم، قال: «صلّوا على صاحبكم» قال أبو قتادة: عليّ دينه يا رسول الله. فصلّى عليه. وأخرجه أحمد (١٤١٥٩) من حديث جابر ؓ، و(٢٢٥٤٣) من حديث أبي قتادة ؓ.

عن أحد كالحدود؛ فلا كفالة فيه^(١)، ويُسجن المدعى عليه الحد حتى يُنظر في أمره. وشذَّ أبو يوسف ومحمد فأجازا الكفالة في الحدود والقصاص، وقالوا: إذا قال المَقْدُوف أو المدعي القصاص: بيّنتي حاضرة، كفله ثلاثة أيام^(٢)، واحتجَّ لهم الطحاويُّ بما رواه حمزة بن عمرو عن عمر^(٣). وابن مسعود وجريير بن عبد الله والأشعث أنهم حكموا بالكفالة بالنفس بمحضر الصحابة^(٤).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (٧١) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ يُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ يروى أنهم كانوا لا ينزلون على أحد ظلماً، ولا يرعون زرع أحد، وأنهم جعلوا^(٥) على أفواه إبلهم الأكمة^(٦)؛ لئلا تعيث في زروع الناس. ثم قال^(٧): ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ يروى أنهم ردوا البضاعة التي كانت في رحالهم؛ أي: فمن ردَّ ما وجد؛ فكيف يكون سارقاً؟!^(٨).

(١) ينظر الإشراف ١/١٢٤ - ١٢٥، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٨٤، وعقد الجواهر الثمينة ٢/٦٥٥.

(٢) مختصر اختلاف العلماء للقصاص ٣/٣٢٧، وينظر مختصر اختلاف الفقهاء للطبري ص ٢١٤.

(٣) الخبر في مختصر اختلاف العلماء ٤/٢٥٤، وشرح معاني الآثار ٣/١٤٧ مطول، وأخرجه مختصراً البخاري (٢٢٩٠) عن حمزة بن عمرو الأسلمي: أن عمر رضي الله عنه مصدقاً، فوقع رجل على جارية امرأته، فأخذ حمزة من الرجل كفلاً حتى قدم على عمر، وكان عمر قد جلدته مئة جلدة، فصدمهم وعذره بالجهالة.

(٤) ذكره البخاري إثر خبر حمزة بن عمرو معلقاً مختصراً، ووصله البيهقي مطولاً ١٠/١٦٩، وذكره الطحاوي مطولاً كذلك، كما في مختصر اختلاف العلماء ٤/٢٥٤ - ٢٥٥.

(٥) في (د) و(ز) و(م): جمعوا.

(٦) جمع كمامة، وهي ما يكتم به فم البعير. الصحاح (كمم).

(٧) في (ظ): قالوا.

(٨) ذكر هذا الخبر الثعلبي في عرائس المجالس ص ١٣٤، والبخوي ٢/٤٣٩، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٦٥، وعزه ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٢٦٠ لأبي صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ المعنى: فما جزاء الفاعل إن بان كذبكم؟ فأجاب إخوة يوسف: ﴿جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي: يُستعبد ويُسترق. «فَجَزَاؤُهُ» مبتدأ، و«مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ» خبره، والتقدير: جزاؤه استعباد مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ، فهو كناية عن الاستعباد. وفي الجملة معنى التوكيد، كما تقول: جزاء مَنْ سرق القطع فهذا جزاؤه^(١).

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْفَٰكِلِينَ﴾ أي: كذلك نفعل في الظالمين إذا سرقوا أن يُسترقوا، وكان هذا من دين يعقوب عليه السلام وحُكمه. وقولهم هذا قول مَنْ لم يُسترب بنفسه^(٢)؛ لأنهم التزموا استرقاق مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ، وكان حُكم السارق عند أهل مصر أن يُغرَمَ ضِعْفِي مَا أَخَذَ؛ قاله الحسن والسدي وغيرهما^(٣).

مسألة: قد تقدّم في سورة المائدة أن القطع في السرقة ناسخ لما تقدّم من الشرائع، أو لما كان في شرع يعقوب من استرقاق السارق^(٤)، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ إنما بدأ يوسف برحالهم لنفي التهمة والريبة من قلوبهم إن بدأ بوعاء أخيه. والوعاء؛ يقال بضم الواو وكسرهما، لغتان^(٥)، وهو ما يُحفظ فيه المتاع ويصونه.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٨/٢.

(٢) في (م): نفسه.

(٣) لم نقف عليه عن الحسن والسدي، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٣٢٦/١ عن الكلبي، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦٤/٣ عن الضحاك.

(٤) ينظر ٤٤٩/٧ وما بعدها.

(٥) وضم الواو قراءة الحسن. ينظر المحتسب ٣٤٨/١.

﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعْائِهِ أَخِيَّ﴾ يعني بنيامين، أي: استخرج السَّقَاية، أو الصُّواع؛ عند مَنْ يُوْنُثُ^(١)، وقال: «وَلَمْ يَنْجَأْ بِهِ»؛ فذَكَرَ.

فلَمَّا رَأَى ذَلِكَ إِخْوَتَهُ نَكَسُوا رُؤُوسَهُمْ، وَظَنُّوا الظُّنُونَ كُلَّهَا، وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا: وَيْلَكَ يَا بَنِيَامِينَ، مَا رَأَيْنَا كَالْيَوْمِ قَطُّ، وَلَدْتَ أُمُّكَ رَاحِيلَ أَخَوَيْنِ لِيَصِّينَ! قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ: وَاللَّهِ مَا سَرَقْتُهُ، وَلَا عَلَّمْتُ لِي بِمَنْ وَضَعَهُ فِي مَتَاعِي. وَيُرْوَى أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: يَا بَنِيَامِينَ، أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ! قَالُوا: فَمَنْ جَعَلَ الصُّوَاعَ فِي رَحْلِكَ؟ قَالَ: الَّذِي جَعَلَ الْبِضَاعَةَ فِي رِحَالِكُمْ.

ويقال: إِنَّ الْمَفْتَشَّ كَانَ إِذَا فَرَّغَ مِنْ رَحْلِ رَجُلٍ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَائِبًا مِنْ فِعْلِهِ ذَلِكَ. وَظَاهِرُ كَلَامِ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِ أَنَّ الْمُسْتَغْفَرَ كَانَ يَوْسُفَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَفْتَشُهُمْ وَيَعْلَمُ أَيْنَ الصُّوَاعُ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُمْ وَانْتَهَى إِلَى رَحْلِ بَنِيَامِينَ فَقَالَ: مَا أَظُنُّ هَذَا الْفَتَى رَضِيَ بِهَذَا وَلَا أَخَذَ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: وَاللَّهِ لَا نَبْرَحُ^(٢) حَتَّى تُفْتَشَهُ، فَهُوَ أَطْيَبُ لِنَفْسِكَ وَنَفُوسِنَا، فَفَتَشَ، فَأَخْرَجَ السَّقَايةَ، وَهَذَا التَّفْتِيشُ مِنْ يَوْسُفَ يَقْتَضِي أَنَّ الْمُؤْذَنَ سَرَقَهُمْ بِرَأْيِهِ. فَيَقَالُ: إِنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ كَانَ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ نَعَالِي، وَيَقْوِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾^(٣).

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: «كِدْنَا» معناه: صَنَعْنَا؛ عن ابن عباس^(٤). القُتَيْبِيُّ: دَبَّرْنَا^(٥).

(١) معاني القرآن للزجاج ١٢٢/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٣٩/٢.

(٢) في (د): لا تبرح.

(٣) المحرر الوجيز ٢٦٦/٣، وخبر قَتَادَةَ أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ ٣٢٥ - ٣٢٦، والطبري ٢٥٩/١٣ - ٢٦٠. وينظر عرائس المجالس ص ١٣٥.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦١/٤، وأخرجه الطبري ٢٦٣/١٣ - ٢٦٤، عن الضحَّاك والسدي وابن جريج.

(٥) ذكر الماوردي في التكت والعيون ٦٤/٣ هذا القول عن ابن عيسى، ولفظ ابن قتيبة في تفسير الغريب ص ٢٢٠: «كدنا ليوسف» أي: احتلنا، والكيد: الحيلة.

ابن الأنباري^(١): أردنا؛ قال الشاعر:

كَادَتْ وَكَذَتْ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ عَهْدِ الصَّبَا مَا قَدْ مَضَى^(٢)
وفيه جوازُ التوصلِ إلى الأغراضِ بالحيلِ إذا لم تُخالفْ شريعةً، ولا هُدمت
أصلاً، خلافاً لأبي حنيفة في تجويزه الحيل، وإن خالفت الأصول، وخرمت
التحليل^(٣).

الثانية: أجمع العلماء على أنَّ للرجل قبل حلول الحَوْل التصرف في ماله بالبيع
والهبة إذا لم ينو الفرار من الصدقة، وأجمعوا على أنه إذا حال الحَوْل وأظْل الساعي
أنه لا يحِلُّ له التحيُّل ولا النقصان، ولا أن يفرِّق بين مجتمِع، ولا أن يَجْمَعَ بين
متفرِّق. وقال مالك: إذا فَوَّت من ماله شيئاً ينوي به الفرار من الزكاة قبل الحول بشهرٍ
أو نحوه، لزمته الزكاةُ عند الحول، أخذاً منه بقوله عليه الصلاة والسلام: «خَشْيَةُ
الصَّدَقَةِ». وقال أبو حنيفة: إن نوى بتفريقه الفرار من الزكاة قبل الحول بيوم لا يضرُّه؛
لأنَّ الزكاة لا تلزم إلَّا بتمام الحول، ولا يتوجَّه إليه معنى قوله: «خَشْيَةُ الصَّدَقَةِ» إلَّا
حيثنذ^(٤).

قال ابن العربي^(٥): سمعت أبا بكر محمد بن الوليد الفهري وغيره يقول: كان
شيخنا قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن عليٍّ الدَّمَاعاني^(٦) صاحب عشرة آلاف

(١) في الأضداد ص ٩٧ .

(٢) تفسير الطبري ٣٩/١٦ ، والأضداد لابن الأنباري ص ٩٧ ، وهو فيهما برواية: لو عاد من لهو الصباية
ما مضى.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٨/٣ .

(٤) الكلام من بداية المسألة قاله ابن بطال كما في فتح الباري ٣٣١/١٢ . وقوله: «خشية الصدقة» سيأتي
تخريجه عن أنس - ؓ - في حديث كتاب أبي بكر ؓ الذي كتبه له في فريضة الصدقة.

(٥) في أحكام القرآن ١٠٨٨/٣ وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٦) الحنفي، مفتي العراق، ولد بدامغان، وتفقّه بخراسان، وقدم بغداد شاباً، ودام في القضاء ثلاثين سنة،
وفي أولاده أئمة وقضاة، توفي سنة (٤٧٨هـ). السير ٤٨٥/١٨ .

دينار من المال^(١)، فكان إذا جاء رأسُ الحول دعا بنيه فقال لهم: كَبِرَتْ سِنِّي، وَضَعْتُ قُوَّتِي، وهذا مالٌ لا احتاجه فهو لكم. ثم يُخرجه، فيحمله الرجال على أعناقهم إلى دُورِ بنيه، فإذا جاء رأسُ الحول ودعا بنيه لأمرٍ قالوا: يا أبانا إنما أملنا حياتك، وأما المال فأيُّ رغبةٍ لنا فيه ما دمتَ حياً، أنت ومالك لنا، فخذهُ إليك. ويسير الرجال به حتى يضعوه بين يديه، فيرُدُّه إلى موضعه. يريد بتبديل الملك إسقاط الزكاة على رأي أبي حنيفة في التفريق بين المجتمع، والجمع بين المتفرق، وهذا خَطْبٌ عظيم، وقد صنَّف البخاريُّ ﷺ [عليه] في جامعهِ كتاباً مقصوداً فقال: كتاب الجِيلِ^(٢).

قلت: وترجم فيه أبواباً منها: باب الزكاة وألاً يفرِّق بين مجتمعٍ ولا يُجمع بين متفرِّق خشيةَ الصدقة. وأدخل فيه حديثَ أنس بن مالك، وأنَّ أبا بكر كتب له فريضةَ الصدقة^(٣)...، وحديثَ طلحة بن عبيد الله أنَّ أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ نائراً الرأس، الحديث، وفي آخره: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» أو: «دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ». وقال بعض الناس: في عشرين ومئةٍ بعيرٍ حِقَّتَانِ، فَإِنْ أَهْلَكَهَا مَتَعُداً، أو وَهَبَهَا، أو احتال فيها فِراراً من الزكاة، فلا شيءَ عليه^(٤). ثم أردف بحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون كنزٌ أحديكم يومَ القيامة شجاعاً أقرعَ له زبيبتان، ويقول: أنا كنزك» الحديث^(٥).

قال المهلب^(٦): إنما قَصَدَ البخاريُّ في هذا الباب أن يُعرِّفَكَ أنَّ كُلَّ جِيلَةٍ يَتَحِيلُ بِهَا أَحَدٌ فِي إسقاط الزكاة فَإِنَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا مَنَعَ مِنْ جَمْعِ الْغَنَمِ

(١) في (م): عشرات.

(٢) صحيح البخاري طبعة فتح الباري ٣٢٦/١٢.

(٣) صحيح البخاري (٦٩٥٥)، وأخرجه مطولاً أحمد (٧٢).

(٤) صحيح البخاري (٦٩٥٦)، وحديث طلحة أخرجه أيضاً أحمد (١٣٩٠)، ومسلم (١١).

(٥) صحيح البخاري (٦٩٥٧)، ومسلم ٤٣٨/٥.

(٦) كلامه بنحوه في فتح الباري ٣٣١/١٢.

وتفريقها خشية الصدقة، فهم منه هذا المعنى، وفهم من قوله: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» أَنَّ مَنْ رَامَ أَنْ يَنْقُضَ^(١) شيئاً من فرائض الله بحيلة يحتالها أنه لا يفلح، ولا يقوم بذلك عُذْرُهُ عند الله، وما أجازهُ الفقهاء من تصرفِ صاحبِ المال في ماله قُرْبَ حلولِ الحَوْلِ إنما هو ما لم يُرِدْ بذلك الهربَ من الزكاة، وَمَنْ نَوَى ذلك فالإثمُ عنه غيرُ ساقط، واللَّهُ حَسِيبُهُ، وهو كَمَنْ فَرَّ من^(٢) صِيامِ رمضانَ قبل رؤية الهلال بيوم، واستعمل سفرأ لا يحتاج إليه رغبةً عن قَرْضِ الله الذي كتبه الله على المؤمنين، فالوعيدُ متوجّهٌ عليه، ألا ترى عقوبةَ مَنْ مَنَعَ الزكاة يوم القيامة بأيّ وجهٍ متعمداً كيف تَطْلُوهُ الإبل^(٣)، ويمثّلُ له ماله شجاعاً أقرعاً؟ وهذا يدلُّ على أَنَّ الفرار من الزكاة لا يَجِلُّ، وهو مُطالِبٌ بذلك في الآخرة.

الثالثة: قال ابن العربي^(٤): قال بعض علماء الشافعية: في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَبْنَا لِيُوسُفَ﴾^(٥) دليلٌ على وجه الحيلة إلى المباح^(٦) واستخراج الحقوق. وهذا وهمٌ عظيم. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل فيه: كما^(٧) مَكَّنَّا ليوسفَ ملكَ نفسه عن امرأة العزيز مَكَّنَّا له مِلْكَ الأرض عن العزيز. أو مثله مما لا يُشِبُّه^(٨) ما ذَكَرَهُ.

(١) في (د) وفتح الباري: ينقص.

(٢) في (د) والفتح: عن.

(٣) أخرجه مطولاً أحمد (٧٥٦٣)، ومسلم (٩٨٧)، ومختصراً البخاري (٦٩٥٨) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٤) في أحكام القرآن ١٠٨٨/٣.

(٥) في (د) و(ز) وأحكام القرآن: وكذلك مَكَّنَّا ليوسفَ في الأرض، وفي (م): وكذلك مَكَّنَّا ليوسفَ ما كان لياخذ أخاه، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في أحكام القرآن للكنيا الطبري ٢٣٣/٣، وعنه نقل ابن العربي، وإياه عن بقوله: قال بعض علماء الشافعية. وينظر أحكام القرآن للجصاص ١٧٦/٣. وقد سلف كلام الكيا الطبري ص ٣٨٧ من هذا الجزء.

(٦) في أحكام القرآن لابن العربي والكنيا الطبري: دليل على جواز الحيلة في التوصل إلى المباح.

(٧) في النسخ الخطية: لما، والمثبت من (م) وأحكام القرآن لابن العربي.

(٨) في النسخ الخطية: إذ مثله لا يشبه.

قال الشَّفْعَوِي^(١): ومثله قوله عز وجل: ﴿وَعُذِّ بِيَدِكَ ضِفْئًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾ [ص: ٤٤]، وهذا ليس حيلة، إنما هو حَمْلٌ لليمين على الألفاظ أو على المقاصد.

قال الشفيعي: ومثله حديث أبي سعيد الخدري في عاملٍ خير، أنه أتى النبي ﷺ بتمرٍ جَنِيْبٍ، الحديث. ومقصودُ الشافعية من هذا الحديث أنه عليه الصلاة والسلام أمره أن يبيع جمعاً ويتاع جَنِيْباً من الذي باع منه الجمع أو من غيره^(٢).

وقالت المالكية: معناه: من غيره؛ لئلا يكون جَنِيْباً بجمعٍ والدارهم رِباً، كما قال ابن عباس: جريرةٌ بجريرةٍ والدرهم رِباً^(٣).

قوله تعالى: ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي: سلطانه؛ عن ابن عباس^(٤). ابن عيسى: عَادَتِهِ^(٥)، أي: يظلم بلا حجة. مجاهد: في حكمه^(٦)، وهو استرقاق الشَّرَاقِ. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا بأن يشاء الله أن يجعل السَّقَايةَ في رَحْله تَعَلَّةً وعذراً له. وقال قتادة: بل كان حكم الملك الضربُ والغرمُ ضعفين، ولكن شاء الله أن يُجْريَ على ألسنتهم حكمَ بني إسرائيل، على ما تقدّم^(٧).

قوله تعالى: ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ أي: بالعلم والإيمان. وقُري: ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ بمعنى: ترفع من نشأ درجاتٍ، وقد مضى في «الأنعام»^(٨).

(١) نسبة إلى الإمام الشافعي رحمه الله، والكلام في أحكام القرآن للكميا الطبري ٣/ ٢٣٣، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٨٨ وعنه نقل المصنف.

(٢) قوله: أو من غيره، من (م) وأحكام القرآن لابن العربي، وسلف الكلام وتخريج الحديث ص ٣٨٧.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٨٩، وخبر ابن عباس سلف نحوه ٢/ ٢٩٧ بلفظ: نهى ابن عباس عن دراهم بدراهم بينهما حرية.

(٤) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٦٤.

(٥) في (م): عاداته، والمثبت من النسخ الخطية موافق لما في النكت والعيون ٣/ ٦٤، والكلام منه.

(٦) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٦٤ - ٢٦٦ عن قتادة والسدي وغيرهما.

(٧) ص ٤١٢ من هذا الجزء، وخبر قتادة ذكره الواحدي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الوسيط ٢/ ٦٢٤.

(٨) ٨/ ٤٤٥، وقرأ بالتثنية عاصم وحزمة والكسائي. السبعة ص ٢٦١، والتيسير ص ١٠٤.

وقوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ روى إسرائيل، عن سِمَاكِ، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: يكون ذا أعلم من ذا، وذا أعلم من ذا، والله فوق كل عالم^(١).

وروى سفيان، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن جبير قال: كنا عند ابن عباس رحمه الله، فتحدث بحديث فتعجب منه رجل فقال: سبحان الله! وفوق كل ذي علم عليم، فقال ابن عباس: بشئ ما قلت! الله العليم وهو فوق كل عالم^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ. وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا يَبْنَؤُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ مَكَادُ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا ظَلَمْنَاهُ لَنُظْلِمُنَّكَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ المعنى: أي: اقتدى بأخيه، ولو اقتدى بنا ما سرق، وإنما قالوا ذلك ليتبرؤوا^(٣) من فعله؛ لأنه ليس من أمهم، وأنه إن سرق فقد جذبه عرق أخيه السارق؛ لأن الاشتراك في الأنساب يشاكل في الأخلاق.

وقد اختلفوا في السرقة التي نسبوا إلى يوسف: فروي عن مجاهد وغيره أن عمه يوسف بنت إسحاق كانت أكبر من يعقوب، وكانت صارت إليها منطقة إسحاق لسنّها؛ لأنهم كانوا يتوارثون بالسّن، وهذا مما نُسِخَ حكمه بشرعنا، وكان من سرق استعبد، وكانت عمه يوسف حَضَنَتَهُ وأحبّته حبّاً شديداً، فلما ترعرع وشبّ قال لها يعقوب: سلّمي يوسف إليّ، فليست أقدِرُ أن يغيب عني ساعة، فولعت به، وأشفقت

(١) أخرجه الطبري ٢٦٨/١٣ - ٢٦٩، وابن أبي حاتم ٢١٧٧/٧ (١١٨٣٠)، وذكره ابن كثير عند تفسير هذه الآية، ووقع عند الطبري: سالم، بدل: سمالك.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٣٢٦/١، والطبري ٢٦٨/١٣، وفيهما: الحمد لله، بدل: سبحان الله.

(٣) في (ظ): ليتبرؤا.

من فراقه، فقالت له: دَعُهُ عِنْدِي أَيَّامًا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فلما خرج من عندها يعقوبُ عَمَدَتْ إِلَى مِنطَقَةِ إِسْحَاقَ فَحَزَمَتْهَا عَلَى يَوْسُفَ مِنْ تَحْتِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: لَقَدْ فَقَدْتُ مِنطَقَةَ إِسْحَاقَ، فَانظُرُوا مَنْ أَخَذَهَا وَمَنْ أَصَابَهَا، فَالْتُمِسْتُمْ، ثُمَّ قَالَتْ: اكشِفُوا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَكشِفُوا فَوُجِدَتْ مَعَ يَوْسُفَ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ لِي سَلَمٌ أَصْنَعُ فِيهِ مَا شِئْتُ، ثُمَّ أَتَاهَا يَعْقُوبُ فَأَخْبَرْتَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ لَهَا: أَنْتِ وَذَلِكَ، إِنْ كَانَ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ سَلَمٌ لَكَ، فَأَمْسَكْتَهُ حَتَّى مَاتَ، فَبِذَلِكَ عَيَّرَهُ إِخْوَتُهُ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾^(١)، وَمِنْ هَاهُنَا تَعَلَّمَ يَوْسُفُ وَضَعَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ كَمَا عَمِلْتُ بِهِ عَمَّتُهُ^(٢).

وقال سعيد بن جبير: إِنَّمَا أَمْرَتُهُ [أُمُّهُ] أَنْ يَسْرِقَ صَنِعًا كَانَ لَجَدُّهُ أَبِي أُمِّهِ، فَسَرَقَهُ وَكَسَرَهُ وَأَلْقَاهُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُمَا تَغْيِيرًا لِلْمُنْكَرِ، فَرَمَوْهُ بِالسَّرْقَةِ وَعَيَّرُوهُ بِهَا، وَقَالَ قَتَادَةُ. وَفِي كِتَابِ الزَّجَّاجِ: أَنَّهُ كَانَ صَنِيعَ ذَهَبٍ^(٣).

وقال عطية العوفي: إِنَّهُ كَانَ مَعَ إِخْوَتِهِ عَلَى طَعَامٍ، فَنَظَرَ إِلَى عَرْقٍ^(٤) فَخَبَّأَهُ، فَعَيَّرُوهُ بِذَلِكَ.

وقيل: إِنَّهُ كَانَ يَسْرِقُ مِنْ طَعَامِ الْمَائِدَةِ لِلْمَسَاكِينِ؛ حَكَاهُ ابْنُ عِيسَى.

وقيل: لِإِنَّهُمْ كَذَّبُوا عَلَيْهِ فِيمَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ؛ قَالَ الْحَسَنُ^(٥).

قوله تعالى: ﴿فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ أَي: أَسْرَفَ فِي نَفْسِهِ قَوْلَهُمْ: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾؛ قَالَ ابْنُ شَجَرَةَ وَابْنُ عِيسَى. وَقِيلَ: إِنَّهُ أَسْرَفَ فِي نَفْسِهِ قَوْلَهُ: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ﴾ ثُمَّ جَهَرَ فَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

(١) أخرجه الطبري ٢٧٤/١٣.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٧/٣.

(٣) تفسير الطبري ٢٧٢/١٣ - ٢٧٣، ومعاني القرآن للزجاج ١٢٣/٣، والمحور الوجيز ٢٦٧/٣، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) العَرَقُ بفتح العين وسكون الراء: العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم. النهاية: (عرق)، وهذا القول في النكت والعيون ٦٥/٣.

(٥) النكت والعيون ٦٥/٣.

تَصِفُوكَ^(١). قاله ابن عباس^(٢)، أي: أنتم شرُّ مكاناً ممَّنْ نسبتموه إلى هذه السركة. ومعنى قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي: الله أعلم أن ما قلتم كذب، وإن كانت لله رضا. وقد قيل: إن إخوة يوسف في ذلك الوقت ما كانوا أنبياء. قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَكْفُؤُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ خاطبوه باسم العزيز؛ إذ كان في تلك اللحظة يعزل الأول أو موته. وقولهم: ﴿إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ أي: كبير القدر، ولم يريدوا كِبَرَ السن؛ لأن ذلك معروف من حال الشيخ^(٣).

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ أي: عبداً بدله، وقد قيل: إن هذا مجاز؛ لأنهم يعلمون أنه لا يصح أخذ حرٍّ يُسْتَرْقُ بدل مَنْ قد أحكمت السنة عندهم رَقُّه، وإنما هذا كما تقول لمن تكره فعله: اقتلني ولا تفعل كذا وكذا، وأنت لا تريد أن يقتلك، ولكنك مبالغ في استنزاليه. ويحتمل أن يكون قولهم: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ حقيقة، وبعيد عليهم وهم أنبياء أن يروا استرقاقاً حرًّا، فلم يبق إلا أن يريدوا بذلك طريق الحَمَالَة؛ أي: خُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ حتى ينصرف إليك صاحبك، ومقصدهم بذلك أن يصل بنيامين إلى أبيه، ويعرف يعقوب جليّة الأمر، فمنع يوسف عليه السلام من ذلك؛ إذ الحَمَالَة في الحدود ونحوها - بمعنى إحضار المضمون فقط - جائزة مع التراضي، غير لازمة إذا أبى الطالب، وأما الحَمَالَة في مثل هذا على أن يلزم الحَمِيل ما كان يلزم المضمون من عقوبة، فلا يجوز إجماعاً. وفي «الواضحة»: إن الحَمَالَة في الوجه فقط في جميع الحدود جائزة، إلا في النَّفْس^(٤). وجمهور الفقهاء على جواز الكفالة في النَّفْس. واختلف فيها عن الشافعي فمرةً ضَعَفَهَا، ومرةً أجازها [على المال]^(٥).

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه الطبري ٢٧٦/١٣ دون قوله: ثم جهر فقال.

(٣) النكت والعيون ٦٦/٣.

(٤) المحرر الوجيز ٢٦٨/٣.

(٥) ينظر الاستذكار ٢٧٧/٢٢. وما بين حاصرتين منه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدُوا وَصْفَهُ بِمَا رَأَوْا مِنْ إِحْسَانِهِ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ مَعَهُمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدُوا: إِنَّا نَرَى لَكَ إِحْسَانًا عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْيَدِ إِنْ أَسَدَيْتَهَا إِلَيْنَا، وَهَذَا تَأْوِيلُ ابْنِ إِسْحَاقَ^(١).

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ مُصَدَّرٌ ﴿أَنْ نَأْخُذَ﴾ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، أَي: مِنْ أَنْ نَأْخُذَ ﴿إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا﴾ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِـ «نَأْخُذَ» ﴿مَتَّعْنَا عَنْدَهُ﴾ أَي: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ الْبَرِيءَ بِالْمُجْرِمِ، وَنُخَالِفَ مَا تَعَاقَدْنَا عَلَيْهِ. ﴿إِنَّا إِذَا لَطَلِمُوكَ﴾ أَي: إِنْ نَأْخُذَ غَيْرَهُ.

قوله تعالى: ﴿قَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ﴾ أَي: يَيْسُوا، مِثْلَ عَجِبَ وَاسْتَعْجَبَ، وَسَخَّرَ وَاسْتَسَخَّرَ. ﴿خَلَصُوا﴾ أَي: انْفَرَدُوا، وَلَيْسَ هُوَ مَعَهُمْ. ﴿نَجِيًّا﴾ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْمُضْمَرِّ فِي «خَلَصُوا»، وَهُوَ وَاحِدٌ يُؤَدِّي عَنْ جَمْعٍ، كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَيَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَرَّبَتْ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] وَجَمْعُهُ أَنْجِيَّةٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:
إِنِّي إِذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَّةً واضطربَ القومُ اضطرابَ الْأَرَشِيَّةِ
هَنَّاكَ أَوْصِيَنِي وَلَا تُوصِي بِيَّةِ^(٢)

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: «اسْتَايَسُوا»، «وَلَا تَايَسُوا» «إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ» [٨٧] «أَفَلَمْ يَأْيَسْ» [الرعد: ٣١] بِالْفِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ عَلَى الْقَلْبِ^(٣)، قُدِّمَتِ الْهَمْزَةُ وَأُخِّرَتِ الْيَاءُ، ثُمَّ قُلِبَتْ

(١) المحرر الوجيز ٢٦٩/٣.

(٢) الرجز نسبته في اللسان: (نجا) إلى سُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الْيَزُوعِيِّ، وَذَكَرَ أَنَّ هُنَاكَ بِكْسَرِ الْكَافِ بِخَطِّ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةٍ، وَبِخَطِّهِ أَيْضًا: أَوْصِيَنِي وَلَا تُوصِي، بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ؛ لِأَنَّهُ يَخَاطَبُ مُؤَنَّثًا. وَهِيَ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَاجِ ١٢٤/٣ مِنْ غَيْرِ نَسْبَةٍ. وَالْأَرَشِيَّةُ، جَمْعُ رِشَاءٍ. وَهُوَ الْحَبْلُ. الْقَامُوسُ (رِشَاءٌ). وَقِيلَ فِي مَعْنَى الرِّجْزِ: إِنَّهُ ضَرَبَهُ مِثْلًا لِنُزُولِ الْأَمْرِ الْمَهْمِ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. اللِّسَانُ (نجا).

(٣) هِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ فِي رِوَايَةِ الْبَزْزِيِّ بِخُلْفٍ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ: «اسْتَايَسْ» [الآية: ١١٠] وَالْوَجْهَ الثَّانِي لِلْبَزْزِيِّ كَالْجَمَاعَةِ. السَّبْعَةُ ص ٣٥، وَالتَّيْسِيرُ ص ١٢٩.

الهمزة ألفاً؛ لأنها ساكنة قبلها فتحة، والأصل قراءة الجماعة؛ لأن المصدر ما جاء إلا على تقديم الياء: يأساً، والإيأس ليس بمصدرٍ أيس، بل هو مصدرٌ أُسْتُه أَوْساً وإياساً، أي: أعطيته^(١). وقال قوم: أيس ويس لغتان.

أي: فلما يئسوا من ردّ أخيهم إليهم تشاوروا فيما بينهم لا يُخالطهم غيرهم من الناس، يتناجون فيما عَرَضَ لهم. والنَّجِي: فعيلٌ بمعنى المناجي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَيْفَ هُمْ﴾ قال قتادة: هو روبيل، كان أكبرهم في السن. مجاهد: هو شمعون، كان أكبرهم في الرأي. وقال الكلبي: يهوذا، وكان أعقلهم^(٢). وقال محمد بن كعب وابن إسحاق: هو لاوي، وهو أبو الأنبياء.

﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عهداً من الله في حفظ ابنه ورده إليه. ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ «ما» في محل نصبٍ عطفاً على «أن» والمعنى: ألم تعلموا أن آباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله، وتعلموا تفريطكم في يوسف، ذكره النحاس^(٣) وغيره. و«من» في قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ متعلّقة بـ «تعلموا». ويجوز أن تكون «ما» زائدة، فيتعلّق الطرفان اللذان هما «من قبل» و«في يوسف» بالفعل وهو «فَرَّطْتُمْ». ويجوز أن تكون «ما» والفعل مصدرأ، و«من قبل» متعلّقة بالفعل مضمر، التقدير: تفريطكم في يوسف وقع^(٤) من قبل، و«ما» والفعل في موضع رفع بالابتداء، والخبر هو الفعل المضمر الذي يتعلق به «من قبل»^(٥).

﴿فَلَنَ أَتِىَكَ الْآرَضُ﴾^(٦) أي: الزمها، ولا أبرح مقيماً فيها، يقال: برح برأحاً

(١) الحجة للفارسي ٤/٤٣٤.

(٢) النكت والعيون ٣/٦٧، وتفسير البغوي ٢/٤٤٢.

(٣) إعراب القرآن ٢/٣٤١.

(٤) في النسخ: واقع، وكلاهما صحيح، والمثبت أنسب لسياق الكلام. ينظر الدر المصون ٦/٥٣٩.

(٥) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٤٠ - ٣٤١، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٢٤ - ١٢٥.

(٦) بعدها في (ظ): أي من الأرض.

وَبُرُوحًا، أي: زال، فإذا دخل النفي صار مثبتاً. ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِـأَبِي﴾ بالرجوع؛ فلإني أستحي منه. ﴿أَوْ يَحْكُمُ اللَّهُ لِي﴾ بالمسير^(١) مع أخي فأمضي معه إلى أبي. وقيل: المعنى: أو يحكم الله لي بالسيف فأحارب وأخذ أخي، أو أعجزَ فأنصرف بعذر، وذلك أن يعقوب قال: ﴿لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ ومن حارب وعجزَ فقد أحبط به. قال ابن عباس: وكان يهوذا إذا غضبَ وأخذَ السيفَ فلا يردُّ وجهه مئة ألف، يقوم شعره في صدره مثل المسال فتتفدُّ من ثيابه.

وجاء في الخبر: أن يهوذا قال لإخوته - وكان أشدهم غضباً -: إما أن تكفوني الملكَ ومن معه، أكفكم أهلَ مصر، وإما أن تكفوني أهلَ مصر، أكفكم الملكَ ومن معه، قالوا: بل اكفنا الملكَ ومن معه، نكفك أهلَ مصر، فبعث واحداً من إخوته فعدوا أسواقَ مصر، فوجدوا فيها تسعة أسواقٍ، فأخذ كل واحدٍ منهم سوقاً، ثم إن يهوذا دخل على يوسف وقال: أيُّها الملك، لئن لم تُخلِّ معنا أخانا لأصبحنَّ صبيحةً لا تبقى في مدينتك حامل^(٢) إلا أسقطت ما في بطنها؛ وكان ذلك خاصاً^(٣) فيهم عند الغضب؛ فأغضبَه يوسفُ وأسمعه كلمةً، فغضب يهوذا واشتدَّ غضبه، وانتفجت شعراته؛ وكذا كان كل واحدٍ من بني يعقوب؛ كان إذا غضب، اقشعرَّ جلده، وانتفخ جسده، وظهرت شعرات ظهره من تحت الثوب، حتى تقطر من كل شعرة قطرة دم؛ وإذا ضرب الأرضَ برجله، تزلزلت وتهدم البنيان، وإن صاح صيحةً، لم تسمعه حاملٌ من النساء والبهائم والطير إلا وضعت ما في بطنها، تماماً أو غيرَ تمام، فلا يهدأ غضبه إلا أن يسفك دماً، أو تُمسكه يدٌ من نسل يعقوب؛ فلما علم يوسف أن غَضَبَ أخيه يهوذا قد تمَّ وكُمِّلَ، كلَّم ولدًا له صغيراً بالقبطية، وأمره أن يضع يده بين كتفي يهوذا من حيث لا يراه؛ ففعل، فسكن غضبه، وألقى السيفَ، فالتفت يمينا

(١) في (د) و(م): بالمر.

(٢) في (م): حاملاً.

(٣) في (م): خاصة.

وشمالاً لعله يرى أحداً من إخوته، فلم يره؛ فخرج مسرعاً إلى إخوته وقال: هل حضرنى منكم أحد؟ قالوا: لا! قال: فأين ذهب شمعون؟ قالوا: ذهب إلى الجبل، فخرج فلقيه وقد احتمل صخرة عظيمة، قال: ما تصنع بهذه؟ قال: أذهب إلى السوق الذي وقع في نصيبي أشدخ بها رؤوس كل من فيه، قال: فارجع فردّها، أو ألقيها في البحر، ولا تحدثن حديثاً، فوالذي اتخذ إبراهيم خليلاً، لقد مسّني كف من نسل يعقوب! ثم دخلوا على يوسف، وكان يوسف أشدّهم بطشاً، فقال: يا معشر العبرانيين! أتظنون أنّه ليس أحدٌ أشدّ منكم قوّة؟ ثم عمد إلى حجرٍ عظيم من حجارة الطاحونة، فركّله برجله، فدحا به من خلف الجدار - الرّكل: الضرب بالرجل الواحدة، وقد ركّله يركّله؛ قاله الجوهري^(١) - ثم أمسك يهوذا بإحدى يديه، فصرّعه لجنبه، وقال: هاتِ الحدادين^(٢) أقطع أيديهم وأرجلهم، وأضرب أعناقهم، ثم صعد على سريره، وجلس على فراشه، وأمر بضواعه، فوضع بين يديه، ثم نقره نقرّة، فخرج طنينه، فالتفت إليهم وقال: أترّدون ما يقول؟ قالوا: لا! قال: فإنّه يقول: إنه ليس على قلب أبي هؤلاء هم ولا عم ولا كَرُبٌ إلا بسببهم، ثم نقر نقرّة ثانية وقال: إنّهُ يخبرني أنّ هؤلاء أخذوا أخاً لهم صغيراً، فحسدوه ونزعوه من أبيهم، ثم ألقوه. فقالوا: أيّها العزيز! استر علينا، ستر الله عليك، وامنن علينا، من الله عليك، فنقره نقرّة ثالثة وقال: إنّهُ يقول: إنّ هؤلاء طرّحوا صغيرهم في الجُبِّ، ثم باعوه بيع العبيد بثمان بَخْسٍ، وزعموا لأبيهم أنّ الذئب أكّله، ثم نقره رابعة وقال: إنّهُ يخبرني أنّكم أذنبتم ذنباً منذ ثمانين سنة، لم تستغفروا الله منه، ولم تتوبوا إليه، ثم نقره خامسة وقال: إنّهُ يقول: إنّ أخاهم الذي زعموا أنّه هلك لن تذهب الأيام حتى يرجع فيخبر الناس بما صنعوا، ثم نقره سادسة وقال: إنّهُ يقول: لو كنتم أنبياء أو بني أنبياء، ما كذبتهم، ولا عَقَقْتُم والدكم، لأجعلنكم نكالا للعالمين، ايتوني بالحدادين^(٣) أقطع

(١) قوله: الركل الضرب، إلى هذا الموضع، ليس في (ظ)، وينظر الصحاح (ركل).

(٢) في (د): الجدادين، وفي (ظ): الجلادين.

(٣) في (ظ): بالجلادين.

أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ، فَتَضَرَّعُوا وَيَكْزُوا، وَأَظْهَرُوا التَّوْبَةَ وَقَالُوا: لَوْ قَدْ أَصَبْنَا أَخَانَا يَوْسُفَ إِذْ هُوَ حَيٌّ لَنَكُونَنَّ طَوَّعَ يَدِهِ، وَتَرَابًا يَطَّأُ عَلَيْنَا بِرِجْلِهِ؛ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ يَوْسُفُ مِنْ إِخْوَتِهِ، بَكَى، وَقَالَ لَهُمْ: أَخْرِجُوا عَنِّي، قَدْ خَلَيْتُ سَبِيلَكُمْ إِكْرَامًا لِأَيِّكُمْ، وَلَوْلَا هُوَ لَجَعَلْتُكُمْ نَكَالًا^(١).

قوله تعالى: ﴿أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ﴾ قاله الذي قال: «فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ». ﴿فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ﴾ وقرأ ابنُ عباس والضَّحَّاك وأبو رزين: «إِنَّ ابْنُكَ سَرَقَ»^(٢). النَّحَّاس^(٣): وحدثني محمد بنُ أحمد بنِ عمر قال: حَدَّثَنَا ابْنُ شاذَّان، قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ البَغْدَادِيُّ قال: سَمِعْتُ الْكَسَائِيَّ يَقْرَأُ: «يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنُكَ سَرَقَ» بِضَمِّ السَّيْنِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ مَكْسُورَةً؛ عَلَى مَا لَمْ يُسَمِّ فَاعِلُهُ؛ أَي: تُسَبِّبُ إِلَى السَّرْقَةِ وَرُمِي بِهَا، مِثْلُ خَوْنَتِهِ وَفَسَقَتِهِ وَفَجَّرَتِهِ: إِذَا نُسِبَتْهُ إِلَى هَذِهِ الْخِلَالِ.

وقال الزَّجَّاج^(٤): «سَرَقٌ» يَحْتَمِلُ مَعْنِيَيْنِ: أَحَدُهُمَا: عُلِمَ مِنْهُ السَّرَقُ، وَالْآخَرُ: أَتَاهُمُ بِالسَّرَقِ. قال الجوهري^(٥): وَالسَّرِقُ وَالسَّرِيقَةُ - بِكسر الراءِ فِيهِمَا - هُوَ اسْمُ الشَّيْءِ الْمَسْرُوقِ، وَالْمَصْدَرُ: سَرَقَ يَسْرِقُ سَرَقًا، بِالْفَتْحِ.

(١) أَخْرَجَهُ بَنُحُوهُ الطَّبْرِي فِي التَّفْسِيرِ ٢٧٧/١٣ - ٢٧٩، وَفِي تَارِيخِهِ ٣٥٥/١ - ٣٥٦، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي التَّفْسِيرِ ٢١٧٩/٧ (١١٨٣٨)، عَنْ السُّدِّيِّ، وَيَنْظُرُ تَفْسِيرُ أَبِي الْلَيْثِ ١٧٢/٢، وَعَرَائِسُ الْمَجَالِسِ لِلتَّلْعَلِيِّ ص ١٣٥ - ١٣٦، وَالنَّكْتُ وَالْعَيُونُ ٦٥/٣ - ٦٦، وَتَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ ٤٤١/٢ - ٤٤٢، وَزَادَ الْمَسِيرَ ٢٦٤/٤ - ٢٦٥، وَجَاءَ فِي الْمَصَادِرِ أَنَّ الدَّخَلَ عَلَى الْمَلِكِ هُوَ رُوَيْلٌ، وَلَيْسَ يَهُودًا.

(٢) تَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ ٤٤٣/٢، وَالْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ ٢٧٠/٣.

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ ٤٥٢/٤، وَإِعْرَابُ الْقُرْآنِ ٣٤١/٢.

(٤) فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ ١٢٥/٣.

(٥) فِي الصَّحَاحِ (سَرَقَ).

قوله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا﴾.

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا﴾ يريدون ما شهدنا قط إلا بما علمنا، وأما الآن فقد شهدنا بالظاهر وما نعلم الغيب؛ كأنهم وقعت لهم تهمة من قول بنيامين: دَسَّ هذا في رحلي مَنْ دَسَّ بضاعتكم في رحالكم؛ قال معناه ابنُ إسحاق. وقيل: المعنى: ما شهدنا عند يوسف بأنَّ السارق يُسْتَرَقُّ إلا بما علمنا من دينك؛ قاله ابنُ زيد^(١).

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ أي: لم نعلم وقت أخذناه منك أنه يسرق، فلا نأخذه^(٢). وقال مجاهد وقتادة: ما كنَّا نعلم أنَّ ابنك يُسْتَرَقُّ ويصير أمرنا إلى هذا، وإنَّما قلنا: نَحْفَظُ أَخَانَا فيما نُطِيقُ^(٣). وقال ابنُ عباس: يعنون أنه سرق ليلاً وهم نيام. والغيبُ هو الليلُ بلغة جَمِيرٍ^(٤)؛ وعنه: ما كنَّا نعلم ما يصنع في ليله ونهاره وذهابه وإيابه^(٥). وقيل: ما دام بمرأى منَّا، لم يَجِرْ خَلَلٌ، فلما غاب عَنَّا خَفِيت عَنَّا حالاته. وقيل معناه: قد أخذت السَّرِقَةَ مِنْ رَحْله، ونحن أخرجناها وننظرُ إليها، ولا عِلْمٌ لنا بالغيب، فلعلهم سَرَّقوه ولم يسرق.

الثانية: تَضَمَّنَتْ هذه الآية جوازَ الشهادة بأيِّ وجهٍ حصل العِلْمُ بها؛ فإنَّ الشهادة مرتبطة بالعِلْمَ عقلاً وشرعاً، فلا تُسمع إلا مَن عِلِمَ، ولا تُقبل إلا منهم^(٦)، وهذا هو الأصلُ في الشهادات؛ ولهذا قال أصحابنا: شهادة الأعمى جائزة، وشهادة المستمع جائزة، وشهادة الأخرس - إذا فهمت إشارته - جائزة، وكذلك الشهادة على الخط

(١) ذكر خبر ابن زيد الماوردي في النكت والعيون ٦٨/٣، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٨٨/١٤ - ٢٨٩.

(٢) ينظر الوسيط ١٧٣/٢.

(٣) أخرجه عنهما الطبري في التفسير ٢٨٩/١٤ - ٢٩٠.

(٤) تفسير الطبري ٢٩٠/١٤.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ٦٢٦/٢، والبغوي ٤٤٣/٢.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٩٠/٣.

- إذا تيقَّن أنَّه خطَّه أو خطَّ فلانٍ - صحيحةٌ، فكلُّ مَنْ حصل له العِلْمُ بشيءٍ جاز أن يشهد به وإن لم يُشهِده المشهودُ عليه؛ قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] وقال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشَّهَدَاءِ، خَيْرُ الشَّهَدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَ» وقد مضى في «البقرة»^(١).

الثالثة: اختلف قولُ مالكٍ في شهادةِ المُرور، وهو أن يقولَ: مررتُ بفلانٍ فسمعتُه يقول كذا، فإن استوعبَ القولُ شَهِدَ، في أحد قوليه، وفي القول الآخر: لا يشهدُ حتى يُشهِده. والصحيحُ أداءُ الشهادةِ عند الاستيعابِ، وبه قال جماعةُ العلماء، وهو الحقُّ؛ لأنَّه قد حصل المطلوبُ، وتعيَّنَ عليه أداءُ العِلْمِ؛ فكان خيرَ الشَّهَدَاءِ إذا أعلمَ المشهودَ له، وشرَّ الشَّهَدَاءِ إذا كَتَمَهَا، والله أعلم^(٢).

الرابعة: إذا ادَّعى رجلٌ شهادةً لا يَحْتَمِلُها عمره، ردَّتْ؛ لأنَّه ادَّعى باطلاً، فأكذبه العِيَانُ ظاهراً^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَسَّالِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمْرَ﴾ حَقَّقُوا بِهَا شَهَادَتَهُمْ
لَصَدِيقُونَ ﴿٨١﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَسَّالِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمْرَ﴾ حَقَّقُوا بِهَا شَهَادَتَهُمْ عنده، وَرَفَعُوا التَّهْمَةَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ؛ لثَلَا يَتَّهِمُهُمْ. فقولهم: «وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ» أي: أهلها؛ فحذف. ويريدون بالقرية مصر^(٤). وقيل: قريةٌ مِنْ قَرَاهَا نَزَلُوا بِهَا وَامْتَارُوا مِنْهَا. وقيل: المعنى: «وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ» وإن كانت جماداً، فأنت نبيُّ الله، وهو يُنطقُ الجماد لك، وعلى هذا فلا حاجةً إلى إضمار^(٥). قال سيبويه: ولا يَجُوزُ كَلِمَ هِنْدًا، وأنت

(١) ٤٥٤/٤ وما بعدها، وسلف تخريج الحديث هناك.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٩٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تفسير الطبري ١٤/٢٩١ وأخرجه عن قتادة وابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ينظر النكت والعيون ٣/٦٨، والمحور الوجيز ٣/٢٧١، وزاد المسير ٤/٢٦٨.

تريد غلامَ هند؛ لأنَّ هذا يُشكل^(١).

والقول في العير كالقول في القرية سواء. ﴿وَلَا تَا لَصَدِيقُونَ﴾ في قولنا.

الثانية: في هذه الآية من الفقه أنَّ كلَّ مَنْ كان على حقٍّ وعِلِمَ أنَّه قد يُظنُّ به أنَّه على خلافٍ ما هو عليه، أو يُتوَهَّم، أن يرفع التُّهمةَ وكلَّ رِيبةٍ عن نفسه، ويُصرِّح بالحقِّ الذي هو عليه، حتى لا يبقى لأحدٍ مُتكلِّم. وقد فعل هذا نبيُّنا محمد ﷺ بقوله للرجلين اللذين مرًّا، وهو قد خرج مع صفيَّة يَقلِّبُها من المسجد: «على رِسلِكُما إنَّما هي صفيَّة بنتُ حُييٍّ» فقالا: سبحانَ الله! وكُبرَ عليهما، فقال النبي ﷺ: «إنَّ الشيطانَ يبلِّغُ من الإنسان مَبْلَغَ الدَّم، وإني خَشِيتُ أن يَقْدَفَ في قلوبكما شيئاً» رواه البخاري ومسلم^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُمْ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٨٢﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أن ابني سَرَق، وما سَرَق، وإنَّما ذلك لأمرٍ يريده الله. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: فشاني صبرٌ جميلٌ، أو صبرٌ جميلٌ أولى بي، على ما تقدَّم أوَّل السُّورة^(٣).

الثانية: الواجبُ على كلِّ مسلم إذا أصيب بمكروه في نفسه أو ولده أو ماله أن يتلقَّى ذلك بالصبرِ الجميل، والرضا والتسليم لمُجرِيه عليه وهو العليمُ الحكيم، ويقتدي بنبيِّ الله يعقوبَ وسائرِ النبيين، صلواتُ الله عليهم أجمعين.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤١.

(٢) صحيح البخاري (٢٠٣٥)، وصحيح مسلم (٢١٧٥) من حديث صفيّة رضي الله عنها. ويقولها، أي: يصحبها إلى بيتها. النهاية (قلب).

(٣) عند الآية (١٨).

وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن قال: ما من جرعتين يتجرعهما العبد أحب إلى الله من جرعة مُصيبة يتجرعها العبد بحسن صبر وحسن عزاء، وجرعة غيظ يتجرعها العبد بحلم وعفو^(١).

وقال ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى: «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ» أي: لا أشكو ذلك إلى أحد.

وروى مقاتل بن سليمان، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ بَثَّ، لَمْ يَصْبِرِ»^(٢). وقد تقدّم في «البقرة»^(٣) أن الصبر عند أول الصدمة، وثواب من ذكر مصيبته واسترجع وإن تقدّم عهدا.

وقال جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: إن يعقوب أعطي على يوسف أجر مئة شهيد^(٤). وكذلك من احتسب من هذه الأمة في مصيبته، فله مثل أجر يعقوب عليه السلام.

قوله تعالى: «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا» لأنه كان عنده أن يوسف ﷺ لم يمُت، وإنما غاب عنه خبره؛ لأن يوسف حُمِلَ وهو عبد لا يملك لنفسه شيئا، ثم اشتراه الملك، فكان في داره لا يظهر للناس، ثم حُسِّنَ، فلما تمكّن، احتال في أن يعلم أبوه خبره؛ ولم يُوجّه برسول؛ لأنه كره من إخوته أن يعرفوا ذلك، فلا يدعوا الرسول يصل إليه.

وقال: «بهم» لأنهم ثلاثة؛ يوسف وأخوه، والمتخلف من أجل أخيه^(٥)، وهو

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٦٧٢)، وابن أبي شيبة ٢٥١/١٣ عن الحسن، عن النبي ﷺ مرسلًا.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٣٢٧/١ - ٣٢٨، والطبري في التفسير ٣١٣/١٣ من حديث مسلم بن يسار رفعه إلى النبي ﷺ. وهو مرسل.

(٣) ١٧٤/٢ وما بعدها.

(٤) لم نقف عليه من قول ابن عباس، وأخرجه الطبري في التفسير ٣٠٩/١٣، وابن أبي حاتم ٢١٨٦/٧ (١١٨٨٤) عن ليث بن أبي سليم.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٢/٢.

القاتل: «فَلَنْ أُنَبِّحَ الْأَرْضَ». ﴿إِنَّهُ هُوَ الْكَلِيمُ﴾ بحالي. ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما يَقْضِي.

قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَى يُوْسُفَ وَاتَّبَعَتْ مَيْمَنَهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿٨٤﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي: أغرض عنهم؛ وذلك أن يعقوب لما بلغه خبر بنيامين تتألم حزنه، وبلغ جهده، وجدد الله مصيبتَه له في يوسف، فقال: ﴿يَتَأسَفُ عَلَى يُوْسُفَ﴾ ونسي ابنه بنيامين فلم يذكره؛ عن ابن عباس^(١). وقال سعيد بن جبیر: لم يكن عند يعقوب ما في كتابنا من الاسترجاع، ولو كان عنده لما قال: «يَا أَسَفًا عَلَى يُوْسُفَ»^(٢).

قال قتادة والحسن: والمعنى: يا حزناه^(٣)! وقال مجاهد والضحاك: يا جَزَعَاهُ^(٤)! قال كثير:

فيا أسفاً للقلب كيف انصرافه وللنفس لما سُلِّيت فتسلَّت^(٥)
والأسف: شدة الحزن على ما فات. والنداء على معنى: تعال يا أسف فإنه من أوقاتك^(٦). وقال الزجاج^(٧): الأصل: يا أسفي؛ فأبدل من الياء ألف؛ لخفة الفتحة.

(١) الوسيط ٢/٦٢٧، وأخرجه الطبري ١٣/٢٩٣ عن ابن إسحاق.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/١٧٣، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/٣٢٧، والطبري ١٣/٢٩٥، بنحوه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ١/٣٢٧، والطبري ١٣/٢٩٤ عن قتادة، ولم نقف عليه من قول الحسن.

(٤) أخرجه عن مجاهد الطبري ١٣/٢٩٤. وأخرج قول الضحاك بلفظ: يا حَزَنَاهُ.

(٥) النكت والعيون ٣/٦٩، وهو في الديوان ص ٧٧ برواية:

فإن سأل الواشون فيم صرمتها فقل نفس حر سُلِّيت فتسلَّت

(٦) ينظر المحرر الوجيز ٣/٢٧٢، وتفسير الرازي ١٨/١٩٥.

(٧) في معاني القرآن ٣/١٢٥.

﴿وَأَيَّضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ قيل: لم يُبصر بهما ستّ سنين، وأنه عمي؛ قاله مقاتل^(١).

وقيل: قد تبيضت العين وبقي شيء من الرؤية، والله أعلم بحال يعقوب، وإنما ابيضت عيناه من البكاء، ولكن سبب البكاء الحزن، فلهذا قال: «مِنَ الْحُزْنِ».

وقيل: إن يعقوب كان يُصلي، ويوسف نائماً معترضاً بين يديه، فغط في نومه، فالتفت يعقوب إليه، ثم غطّ ثانية، فالتفت إليه، ثم غطّ ثالثة، فالتفت إليه، سروراً به وبغطيطه؛ فأوحى الله تعالى إلى ملائكته: انظروا إلى صفيي وابن خليلي، قائماً في مناجاتي، يلتفت إلى غيري، وعزّتي وجلّالي! لأنزعنّ الحدتّين اللتين التفت بهما، ولأفرقنّ بينه وبين من التفت إليه ثمانين سنة؛ ليعلم العاملون أن من قام بين يديّ يجبّ عليه مراقبة نظري.

الثانية: هذا يدلّ على أنّ الالتفات في الصلاة - وإن لم يُبطل - يدلّ على العقوبة عليها، والنقص فيها، وقد روى البخاري^(٢) عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد» وسيأتي ما للعلماء في هذا، في أوّل سورة «المؤمنون» موعباً إن شاء الله تعالى.

الثالثة: قال النحاس^(٣): فإن سأل قوم عن معنى شدة حزن يعقوب - صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا - فللعلماء في هذا ثلاثة أجوبة:

منها: أن يعقوب ﷺ لما علّم أن يوسف ﷺ حيّ خاف على دينه، فاشتدّ حزنه لذلك.

وقيل: إنّما حزن؛ لأنه سلّمه إليهم صغيراً، فندم على ذلك.

(١) الوسيط ٦٢٧/٢، وتفسير البغوي ٤٤٤/٢، وتفسير الرازي ١٨/١٩٥.

(٢) في صحيحه (٧٥١).

(٣) في إعراب القرآن ٢/٣٤٢.

والجواب الثالث - وهو أبينها - : هو أنَّ الحزنَ ليس بمحظورٍ، وإنَّما المحظورُ
الْوَلُولَةُ وشقُّ الثياب، والكلامُ بما لا ينبغي. وقال النبي ﷺ: «تدمعُ العينُ، ويحزنُ
القلبُ، ولا نقولُ ما يُسخِطُ الرَّبَّ»^(١). وقد بيَّن الله جلَّ وعزَّ ذلك بقوله: ﴿فَهُوَ
كَظِيمٍ﴾ أي: مكظومٌ، مملوءٌ مِنَ الحزن، ممسِكٌ عليه لا يَبِيْثُهُ؛ ومنه كَظُمَ الغيْظُ وهو
إخفاؤه، فالمكظومُ: المسدودُ عليه طريقُ حزنه؛ قال الله تعالى: ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ
مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨] أي: مملوءٌ كَرْبًا. ويجوز أن يكون المكظومُ بمعنى الكاظم، وهو
المشتملُ على حزنه.

وعن ابن عباس: كَظِيمٌ: مغمومٌ^(٢)؛ قال الشاعر:
فإنَّ أَكْ كَاطِمًا لِمُصَابِ شَاسٍ فإني اليومَ مُنْطَلِقٌ لِسَانِي^(٣)
وقال ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: ذهبَ عيناه مِنَ الحزنِ «فَهُوَ
كَظِيمٌ» قال: فهو مكروبٌ^(٤).

وقال مقاتلُ بنُ سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس، في قوله: «فَهُوَ كَظِيمٌ» قال:
فهو كَمِيدٌ^(٥)؛ يقول: يَعْلَمُ أنَّ يوسفَ حيٌّ، وأنَّه لا يَدْرِي أين هو، فهو كَمِيدٌ من ذلك.
قال الجوهري^(٦): الكَمْدُ: الحزنُ المكتومُ؛ تقول منه: كَمِدَ الرجلُ فهو كَمِيدٌ وكَمِيدٌ.
النَّحَاسُ^(٧): يقال: فلانٌ كَظِيمٌ وكَاظِمٌ، أي: حزينٌ لا يَشْكُو حزنه؛ قال الشاعر:
فَحَضَضْتُ قَوْمِي وَاحْتَسَبْتُ قِتَالَهُمْ والقومُ مِنْ خَوْفِ الْمَنَايَا كُظُمٌ^(٨)

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه (١٥٨٩) من حديث أسماء بنت يزيد، وهو عند البخاري (١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) الوسيط ٦٢٧/٢.

(٣) أورده الماوردي في النكت والعيون ٧٠/٣ ولم ينسبه.

(٤) الوسيط ٦٢٧/٢، وأخرجه الطبري ٢٩٧/١٣ عن عطاء الخراساني.

(٥) أخرجه الطبري ٢٩٧/١٣ عن الضحاك، وكذا أورده الماوردي في النكت والعيون ٧٠/٣.

(٦) في الصحاح (كمد).

(٧) في معاني القرآن ٤٥٣/٣.

(٨) أورده الماوردي في النكت والعيون ٧٠/٣ ولم ينسبه.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَالَهُ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَالَهُ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾ أي: قال له ولده: «تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكَّرُ يُوسُفَ» قال الكسائي: فَتَأْتُ وَفَتَيْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ، أي: ما زلتُ. وزعم الفراء أنَّ «لا» مضمرة؛ أي: لا تفتأ^(١)، وأنشد:

فقلتُ يمينَ الله أبرحُ قاعداً ولو قَطَعُوا رأسيَ لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي^(٢)
أي: لا أبرحُ؛ قال النَّحاس: والذي قال، حسنٌ صحيحٌ. وزعم الخليلُ وسيبويه أنَّ «لا» تضمير في القسم؛ لأنَّه ليس فيه إشكال، ولو كان واجباً لكان باللام والنون^(٣).

وإنَّما قالوا له ذلك؛ لأنَّهم علموا باليقين أنَّه يُدَوم على ذلك؛ يقال: ما زال يفعلُ كذا، وما فَعَيْ وَفَعَأَ، فهما لغتان، ولا يُستعملان إلا مع الجحد^(٤)؛ قال الشاعر:
فما فَعَيْتُ حَتَّى كَأَنَّ غُبَارَهَا سُرَادِقُ يَوْمٍ ذِي رِيحٍ تُرْفَعُ^(٥)
أي: ما برحتُ، فتفتأ: تَبْرَحُ. وقال ابنُ عباس: [لا] تزال^(٦).

﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي: تالفاً. وقال ابن عباس ومجاهد: دَنَفًا مِنَ الْمَرَضِ، وهو ما دونَ الموت^(٧)؛ قال الشاعر:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٢) قائله امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص ٣٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٣، وينظر الكتاب لسيبويه ٣/ ١٠٥.

(٤) الصحاح (فتأ).

(٥) قائله أوس بن حجر التميمي، وهو في ديوانه ص ٥٩.

(٦) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٢٩، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٨٧ (١١٨٩١)، وما بين حاصرتين منهما.

(٧) النكت والعيون ٣/ ٧٠.

سَرَى هَمِّي فَأَمْرَضَنِي وَقَدْ مَأْزَدَنِي مَرَضاً
كَذَاكَ الْحَبُّ قَبْلَ الْيَوْمِ مِمَّا يُورِثُ الْحَرَضَ^(١)

وقال قتادة: هَرَمًا^(٢). الضَّحَاك: بَالِيًا دَائِرًا^(٣). محمد بن إسحاق: فاسداً لا عَقْلَ
لك^(٤). الفراء^(٥): الحارِضُ الفاسدُ الجسم والعقل، وكذا الحَرَض. ابنُ زيد:
الحَرَض الذي قد رُدَّ إلى أرذلِ العمر^(٦). الربيعُ بنُ أنس: يابس الجِلْد على العظم^(٧).
المورِّج: ذائباً من الهم. وقال الأخفش: ذاهباً. ابن الأنباري: هالِكاً، وكلُّها متقاربة.

وأصل الحَرَض: الفسادُ في الجسم أو العقل من الحزن أو العشق أو الهَرَم، عن
أبي عبيدة وغيره^(٨)؛ وقال العَرَجِيُّ^(٩):

إِنِّي امْرُؤٌ لَجَّ بِي حُبٌّ فَأَخْرَضَنِي حَتَّى بَلَيْتُ وَحَتَّى شَفَّنِي السَّقَمُ

قال النحاس^(١٠): يقال: حَرَضَ حَرَضاً، وَحَرَضَ حُرُوضاً وَحُرُوضَةً: إِذَا بَلَى
وَسَقَمَ، وَرَجُلٌ حَارِضٌ وَحَرَضٌ، إِلَّا أَنْ حَرَضاً لَا يَشْنَى وَلَا يُجْمَعُ، وَمِثْلُهُ قَيْنٌ وَحَرِيٌّ
لَا يَشْنِيَانِ وَلَا يَجْمَعَانِ.

الشَّعْلَبِيُّ: وَمَنْ الْعَرَبُ مَنْ يَقُولُ: حَارِضٌ، لِلْمَذْكَرِ، وَالْمُؤَنَّثَةُ: حَارِضَةٌ، فَلِذَا
وَصَفَ بِهَذَا اللَّفْظِ، ثَنَّى وَجَمَعَ وَأَنْثَ. وَيُقَالُ: حَرِضَ يَحَرِضُ حَرَاضَةً، فَهُوَ حَرِيزٌ

(١) لم نقف عليهما.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٣٢٧/١، والطبري ٣٠٣/١٣.

(٣) أخرجه الطبري ٣٠٣/١٣.

(٤) أخرجه الطبري ٣٠٣/١٣ - ٣٠٤.

(٥) معاني القرآن ٥٤/٢.

(٦) أخرجه الطبري ٣٠٤/١٣.

(٧) تفسير أبي الليث ١٧٤/٢.

(٨) ذكره الطبري ٣٠١/١٣، والبغوي ٤٤٤/٢ دون نسبة.

(٩) ديوانه ص ٥، والعَرَجِيُّ هو: عبد الله بن عمر بن عبد الله.

(١٠) إعراب القرآن ٣٤٣/٢.

وَحَرِضٌ. ويقال: رجل مُخْرِضٌ^(١)، ويُشَدُّ:

طَلَبَتْهُ الْخَيْلُ يَوْمًا كَامِلًا وَلَوْ أَلْفَتْهُ لَأَضْحَى مُخْرِضًا^(٢)
وقال امرؤ القيس^(٣):

أَرَى الْمَرْءَ ذَا الْأَذْوَادِ يُصْبِحُ مُخْرِضًا كَمَا خَرَّاضٍ بِكُرٍ فِي الدِّيَارِ مَرِيضٍ
قال النخاس^(٤): وحكى أهل اللغة: أحرضه الهُمُّ: إذا أسقمه، ورجلٌ حارِضٌ،
أي: أحق.

وقرأ أنسٌ: «خُرْضًا» بضم الحاء وسكون الراء، أي: مثل عُود الْأَشْنَانِ^(٥). وقرأ
الحسن: بضم الحاء والراء^(٦). قال الجوهري^(٧): الْخُرْضُ وَالْخُرْضُ: الْأَشْنَانُ.
﴿أَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ أي: الميتين، وهو قول الجميع^(٨)؛ وغرضهم مَنَعُ
يعقوبَ من البكاء والحزن شفقةً عليه، وإن كانوا السببَ في ذلك.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي﴾ حقيقةً الْبَثُّ في اللغة: ما يَرُدُّ على الإنسانِ
من الأشياءِ المهلكة التي لا يَتَهَيَّأُ له أن يُخْفِيَهَا؛ وهو مِنْ بَثْنِهِ، أي: فَرَّقْتُهُ، فَسَمِيتِ
المصيبةُ بَثًّا مجازاً^(٩). قال ذو الرُّمَّةِ^(١٠):

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ٥٤/٢، وتفسير الطبري ٣٠١/١٣.

(٢) أورده الطبري ٣٠١/١٣ ولم ينسبه.

(٣) ديوانه ص ٧٧.

(٤) في إعراب القرآن ٣٤٣/٢.

(٥) تفسير الرازي ١٩٧/١٨، والأشنان: شجر ينبت في الأرض الرملية، يستعمل هو أو رماده في غسل الثياب والأيدي. المعجم الوسيط.

(٦) القراءات الشاذة ص ٦٥، والكشاف ٣٣٩/٢.

(٧) الصحاح (حرض).

(٨) النكت والعيون ٧٠/٣.

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٣/٢.

(١٠) ديوانه ٨٢١/٢.

وَقَفْتُ عَلَى رِنَحٍ لِمِيَّةٍ نَأَقْتِي فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبِثُهُ تُكَلِّمُنِي أَخْجَارُهُ وَمَلَأَعْبُهُ
وقال ابن عباس: «بَثِّي» هَمِي^(١). الحسن: حاجتي^(٢). وقيل: أشدَّ الحزن^(٣)،
وحقيقته ما ذكرناه.

﴿وَحَرِّقْ إِلَى اللَّهِ﴾ معطوف عليه، أعاده بغير لفظه.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأنِّي سأسجد
له. قاله ابن عباس^(٤). قتادة: إني أعلم من إحسان الله تعالى إليَّ ما يُوجب حسن ظني
به^(٥). وقيل: قال يعقوب لملك الموت: هل قبضت رُوحَ يوسف؟ قال: لا، فأكد
هذا رجاءه^(٦). وقال السُّدِّي: أعلم أن يوسف حيٌّ، وذلك أنه لما أخبره ولده بسيرة
الملك وعذله وخُلُقِه وقوله، أحسَّت نفسُ يعقوب أنه ولده، فطمع وقال: لعَلَّه يوسف.
وقال: لا يكون في الأرض صديقٌ إلا نُبِّي^(٧). وقيل: أعلم من إجابة دعاء المضطرين
ما لا تعلمون.

قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ
إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُونَ ﴿٨٧﴾﴾
قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ هذا يدلُّ على أنه نيقن

(١) أخرجه الطبري ٣٠٦/١٣.

(٢) أخرجه الطبري ٣٠٦/١٣، وابن أبي حاتم ٢١٨٩/٧ (١١٩٠٣).

(٣) أورده أبو الليث ١٧٤/٢ وعزاه إلى القتيبي، وابن عطية في المحرر الوجيز ٢٧٣/٣ وعزاه إلى أبي عبيدة، وهو في مجاز القرآن ص ٣١٧.

(٤) أخرجه الطبري ٣٠٧/١٣، وابن أبي حاتم ٢١٨٩/٧ (١١٩٠٨).

(٥) أخرجه الطبري ٣٠٧/١٣، وابن أبي حاتم ٢١٨٩/٧ (١١٩٠٦).

(٦) تفسير أبي الليث ١٧٤/٢، وتفسير البغوي ٤٤٥/٢، وزاد المسير ٢٧٥/٤ وعزاه ابن الجوزي إلى ابن السائب.

(٧) أخرجه الطبري ٣٠٧/١٣.

حياته؛ إما بالرؤيا، وإما بإنطاق الله تعالى الذنب، كما في أول القصة، وإما بإخبار ملك الموت إياه بأنه لم يقبض روحه؛ وهو أظهر.

والتحسس: طلب الشيء بالحواس؛ فهو تفعل من الحس^(١)، أي: اذهبوا إلى هذا الذي طلب منكم أخاكم، واحتال عليكم في أخذه، فاسألوا عنه وعن مذهبه. ويروى أن ملك الموت قال له: اطلبه من هاهنا! وأشار إلى ناحية مصر^(٢).

وقيل: إن يعقوب تنبه على يوسف برد البضاعة، واحتباس أخيه، وإظهار الكرامة؛ فلذلك وجههم إلى جهة مصر دون غيرها^(٣).

﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ أي: لا تقنطوا من فرج الله؛ قاله ابن زيد^(٤)؛ يريد: أن المؤمن يرجو فرج الله، والكافر يقنط في الشدة. وقال قتادة والضحاك: من رحمة الله^(٥). ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ دليل على أن القنوط من الكبائر، وهو اليأس، وسيأتي في «الزمر»^(٦) بيانه إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأْتِيَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِمُزْجَحٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأْتِيَا الْعَزِيزُ﴾ أي: الممتنع. ﴿مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ هذه المرة الثالثة من عودهم إلى مصر؛ وفي الكلام حذف، أي: فخرجوا إلى مصر، فلما دخلوا على يوسف قالوا: «مَسْنَا» أي: أصابنا «وَأَهْلَنَا الضُّرُّ» أي: الجوع والحاجة. وفي هذا دليل على جواز الشكوى عند الضر، أي: الجوع، بل واجب

(١) تفسير الطبري ٣١٤/١٣، وتفسير البغوي ٤٤٦/٢.

(٢) تفسير الرازي ١٩٨/١٨.

(٣) التكت والعيون ٧٢/٣.

(٤) أخرجه الطبري ٣١٥/١٣.

(٥) أخرجه عنهما الطبري ٣١٤/١٣ - ٣١٥.

(٦) عند الآية (٥٣).

عليه إذا خاف على نفسه الضر من الفقر وغيره أن يُبدي حالته إلى من يرجو منه النفع، كما هو واجب عليه أن يشكو ما به من الألم إلى الطبيب ليعالجه، ولا يكون ذلك قذحاً في التوكل، وهذا ما لم يكن التشكي على سبيل التسخط؛ والصبر والتجلد في التوائب أحسن، والتعفف عن المسألة أفضل، وأحسن الكلام في الشكوى سؤال المولى زوال البلى؛ وذلك قول يعقوب: «إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» أي: من جميل صنعه، وغريب لطفه، وعائده على عباده. فأما الشكوى على غير مُشكٍ فهو السّفه، إلا أن يكون على وجه البث والتسلي، كما قال ابنُ دُرَيْد:

لَا تَحْسَبَنَّ يَا دَهْرُ أَنِّي ضَارِعٌ لِنَكْبَةٍ تَغْرِقُنِي عَرَقَ الْمُدَى
مَا رَسْتُ مَنْ لَوْ هَوَتْ الْأَفْلَاكُ مِنْ جَوَانِبِ الْجَوِّ عَلَيْهِ مَا شَكَا
لَكُنْهَا نَفْسُهُ مَضْذُورٌ إِذَا جَاشَ لُغَامٌ مِنْ نَوَاحِيهَا عَمَى^(١)

قوله تعالى: ﴿وَجَنَّا يَضَعُ﴾ البضاعة: القطعة من المال يُقصد بها شراء شيء^(٢)؛ تقول: أبضعتُ الشيء، واستبضعته، أي: جعلته بضاعة، وفي المثل: كمستبضع التمر إلى هجر^(٣).

قوله تعالى: ﴿مُزَجَّلَةٌ﴾ صفة لبضاعة؛ والإزجاء: السوق بدفع^(٤)؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَهَابًا﴾ [النور: ٤٣] والمعنى أنها بضاعة تُدفع؛ ولا يقبلها كلُّ أحدٍ. قال ثعلب: البضاعة المزجاة: الناقصة غير التامة.

(١) مقصورة ابن دريد ص ٣٩ - ٤٣ بشرح التبريزي، واللغام: ما يخرج من فم البعير. وعمى: رمى، يقال: عمى البعير بلعابه؛ إذا رمى به، ووقع في (م): غما، وكذا في إحدى النسخ الخطية للمقصورة، كما ذكر ذلك محقق شرح المقصورة لابن هشام اللخمي ص ٧٧.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٥.

(٣) الصحاح (بضع)، والمثل في المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٢/ ٢٣٣.

(٤) الوسيط ٢/ ٦٣٠، والنكت والعيون ٣/ ٧٢.

اختلف في تعيينها هنا؛ ف قيل: كانت قديداً وحيساً؛ ذكره الواقدي عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقيل: خَلَقَ الغَرَائِرَ والجبال؛ روي عن ابن عباس ^(١).

وقيل: متاع الأعراب صوفٌ وسمنٌ؛ قاله عبد الله بن الحارث ^(٢).

وقيل: الحبة الخضراء، والصنوبر - وهو البُظْم: حبٌ شجرٍ بالشام، يؤكل ويُعَصَّر الزيت منه لعمل الصابون - قاله أبو صالح ^(٣)؛ فباعوها بدرهم لا تنفق في الطعام، وتنفق فيما بين الناس؛ فقالوا: خذها منا بحسابٍ جيدٍ تنفق في الطعام.

وقيل: دراهم رديئة؛ قاله ابن عباس أيضاً ^(٤).

وقيل: ليس عليها صورة يوسف، وكانت دراهم مصر عليها صورة يوسف.

وقال الضحاك: النعال والأدم. وعنه: كانت سويقاً منخلاً ^(٥). والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَنَصَدِّقْ عَلَيْنَا﴾.

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾ يريدون كما تبيع بالدرهم الجياد لا تنقصنا بمكان دراهمنا؛ هذا قول أكثر المفسرين.

وقال ابن جريج: ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾ يريدون الكيل الذي كان قد كاله لأخيهم ^(٦). ﴿وَنَصَدِّقْ عَلَيْنَا﴾ أي: تفضل علينا بما بين سِغْرِ الجياد والرديئة. قاله سعيد بن جبير

(١) أخرجه الطبري ٣١٨/١٣، والغرائر: جمع الغرارة: وهي وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه. المعجم الوسيط (غرر).

(٢) أخرجه الطبري ٣١٩/١٣، وابن أبي حاتم (١١٩٢٠).

(٣) أخرجه الطبري ٣٢٠/١٣، وابن أبي حاتم (١١٩٢١).

(٤) أخرجه الطبري ٣١٧/١٣ - ٣١٨، وابن أبي حاتم (١١٩٢٢).

(٥) عرائس المجالس ص ١٣٨ - ١٣٩، وزاد المسير ٢٧٧/٤.

(٦) النكت والعيون ٧٣/٣.

وَالسُّدِّيُّ وَالْحَسَنُ، لَأَنَّ الصَّدَقَةَ تَحْرُمُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ. وقيل المعنى: «تَصَدَّقْ عَلَيْنَا» بالزيادة على حَقِّنا؛ قاله سفيانُ بْنُ عُيَيْنَةَ. قال مجاهد: ولم تَحْرُمِ الصَّدَقَةُ إِلَّا عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ. وقال ابنُ جُرَيْجٍ: المعنى «تَصَدَّقْ عَلَيْنَا» برَدِّ أَخِينَا إِلَيْنَا. وقال ابنُ شَجَرَةَ: «تَصَدَّقْ عَلَيْنَا» تَجَوَّزَ عَنَّا؛ واستشهد بقول الشاعر:

تَصَدَّقْ عَلَيْنَا يَا ابْنَ عَفَّانَ وَاخْتَسِبْ وَأَمْرُ عَلَيْنَا الْأَشْعَرِيِّ لَيَالِيَا^(١)
﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يعني في الآخرة؛ يقال: هذا مِنْ مَعَارِضِ الْكَلَامِ؛ لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ عَلَى دِينِهِمْ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ يَجْزِيكَ بِصَدَقَتِكَ، فَقَالُوا لَفْظًا يُؤْهِمُهُ أَنَّهُمْ أَرَادُوهُ، وَهُمْ يَصْحُحُ لَهُمْ إِخْرَاجُهُ بِالتَّأْوِيلِ؛ قاله النَّقَّاشُ^(٢)، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنْ فِي الْمَعَارِضِ لَمَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ»^(٣).

الثانية: استدلَّ مالِكٌ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ أَجْرَةَ الْكَيْالِ عَلَى الْبَائِعِ^(٤)؛ قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ وَابْنُ نَافِعٍ: قَالَ مالِكٌ: قَالُوا لِيُوسُفَ: «قَاوُفْ لَنَا الْكَيْلَ» فَكَانَ يُوسُفُ هُوَ الَّذِي يَكِيلُ، وَكَذَلِكَ الْوَزَانُ وَالْعِدَادُ وَغَيْرُهُمْ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا بَاعَ عِدَّةً مَعْلُومَةً مِنْ طَعَامِهِ، وَأَوْجَبَ الْعَقْدَ عَلَيْهِ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُبْرِزَهَا وَيُمَيِّزَ حَقَّ الْمَشْتَرِي مِنْ حَقِّهِ، إِلَّا أَنْ يَبِيعَ مِنْهُ مُعَيَّنًا - صُبْرَةً أَوْ مَا لَا حَقَّ تَوْفِيَةٍ فِيهِ - فَخَلَّى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَمَا جَرَى عَلَى الْمَبِيعِ فَهُوَ عَلَى الْمَبْتَاعِ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ مَا فِيهِ حَقُّ تَوْفِيَةٍ مِنْ كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْبَائِعُ الثَّمَنَ إِلَّا بَعْدَ التَّوْفِيَةِ، وَإِنْ تَلَفَ، فَهُوَ مِنْهُ قَبْلَ التَّوْفِيَةِ^(٥).

الثالثة: وَأَمَّا أَجْرَةُ النِّقْدِ، فَعَلَى الْبَائِعِ أَيْضًا؛ لِأَنَّ الْمَبْتَاعَ الدَّافِعَ لِدِرَاهِمِهِ يَقُولُ:

(١) ذكر الشعر مع ما سبقه من أقوال الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٧٤.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٦.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ٣/ ٩٦٣، والبيهقي ١٠/ ١٩٩ عن عمران بن حصين مرفوعاً، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٥٧)، والبيهقي ١٠/ ١٩٩ عن عمران بن حصين موقوفاً، قال البيهقي عقبه: هذا هو الصحيح الموقوف. وينظر كشف الخفاء ١/ ٢٧٠ - ٢٧١.

(٤) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٧٧ وللكنيا الهراسي ص ٢٣٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٦.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٩٣.

إِنَّهَا طَيِّبَةٌ، فأنْتَ الَّذِي تَدْعِي الرِّدَاءَةَ، فانظر لنفسك^(١)؛ وأيضاً فإنَّ النِّفَعَ يَقَعُ لَهُ، فَصَارَ الْأَجْرُ عَلَيْهِ، وكذلك لا يجب على الَّذِي يجب عليه الْقِصَاصُ؛ لأنَّه لا يجب عليه أَنْ يَقْطَعَ يَدَ نَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ يُمَكِّنَ مِنْ ذَلِكَ طَائِعاً؛ أَلَا تَرَى أَنَّ فَرْضاً عَلَيْهِ أَنْ يَقْضِيَ يَدَهُ، وَيُصَالِحَ عَلَيْهِ إِذَا طَلَبَ الْمُقْتَصِّرُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَأَجْرُ الْقَطَاعِ عَلَى الْمُقْتَصِّرِ. وقال الشافعي في المشهور عنه: إِنَّهَا عَلَى الْمُقْتَصِّرِ مِنْهُ، كَالْبَائِعِ^(٢).

الرابعة: يُكْرَهُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ تَصَدَّقْ عَلَيَّ؛ لِأَنَّ الصَّدَقَةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِمَّنْ يَبْتَغِي الثَّوَابَ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُتَفَضِّلٌ بِالثَّوَابِ بِجَمِيعِ النَّعَمِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ؛ وَسَمِعَ الْحَسَنُ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ تَصَدَّقْ عَلَيَّ؛ فَقَالَ الْحَسَنُ: يَا هَذَا! إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَصَدَّقُ إِنَّمَا يَتَصَدَّقُ مَنْ يَبْتَغِي الثَّوَابَ؛ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: «إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ» قُلْ: اللَّهُمَّ اعْطِنِي وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ٨٩ ﴿قَالُوا لَوْلَا أَوْلِيكَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٩٠ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ مَنَّكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيلِينَ﴾ ٩١ ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَنْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ٩٢ ﴿أَذْهَبُوا بِقِمِيمِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَمْوَالِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٩٣

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ﴾ استفهام بمعنى التذكير والتوبيخ^(٤)، وهو الذي قال الله: «لَتَنْبِتْنَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ هَذَا» الآية. ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ دليل على أنهم كانوا صغاراً في وقت أخذهم ليوسف، غير أنبياء؛ لأنَّه لا يُوصَفُ

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٩٣.

(٢) ينظر مغني المحتاج ٢/٣٣٧.

(٣) تفسير الرازي ١٨/٢٠٢. وذكر خبر الحسن أيضاً البغوي ٢/٤٤٦.

(٤) الوسيط ٢/٦٣٠.

بالجهل إلا مَنْ كانت هذه صفته؛ ويدلُّ على أنَّه حَسُنَتْ حالُّهم الآن؛ أي: فعلتم ذلك إذ أنتم صغارٌ جُهَّال؛ قال معناه ابنُ عباس والحسن^(١)؛ ويكون قولهم: «وإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ» على هذا؛ لأنَّهم كَبُرُوا ولم يُخَيِّرُوا أباهم بما فعلوا؛ حياءً وخوفاً منه. وقيل: جاهلون بما تؤوَّلُ إليه العاقبة. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَمْ تَأْتِيكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ لما دخلوا عليه فقالوا: «مَسَّنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ» فخضعوا له وتواضعوا، رَقَّ لهم، وعَرَّفهم بنفسه، فقال: «هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ» فتنبهوا فقالوا: «أَتَيْتَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ» قاله ابنُ إسحاق^(٢).

وقيل: إنَّ يوسفَ تَبَسَّمَ، فشبَّهوه بيوسفَ واستفهموا. قال ابنُ عباس: لما قال لهم: «هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ» الآية، ثم تبسَّم يوسف - وكان إذا تبسَّم كأنَّ ثنياه اللؤلؤَ المنظوم - فشبَّهوه بيوسفَ، فقالوا له على جهة الاستفهام: «أَتَيْتَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ». وعن ابنِ عباس أيضاً: أنَّ إخوته لم يعرفوه حتى وُضِعَ التاجُ عنه، وكان في قُرْنِه علامةٌ، وكان ليعقوبَ مثلُها، شبَّه الشَّامةَ، فلمَّا قال لهم: «هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ» رَفَعَ التاجُ عنه، فَعَرَفوه، فقالوا: «أَتَيْتَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ»^(٣).

وقال ابنُ عباس: كتب يعقوبُ إليه يَطْلُبُ رَدَّ ابنه، وفي الكتاب: مِنْ يعقوبَ صَفِيِّ اللَّهِ ابْنِ إِسْحَاقَ ذَبِيحِ اللَّهِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ إِلَى عَزِيزِ مِصْرَ - أَمَّا بَعْدَ - : فإِنَّا أَهْلُ بَيْتِ بِلَاءٍ وَمِحْنٍ، ابْتَلَى اللَّهُ جَدِّي إِبْرَاهِيمَ بِنَمْرُودَ وَنَارِهِ، ثُمَّ ابْتَلَى أَبِي إِسْحَاقَ بِالذَّبْحِ، ثُمَّ ابْتَلَانِي بَوْلِدٍ كَانَ لِي أَحَبُّ أَوْلَادِي إِلَيَّ حَتَّى كُفِّتَ بِصُرِي مِنَ الْبُكَاءِ، وَإِنِّي لَمْ أَسْرِقْ وَلَمْ أَلْذِ سَارِقاً، وَالسَّلَامُ. فلما قرأ يوسفُ الكتابَ ارتعدت مفاصلُه، واقشعرَّ جِلْدُه، وأرْخَى عَيْنِيهِ بِالْبُكَاءِ، وَعَمِلَ صَبْرُه، فَبَاحَ بِالسَّرِّ^(٤).

(١) ذكر الخبرين الواحد في الوسيط ٦٣٠/٢، فقال: روي عن ابن عباس: إذ أنتم صبيان، وعن الحسن: شبان.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٧٤/٣.

(٣) تفسير البغوي ٤٤٧/٢.

(٤) ذكره البغوي ٤٤٥/٢ بنحوه عن عبد الله بن زيد بن أبي فروة، ولم تقف عليه عن ابن عباس.

وقرأ ابنُ كثير: «إِنَّكَ» على الخبر^(١)، ويجوز أن تكون هذه القراءة استفهاماً كقوله: «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ» [الشعراء: ٢٢].

﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾ أي: أنا المظلوم والمراد قتلُه، ولم يقل: أنا هو؛ تعظيماً للقصة^(٢). ﴿قَدْ مَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: بالنجاة والمُلك.

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ أي: يتَّقِ اللهَ ويَصْبِر على المصائب وعن المعاصي. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: الصابرين في بلائِه، القائمين بطاعته.

وقرأ ابنُ كثير: «إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي» بإثبات الياء^(٣)، والقراءة بها جائزة على أن تجعل «مَنْ» بمعنى الذي، وتدخل «يَتَّقِي» في الصلّة، فتثبت الياء لا غير، وترفع «ويصبر». وقد يجوز أن تجزم «ويصبر»، على أن تجعل «يتقي» في موضع جزم، و«مَنْ» للشرط، وتثبت الياء، وتُجعل علامة الجزم حذف الضمة التي كانت في الياء على الأصل^(٤)، كما قال:

ثم نادى إذا دخلت دِمَشْقاً يا يزيدُ بنَ خالدِ بنِ يزيدٍ^(٥)
وقال آخر:

ألم يأتِكَ والأنباءُ تَنَمِي بما لَأَقْتُ لُبُونُ بني زيادٍ^(٦)
وقراءة الجماعة ظاهرة، والهاء في «إِنَّهُ» كناية عن الحديث، والجملة الخبر.

(١) السبعة ص ٣٥١، والتيسير ص ١٣٠.

(٢) أي: تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوته. الوسيط ٦٣١/٢، ونسب هذا القول إلى ابن الأنباري.

(٣) السبعة ص ٣٥١، والتيسير ص ١٣١.

(٤) ينظر الحجة لأبي علي الفارسي ٤/٤٤٨، وحجة القراءات لابن زنجلة ص ٣٦٤، والمححر الوجيز ٢٧٧/٣.

(٥) نسب قريش للزبيري ص ١٣٠، ونسبه إلى موسى شهورات.

(٦) القائل قيس بن زهير، كما في النواذر في اللغة لأبي زيد ص ٢٠٣، والأغاني ١٧/١٩٨، وهو في الكتاب ٣/٣١٦، والمحتسب ٦٧/١ دون نسبة، ووقع في الأغاني: ألم ييلغك.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّوْا تَأَلَّوْا لَقَدْ عَاشَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ الأصل همزتان، خُففت الثانية، ولا يجوز تحقيقها، واسمُ الفاعل: مُؤثِّر، والمصدر: إثَار. ويقال: أثَرْتُ الترابَ إثارةً، فأنا مُثِير؛ وهو أيضاً على أَفْعَلَ، ثم أُعِلَّ، والأصلُ أَثِير، نُقلت حركة الياء على الثاء، فانقلبت الياء ألفاً، ثم حُذفت لالتقاء الساكنين. وأثَرْتُ الحديثَ على فَعَلْتُ، فأنا أَثِرٌ^(١). والمعنى: لقد فضَّلَك اللهُ علينا، واختارك بالعلم والحلم والحكم والعقل والملك.

﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ أي مذنبين، مِنْ خَطِيئٍ يَخْطَأُ: إذا أتى الخطيئة^(٢)، وفي ضمن هذا سؤالُ العفو. وقيل لابن عباس: كيف قالوا: «وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ» وقد تعمَّدوا لذلك؟ قال: وإن تعمَّدوا لذلك، فما تعمَّدوا حتى أخطؤوا الحقَّ، وكذلك كلُّ مَنْ أتى ذنباً تَخْطِئُ المنهاجَ الذي عليه مِنَ الحقِّ، حتى يقعَ في الشبهة والمعصية.

قوله تعالى: ﴿لَا تُثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ أي: قال يوسف - وكان حليماً موقفاً -: «لَا تُثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ» وتمَّ الكلام. ومعنى «اليوم»: الوقت. والتثريب: التَّعْيِير والتوبيخ، أي: لا تعيِّر ولا توبيخ ولا لَوَمَ عليكم اليوم؛ قاله سفيان الثوري وغيره^(٣)؛ ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا زنت أمةً أحدِكم، فليجلدها الحدَّ، لا يُثْرَبَ عليها»^(٤) أي: لا يعيِّرُها، وقال بشر^(٥):

فَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوً غَيْرَ مُثْرَبٍ وتركتمهم لعقابٍ يومٍ سَرَمَدٍ
وقال الأصمعيُّ: ثَرَبْتُ عليه وعَرَبْتُ عليه بمعنى، إذا قَبَحْتَ عليه فَعَلَهُ^(٦). وقال

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٤.

(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٣٣٠.

(٤) سلف ٢/ ٤٨٩.

(٥) هو بشر بن أبي خازم، والبيت في لسان العرب (ثرب)، وقيل: هو لُثْبَج.

(٦) الصحاح (ثرب).

الزَّجَّاج: المعنى: لا إفساد لما بيني وبينكم من الحرمة، وحقُّ الأخوة، ولكم عندي العفو والصفح؛ وأصلُ التَّريب: الإفسادُ، وهي لغةُ أهلِ الحجاز^(١).

وعن ابنِ عباس أن رسولَ الله ﷺ أخذَ بِعُضَادَتِي الباب يومَ فَتَحِ مَكَّةَ، وقد لَازَ النَّاسُ بِالْبَيْتِ فقال: «الحمد لله الذي صَدَّقَ وَعْدَهُ، ونَصَرَ عَبْدَهُ، وهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَخَذَهُ» ثم قال: «مَاذَا تَظُنُّونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؟» قالوا: خَيْرًا، أَخُ كَرِيمٌ، وابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، وقد قَدَّرَتْ. قال: «وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: «لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ» فقال عمرُ ؓ: «فَفُضِّتْ عَرَقًا مِنَ الْحَيَاءِ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ ذَلِكَ أَنِّي قَدْ كُنْتُ قُلْتُ لَهُمْ حِينَ دَخَلْنَا مَكَّةَ: الْيَوْمَ نَنْتَقِمُ مِنْكُمْ وَنَفْعَلُ، فلما قال رسولُ الله ﷺ ما قال استحييتُ مِنْ قَوْلِي»^(٢).

﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فعلٌ^(٣) مستقبلٌ فيه معنى الدُّعاء^(٤)؛ سأل الله أن يسترَ عليهم ويرحمهم.

وأجاز الأَخْفَشُ^(٥) الوقْفَ على «عَلَيْكُمْ»، والأوَّلُ هو المستعمل؛ فإنَّ في الوقف على «عليكم» والابتداء بـ «الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ» جَزْمٌ بِالمَغْفِرَةِ في اليوم، وذلك لا يكون إلا عن وَخِي، وهذا بَيِّنٌ.

وقال عطاء الخراساني: طَلَبَ الحوائج من الشباب أسهلُّ منه من الشيوخ؛ ألم ترَ قولَ يوسف: «لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ» وقال يعقوب: «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي»^(٦).

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ١٢٨/٣، وتفسير أبي الليث ١٧٥/٢.

(٢) نواذر الأصول ص ٩٣، وأخرجه بنحوه البيهقي في الدلائل ٥٨/٥، وفي السنن الكبرى ١١٨/٩ من حديث أبي هريرة ؓ، دون قول عمر ؓ.

(٣) ليست في (م).

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٤/٢.

(٥) في معاني القرآن ٥٩٣/٢.

(٦) عرائس المجالس ص ١٤١، وتفسير الرازي ٢٠٥/١٨.

قوله تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ نعتٌ للقميص، والقميص مذكّر، فأما قول الشاعر:

تَدْعُو هَوَازِنُ وَالْقَمِيصُ مُفَاضَةٌ فوق النُّطَاقِ تُشَدُّ بِالْأَزْزَارِ^(١)
فتقديره: والقميص دِرْعٌ مُفَاضَةٌ. قاله النحاس^(٢).

وقال ابنُ السُّدِّي، عن أبيه، عن مجاهد: قال لهم يوسف: «أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا» قال: كان يوسفُ أعلمَ بالله من أن يُعلم أن قميصه يَرُدُّ على يعقوبَ بصره، ولكنَّ ذلك قميصُ إبراهيم الذي ألبسه الله في النار من حرير الجنة، وكان كساه إسحاق، وكان إسحاق كساه يعقوب، وكان يعقوبُ أدرج ذلك القميصَ في قَصَبَةٍ مِنْ فِضَّةٍ، وعلَّقه في عُنُقِ يوسف، لِمَا كان يخافُ عليه من العين، وأخبره جبريلُ بأن أُرسل قميصك، فإنَّ فيه ريحَ الجنَّة، وإن رِيحَ الجنَّة لا يقع على سقيم ولا مُبْتَلَى إِلَّا عُوفِيَ^(٣).

وقال الحسن: لولا أن الله تعالى أعلم يوسفَ بذلك، لم يَعْلَم أنه يَرْجِعُ إليه بصره. وكان الذي حمل قميصه يهوذا، قال ليوسف: أنا الذي حملتُ إليه قميصك بدمٍ كَذِبٍ فأحزنته، وأنا الذي أحمله الآن لأسره، وليعودَ إليه بصره، فحمله؛ حكاه السُّدِّي^(٤).

﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لتتخذوا مصرَ داراً. قال مسروق: فكانوا ثلاثة وتسعين، ما بين رجلٍ وامرأة^(٥). وقد قيل: إنَّ القميصَ الذي بعثه هو القميصُ الذي

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٤، والبيت لجريز، وهو في شرح ديوانه ٨٩٧/٢ بلفظ:

تدعو ربيعةً والقميصُ مفاضة تحت النجاد تشدُّ بالأززار
وهو في لسان العرب (قمص) بنحوه.

(٢) في إعراب القرآن ٢/ ٣٤٤.

(٣) تفسير البغوي ٢/ ٤٤٨.

(٤) عرائس المجالس ص ١٤٠، والنكت والعيون ٣/ ٧٦.

(٥) الوسيط ٢/ ٦٣٢، والنكت والعيون ٣/ ٧٦، وتفسير الرازي ١٨/ ٢٠٧.

قَدْ مِنْ دُبُرِهِ^(١)؛ ليعلم يعقوب أنه عُصِمَ من الزنى؛ والقول الأول أصح، وقد روي مرفوعاً من حديث أنس عن النبي ﷺ؛ ذكره القشيري، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ (٩٥) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَنَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَازْتَدَّ بِصِيرٍ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) قَالُوا يَتَّبِعُنَا أَنْسَافٌ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَفْتِي لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفَّورُ الرَّحِيمُ (٩٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ فِي مَكْنٍ (٩٩)

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ أي: خرجت منطلقاً من مصر إلى الشام^(٢)، يقال: فَصَلَ فُصُولاً، وَفَصَلْتَهُ فَضْلاً، فهو لازم ومتعد^(٣). ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ أي: قال لمن حضر من قرابته ممن لم يخرج إلى مصر وهم ولدٌ ولده^(٤): ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾. وقد يحتمل أن يكون خرج بعض بنيهِ، فقال لمن بقي: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾^(٥). قال ابن عباس: هاجت ريحٌ فحملت ريحَ قميص يوسف إليه، وبينهما مسيرة ثمان ليالٍ^(٦). وقال الحسن: مسيرة عشر ليالٍ^(٧)؛ وعنه أيضاً: مسيرة شهر^(٨). وقال مالك بن أنس: إنما أوصل ريحه من أوصل عرش بلقيس قبل

(١) ينظر النكت والعيون ٧٦/٣.

(٢) النكت والعيون ٧٦/٣.

(٣) تفسير الرازي ٢٠٧/١٨.

(٤) الوسيط للواحدي ٦٣٢/٢.

(٥) المحرر الوجيز ٢٧٩/٣.

(٦) أخرجه الطبري في التفسير ٣٣٣/١٣، وفي تاريخه ٣٦٠/١، وابن أبي حاتم (١١٩٦١).

(٧) أخرجه الطبري في التفسير ٣٣٣/١٣، وفي تاريخه ٣٦٠/١.

(٨) المحرر الوجيز ٢٧٩/٣.

أن يَرتدَّ إلى سليمانَ عليه السلام طَرَفُهُ^(١). وقال مجاهدٌ: هبَّت رِيحٌ فَصَفَقَتِ القَمِيصَ، فراحَت روائِحُ الجنَّةِ في الدنيا واتَّصلت بـيعقوبَ، فوجدَ رِيحَ الجنَّةِ، فعلمَ أَنَّهُ ليس في الدنيا من رِيحِ الجنَّةِ إلا ما كان مِن ذلك القميصِ، فعند ذلك قال: «إِنِّي لَأَجِدُ»^(٢) أي: أَشُمُّ؛ فهو وجود بحاسَّة الشَّم^(٣).

﴿لَوْلَا أَن تَقْنَدُونَ﴾ قال ابنُ عباس ومجاهد: لولا أن تُسَفِّهون^(٤)؛ ومنه قولُ النابغة^(٥):

إِلَّا سُلَيْمَانُ إِذْ قَالَ الْمَلِكُ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاخْذُذْهَا عَنِ الْقَنْدِ
أي: عن السَّفِّه.

وقال سعيد بنُ جبير والضَّحَّاك: لولا أن تكذَّبون^(٦). والقَنْد: الكذب. وقد أَقْنَدَ إِقْنَادًا: كَذَبَ^(٧)؛ ومنه قولُ الشاعر:

هل في افتخار الكريم مِن أَوْدٍ أم هل لقول الصَّدُوقِ مِن قَنْدٍ^(٨)
أي: مِن كذب.

وقيل: لولا أن تُقْبَحون؛ قاله أبو عمرو؛ والتَّقْنِيدُ: التَّقْيِيعُ، قال الشاعر:

يا صاحبيِّ دعا لومي وتَقْنِيدِي فليس ما فات مِن أَمْرِي بِمَرْدُودٍ^(٩)

(١) لم تقف عليه.

(٢) عرائس المجالس ص ١٤٠، وتفسير البغوي ٤٤٨/٢.

(٣) تفسير الرازي ٢٠٨/١٨.

(٤) أخرجه عن ابن عباس عبد الرزاق ٣٢٩/١، والطبري في التفسير ٣٣٨/١٣، وعن مجاهد الطبري في التفسير ٣٣٧/١٣.

(٥) ديوانه ص ٣٣.

(٦) أخرجه عنهما الطبري في التفسير ٣٣٩/١٣ - ٣٤٠.

(٧) الصحاح (قند).

(٨) هكذا أورده الماوردي في النكت والعيون ٧٧/٣ ولم ينسبه.

(٩) البيت لبشار بن برد، وهو في ديوانه ٥٤٣/١، ونسبه في مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٣١٨/١ إلى =

وقال ابنُ الأعرابي: «لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ» لولا أن تُضَعِّفُوا رَأْيِي؛ وقاله ابنُ إسحاق. والفَنَدُ: ضَعْفُ الرَّأْيِ مِنْ كِبَرٍ^(١).

وقولُ رابع: تُضَلِّلُون، قاله أبو عبيدة^(٢).

وقال الأخفش: تَلُومُونِي. والتَفْنِيدُ: اللَّومُ وتَضْعِيفُ الرَّأْيِ^(٣).

وقال الحسن وقتادة ومجاهد أيضاً: تُهَرِّمُونَ^(٤)، وكلُّهُ متقاربُ المعنى، وهو راجعٌ إلى التعجيز وتضعيفِ الرأي.

يقال: فَنَدَ تَفْنِيداً: إذا أعجزه، كما قال:

أهلكني باللوم والتفنيـد^(٥)

ويقال: أفند: إذا تكلم بالخطأ؛ والفَنَدُ: الخطأُ في الكلام والرأي، كما قال النابغة:

فاحـدُـذها عـن الفـنـدِ^(٦)

أي: امنعها عن الفساد في العقل، ومن ذلك قيل: اللومُ تفنيـدٌ؛ قال الشاعر:

يا عاذلي دَعَا المَلَامَ وأَقْصِرَا طَالَ الهَوَى وأُطْلِمَا التَّفْنِيدَا^(٧)

= هانئ بن شكيم العدوي، وأورده الطبري في التفسير ٣٣٦/١٣، والماوردي في النكت والعيون ٧٧/٣ ولم ينسباه.

(١) ينظر تهذيب اللغة ١٣٨/١٤، والنكت والعيون ٧٧/٣.

(٢) تفسير البغوي ٤٤٨/٢، وجاء في مجاز القرآن ص ٣١٨/١: تَسْفَهُونِي، وتُعْجِزُونِي، وتلوموني.

(٣) الصحاح (فند).

(٤) أخرجه عنهم الطبري في التفسير ٣٤٠ - ٣٤١، وعن مجاهد ابن أبي حاتم (١١٩٦٨).

(٥) رجز لذي الرمة، وهو في ديوانه ٣٣٣/١، وبعده:

هل بيننا للوصل من مردود

(٦) سلف قريباً، وينظر جمهرة اللغة لابن دريد ٢٩٠/٢، ومعجم متن اللغة ٤٥٣/٤ - ٤٥٤.

(٧) قائله جرير، وهو في ديوانه ٣٣٧/١، والكلام السابق من معاني القرآن للنحاس ٤٥٣/٣، وينظر تفسير الطبري ٣٤١/١٣، والمححر الوجيز ٢٧٩/٣.

ويقال: أَفْتَدَ فلاناً الدهرُ: إذا أفسده؛ ومنه قولُ ابنِ مُقِيلٍ:

دَعِ الدَّهْرَ يَفْعَلْ مَا أَرَادَ فَإِنَّهُ إِذَا كُتِفَ الْإِفْنَادَ بِالنَّاسِ أَفْنَدَا^(١)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ﴾ أي: لفي ذهاب عن طريق الصواب. وقال ابنُ عباس وابنُ زيد: لفي خَطْبِكَ الماضي من حبِّ يوسف لا تنساه^(٢). وقال سعيد بن جبير: لفي جنونك القديم. قال الحسن: وهذا عقوق^(٣). وقال قتادة وسفيان: لفي محبتك القديمة^(٤). وقيل: إنما قالوا هذا؛ لأنَّ يوسفَ عندهم كان قد مات^(٥). وقيل: إن الذي قال له ذلك مَنْ بقيَ معه من ولده، ولم يكن عندهم الخبر^(٦). وقيل: قال له ذلك مَنْ كان معه من أهله وقربائه. وقيل: بنو بَنِيهِ، وكانوا صغاراً^(٧) فالله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: على عينيه. ﴿فَارْتَدَّ بِصِيرًا﴾ «أن» زائدة^(٨)، والبشير، قيل: هو شمعون^(٩). وقيل: يهوذا قال: أنا أذهب بالقميص اليوم كما ذهبت به مُلَطَّخاً بالدم؛ قاله ابنُ عباس^(١٠). وعن السُّدِّي أنه قال

(١) ديوان ابن مقبل ص ٦٠ ، والبيت فيه هكذا:

دَعَا الدهرَ يفعل ما أراد فإنه إِذَا كُتِفَ الْإِفْسَادَ بِالنَّاسِ أَفْسَدَا

والكلام السابق في تفسير الطبري ٣٣٦/١٣ .

(٢) أخرجه عنهما الطبري في التفسير ٣٤٢/١٣ - ٣٤٣ ، وأخرجه عن ابن عباس ابن أبي حاتم في التفسير ٢١٩٨/٧ (١١٩٧٠).

(٣) أخرجه عنهما ابن أبي حاتم ٢١٩٨/٧ (١١٩٧١) و(١١٩٧٢).

(٤) أخرجه عنهما الطبري في التفسير ٣٤٢/١٣ ، وأخرجه عن قتادة ابن أبي حاتم ٢١٩٨/٧ - ٢١٩٩ (١١٩٧٣) ، والكلام السابق من النكت والعيون ٧٨/٣ .

(٥) الوسيط للواحد ٦٣٣/٢ ، وعزاه إلى الحسن ، وينظر تفسير البغوي ٤٤٨/٢ .

(٦) ينظر تفسير أبي الليث ١٧٦/٢ .

(٧) النكت والعيون ٧٨/٣ .

(٨) إهراب القرآن للنحاس ٣٤٥/٢ .

(٩) النكت والعيون ٧٨/٣ ، وزاد المسير ٢٨٦/٤ ونسباه إلى الضحاك.

(١٠) تفسير البغوي ٤٤٩/٢ ، وزاد المسير ٢٨٦/٤ .

لِإِخْوَتِهِ: قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي ذَهَبْتُ إِلَيْهِ بِقَمِيصِ التَّرْحَةِ، فَدَعُونِي أَذْهَبَ إِلَيْهِ بِقَمِيصِ الْفَرْحَةِ^(١). وقال يحيى بْنُ يَمَانَ عَنْ سَفْيَانَ: لَمَّا جَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى يَعْقُوبَ قَالَ لَهُ: عَلَى أَيِّ دِينٍ تَرَكْتَ يَوْسُفَ؟ قَالَ: عَلَى الْإِسْلَامِ؛ قَالَ: الْآنَ تَعَمَّتِ النِّعْمَةُ^(٢). وقال الحسن: لَمَّا وَرَدَ الْبَشِيرُ عَلَى يَعْقُوبَ لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ شَيْئاً يُبَشِّرُهُ بِهِ؛ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَصَبْتُ عِنْدَنَا شَيْئاً، وَمَا خَبَرْنَا شَيْئاً مِنْذُ سَبْعِ لَيَالٍ، وَلَكِنْ هُوَ اللَّهُ عَلَيْكَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ^(٣).

قلت: وهذا الدعاء مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ مِنَ الْجَوَائِزِ، وَأَفْضَلِ الْعَطَايَا وَالذَّخَائِرِ. وَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى جَوَازِ الْبَذْلِ وَالْهَبَاتِ عِنْدَ الْبَشَائِرِ. وَفِي الْبَابِ حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ - الطَّوِيلِ - وَفِيهِ: فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يَبْشُرُنِي، نَزَعْتُ ثَوْبِي فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بِكَمَالِهِ فِي قِصَّةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا^(٤)، وَكَسَوُهُ كَعْبٌ ثَوْبَيْهِ لِلْبَشِيرِ مَعَ كَوْنِهِ لَيْسَ لَهُ غَيْرُهُمَا دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ مِثْلِ ذَلِكَ إِذَا ارْتَجَى حَصُولَ مَا يَسْتَبْشِرُ بِهِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ إِظْهَارِ الْفَرْحِ بَعْدَ زَوَالِ الْغَمِّ وَالتَّرَحُّجِ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ جَوَازُ حَذَاقَةِ الصَّبِيَّانِ^(٥)، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ فِيهَا، وَقَدْ نَحَرَ عَمْرٌ بَعْدَ حِفْظِهِ سُورَةَ «الْبَقَرَةِ» جَزُوراً^(٦). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذَكَرَهُمْ قَوْلُهُ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرَفِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

(١) المحرر الوجيز ٢٨٠/٣، وأخرجه عنه الطبري في التفسير ٣٤٥/١٣، وابن أبي حاتم ٢١٩٦/٧ (١١٩٥٥).

(٢) أخرجه الواحدي في الوسيط ٦٣٤/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ٢١٩٩/٧ (١١٩٧٩) عن لقمان الحنفي.

(٤) ٤١٣/١٠.

(٥) في النسخ الخطية: حذاق الصبيان، والمنبث من (م). وَحَذَقَ الصَّبِيَّ الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ، يَخْلُقُ حَذَقاً وَحَذَاقَةً وَحِذَاقاً: إِذَا مَهَّرَ فِيهِ. وَيُقَالُ لِلْيَوْمِ الَّذِي يَخْتَمُ فِيهِ الْقُرْآنُ: هَذَا يَوْمُ حِذَاقِهِ. الصَّحَاحُ (حَذَقَ)، وَنَقَلَ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِيِّ ٢٤١/٩ عَنْ ابْنِ الصَّبَاغِ فِي كِتَابِهِ «الشَّامِلُ» قَوْلَهُ: الْحِذَاقُ: الطَّعَامُ الَّذِي يَتَّخِذُ عِنْدَ حَذَقِ الصَّبِيِّ، وَعَنْ ابْنِ الرَّفْعَةِ: هُوَ الَّذِي يَصْنَعُ عِنْدَ الْخَتْمِ، أَيِ: خَتَمِ الْقُرْآنِ. اهـ.

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣٣١/٢، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٢٨٦/٤٤.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَكُونُ مِنَّا شَقِيقًا أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ في الكلام حذف، التقدير: فلما رجعوا من مصر قالوا: يا أبانا؛ وهذا يدل على أن الذي قال له: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ عَظِيمٍ﴾ بنو بنيهِ أو غيرهم من قرابته وأهله لا ولده؛ فإنهم كانوا غيباً، وكان يكون ذلك زيادةً في العقوق. والله أعلم.

وإنما سأله المغفرة؛ لأنهم أدخلوا عليه من ألم الحزن ما لم يسقط المأثم عنه إلا بإحلاله^(١).

قلت: وهذا الحكم ثابت فيمن آذى مسلماً في نفسه أو ماله أو غير ذلك، ظالماً له فإنه يجب عليه أن يتحلل له، ويخبره بالمظلمة وقدرها، وهل ينفعه التحليل المطلق أم لا؟ فيه خلاف، والصحيح أنه لا ينفع؛ فإنه لو أخبره بمظلمة لها قدر وبأل ربما لم تطب نفس المظلوم في التحلل منها. والله أعلم.

وفي «صحيح البخاري» وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(٢) قال المهلب فقوله ﷺ: «أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ» يجب أن تكون المظلمة معلومة القدر، مشاراً إليها مبيّنة، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَفْرِغُ لَكُمْ رَبِّي﴾ قال ابن عباس: أَخَّرَ دَعَاءَهُ إِلَى السَّحَرِ^(٣). وقال المثنى بن الصباح عن طاوس قال: سَحَرُ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، وَوَأَقَّ ذَلِكَ لَيْلَةُ عَاشُورَاءَ^(٤). وفي دعاء الجفّظ - من كتاب الترمذي - عن ابن عباس أنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي،

(١) النكت والعيون ٧٩/٣.

(٢) صحيح البخاري (٢٤٤٩)، وأخرجه أيضاً الترمذي (٢٤١٩) بنحوه.

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء ٥٥/٢، والوسيط للواحدي ٦٣٤/٢، وزاد المسير ٢٨٧/٤.

(٤) تفسير البغوي ٤٤٩/٢، وزاد المسير ٢٨٧/٤، وينظر عرائس المجالس للثعلبي ص ١٤١.

تَفَلَّتَ هذا القرآنَ مِن صَدْرِي، فما أَجِدُنِي أَقْدِرُ عليه، فقال له رسولُ الله ﷺ: «أَفَلَا أَعَلَمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ، وَيَنْفَعُ بِهِنَّ مَنْ عَلَّمْتَهُ، وَيُثَبِّتُ مَا تَعَلَّمْتَ فِي صَدْرِكَ» قال: أجل يا رسولَ الله، فَعَلَّمَنِي، قال: «إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقُومَ فِي ثَلَاثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَإِنَّهَا سَاعَةٌ مَشْهُودَةٌ، والدُّعَاءُ فِيهَا مُسْتَجَابٌ، وقد قال أَخِي يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ يقول: حتى تَأْتِيَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ»^(١) وذكر الحديث.

وقال أَيُّوبُ بْنُ أَبِي تَمِيمَةَ السَّخْتِيَانِي، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ في اللَّيَالِي الْبَيْضِ، في الثَّالِثَةِ عَشْرَةِ، والرَّابِعَةِ عَشْرَةِ، والخَامِسَةِ عَشْرَةِ، فَإِنْ الدُّعَاءُ فِيهَا مُسْتَجَابٌ^(٢). وعن عَامِرِ الشَّعْبِيِّ قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ أَي: أَسْأَلُ يَوْسُفَ إِنْ عَفَا عَنْكُمْ اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ رَبِّي^(٣).

وذكر سُنَيْدُ بْنُ دَاوُدَ قال: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ، عن مَحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ، عن عَمِّهِ قال: كُنْتُ أَتَى الْمَسْجِدَ فِي السَّحَرِ، فَأَمُرُّ بِدَارِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَأَطَعْتُ، ودَعَوْتَنِي فَأَجَبْتُ، وَهَذَا سَحَرٌ، فَاغْفِرْ لِي، فَلَقِيتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ: كَلِمَاتٍ أَسْمَعُكَ تَقُولُهُنَّ فِي السَّحَرِ؟ فَقَالَ: إِنَّ يَعْقُوبَ أَخَّرَ بَيْنَهُ إِلَى السَّحَرِ بِقَوْلِهِ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾^(٤).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ أَي: قَضَرَا كَانَ لَهُ هُنَاكَ ﴿ءَاوِيَةً إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ قِيلَ: إِنَّ يَوْسُفَ بَعَثَ مَعَ الْبَشِيرِ مِثْلِي رَاحِلَةً وَجَهَازًا، وَسَأَلَ يَعْقُوبَ أَنْ يَأْتِيَهُ

(١) سنن الترمذي (٣٥٧٠).

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢٨٠/٣.

(٣) تفسير البغوي ٤٤٩/٢.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في التفسير ٥/٤١٠ (١١٤٤)، والطبري في التفسير ١٣/٣٤٧، وابن أبي حاتم في التفسير ٧/٢٢٠٠ (١١٩٨٣)، والطبراني في الكبير ٩/١٠٤ (٨٥٤٨) من طرق، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن محارب بن دثار، عن عَمِّهِ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٥٥: وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف.

بأهله وولديه جميعاً، فلما دخلوا عليه ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوتُهُ﴾ أي: ضَمَّ، ويعني بأبويه أباه وخالته، وكانت أمه قد ماتت في ولادة أخيه بنيامين^(١). وقيل: أحيا الله له أمه تحقيقاً للرؤيا حتى سجدت له، قاله الحسن^(٢)، وقد تقدّم في «البقرة» أَنَّ الله تعالى أحيا لنبیه عليه الصلاة والسلام أباه وأمّه، فأمنّا به^(٣).

قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ قال ابن جريج: أي: سوف أستغفر لكم ربّي إن شاء الله، قال: وهذا من تقديم القرآن وتأخيرِهِ^(٤). قال النحاس^(٥): يذهب ابن جريج إلى أنهم قد دخلوا مصر، فكيف يقول: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾. وقيل: إنّما قال: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ تبرّكاً وجزماً. ﴿ءَامِنِينَ﴾ من القحط، أو من فرعون، وكانوا لا يدخلونها إلا بجوازه^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبُوتِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبُوتِهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قال قتادة: يريد السرير^(٧)، وقد تقدّمت

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١٣/ ٣٥٢، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٠٠ - ٢٢٠١ (١١٩٨٦) ونسباه إلى السدي، وينظر زاد المسير ٤/ ٢٨٨، وتفسير الرازي ١٨/ ٢١٠. والأظهر أن المراد بأبويه: أبوه وأمّه، بحسب اللفظ، إلا إذا ثبت بسند أن أمه ماتت. المحرر الوجيز ٣/ ٢٨١.

(٢) تفسير البغوي ٢/ ٤٥٠، وتفسير الرازي ١٨/ ٢١٠ قال الآلوسي في روح المعاني ١٣/ ٥٧: والظاهر أنه لم يثبت، ولو ثبت مثله لاشتهر.

(٣) ٣٤٤/ ٢. وهذا حديث كذب، فيما نقلناه عن الذهبي ثمة.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ١٣/ ٣٥١، وينظر كلام الطبري حول هذا المعنى.

(٥) معاني القرآن ٣/ ٤٥٦.

(٦) ينظر تفسير البغوي ٢/ ٤٥٠، وزاد المسير ٤/ ٢٨٩، وتفسير الرازي ١٨/ ٢١١.

(٧) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٦.

مَحَامِلُهُ^(١)، وَقَدْ يُعْبَرُ بِالْعَرْشِ عَنِ الْمُلْكِ وَالْمَلِكِ نَفْسِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِي:

عُرُوشٌ تَفَانَوْا بَعْدَ عِزٍّ وَأَمْنَةٍ^(٢)

وَقَدْ تَقَدَّمَ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاخْرُؤْا لَهُ سُجَّدًا﴾

فِيهِ ثَلَاثُ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاخْرُؤْا لَهُ سُجَّدًا﴾ الْهَاءُ فِي «اُخْرُؤْا لَهُ» قِيلَ: إِنَّهَا تَعُودُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، الْمَعْنَى: وَخَرُّوا شُكْرًا لِلَّهِ سُجَّدًا، وَيُوسُفُ كَالْقِبْلَةِ، لِتَحْقِيقِ رُؤْيَاهُ، وَرُويَ عَنِ الْحَسَنِ^(٤)، قَالَ النَّقَاشُ: وَهَذَا خَطَأٌ، وَالْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى يُوسُفَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِ السُّورَةِ: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾. وَكَانَ تَحِيَّتُهُمْ أَنْ يَسْجُدَ الْوَضِيعُ لِلشَّرِيفِ^(٥)، وَالصَّغِيرُ لِلْكَبِيرِ؛ سَجَدَ يَعْقُوبُ وَخَالَتُهُ وَإِخْوَتُهُ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاقْشَعَرَ جِلْدُهُ وَقَالَ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٦).

وَكَانَ بَيْنَ رُؤْيَا يُوسُفَ وَبَيْنَ تَأْوِيلِهَا اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ سَنَةً^(٧). وَقَالَ سَلْمَانُ الْفَارَسِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ: أَرْبَعُونَ سَنَةً^(٨)؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ: وَذَلِكَ آخِرُ مَا تُبْطِئُ

(١) ٢٤٠/٩.

(٢) لَمْ تَقِفْ عَلَيْهِ فِي دِيْوَانِهِ، وَأُورِدَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْأَسْنَى ص ١٨٦ وَلَمْ يَنْسِبْهُ، وَتَمَامُهُ:

هُوُوا بَعْدَمَا رَامُوا السَّلَامَةَ وَالْبَقَاءَ

(٣) لَمْ يَتَقَدَّمَ، بَلِ الْوَارِدُ سَابِقًا ٢٤٠/٩ قَوْلُ زَهِيرٍ:

تَدَارَكْتُمَا عِيسَى وَقَدْ ثُلَّ عَرْشُهَا وَذُبْيَانٌ إِذْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النُّعْلَ

(٤) النُّكْتُ وَالْعَيُونُ ٨٢/٣، وَالْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ ٢٨١/٣، وَزَادَ الْمَسِيرُ ٢٩٠/٤.

(٥) تَفْسِيرُ أَبِي الْلَيْثِ ١٧٧/٢.

(٦) يَنْظُرُ تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ٢١٣/١٨ - ٢١٤.

(٧) تَفْسِيرُ أَبِي الْلَيْثِ ١٧٧/٢، وَزَادَ الْمَسِيرُ ٢٩٠/٤، وَنَسَبَاهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٨) الْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ ٢٨٢/٣، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٥٧/١٣ - ٣٥٩ عَنْهُمَا، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي التَّفْسِيرِ ٢٢٠٢/٧ (١١٩٩٨) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الرؤيا^(١). وقال قَتَادَة: خمسٌ وثلاثون سنة^(٢). وقال السُّدِّيُّ وسعيدُ بنُ جبَّير وعِكرمة: ستٌ وثلاثون سنة^(٣). وقال الحسن وجسْر بنُ فَرْقَدَ وفُضَيْلُ بنُ عِيَّاض: ثمانون سنة^(٤). وقال وهب بنُ مُتَّبه: أَلْقَى يوسفُ في الجُبِّ وهو ابنُ سبعِ عشرة سنة، وغاب عن أبيه ثمانين سنة، وعاش بعد أن التقى بأبيه ثلاثاً وعشرين سنة، ومات وهو ابنُ مئة وعشرين سنة. وفي التوراة مئة وستٌ وعشرون سنة. وولد ليوسف من امرأة العزيز: إفرايم، ومنشا، ورحمة امرأة أيوب^(٥). وبين يوسف وموسى أربع مئة سنة^(٦). وقيل: إنَّ يعقوبَ بقيَ عند يوسفَ عشرين سنة، ثم توفِّي ﷺ. وقيل: أقام عنده ثمانين سنة^(٧). وقال بعضُ المحدثين: بضعا وأربعين سنة. وكان بين يعقوبَ ويوسفَ ثلاثٌ وثلاثون سنة حتى جمعهم الله. وقال ابنُ إسحاق: ثمانين سنة، والله أعلم^(٨).

الثانية: قال سعيدُ بنُ جبَّير، عن قَتَادَة، عن الحسن، في قوله: ﴿وَحَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ قال: لم يكن سجوداً، لكنَّه سنةٌ كانت فيهم، يؤمُّنون برؤوسهم إيماءً، كذلك كانت تحيَّتهم^(٩). وقال الثَّوْرِيُّ والضَّحَّاك وغيرهما: كان سجوداً كالسجود المعهود عندنا، وهو كان تحيَّتهم. وقيل: كان انحناءً كالركوع، ولم يكن خُرواً على الأرض، وهكذا

(١) المحرر الوجيز ٢٨٢/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٠٢/٧ (١١٩٩٩).

(٣) زاد المسير ٢٩٠/٤ - ٢٩١.

(٤) المحرر الوجيز ٢٨٢/٣، وأخرجه عنهم الطبري في التفسير ٣٥٩/١٣ - ٣٦٠.

(٥) تفسير البغوي ٤٥١/٢ ولكن عزاه إلى الحسن، وفيه وفي المعارف لابن قتيبة ص ٤١ أن في التوراة أنه عاش مئة وعشر سنين.

(٦) المعارف لابن قتيبة ص ٤١.

(٧) ينظر المحرر الوجيز ٢٨٢/٣، وتفسير أبي الليث ١٧٨/٢، وتفسير البغوي ٤٥١/٢.

(٨) أخرجه الطبري في التفسير ٣٦١/١٣.

(٩) ينظر الوسيط للواحيدي ٦٣٥/٢، والمحرر الوجيز ٢٨١/٣.

كان سلامُهم بالتَّكْفِي والانحناء، وقد نَسَخَ اللهُ ذلك كله في شرعنا، وجعل الكلام بدلاً عن الانحناء.

وأجمع المفسرون أنَّ ذلك السجود على أيِّ وجه كان، فإنما كان تحيةً لا عبادةً. قال قتادة: هذه كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة^(١).

قلت: هذا الانحناء والتَّكْفِي الذي نُسِخَ عنه، قد صار عادةً بالديار المصرية، وعند العجم، وكذلك قيام بعضهم إلى بعض، حتى إنَّ أحدهم إذا لم يُقَمِّ له، وجَدَ في نفسه كأنه لا يُؤَبِّه به، وأنَّه لا قَدَر له، وكذلك إذا التقوا، انحنى بعضهم لبعض، عادةً مستمرة، ووراثَةً مستقرَّة، لا سيما عند التقاء الأمراء والرؤساء. نكَّبوا عن السَّنَنِ، وأعرضوا عن السَّنَنِ. وروى أنسُ بنُ مالكٍ قال: قلنا يا رسول الله، أينحنى بعضنا إلى بعض إذا التقينا؟ قال: «لا»، قلنا: أفيعتق بعضنا بعضاً؟ قال: «لا»، قلنا: أفيصافح بعضنا بعضاً؟ قال: «نعم». خرَّجه أبو عمر في «التمهيد»^(٢).

فإن قيل: فقد قال رسولُ الله ﷺ: «قوموا إلى سيِّدكم وخيرِكم»^(٣) - يعني: سعدَ ابنَ معاذٍ - قلنا: ذلك مخصوصٌ بسعدٍ؛ لما تقتضيه الحال المعينة. وقد قيل: إنَّما كان قيامهم لينزلوه عن الحمار. وأيضاً فإنَّه يجوز للرجل الكبير إذا لم يؤثر ذلك في نفسه، فإن أثر فيه، وأعجب به، ورأى لنفسه حظاً، لم يَجُزَّ عَوْنُه على ذلك؛ لقوله ﷺ: «مَنْ سرَّه أن يتمثل له الناسُ قياماً، فليتبوأ مقعده من النار»^(٤). وجاء عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنَّه لم يكن وجهٌ أكرمَ عليهم من وجهِ رسولِ الله ﷺ، وما كانوا يقومون له إذا رآوه؛ لما يعرفون من كراهيته لذلك.

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٣٥٥/١٣، وابن أبي حاتم في التفسير ٢٢٠٢/٧ (١١٩٩٦).

(٢) ١٥/٢١، وأخرجه أيضاً البيهقي في السنن الكبرى ١٠٠/٧.

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٠٩٧) من حديث عائشة، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥) من حديث معاوية. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

الثالثة: فإن قيل: فما تقول في الإشارة بالإصبع؟ قيل له: ذلك جائز إذا بُعد عنك؛ لتعين له به وقت السلام، فإن كان دانياً، فلا^(١). وقد قيل بالمنع في القرب والبعد؛ لما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تشبه بغيرنا، فليس منا». وقال: «لا تُسلموا تسليمَ اليهود والنصارى، فإن تسليمَ اليهود بالأُكُف، والتَّصاري بالإشارة»^(٢). وإذا سلَّم فإنه لا يَنحني، ولا أن يُقبَّلَ مع السَّلام يَدَه، ولأنَّ الانحناء على معنى التواضع لا ينبغي إلا لله.

وأما تقبيلُ اليدِ فإنه من فعل الأعاجم، ولا يُتَّبَعون على أفعالهم التي أحدثوها؛ تعظيماً منهم لكِبَرانهم؛ قال النبي ﷺ: «لا تقوموا عند رأسي، كما تقوم الأعاجم عند رؤوس أكاسرتهما»^(٣) فهذا مثله.

ولا بأس بالمصافحة؛ فقد صافح النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب حين قَدِمَ من الحبشة، وأمر بها، ونَدَبَ إليها^(٤)، وقال: «تصافحوا يذهب الغِلُّ»^(٥) وروى غالب التَّمَار عن الشعبي أنَّ أصحابَ النبي ﷺ كانوا إذا التقوا تصافحوا، وإذا قَدِموا من سفر، تعانقوا^(٦).

فإن قيل: فقد كره مالك المصافحة؟ قلنا^(٧): روى ابنُ وهبٍ عن مالكٍ أنه كره المصافحة والمعانقة، وذهب إلى هذا سُخْنون وغيره من أصحابنا. وقد روي عن

(١) في أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٩٥. والكلام منه: فلا بأس بالمصافحة. وسيذكر المصنف المصافحة فيما يأتي.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٩٥) والنسائي في الكبرى (١٠١٠٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٩١١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. قال الترمذي: هذا حديث إسناده ضعيف. اهـ.

(٣) أخرجه أبو داود (٥٢٣٠)، وابن ماجه (٣٨٣٦) عن أبي أمامة ؓ بنحوه.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٩٥، والحديث أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٤/ ٢٨١.

(٥) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٠٨ عن عطلة مرسلاً.

(٦) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٤/ ٢٨١.

(٧) القائل ابن عبد البر في التمهيد ١٧/ ٢١.

مالكٍ خلافتُ ذلكَ من جوازِ المصافحةِ، وهو الذي يدلُّ عليه معنى ما في «الموطأ»، وعلى جوازِ المصافحةِ جماعةُ العلماءِ من السلفِ والخلفِ.

قال ابن العربي^(١): «إنما كَرِهَ مالكُ المصافحةَ؛ لأنه لم يَرَهَا أمراً عاماً في الدين، ولا منقولاً نَقَلَ السلام، ولو كانت منه لاستوى معه.

قلت: قد جاء في المصافحةِ حديثٌ يدلُّ على الترغيب فيها، والدَّأْبُ عليها والمحافظة، وهو ما رواه البراءُ بنُ عازبٍ قال: لقيتُ رسولَ الله ﷺ، فأخذ بيدي فقلت: يا رسولَ الله، إن كنتُ لأحسبُ أنَّ المصافحةَ للأعاجم؟ فقال: «نحنُ أحقُّ بالمصافحةِ منهم، ما من مسلمين يلتقيان فيأخذ أحدهما بيد صاحبه مودةً بينهما ونصيحةً، إلا أَلْقَيْتُ ذَنْبُهُمَا بَيْنَهُمَا»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ ولم يقل: من الجُبِّ؛ استعمالاً للكَرَمِ؛ لثلاثِ إخوانته صنيعهم بعد عَفْوِهِ عنهم بقوله: ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٣) [يوسف: ٩٢].

قلت: وهذا هو الأصل عند مشايخ الصوفية: ذُكِرُ الْجَفَا في وقتِ الصَّفَا جَفَاً^(٤)، وهو قولٌ صحيحٌ دلَّ عليه الكتابُ.

وقيل: لأنَّ في دخوله السجنَ كان باختياره بقوله: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ وَمَا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ وكان في الجبِّ بإرادة الله تعالى له. وقيل: لأنَّه كان في السجن مع اللصوص والعصاة، وفي الجبِّ مع الله تعالى؛ وأيضاً فإنَّ المِنَّةَ في النَّجاةِ مِنَ السِّجْنِ كانت أكبرَ؛ لأنَّه دخله بسبب أمرٍ هَمَّ به، وأيضاً دخله باختياره إذ قال: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ فكان الكَرْبُ فيه أكثرَ، وقال فيه أيضاً: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾

(١) أحكام القرآن ٣/ ١٠٩٥ .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٣٣٥)، وابن عبد البر في التمهيد ١٣/ ٢١ .

(٣) الوسيط للواحدى ٢/ ٦٣٥ ، وزاد المسير ٢٩١/ ٤ .

(٤) هذا من كلام الجنيد للسريِّ السَّقَطِي، وهو في الرسالة القشيرية ١١٨/ ٢ .

[يوسف: ٤٢] فَعُوقِبَ فِيهِ^(١).

﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ يُرْوَى أَنَّ مَسْكَنَ يَعْقُوبَ كَانَ بِأَرْضِ كَنْعَانَ، وَكَانُوا أَهْلَ مَوَاشٍ وَبَرِّيَّةٍ^(٢). وَقِيلَ: كَانَ يَعْقُوبُ تَحَوَّلَ إِلَى بَادِيَةِ وَسَكَنَهَا، وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ خَرَجَ إِلَى بَدَا، وَهُوَ مَوْضِعٌ؛ وَإِيَّاهُ عَنِ جَمِيلٍ بِقَوْلِهِ:

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبْتَ شُعْبًا إِلَى بَدَا إِلَيَّ وَأَوْطَانِي بِلَادُ سِوَاهُمَا^(٣) وَلِيَعْقُوبَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مَسْجِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ. يُقَالُ: بَدَا الْقَوْمُ بَدَؤًا: إِذَا أَتَوْا بَدَا، كَمَا يُقَالُ: غَارُوا غَوْرًا، أَي: أَتَوْا الْغَوْرَ، وَالْمَعْنَى: وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ مَكَانٍ بَدَا؛ ذَكَرَهُ الْقَشِيرِيُّ، وَحَكَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ عَنِ الضَّحَّاكِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤).

﴿مِنْ بَدَا أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ بِإِيقَاعِ الْحَسَدِ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٥). وَقِيلَ: أَفْسَدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي^(٦)؛ أَحَالَ ذَنْبَهُمْ عَلَى الشَّيْطَانِ؛ تَكَرَّمًا مِنْهُ.

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ أَي: رَفِيقٌ بِعِبَادِهِ. وَقَالَ الْحَطَّابِيُّ: اللَّطِيفُ هُوَ الْبَرُّ بِعِبَادِهِ، الَّذِي يَلْطَفُ بِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَيَسَبِّبُ لَهُمْ مَصَالِحَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الشورى: ١٩]. وَقِيلَ: اللَّطِيفُ: الْعَالِمُ بِدَقَائِقِ الْأُمُورِ؛ وَالْمُرَادُ هُنَا الْإِكْرَامُ وَالرَّفَقُ.

قَالَ قَتَادَةُ: لَطَفَ بِيُوسُفَ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ السَّجْنِ، وَجَاءَهُ بِأَهْلِهِ مِنَ الْبَدْوِ، وَنَزَعَ عَنْ قَلْبِهِ نَزْعَ الشَّيْطَانِ^(٧).

(١) ينظر النكت والعيون ٨٣/٣، وتفسير البغوي ٤٥١/٢، وزاد المسير ٢٩١/٤.

(٢) الوسيط للواحد ٦٣٦/٢ ونسبه إلى قَتَادَةَ، وأخرجه عنه الطبري في التفسير ٣٦٢/١٣.

(٣) ديوان جميل ص ٢٠٠.

(٤) النكت والعيون ٨٤/٣، وينظر تفسير الرازي ٢١٥/١٨.

(٥) النكت والعيون ٨٤/٣.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٣١٩/١، وتفسير الطبري ٣٦٣/١٣.

(٧) أخرجه الطبري في التفسير ٣٦٤/١٣، وابن أبي حاتم في التفسير ٢٢٠٣/٧ (١٢٠٣).

وَيُرَوَّى أَنَّ يَعْقُوبَ لَمَّا قَدِمَ بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، وَشَارَفَ أَرْضَ مِصْرَ، وَبَلَغَ ذَلِكَ يَوْسُفَ، اسْتَأْذَنَ فِرْعَوْنَ - وَاسْمُهُ الرَّيَّانُ - أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي تَلْقَائِهِ أَبِيهِ يَعْقُوبَ، وَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِهِ، فَأْذَنَ لَهُ، وَأَمَرَ الْمَلَأَ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالرُّكُوبِ مَعَهُ، فَخَرَجَ يَوْسُفُ وَالْمَلِكُ مَعَهُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ الْأَمْوَاءِ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ خَلَقَ اللَّهُ أَعْلَمَ بِهِمْ، وَرَكِبَ أَهْلُ مِصْرَ مَعَهُمُ يَتَلَقَّوْنَ يَعْقُوبَ، فَكَانَ يَعْقُوبُ يَمْشِي مُتَكِنًا عَلَى يَدِ يَهُوذَا، فَنَظَرَ يَعْقُوبُ إِلَى الْخَيْلِ وَالنَّاسِ وَالْعَسَاكِرِ فَقَالَ: يَا يَهُوذَا، هَذَا فِرْعَوْنُ مِصْرَ؟ قَالَ: لَا، بَلْ هَذَا ابْنُكَ يَوْسُفُ، فَلَمَّا دَنَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ، ذَهَبَ يَوْسُفُ لِيُبَدِّأَهُ بِالسَّلَامِ، فَمُنِعَ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ يَعْقُوبُ أَحَقَّ بِذَلِكَ مِنْهُ وَأَفْضَلَ، فَابْتَدَأَ يَعْقُوبُ بِالسَّلَامِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذْهِبَ الْأَحْزَانِ^(١)، وَيَكِي وَيَكِي مَعَهُ يَوْسُفُ، فَبَكَى يَعْقُوبُ فَرَحًا، وَيَكِي يَوْسُفُ، لِمَا رَأَى بِأَبِيهِ مِنَ الْحُزَنِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢): فَالْبُكَاءُ أَرْبَعَةٌ، بُكَاءٌ مِنَ الْخَوْفِ، وَبُكَاءٌ مِنَ الْجَزَعِ، وَبُكَاءٌ مِنَ الْفَرَحِ، وَبُكَاءٌ رِيَاءٍ. ثُمَّ قَالَ يَعْقُوبُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقَرَّ عَيْنِي بَعْدَ الْهَمُومِ وَالْأَحْزَانِ.

وَدَخَلَ مِصْرَ فِي اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَلَمْ يَخْرُجُوا مِنْ مِصْرَ حَتَّى بَلَغُوا سِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ وَنِيفَ أَلْفٍ، وَقَطَعُوا الْبَحْرَ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَوَاهُ عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣). وَحَكَى ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّهُمْ دَخَلُوا مِصْرَ وَهُمْ ثَلَاثَةٌ وَتَسْعُونَ إِنْسَانًا مَا بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، وَخَرَجُوا مَعَ مُوسَى وَهُمْ سِتُّ مِائَةِ أَلْفٍ وَسَبْعُونَ أَلْفًا^(٤). وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خَثِيمٍ: دَخَلُوهَا وَهُمْ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ أَلْفًا، وَخَرَجُوا مَعَ مُوسَى وَهُمْ سِتُّ مِائَةِ أَلْفٍ. وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مَنْبُهٍ: دَخَلَ يَعْقُوبُ وَوَلَدُهُ مِصْرَ وَهُمْ تَسْعُونَ إِنْسَانًا مَا بَيْنَ رَجُلٍ

(١) تفسير الطبري ١٣/٣٥٠، وتاريخ الطبري ١/٣٦٢، وعرائس المجالس ص ١٤١ - ١٤٢، والنكت والعيون ٨١/٣.

(٢) لم تقف عليه.

(٣) لم تقف عليه.

(٤) النكت والعيون ٨٢/٣، وأخرجه الطبري في التفسير ١٣/٣٦٣ بنحوه، وينظر تفسير أبي الليث ١٧٦/٢، وفيه أنهم كانوا حين دخولهم ثلاثة وسبعين إنساناً.

وامراً وصغير، وخرجوا منها مع موسى فراراً من فرعون وهم ستُّ مئة ألف وخمُسُ مئة وبضْعُ وسبعون رجلاً مقاتلين، سوى الذرية والهزْمى والزَّمْنى؛ وكانت الذرية ألف ألف ومِئتي ألف سوى المقاتلة^(١).

وقال أهلُ التواريخ: أقام يعقوبُ بمصر أربعاً وعشرين سنةً في أغبط حالٍ ونعمة، ومات بمصر، وأوصى إلى ابنه يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند أبيه إسحاق بالشام، ففعل، ثم انصرف إلى مصر^(٢). قال سعيدُ بنُ جبير: نُقل يعقوبُ ﷺ في تابوت من ساج إلى بيت المقدس، ووافق ذلك يومَ مات عيصو، فدُفنا في قبر واحد؛ فمن ثَمَّ تنقَّل اليهودُ موتاهم إلى بيت المقدس، مَنْ فَعَلَ ذلك منهم؛ ووُلد يعقوب وعيصو في بطنٍ واحد، ودُفنا في قبر واحد، وكان عمرُهما جميعاً مئةً وسبعاً وأربعين سنةً^(٣).

قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ قال قتادة: لم يتمنَّ الموتَ أحدٌ، نبِيٌّ ولا غيره إلا يوسف عليه السلام؛ حينَ تكاملت عليه النعمُ، وجميعُ له الشَّمْلُ اشتاقَ إلى لقاءِ ربه عزَّ وجلَّ^(٤). وقيل: إنَّ يوسفَ لم يتمنَّ الموتَ، وإنما تمنَّى الوفاةَ على الإسلام، أي: إذا جاءَ أَجَلِي تَوَفَّنِي مُسْلِماً^(٥)، وهذا قولُ الجمهور.

وقال سهلُ بنُ عبد الله التُّسْتَرِيُّ: لا يتمنى الموتَ إلا ثلاثٌ: رجلٌ جاهلٌ بما بعدَ الموت، أو رجلٌ يَفِرُّ من أقدارِ الله تعالى عليه، أو مشتاقٌ محبٌّ للقاءِ الله عزَّ وجلَّ.

(١) ينظر عرائس المجالس ص ١٤٢، والكشاف ٢/ ٣٤٤.

(٢) تفسير البغوي ٢/ ٤٥١، وينظر تاريخ الطبري ١/ ٣٦٤، والوسيط ٢/ ٦٣٦، والكشاف ٢/ ٣٤٥.

(٣) تفسير البغوي ٢/ ٤٥١. وينظر عرائس المجالس ص ١٤٣، والمعارف لابن قتيبة ص ٣٩ وهذه الأخبار من الاسرائيليات.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ١٣/ ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٣، والكشاف ٢/ ٣٤٥.

وُثِبَتْ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لَضُرِّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ مُتَمَنَّيًّا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي». رواه مسلم^(١) وفيه^(٢): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمرَهُ إِلَّا خَيْرًا». وإذا ثبتَ هذا، فكيف يقال: إِنَّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَمَنَّى الْمَوْتَ، وَالْخُرُوجَ مِنَ الدُّنْيَا، وَقَطَعَ الْعَمَلَ؟ هَذَا بَعِيدٌ! إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ جَائِزًا فِي شَرْعِهِ، أَمَّا إِنَّهُ يَجُوزُ تَمَنَّى الْمَوْتَ وَالِدَعَاءَ بِهِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَغَلَبَتِهَا وَخُوفِ ذَهَابِ الدِّينِ، عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ فِي كِتَابِ «التَّذَكُّرِ»^(٣). و«مِنْ» مِنْ^(٤) قَوْلِهِ: «مِنْ الْمُلْكِ» لِلتَّبْعِيضِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ» لِأَنَّ مُلْكَ مَصْرَ مَا كَانَ كُلُّ الْمُلْكِ، وَعَلَّمَ التَّعْبِيرَ مَا كَانَ كُلُّ الْعُلُومِ. وَقِيلَ: «مِنْ» لِلْجَنَسِ كَقَوْلِهِ: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» [الحج: ٣٠]. وَقِيلَ: لِلتَّأَكِيدِ. أَيْ: آتَيْتَنِي الْمُلْكَ، وَعَلَّمْتَنِي تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» نُصِبَ عَلَى النِّعَةِ لِلنِّدَاءِ، وَهُوَ «رَبٌّ»، وَهُوَ نِدَاءٌ مِضَافٌ، وَالتَّقْدِيرُ: يَا رَبِّ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نِدَاءً ثَانِيًا^(٦). وَالْفَاطِرُ الْخَالِقُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ فَاطِرُ الْمَوْجُودَاتِ، أَيْ: خَالَقُهَا وَمُبْدِئُهَا، وَمُنْشِئُهَا وَمَخْتَرُغُهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ^(٧)، وَلَا مِثَالٍ سَبَقَ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى فِي «الْبَقَرَةِ»^(٨)

(١) فِي صَحِيحِهِ (٢٦٨٠)، وَهُوَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٦٣٥١).

(٢) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٢٦٨٢).

(٣) ص ٦.

(٤) فِي (ظ): فِي.

(٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَاجِ ١٢٩/٣، وَالْكَشَافُ ٣٤٥/٢، وَالْمَحَرَّرُ الْوَجِيزُ ٢٨٤/٣.

(٦) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ٣٤٥/٢، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَاجِ ١٣٠/٣، وَالْكَشَافُ ٣٤٥/٢.

(٧) فِي (ظ): شَبَهَ.

(٨) ٣٣٥/٢.

مستوفى عند قوله: ﴿يَدِيعُ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آية: ١١٧] وزدناه بياناً في الكتاب
«الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»^(١).

﴿أَنْتَ وَلِيُّ﴾ أي: ناصرى ومتولّى أموري في الدنيا والآخرة. ﴿تَوْفِّي مُسْلِمًا
وَالْحَقِّنِي بِالْعَنَلِجِينَ﴾ يريدُ آبَاءَهُ الثلاثة: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فتوفاه الله طاهراً
طيباً ﷺ، بمصر، ودُفِنَ في النيل في صندوق من رخام؛ وذلك أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ تَشَاحَّ
النَّاسُ عليه، كُلُّ يَحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِي مَحَلَّتِهِمْ، لِمَا يَرْجُونَ مِنْ بَرَكَتِهِ؛ واجتمعوا على
ذلك حتى هُمُوا بِالْقِتَالِ، فَرَأَوْا أَنْ يَدْفِنُوهُ فِي النَّيْلِ مِنْ حَيْثُ مَفَرَّقُ الْمَاءِ بِمِصْرَ، فَيَمُرَّ
عليه الْمَاءُ، ثُمَّ يَتَفَرَّقُ فِي جَمِيعِ مِصْرَ، فَيَكُونُوا فِيهِ شَرَعاً^(٢)، ففعلوا، فلمَّا خَرَجَ
مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَخْرَجَهُ مِنَ النَّيْلِ، وَنَقَلَ تَابُوتَهُ بَعْدَ أَرْبَعِ مِائَةِ سَنَةٍ إِلَى بَيْتِ
الْمَقْدَسِ، فَدَفَنُوهُ مَعَ آبَائِهِ لِدَعْوَتِهِ: ﴿وَالْحَقِّنِي بِالْعَنَلِجِينَ﴾ وكان عُمره مائة عامٍ وسبعة
أعوام^(٣).

وعن الحسن قال: أُلْقِيَ يَوْسُفُ فِي الْجُبِّ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ فِي
الْعُبُودِيَّةِ وَالسَّجْنِ وَالْمَلِكِ ثَمَانِينَ سَنَةً، ثُمَّ جُمِعَ لَهُ شَمْلُهُ فَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثًا
وَعِشْرِينَ سَنَةً؛ وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ إِفْرَائِيمُ، وَمِنْشَا، وَرَحْمَةُ زَوْجَةُ أَيُّوبَ؛ فِي قَوْلِ ابْنِ
لَهْيَعَةَ.

قال الزُّهْرِيُّ: وَوُلِدَ لِإِفْرَائِيمَ بْنِ يَوْسُفَ نُونُ بْنُ إِفْرَائِيمَ، وَوُلِدَ لِنُونِ يَوْشَعُ، فَهُوَ
يُوشَعُ بْنُ نُونٍ^(٤)، وَهُوَ فَتَى مُوسَى الَّذِي كَانَ مَعَهُ صَاحِبُ أَمْرِهِ، وَنَبَّأَهُ اللَّهُ فِي زَمَنِ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ بَعْدَهُ نَبِيًّا، وَهُوَ الَّذِي افْتَتَحَ أَرِيحَا، وَقَتَلَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ

(١) ص ٣٢٦ - ٣٢٨.

(٢) أي: سواء. الصحاح (شرع)، وفي (ظ): شركاء، وهما بمعنى.

(٣) النكت والعيون ٣/ ٨٥، والوسيط ٢/ ٦٣٦، وتفسير السمرقندي ٢/ ١٧٨، وزاد المسير ٤/ ٢٩٢،
وتفسير الرازي ١٨/ ٢١٦، وعرائس المجالس ص ١٤٤.(٤) تفسير البغوي ٢/ ٤٥١، وزاد المسير ٤/ ٢٩٢، وتفسير الرازي ١٨/ ٢١٦. وينظر عرائس المجالس
ص ١٤٥.

الجبابرة، واستوفقت له الشمس حسب ما تقدّم في «المائدة»^(١). ووُلِدَ لمنشا بن يوسف موسى بن منشأ، قبل موسى بن عمران، وأهل التوراة يزعمون أنه هو الذي طلب العالم ليتعلم منه حتى أدركه، والعالم هو الذي خرق السفينة، وقتل الغلام، وبنى الجدار، وموسى بن منشأ معه حتى بلغ معه حيث بلغ، وكان ابن عباس يُنكر ذلك^(٢)؛ والحق الذي قاله ابن عباس، وكذلك في القرآن، ثم كان بين يوسف وموسى أمم وقرون، وكان فيما بينهما شعيب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾^(٣) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٣﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ ابتداءً وخبرٌ. ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ خبر ثانٍ. قال الزجاج^(٤): ويجوز أن يكون «ذَلِكَ» بمعنى الذي، و«نُوحِيهِ إِلَيْكَ» خبره، أي: الذي من أنباء الغيب نوحيه إليك. يعني: هو الذي قصصنا عليك يا محمد من أمر يوسف من أخبار الغيب «نُوحِيهِ إِلَيْكَ» أي: نُعلمك بوحى هذا إليك.

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي: مع إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ في إلقاء يوسف في الجب. ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ أي: بيوسف في إلقاءه في الجب. وقيل: «يَمْكُرُونَ» بيعقوب حين جاؤوه بالقميص ملطّخاً بالدم^(٥)، أي: ما شاهدت تلك الأحوال، ولكن الله أطلعك عليها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ظن أن العرب لما سألت عن هذه القصة وأخبرهم يؤمنون، فلم يؤمنوا، فنزلت الآية تسلياً للنبي ﷺ^(٥). أي:

(١) ٤٠٤/٧.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ١٥/٣٢٦ - ٣٢٩، وينظر عرائس المجالس ص ١٤٥.

(٣) معاني القرآن ٣/١٣٠، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٣٤٥.

(٤) النكت والعيون ٣/٨٧.

(٥) المحرر الوجيز ٣/٢٨٤، وزاد المسير ٤/٢٩٣.

ليس تقدرُ على هدايةٍ مَنْ أَرَدْتَ هدايته^(١)، تقول: حَرَصَ يَحْرِصُ، مثل: ضَرَبَ يَضْرِبُ. وفي لغةٍ ضعيفةٍ: حَرَصَ يَحْرِصُ، مثل: حَمِدَ يَحْمَدُ^(٢). والِحَرَصُ طلبُ الشيءِ باجتهاد^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ «مِنْ» صلةٌ، أي: ما تَسْأَلُهُمْ جُعْلًا. ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو، يعني: القرآن والوحي. ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: عِظَةٌ وتذكرةٌ ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٥١﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال الخليلُ وسيبويه^(٥): هي «أي» دخلَ عليها كافُ التشبيه^(٦)، فصار في الكلام معنى كَم. وقد مضى في «آلِ عمران»^(٧) القولُ فيها مستوفى. ومضى القولُ في آية «السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» في «البقرة»^(٨).

(١) معاني القرآن للنحاس ٤٥٩/٣.

(٢) تهذيب اللغة ٢٣٩/٤.

(٣) في النسخ: باختیار، ولم نقف على هذا المعنى، والمثبت من تفسير الرازي ٢٢٣/١٨، ولسان العرب (حرص).

(٤) تفسير الطبري ٣٧١/١٣.

(٥) في الكتاب ١٧٠/٢ - ١٧١. ونقله المصنف بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤١٠/١ و ٣٤٦/٢، والكلام منه.

(٦) بعدها في (م): وبُئيت معها.

(٧) ٣٤٩/٥ وما بعدها.

(٨) ٤٩٠/٢.

وقيل: الآيات آثار عقوبات الأمم السالفة، أي: هم غافلون معرضون عن تأملها.

وقرأ عكرمة وعمر بن فائد: «وَالْأَرْضُ» رفعاً ابتداءً، وخبره: «يَمْرُوتَ عَلَيَّهَا». وقرأ السدي «وَالْأَرْضَ» نصباً بإضمار فعل، والوقف على هاتين القراءتين على «السموات». وقرأ ابن مسعود: «يمشون عليها»^(١).

قوله تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» نزلت في قوم أقرؤا بالله خالقهم وخالق الأشياء كلها، وهم يعبدون الأوثان؛ قاله الحسن ومجاهد، وعامر الشعبي^(٢) وأكثر المفسرين. وقال عكرمة: هو قوله: «وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ» [الزخرف: ٨٧] ثم يصفونه بغير صفته، ويجعلون له أنداداً. وعن الحسن أيضاً: أنهم أهل كتاب معهم شرك وإيمان، آمنوا بالله وكفروا بمحمد ﷺ، فلا يصح إيمانهم؛ حكاها ابن الأنباري.

وقال ابن عباس: نزلت في تلبية مشركي العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. وعنه أيضاً: أنهم النصارى. وعنه أيضاً: أنهم المشبهة، آمنوا مجملًا، وأشركوا مفضلًا. وقيل: نزلت في المنافقين؛ المعنى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ» أي: باللسان إلا وهو كافر بقلبه؛ ذكره الماوردي^(٣) عن الحسن أيضاً. وقال عطاء: هذا في الدعاء، وذلك أن الكفار ينسبون ربهم في الرخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء؛ بيانه^(٤): «وَعَلَّوْا أَنَّهُمْ أَحْيَطُ بِهِمْ» [يونس: ٢٢] الآية. وقوله: «وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنِّدِهِ» [يونس: ١٢] الآية. وفي آية أخرى: «وَإِذَا مَسَّهُ

(١) المحتسب ١/٣٤٩ - ٣٥٠، ومختصر في شواذ القرآن ص ٦٥، والمححر الوجيز ٣/٢٨٥، وتفسير الرازي ١٨/٢٢٤.

(٢) في (م): والشعبي.

(٣) في النكت والعيون ٣/٨٧، وتظهر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٣/٣٧٢ - ٣٧٦، والنكت والعيون ٣/٨٧، والمححر الوجيز ٣/٢٨٥، وزاد المسير ٤/٢٩٤، وتفسير الرازي ١٨/٢٢٤.

(٤) في (ظ): نياتهم، وقول عطاء في تفسير البغوي ٢/٤٥٢.

الْشَّرُّ قَدْ دُعِيَ عَرِيضٌ ﴿[فصلت: ٥١]﴾. وقيل: معناها: أنهم يدعون الله ينجيهم من الهلكة، فإذا أنجاهم قال قائلهم: لولا فلان ما نجونا، ولولا الكلب لدخل علينا اللص، ونحو هذا، فيجعلون نعمة الله منسوبة إلى فلان، ووقايته منسوبة إلى الكلب^(١).

قلت: وقد يقع في هذا القول والذي قبله كثير من عوام المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقيل: نزلت هذه الآية في قصة الدخان؛ وذلك أن أهل مكة لما غشيهم الدخان في سني القحط قالوا: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢] فذلك إيمانهم، وشركهم عودهم إلى الكفر بعد كشف العذاب؛ بيانه قوله: ﴿إِنكُرْ عَادُونَ﴾ [الدخان: ١٥]، والعود لا يكون إلا بعد ابتداء، فيكون معنى: ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ أي: إلا وهم عائدون إلى الشرك، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: مجللة. وقال مجاهد: عذاب يغشاهم. نظيره: ﴿يَوْمَ يَفْسَدُهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥] وقال قتادة: وقية تقع لهم. وقال الضحاك: يعني الصواعق والقوارع^(٢). ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ يعني: القيامة. ﴿بَغْتَةً﴾ نصب على الحال، وأصله المصدر. وقال المبرد: جاء عن العرب حال بعد نكرة، وهو قولهم: وقع أمر بغتة وفجأة. قال النحاس^(٣): ومعنى: بغتة: أصابه^(٤) من حيث لم يتوقع.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وهو توكيد^(٥). وقوله: «بَغْتَةً» قال ابن عباس: تصيح الصيحة بالناس وهم في أسواقهم ومواضعهم^(٦)، كما قال: ﴿تَأْخُذْهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾

(١) النكت والعيون ٨٧/٣.

(٢) تفسير الطبري ٣٧٧/١٣ - ٣٧٨، وتفسير البغوي ٤٥٣/٢.

(٣) في إعراب القرآن ٣٤٦/٢ - ٣٤٧، وما قبله منه، وينظر معاني القرآن للزجاج ١٣١/٣.

(٤) في النسخ: بغتة: إصابة، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس.

(٥) تفسير الرازي ٢٢٤/١٨.

(٦) تفسير البغوي ٤٥٣/٢.

[يس: ٤٩] على ما يأتي.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ ابتداءً وخبر^(١)، أي: قل يا محمد، هذه طريقي وسُتِّي ومنهَاجي؛ قاله ابنُ زيد. وقال الربيع: دعوتي. مقاتل: ديني^(٢)، والمعنى واحد، أي: الذي أنا عليه وأدعو إليه يُؤدِّي إلى الجنة^(٣). ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: على يقين وحق؛ ومنه: فلانٌ مستبصرٌ بهذا. ﴿أَنَا﴾ توكيد. ﴿وَمِنَ اتَّبَعِي﴾ عطفت على المضمر^(٤). ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي: قل يا محمد: وسبحان الله. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الذين يتخذون من دون الله أنداداً^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْءٍ وَلَا يَرُدُّ بِأُسْنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ هذا ردٌّ على القائلين: ﴿وَلَا أَنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨]، أي: أرسلنا رجالاً ليس فيهم امرأة ولا جنِّي ولا ملك؛ وهذا يردُّ ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ فِي النِّسَاءِ أَرْبَعَ نَبِيَّاتٍ: حَوَاءَ وَآسِيَةَ، وَأُمَ مَوْسَى وَمَرْيَمَ»^(٦). وقد تقدَّم في «آل عمران»^(٧) شيءٌ من هذا.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٧/٢.

(٢) تفسير الطبري ٣٧٩/١٣، والنكت والعيون ٨٨/٣، وتفسير البغوي ٤٥٣/٢، والوسيط ٦٣٧/٢، والمححر الوجيز ٢٨٥/٣.

(٣) ينظر تفسير الرازي ٢٢٥/١٨.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٧/٢.

(٥) تفسير الرازي ٢٢٥/١٨.

(٦) لم نقف عليه.

(٧) ١٢٦/٥ - ١٢٩.

﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ يريد المدائن، ولم يبعث الله نبياً من أهل البادية؛ لغلبة الجفاء والقسوة على أهل البدو؛ ولأن أهل الأمصار أعقل وأحلم، وأفضل وأعلم. قال الحسن: لم يبعث الله نبياً من أهل البادية قط، ولا من النساء، ولا من الجن. وقال قتادة: «مِنْ أَهْلِ الْقُرَى» أي: من أهل الأمصار؛ لأنهم أعلم وأحلم^(١).

وقال العلماء: من شرط الرسول أن يكون رجلاً آدمياً مدنياً^(٢)؛ وإنما قالوا: آدمياً تحرزاً من قوله: ﴿يُؤْتُونَ رِجَالًا مِنْ الْحَيْنِ﴾ [الجن: ٦]. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ إلى مصارع الأمم المكذبة لأنبيائهم فيعتبروا. ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ ابتداءً وخبره. وزعم الفراء^(٣) أن الدار هي الآخرة، وأضيف الشيء إلى نفسه لاختلاف اللفظ، كيوم الخميس، وبارحة الأولى؛ قال الشاعر:

ولو أقفوت عليك ديار عُبس عرفت الذلَّ عِرْقَانِ الْيَقِينِ^(٤)

أي: عِرْقَاناً وبقيناً، واحتج الكسائي بقولهم: صلاة الأولى، واحتج الأخفش بـ: مسجد الجامع. قال النحاس: إضافة الشيء إلى نفسه مُحَالٌ؛ لأنه إنما يُضَافُ الشيء إلى غيره ليتعرف به، والأجود الصَّلَاةُ الأولى، ومن قال: صلاة الأولى فمعناه: عند صلاة الفريضة الأولى، وإنما سُمِّيَتْ الأولى؛ لأنها أوَّلُ ما صَلَّي حين فُرِضَت الصَّلَاةُ، وأوَّلُ ما أظْهَر، فلذلك قيلَ لها أيضاً: الظهر. والتقدير: ولدارُ الحال الآخرة خيرٌ. وهذا قولُ البصريين^(٥)، والمرادُ بهذه الدارِ الجنة؛ أي: هي خيرٌ للمتقين.

(١) ينظر تفسير الطبري ١٣/ ٣٨٠، وتفسير البغوي ٢/ ٤٥٣، والوسيط ٢/ ٦٣٨، والنكت والعيون ٣/ ٨٨، والمحزر الوجيز ٣/ ٢٨٦، وزاد المسير ٤/ ٢٩٥.

(٢) ينظر تفسير الرازي ١٨/ ٢٢٦.

(٣) في معاني القرآن ٢/ ٥٥ - ٥٦. ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٣٤٧، وما قبله منه.

(٤) البيت في تفسير الطبري ١٣/ ٣٨٢، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٥٦، دون نسبة لقاتل.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٧، والمحزر الوجيز ٣/ ٢٨٧، وينظر البحر المحيط ٥/ ٣٥٣.

وَقُرِئَ: «وَلَلْدَارُ الْآخِرَةُ»^(١). وقرأ نافع وعاصم ويعقوب وغيرهم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالتاء على الخطاب. الباكون بالياء على الخبر^(٢).

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ تقدم القراءة فيه ومعناه^(٣). ﴿وَلَّظْنَا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا﴾ وهذه الآية فيها تنزيه الأنبياء وعصمتهم عما لا يليق بهم. وهذا الباب عظيم، وخطره جسيم، ينبغي الوقوف عليه؛ لئلا يزِلَّ الإنسان فيكون في سواء الجحيم. المعنى: وما أرسلنا قبلك يا محمد إلا رجلاً، ثم لم نعاقب أممهم بالعذاب.

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ أي: يَسُّوا من إيمان قومهم، ﴿وَلَّظْنَا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا﴾ بالتشديد؛ أي: أيقنوا أن قومهم كَذَّبُوهم^(٤). وقيل: المعنى: حَسِبُوا أَنَّ مَنْ آمَنَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ كَذَّبُوهم^(٥)، لا أَنَّ الْقَوْمَ كَذَّبُوا، ولكنَّ الْأَنْبِيَاءَ ظَنُّوا وَحَسِبُوا أَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَهُمْ؛ أي: خافوا أن يدخلَ قلوبَ أتباعهم شكٌّ، فيكون «وَلَّظْنَا» على بابِه في هذا التأويل^(٦).

وقرأ ابنُ عباس وابنُ مسعود، وأبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ وأبو جعفر بن القَعْقَاعِ، والحسن وقتادة، وأبو رَجَاءِ العُطَارِدِيُّ وعاصم، وحمزة والكسائي، ويحيى بن وثَّاب والأعمش وخَلَفٌ: «كُذِّبُوا» بالتخفيف^(٧)؛ أي: ظَنَّ الْقَوْمُ أَنَّ الرُّسُلَ كَذَّبُوهم فيما

(١) قال البنا في إتحاف فضلاء البشر ص ٢٦٢: ولا خلاف في حرف يوسف أنه بلام واحدة لاتفاق الرسوم عليه.

(٢) السبعة ص ٢٥٦، والتيسير ص ١٣٠.

(٣) عند الآية ٨٠ في هذه السورة.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٣٢/٣، والوسيط للواحدي ٦٣٨/٢، والمحزر الوجيز ٢٨٧/٣-٢٨٨، وتفسير البغوي ٤٥٤/٢.

(٥) تفسير أبي الليث ١٨٠/٢.

(٦) المحزر الوجيز ٢٨٨/٣.

(٧) ينظر السبعة ص ٣٥٢، والتيسير ص ١٣٠، وتفسير الطبري ٣٨٣/١٣-٣٩٢، والمحزر الوجيز ٢٨٧/٣-٢٨٨، والبغوي ٤٥٤/٢، والوسيط ٦٣٨/٢.

أَخْبَرُوا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَمْ يَصْدُقُوا.

وقيل: المعنى ظَنَّ الْأُمَمُ أَنَّ الرِّسْلَ قَدْ كَذَّبُوا فِيهِمَا وَعَدُوا بِهِ مِنْ نَصْرِهِمْ^(١). وفي رواية عن ابن عباس: ظَنَّ الرِّسْلُ أَنَّ اللَّهَ أَخْلَفَ مَا وَعَدَهُمْ. وقيل: لم تصحَّ هذه الرواية؛ لأنه لا يُظَنُّ بِالرِّسْلِ هَذَا الظَّنُّ، وَمَنْ ظَنَّ هَذَا الظَّنَّ لَا يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ، فكيف قال: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾^(٢) ١٢٠.

قال القشيري أبو نصر: ولا يبعدُ إن صحَّت الرواية أَنَّ المرادَ خَطَرَ بَقُلُوبِ الرِّسْلِ هَذَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَحَقَّقُوا فِي نَفْسِهِمْ؛ وفي الخبر: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ لِأَمْتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَنْطِقْ بِهِ لِسَانٌ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ»^(٣). ويجوزُ أَنْ يُقَالَ: قَرَّبُوا مِنْ ذَلِكَ الظَّنِّ؛ كَقَوْلِكَ: بَلَغْتُ الْمَنْزَلَ، أَيْ قَرُبْتُ مِنْهُ^(٤).

وذكر الثعلبي والنحاس^(٥) عن ابن عباس قال: كانوا بشرًا فَضَعُفُوا مِنْ طَوْلِ الْبَلَاءِ، وَنَسُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أَخْلَفُوا، ثُمَّ تَلَا: ﴿حَقَّ يَقُولُ الرَّسُولِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤]^(٦). وقال الترمذي الحكيم: وجهه عندنا أَنَّ الرِّسْلَ كَانَتْ تَخَافُ بَعْدَ مَا وَعَدَ اللَّهُ النَّصْرَ، لَا مِنْ تَهْمَةٍ لَوَعِدَ اللَّهُ، وَلَكِنْ لَتَهْمَةِ النَّفُوسِ أَنْ تَكُونَ قَدْ أَحْدَثَتْ حَدَثًا يَنْقُضُ ذَلِكَ الشَّرْطَ وَالْعَهْدَ الَّذِي عَاهَدَ إِلَيْهِمْ، فَكَانَتْ إِذَا طَالَتْ عَلَيْهِمُ الْمُدَّةُ دَخَلَهُمُ الْإِيَّاسُ وَالظُّنُونُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وقال المهدوي، عن ابن عباس: ظَنَّتِ الرِّسْلُ أَنَّهُمْ قَدْ أَخْلَفُوا، عَلَى مَا يَلْحَقُ الْبَشَرَ، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُتِي الْمَوْتُ﴾

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ٥٦/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣٤٧/٢، والنكت والعيون ٨٩/٣، وبحر العلوم ١٨٠/٢، ومعاني القرآن للزجاج ١٣٢/٣.

(٢) تفسير الطبري ٣٩٣ - ٣٩٤، ومعاني القرآن للزجاج ١٣٢/٣، والكشاف ٣٤٧/٢.

(٣) سلف ٣٠٩/١٠.

(٤) قال مثل قول القشيري أبو منصور الأزهري في تهذيب اللغة ١٦٨/١٠ - ١٦٩.

(٥) في معاني القرآن ٤٦٣/٣.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٩٣/١٣، وفيه: «يشوا» بدل «نسا».

[البقرة: ٢٦٠] الآية. والقراءة الأولى أولى.

وقرأ مجاهد وحמיד: «قَدْ كَذَبُوا» بفتح الكاف والذال مُخَفَّفًا^(١)، على معنى: وظَنَّ قومُ الرسلِ أَنَّ الرسلَ قد كَذَبُوا، لِمَا رَأَوْا من تَفَضُّلِ الله عَزَّ وَجَلَّ في تَأخِيرِ العذابِ^(٢).

ويجوزُ أن يكون المعنى: وَلَمَّا أيقِنَ الرسلُ أن قومَهُم قد كَذَبُوا على الله بكفرِهِم، جاءَ الرسلَ نصرُنا. وفي البخاري^(٣)، عن عروة، عن عائشة قالت له وهو يسألُها عن قولِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حَقٌّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ قال: قلت: أَكُذِّبُوا أم كُذِّبُوا؟ قالت عائشة: كُذِّبُوا. قلت: فقد استيقنوا أَنَّ قومَهُم كَذَبوهم فما هو بالظن؟ قالت: أَجَلُ لعمري لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا، قالت: معاذَ الله! لم تكنِ الرسلُ تظُنُّ ذلك بربها. قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباعُ الرسلِ [الذين آمنوا بربهم وصدَّقوهم، فطالَ عليهم البلاءُ، واستأخَرَ عنهم النصرُ حتى إذا استيأسَ الرسلُ] ممن كَذَّبَهُم من قومِهِم، وظنَّتِ الرسلُ أن أتباعَهُم قد كَذَّبوهم جاءَهُم نصرُ الله^(٤) عندَ ذلك.

وفي قوله تعالى: «جَاءَهُمْ نَصْرُنَا» قولان: أحدهما: جاءَ الرسلَ نصرُ الله؛ قاله مجاهد^(٥). الثاني: جاءَ قومَهُم عذابُ الله؛ قاله ابنُ عباس^(٦). ﴿فَتَنْجِي مَن نَّشَاءُ﴾ قيل: الأنبياءُ وَمَن آمَنَ معهم^(٧). وَرُوي عن عاصم ﴿فَتَنْجِي مَن نَّشَاءُ﴾ بنونٍ واحدةٍ

(١) القراءات الشاذة ص ٦٥، والمحتسب ٣٥٠/١.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٧/٢، ومعاني القرآن له ٤٦٤/٣، والمحزر الوجيز ٢٨٨/٣، والوسيط ٦٣٨/٢.

(٣) برقم (٤٦٩٥)، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٤) في النسخ: نصرنا، والمثبت من صحيح البخاري.

(٥) تفسير الطبري ٣٩٨/١٣ - ٣٩٩.

(٦) النكت العيون ٨٩/٣.

(٧) تفسير الطبري ٤٠١/١٣.

مفتوحة الياء، و«مَنْ» في موضع رفع اسم ما لم يُسم فاعله؛ واختار أبو عبيد هذه القراءة؛ لأنها في مصحف عثمان، وسائر مصاحف البلدان بنون واحدة^(١). وقرأ ابن مُحَيِّص: «فَتَجَا» فعل ماض. و«مَنْ» في موضع رفع؛ لأنه الفاعل^(٢)، وعلى قراءة الباقيين نصباً على المفعول. ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ أي: عذابنا. ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين المشركين^(٣).

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي: في قصة يوسف وأبيه وإخوته^(٤)، أو في قصص الأمم^(٥). ﴿عِبْرَةٌ﴾ أي: فكرة وتذكرة وعظة. ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: العقول.

وقال محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: إن يعقوب عاش مئة سنة وسبعاً وأربعين سنة، وتوفي أخوه عيصو معه في يوم واحد، وقبراً في قبر واحد^(٦)؛ فذلك قوله: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ إلى آخر السورة. ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ أي ما كان القرآن حديثاً يفتري، أو ما كانت هذه القصة حديثاً يفتري^(٧). ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: ولكن كان تصديق،

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٧/٢، ومعاني القرآن للفراء ٥٦/٢، ومعاني القرآن للزجاج ١٣٢/٣، والوسيط للواحدي ٦٣٨/٢، والمحور الوجيز ٢٨٨/٣ - ٢٨٩.

(٢) القراءات الشاذة ص ٦٥، وتفسير الطبري ٤٠٠/١٣.

(٣) تفسير الطبري ٤٠١/١٣.

(٤) النكت والعيون ٨٩/٣ - ٩٠، والكشاف ٣٤٨/٢.

(٥) المحور الوجيز ٢٨٩/٣، وتفسير الرازي ٢٢٨/١٨.

(٦) ينظر تاريخ الطبري ٣٣٠/١، والمعارف ص ٣٩ - ٤٠. وسلف هذا الكلام ص ٤٦٠ من هذا الجزء.

(٧) النكت والعيون ٩٠/٣، والوسيط للواحدي ٦٣٩/٢، والكشاف ٣٤٨/٢، وزاد المسير ٢٩٧/٤.

ويجوزُ الرفعُ بمعنى: لكن هو تصديقُ الذي بين يديه^(١) أي: ما كان قبله من التوراة والإنجيل وسائر كتبِ الله تعالى، وهذا تأويلُ مَنْ زعم أنه القرآن^(٢). ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ممَّا يحتاجُ العبادُ إليه من الحلالِ والحرامِ، والشرائعِ والأحكامِ^(٣). ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

تم الجزء الحادي عشر من تفسير القرطبي، ويليه الجزء الثاني عشر
ويبدأ بسورة الرعد

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٨/٢.

(٢) تفسير الطبري ٤٠٣/١٣، والنكت والعيون ٩٠/٣، ومعاني القرآن للزجاج ١٣٣/٣، ومعاني القرآن للفرأ ٥٦/٢ - ٥٧.

(٣) تفسير أبي الليث ١٨٠/٢، والوسيط للواحدي ٦٣٩/٢، وتفسير البغوي ٤٥٤/٢.

فهرس الجزء الحادي عشر

- قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولَهُمْ فُتِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [٤٧-٤٨]
- ٥ - قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي شَيْئًا وَلَا لِقَوْمٍ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ...﴾ [٤٩-٥٠]
- ٦ - قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا رَفَعَ مَأْمَتُمْ بِهِ...﴾ [٥١]
- ٧ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ...﴾ [٥٢-٥٤]
- ٨ - قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ...﴾ [٥٥-٥٨]
- ١٠ - قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا...﴾ [٥٩]
- ١٢ - قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَنَ الَّذِينَ يَقْتُزُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ...﴾ [٦٠]
- ١٣ - قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا...﴾ [٦١]
- ١٤ - قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَىٰ لِغُلَامٍ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٦٢]
- ١٦ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [٦٣-٦٤]
- ١٧ - قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْوَسْةَ لَلَّهِ جَبِيمًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ...﴾ [٦٥-٦٦]
- ١٩ - قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْيَلَّ لَسْتُمْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبِيسًا...﴾ [٦٧-٦٨]
- ٢٠ - قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [٦٩-٧١]
- ٢١ - قوله تعالى: ﴿فَإِنْ قُلْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرُوا إِلَّا عَلَى اللَّهِ...﴾ [٧٢]
- ٢٥ - قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ...﴾ [٧٣-٧٤]
- ٢٦ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مَوْسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا...﴾ [٧٥-٧٧] ..
- ٢٧ - قوله تعالى: ﴿فَالرَّا أَجْنَفْنَا لِنَفْسِنَا عَمَّا وَبَدَّنا عَلَيْهِ مَابَدَّنا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِرَامَةُ فِي الْأَرْضِ...﴾ [٧٨] ..
- ٢٨ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [٧٩-٨١]
- ٢٩ - قوله تعالى: ﴿وَيُحْيِي اللَّهُ الْحَيَّ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [٨٢-٨٣]
- ٣١ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ مَأْمَنُكُمْ بِاللَّهِ فَقَالُوا لَوْ كُنَّا كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ...﴾ [٨٤-٨٥]
- ٣٣ - قوله تعالى: ﴿وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [٨٦-٨٧]
- ٣٤ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ مَأْتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا...﴾ [٨٨]
- ٣٨ - قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٨٩] ..
- ٤٢ - قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نَزَّلْنَا بِسْمِ إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا...﴾ [٩٠]
- ٤٤ - قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَقَدَّ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ [٩١-٩٢]
- ٤٧ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْأَأَ صَدَقِي وَرَفَقْتُهُمْ مِنَ الطَّاغُوتِ...﴾ [٩٣-٩٥]
- ٥١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ...﴾ [٩٦-٩٨]
- ٥٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَبِيمًا...﴾ [٩٩]
- ٥٦ - قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّيحُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَآمَنُونَ﴾ [١٠٠-١٠١]
- ٥٧

- ٥٨ - قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَائِهِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾ [١٠٢-١٠٣]
- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ رَبِّي فَلَا أَصْبَدُ الَّذِينَ تَقْبِذُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾
- ٥٩ [١٠٤-١٠٦]
- ٦٠ - قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِشَيْءٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ...﴾ [١٠٧-١٠٨]
- ٦١ - قوله تعالى: ﴿وَأَنْبِئْ مَا يُحِبُّ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ...﴾ [١٠٩]
- ٦٢ - تفسير سورة هود عليه السلام
- ٦٥ - قوله تعالى: ﴿الرَّ كِتَبٌ أُخْرِكَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [١-٤]
- ٦٩ - قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ مَذْهَبَ مَنَاسِكُهُمْ...﴾ [٥]
- ٧١ - قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَوْدِعَهَا...﴾ [٦]
- ٧٤ - قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ...﴾ [٧]
- ٧٧ - قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَخْرَجْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَهُ أَتَمُّ مَعْدُودَةٍ لِقَوْلِكَ مَا يَحْسِبُهُ...﴾ [٨]
- ٧٨ - قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ...﴾ [٩-١١]
- ٨٠ - قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُنَّا نَارِكَ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ...﴾ [١٢-١٣]
- ٨٢ - قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾ [١٤]
- ٨٣ - قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا...﴾ [١٥]
- ٨٦ - قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْكَارُ...﴾ [١٦]
- ٨٧ - قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتَرٍ مِنْ رَبِّهِ وَتَلَاوُهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ...﴾ [١٧]
- ٩١ - قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا...﴾ [١٨-١٩]
- قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ...﴾
- ٩٢ [٢٠]
- ٩٣ - قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ...﴾ [٢١-٢٢] ...
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالْخَيْرَ إِنَّكَ رَهِيمٌ أَرْحَمُ الْجَنَّةِ...﴾
- ٩٥ [٢٣]
- ٩٦ - قوله تعالى: ﴿مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَغْصَانِ وَالْأَصْنَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّيِّعِ...﴾ [٢٤]
- ٩٧ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ لَكُمْ نَذِيرٌ شَدِيدٌ...﴾ [٢٥-٢٧]
- قوله تعالى: ﴿قَالَ بَعُوهُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَتَرٍ مِنْ رَبِّي وَآلِيٍّ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَفِيَّتْ عَلَيْهِمْ...﴾ [٢٨-٣١]
- ١٠٥ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْتَهِ قَدْ جَدَلْنَاكَ فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا...﴾ [٣٢-٣٥]
- قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ...﴾ [٣٦-٣٧]
- ١٠٧ [٣٨-٤٠]
- ١٠٩ - قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكَلَّمَ مَرْ عَلَىٰ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ...﴾ [٣٨-٤٠]
- ١١٨ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِإِذْنِ اللَّهِ يُجَرِّبُهَا وَمُرْتَهَبًا...﴾ [٤١-٤٤]
- ١٣٣ - قوله تعالى: ﴿وَوَادَّيْ نُوحٍ رَبُّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي آتِي مِنْ أَهْلِ...﴾ [٤٥-٤٧]
- ١٣٨ - قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَنْتَهِ أَهْبِطْ سَلَامًا مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ...﴾ [٤٨] ...

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٤٩] ١٣٩
- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُودًا...﴾ [٥٠-٦٠] ١٤٠
- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُودًا...﴾ [٦١] ١٤٨
- قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَصْطَلِحُ فَذَكُّتَ فِيمَا مَرَّيْنَا قَبْلَ هَذَا...﴾ [٦٢-٦٨] ١٥٢
- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا...﴾ [٦٩-٧١] ١٥٧
- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَتْلُقَ أَزْوَاجُكُمْ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلٌ شَيْخًا...﴾ [٧٢] ١٦٨
- قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...﴾ [٧٣] ١٦٩
- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّغْوُ وَكَانَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُ فِي قَوْمِ لُوطٍ...﴾ [٧٤-٧٦] ... ١٧١
- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُ يَوْمَ رَصَافٍ يَوْمَ ذَرْعًا...﴾ [٧٧-٨٣] ١٧٣
- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُودًا...﴾ [٨٤-٩٥] ١٩٠
- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ...﴾ [٩٦-٩٩] ٢٠٣
- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُودًا...﴾ [١٠٠-١٠٩] ... ٢٠٥
- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاتَّخِذْ فِيهِ...﴾ [١١٠] ٢١٨
- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا لَنَظُنُّهُمْ رَبَّكَ أَهْمَلَهُمْ...﴾ [١١١] ٢١٩
- قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَفْهِمُ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا...﴾ [١١٢] ٢٢٤
- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ...﴾ [١١٣] ٢٢٥
- قوله تعالى: ﴿وَأَقْبِرِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْبَارِ وَرُفْنَا مِنَ الْبَلِّ...﴾ [١١٤] ٢٢٦
- قوله تعالى: ﴿وَأَمِيرٌ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَثَرُ الْمُحْسِنِينَ...﴾ [١١٥-١١٦] ٢٣٣
- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [١١٧-١١٩] ٢٣٤
- قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ آيَاتِهِ أَرْسَلْنَا مَا نَشَاءُ بِهِ فُؤَادَكَ...﴾ [١٢٠] ٢٣٧
- قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ...﴾ [١٢١-١٢٣] ٢٣٨
- تفسير سورة يوسف عليه السلام
- قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [١] ٢٤٠
- قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [٢] ٢٤١
- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...﴾ [٣] ٢٤٢
- قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [٤] ٢٤٤
- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَسَّى لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا...﴾ [٥] ٢٤٧
- قوله تعالى: ﴿وَكذلكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَمَوْلَاكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [٦] ٢٥٧
- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّالِفِينَ...﴾ [٧-٩] ٢٥٩
- قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ...﴾ [١٠] ٢٦٢
- قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَىٰ يُونُسَ وَإِنَّا لَمُتَصِحُّونَ...﴾ [١١-١٢] ٢٧٢
- قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَبِئْسَ خَلْقٍ أَنْ تَدْعِبُونِي بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ...﴾ [١٣-١٤] ٢٧٤
- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَآجَعُوا أَنْ يُعْجِلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ...﴾ [١٥] ٢٧٦

- قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاهُ يَكُونُ﴾ [١٦] ٢٨٠
- قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلُونَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ...﴾ [١٧] ... ٢٨١
- قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ عَلَى قَيْصِيهِ يَدْعِيهِ كَذِبٌ...﴾ [١٨] ٢٨٦
- قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلُورٌ...﴾ [١٩] ٢٩١
- قوله تعالى: ﴿وَمَرْوَةُ يُحْسِنُ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ...﴾ [٢٠] ٢٩٤
- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا تَرْجِعْهُ أَكْرَمِي مَثْوًى...﴾ [٢١] ٢٩٨
- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ مَاتَتْهُ حُمَاً وَجَلَا...﴾ [٢٢] ٣٠٤
- قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ آلِي مُوْسَى مِنْ بَيْنِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَكْبُوبَ...﴾ [٢٣-٢٤] ٣٠٥
- قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَا الْكَابِبَ وَقَدَّتْ قَيْصُومٌ مِنْ دُبُرٍ...﴾ [٢٥] ٣١٨
- قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ قَيْصِي وَشَهِدَ شَاوِدٌ مِنْ أَهْلِهَا...﴾ [٢٦-٢٩] ٣٢٠
- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَسُوفاً فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْزَقُ فَتَقْنَاهَا عَنْ نَفْسِهِ...﴾ [٣٠-٣٢] ٣٢٥
- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [٣٣-٣٤] ٣٣٩
- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْأَكْبُوبَ لَيْسَ جُثَّةً حَقٌّ جِينُ﴾ [٣٥] ٣٤١
- قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَدْتُ أُغْوِي حَمْرًا...﴾ [٣٦-٣٨] ٣٤٤
- قوله تعالى: ﴿يَصْدِجِي السِّجْنِ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ...﴾ [٣٩-٤٠] .. ٣٥٠
- قوله تعالى: ﴿يَصْدِجِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا يَسْتَعِي رَبَّهُ حَمْرًا...﴾ [٤١] ٣٥١
- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ...﴾ [٤٢] ٣٥٢
- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سَوِيًّا يَأْكُلْنَ سَبْعَ عِجَافٍ...﴾ [٤٣] ٣٥٩
- قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَشْخَذَتْ أُحَفَرُ...﴾ [٤٤] ٣٦٢
- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمَرِهِ أَنَا أَنْتُكُمْ بِأُورُشَلِيمَ...﴾ [٤٥-٤٦] ٣٦٣
- قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْعُمُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا قَدْ حَصَدْتُمْ فَذُرُوهُ فِي سُبُلِهِ...﴾ [٤٧] ٣٦٦
- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ...﴾ [٤٨] ٣٦٨
- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْمُرُونَ﴾ [٤٩] ٣٦٩
- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِدُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ الْوَسِيلَةِ قَالَ نَعَمْ وَإِنِّي إِذْ أَنْجَيْتُكَ مِنَ الْيَمِّ فَتَسْأَلُهُ مَا بَأَلُ الْيَسُوءِ...﴾ [٥٠-٥١] ٣٧٠
- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ...﴾ [٥٢-٥٣] ٣٧٥
- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِدُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ لِنَفْسٍ...﴾ [٥٤] ٣٧٧
- قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَافِظٌ عَلَيْهَا﴾ [٥٥] ٣٨٠
- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ...﴾ [٥٦-٥٧] ٣٨٦
- قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ...﴾ [٥٨] ٣٩١
- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُؤْمِنُ بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾ [٥٩-٦١] ٣٩٢
- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِجْلِهِمْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِأَنْ يَنْفَكُوا إِلَيْكَ أَهْلِيهِمْ...﴾ [٦٢] .. ٣٩٤
- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْكَ أَبَاهُ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْدُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ...﴾ [٦٣-٦٥] ٣٩٥

- قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بَرَةٌ...﴾ [٦٦] ٣٩٧
- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أُوْبٍ مُتَفَرِّقِينَ...﴾ [٦٧] ٣٩٩
- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ...﴾ [٦٨-٧٠] ٤٠٢
- قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَقْوَدُونَ...﴾ [٧١-٧٢] ٤٠٧
- قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ بِهِ الْيَقِيْدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ...﴾ [٧٣-٧٥] ... ٤١١
- قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاؤِ أَخِيهِ...﴾ [٧٦] ٤١٢
- قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ...﴾ [٧٧-٧٩] ٤١٨
- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا...﴾ [٨٠] ٤٢١
- قوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا هُنَا إِنَّا سَرَقْنَا...﴾ [٨١] ٤٢٥
- قوله تعالى: ﴿وَمَثَلِ الْفَرَصَةِ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمَرِ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا...﴾ [٨٢] ٤٢٧
- قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا...﴾ [٨٣] ٤٢٨
- قوله تعالى: ﴿وَوَكَّلْ عَلَيْهِمْ وَقَالَ يَتَأَسَّفُ عَلَى يُوسُفَ وَأَيَّضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْخُرُونِ...﴾ [٨٤] ٤٣٠
- قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَقَفْتُمْ تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَمًا...﴾ [٨٥-٨٦] ٤٣٣
- قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِي أَذْهَبُوا فَتَخَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَجْعِ اللَّهِ...﴾ [٨٧] ... ٤٣٦
- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْمَرْزُوقُ مَنَّا وَأَهْلُنَا الْفَقْرُ...﴾ [٨٨] ٤٣٧
- قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا قَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ...﴾ [٨٩-٩٣] ٤٤١
- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْعِمْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُقَيِّدُونِ...﴾ [٩٤-٩٩] ٤٤٧
- قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا...﴾ [١٠٠] ٤٥٤
- قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ قَدْ مَاتَتْنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ...﴾ [١٠١] ٤٦٢
- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ...﴾ [١٠٢-١٠٤] ٤٦٥
- قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ آبَائِهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ...﴾ [١٠٥-١٠٨] ٤٦٦
- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى...﴾ [١٠٩-١١٠] ٤٦٩
- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي فَصْمِهِمْ عِتْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾ [١١١] ٤٧٤
- الفهرس ٤٧٧